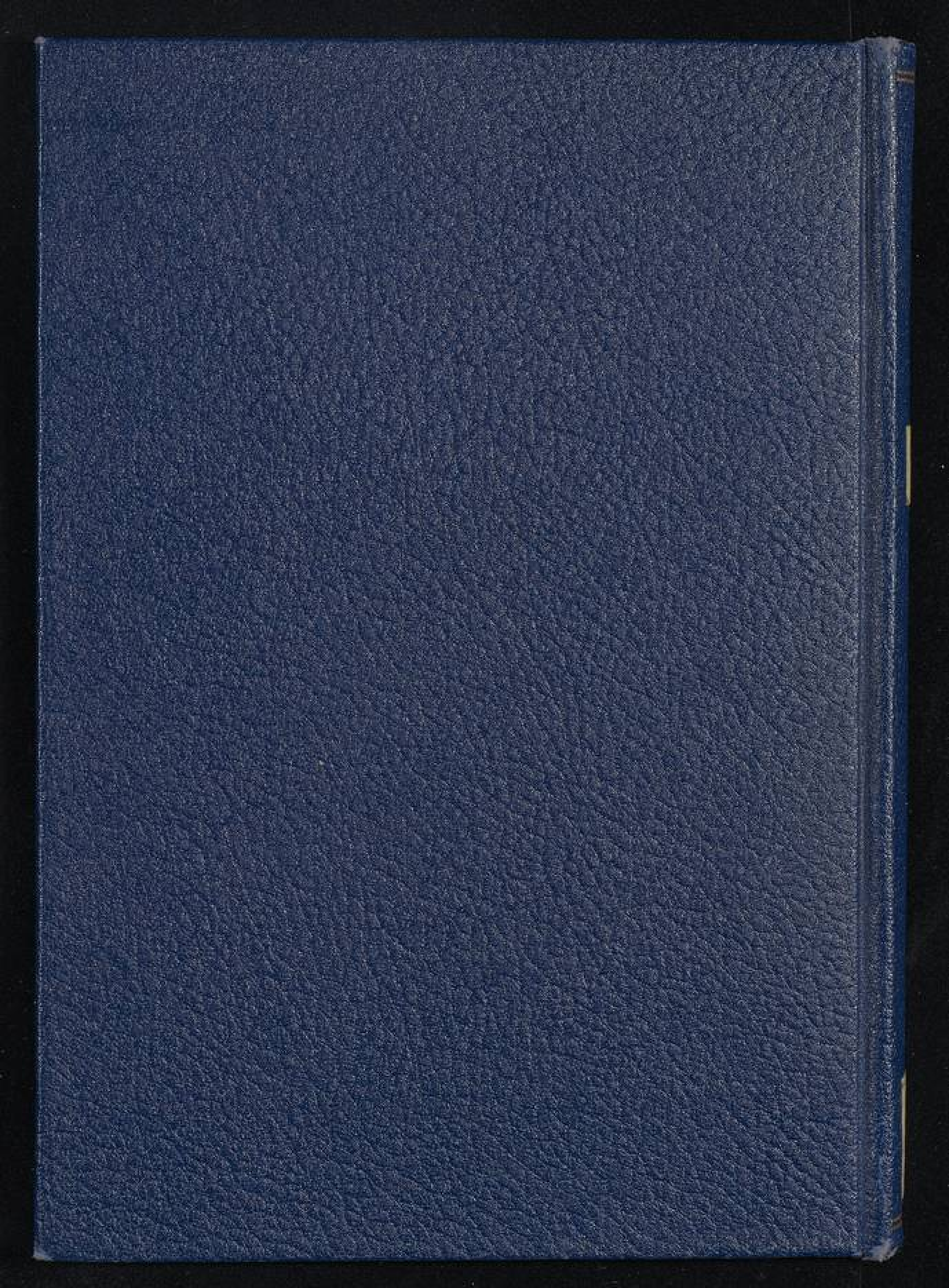
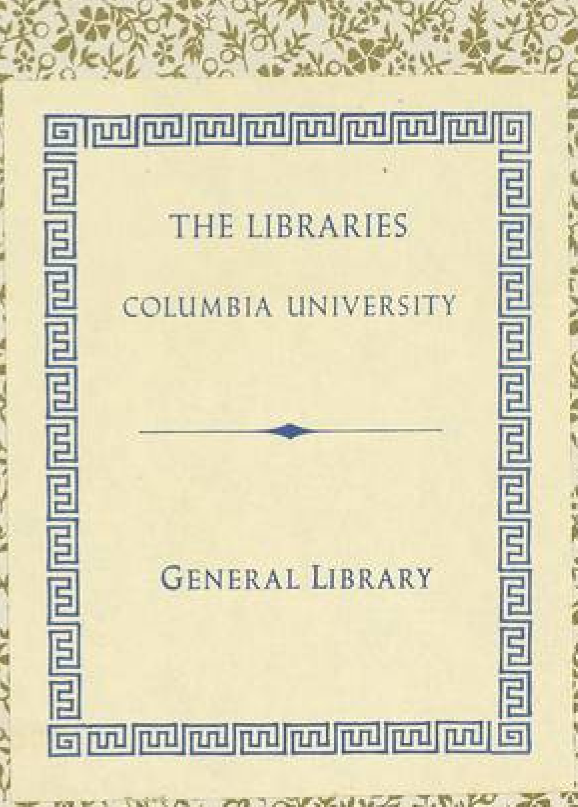
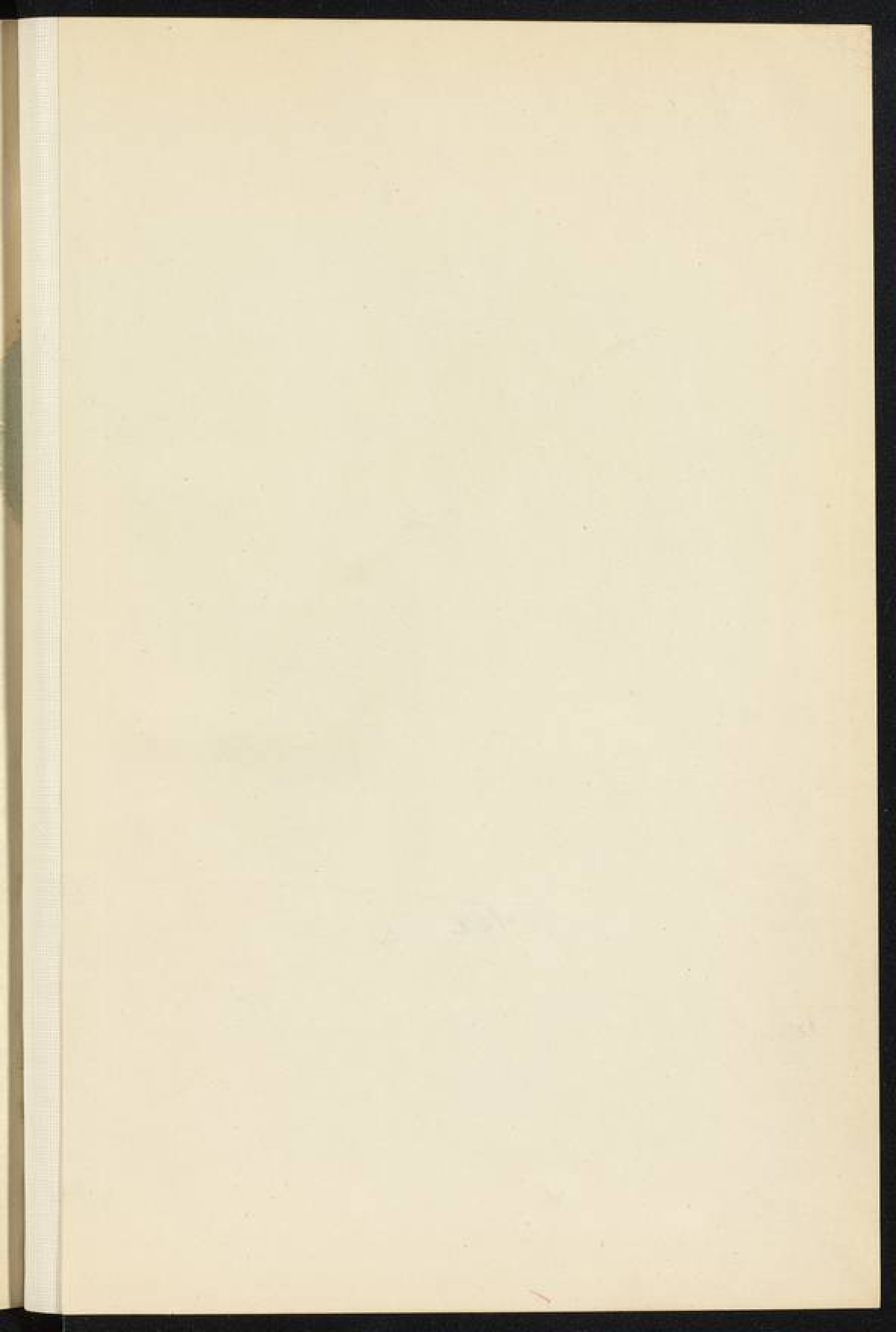






يعقوب سركيس

مباحث عراقية

في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ

بتقديم

صاحب المعالي العلامة محمد رضا الشبيبي

وزير معارف العراق سابقا

رئيس المجمع العلمي العراقي وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة

والمجمع العلمي العربي بدمشق

القسم الأول

وهو المباحث المنشورة في مجلة لغة العرب

من سنة ١٩١٢/١٤ وسنة ١٩٢٧/٣١

الثمن ٧٥٠ فلسا

١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م

طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة

شارع الملك فيصل الاول ـ الكرخ ، بغداد

الاهداء

الى روح العلامة اللغوى المرحوم
الأب أنستاس مارى الكرملى
ذكرى خدماته الجليلة للغة الضاد

المؤلف

تقديم الكتاب

بقلم حضرة صاحب المعالى الاستاذ العلامة

محمد رضا الشبيبى

وزير معارف العراق سابقا ، ورئيس المجمع العلمى العراقى . وعضو مجمع
فؤاد الأول للغة العربية بمصر . وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق

يعد العراقيون من احدث الشعوب عهدا بممارسة فن الصحافة الحديث ، ولقد ظهرت فى أواخر عهدنا بالدولة العثمانية صحف ومجلات عربية فى بغداد ومثلها فى بعض الحواضر العراقية ، وفى هذه الصحف قبل مدة ناهزت الاربعين عاما كنت اقرأ بواكير ما كتبه الاستاذ المؤرخ والصديق الوفى السيد يعقوب سركيس وكان يعالج فى مقالاته عدا الموضوعات التاريخية موضوعات أخرى من قبيل الخطط والآثار او البحث فى العمران . فما كان يفوتنى بعد ذلك تصفح كل مقال أجده مذيلا بتوقيع الاستاذ يعقوب اذ هى مقالات وفصول تدل على جلد بالغ فى البحث والتنقيب ومطالعة عدد كبير من الاسفار الموضوعة فى شتى اللغات من شرقية وغربية .

بقيت تلك المقالات كاللئالىء المتناثرة لا ينقصها لتكون عقدا ثمينا الا ان تنتظم فى سلك وكنت أعلم ان صاحبها يكره الشهرة ويزهد فى الادعاء وينتحل الاعذار فى هذا الباب فكنت أحضه

واستنهض همته من حين الى آخر لجمع ما تفرق منها فى شكل كتاب يوضع بين أيدى الباحثين والمراجعين الى أن صحت عزيمته فى هذه السنة على اخراج هذا الجزء وسيتلوه غيره من الاجزاء ان شاءالله .

لا اعرف الا نادرا من يجيد معالجة البحث فى الخطط والآثار وما الى ذلك مما يتطلب استعدادا خاصا ويستدعى الماما كافيا بما كتبه الرواد من الافرنج عن هذه البلاد ، ولا يخفى ان هؤلاء الرواد خبروا بلادنا واستنفضوا بقاعها بقعة بقعة فصاروا ادرى بشؤونها منا وهل يستوى العلماء والجاهلون ؟ وما أكثر مؤلفات القوم واسفارهم ورحلاتهم المدونة فى هذا الباب ، وقد نشرت فى مختلف لغاتهم بين انكليزية والمانية الى افرنسية وغيرها ، وقد أصبح كثير منها نادر الوجود .

جبل الاستاذ يعقوب على الشغف باقتناء هذه الاسفار بل تكلف عرق القربة فى جلبها من مظانها فتكونت لديه خزانة كتب غنية بهذه النوادر لا ابالغ اذا قلت انها منقطعة النظير بين خزائن كتب الشرق العربى ، هذا عدا مجموعة من المخطوطات النفيسة توجد فى الخزانة المذكورة وبينها وثائق وسجلات قديمة لها قيمتها التاريخية . ولذلك سيجد المراجع فيها برهانا قاطعا على جلد المؤلف وطول نفسه فى البحث والتنقيب وبذل الوسع فى خدمة الدراسات التأريخية .

وانه ليسرنى فى الختام تقديم هذه المجموعة النفيسة الى المعنيين

بدراسة الموضوعات التأريخيــة وما الى ذلك من تجويد البحث فى شؤون الخطط والآثار العراقيــة ولا يخامرنى أدنى شــك فى الاقبال عليها وتقدير جهد المؤلف فيها من قبل محافلنا العلميــة أحسن تقدير .

١٧ شعبان سنة ١٣٦٧
٢٦ حزيران سنة ١٩٤٨

محمد رضا الشبيبى

كلمتي

لم يدر في خلدي يوما ان اجمع شتات مقالاتي ونبذي المنشورة فاطبعها ضاما بعضها الى بعض في دفتي مجلد ولكن كثيرا من الاصدقاء والمعارف طلب مني هذا وحتى ملحا غير واحد منهم عليه فلم يكن لي بد من النزول عن ارادتهم وقد اولوني تقديرا فانا شاكر لحضراتهم على حفزهم اياي الى جمع ما كان متفرقا واظهاره ثانية في شكل يغني عن مراجعة عدة مجاميع لمجلات لسنين كثيرة لا بد من ان يكون بعضها نادرا .

ان مضامين مقالاتي والنبذ التاريخية الانف التي نشرتها في العراق(١) هي جميعها مباحث عراقية في التاريخ والجغرافية والآثار وخطط بغداد في العصر العباسي وما ضاهى ذلك مما له صلة بهذا القطر . وهذه المجموعة المطبوعة التي في اليد تحوي القسم الاول من هذه المباحث وهو المنشور في مجلة لغة العرب للاب انستاس ماري الكرملي ـ رحمه الله ـ من سنة ١٩١٢ الى آخر ما ظهر منها في آب ١٩١٤ حيث احتجبت لنشوب الحرب العامة ويحوي كذلك هذا القسم ما هو منشور فيها من سنة ١٩٢٧ حتى غاية سنة ١٩٣١ حيث افل نجمها الساطع فما لي في هذه المجلة هو في سنيها جميعها الا ما صدر منها في سنة ١٩١١ (وكان الابتداء باصدارها في تموز) وما صدر منها في سنة ١٩٢٦ (وكان الابتداء باصدارها كذلك في منتصف السنة ولم يؤرخ الجزء) ولم أكن في بغداد خلال معظم تلك الشهور من السنتين المار ذكرهما ولهذا السبب لم اكتب فيها اذ ذاك .

رغب الذين طلبوا جمع مقالاتي ونبذي ان يكون الجمع شاملا لجميعها

---

(١) قلت في العراق لان لي نبذا ونشر وثائق تعود الى تاريخ حلب منشورة في مجلات غير عراقية منها مجلة حلبية كان اسمها القربان ثم سميت الشهباء والمجلة السورية التي كانت تصدر في مصر ثم غدا نشرها في بيروت بعنوان المجلة البطريركية .

وها أنذا ابتدىء الآن بنشر ما في لغة العرب فحسب فاني لم أكتب خلال سني صدورها الا فيها ولعلي أجمع للنشر بعد هذا ما لي في غيرها من المجلات وهي : النجم (الموصلية) ومجلة غرفة تجارة بغداد ومجلة الاعتدال والبيان (النجفيتان) وجريدة البلاد (البغدادية وكان نشري فيها الحلو بغداد من مجلة وكذلك أجمع ما لي في المجلات التالية : عالم الغد (بغداد) ، الجزيرة (الموصل)، الادب والفن (لندن) ، مجلة دار المعلمين العالية (بغداد) ، سومر (لمديرية الآثار القديمة العامة . بغداد) ، المقتطف (مصر)،[٢] فان لي في كل من هذه المجلات مقالا كما ان لي نتفا في بعض الصحف اليومية . ولو جمعت كل هذه الكتابات وطبعتها يكون قوامها نيفا وخمسمائة صفحة من هذا القطع يضاف اليها الفهارس .

تحوي مجموعتي من لغة العرب تعليقات كثيرة على كلامي فيها فلو اردت ادخال هذه الاضافات هنا اكون قد اخذت على نفسي القيام بعمل قل انه انشاء جديد . وهذا ليس في وسعي وقد جاوزت السبعين بسنتين ولي غير هذا السبب . نعم اجتنبت هذا الامر المتعب ولكني لم أهمله بتاتا فاني أشرت أحيانا ـ هي احيان قليلة ـ الى ما حسبت ايراده سهلا علي وبيانه ضروريا معلما اياه بنجم كهذا * وواضعا الكلام في أسفل الصفحة كما اني اوردت اكمال نشر لنبذة تاريخية كان سبب تأخيره ذلك الاحتجاب لمجلة لغة العرب في سنة ١٩١٤ (راجع الص ٥٦) . واوردت وثيقتين وقعت نسختاهما في يدي أخيرا (راجع الص ٤٤ آ والص ٢٣٤) ونشرت صورة احداهما وغيرها من الصور .

أجل ابقيت نعوت الذين ذكرتهم في المجلة بالقابهم ومراتبهم كما كانت لاصحابها يوم ذاك وقد مر على بعض ذلك ست وثلاثون سنة وآخر ما جاء لي فيهم مر عليه سبع عشرة سنة فلا بد من أن تغير شيء من ذلك خلال

(٢) هذه المقالة لا علاقة لها بالعراق بل مصر فرأيت أن أضمها الى مباحث العراق في ما سأجمعه وهي نقد لتلخيص بالفرنسية لسيادة حايم نحوم الحاخام الاكبر في القاهرة لفرامين كان قد أصدرها سلاطين آل عثمان الى مصر .

هذا الزمن الطويل فمعذرة أيها الافاضل الكرام عن ابقاء ما كان على ما كان .

وارجو ختاما ان اكون قد قمت بقسط مما احبه واراده منى الاخوان والاصدقاء والمعارف مع الرجاء من حضراتهم ومن غيرهم من القراء الافاضل أن ينبهونى الى أى غلط له صلة بالموضوع فأكون شاكرا للناقد اذا أصاب والله الهادى الى الصواب .

بغداد فى ١٩ تموز ١٩٤٨

يعقوب سركيس

مجموعة المقالات

المنشورة في مجلة لغة العرب البغدادية

الص ٥٠٤ الجزء ١١ من السنة ٢ = أيار ١٩١٣(*)

سعدون باشا السعدون

(١) نسبه

سعدون باشا(١) هو ابن شيخ المنتفق منصور باشا ابن راشد بن ثامر ابن الشيخ(٢) سعدون(٣) المشتهرة به تلك الحمولة(٤) فيقال آل سعدون(٥) أو السعدون . وكان اسم ام سعدون باشا « لطيفة » وهي ابنة من آل سبتي . وسبتي فخذ من آل صالح من آل شبيب . وقد تفرع منهم عدة غصون نوابغ منهم : آل صالح المذكورون وآل محمد وآل روضان وآل راشد(٦) وهم قاطنون الآن في أماكنهم في نواحي سوق الشيوخ وآل صقر(٧) وغيرهم . وأما الشيخ سعدون المذكور أعلاه رافع شهرة هذه الاسرة فانه فرع غصن من أغصان هذه الدوحة الباسقة الفنواء .

(٢) سنة ولادته وسنوه الاولى

أما سنة ولادة سعدون باشا (وهو غير الشيخ سعدون لان هذا جد ذاك) فلم أقع عليها بنوع لا ريب فيه . لكني لا أظن انها قبل عام ١٢٧٠ هـ الموافق لعام ١٨٥٣ م . واتفق انه لما ترعرع كان قد اضطر أبوه أن يقيم في بغداد فأخذ الصبي يختلف الى أحد مكاتب الحكومة وشرع يدرس مبادىء اللغة التركية غير ان أحد الطلبة هزأ بقومه وبعروبته فانقطع عن التردد الى المكتب وأبت نفسه العظيمة الابية أن تقبل الذل والصغاير لا سيما في أمر يحق لها أن تتفاخر به أمام أقوام جميع الديار فكان ذلك سببا لامتناعه بتاتا عن اتمام الدروس التي كان قد هم بها .

(*) ولي قبل هذا المقال (الص ١٩) نبذة عنوانها « خواطر في المنتفق وديارهم » بتوقيعي المستعار ــ وهو منتفقي ــ كالذي يأتي بادناه . وقد طويت هذه النبذة لان يدا لعبت بها فشوهت بعض ما أردته ثم تداركت الامر بتصحيح جاء في آخر السنة في الص « ٥٩٠ »

(٣) شبابه وكهولته

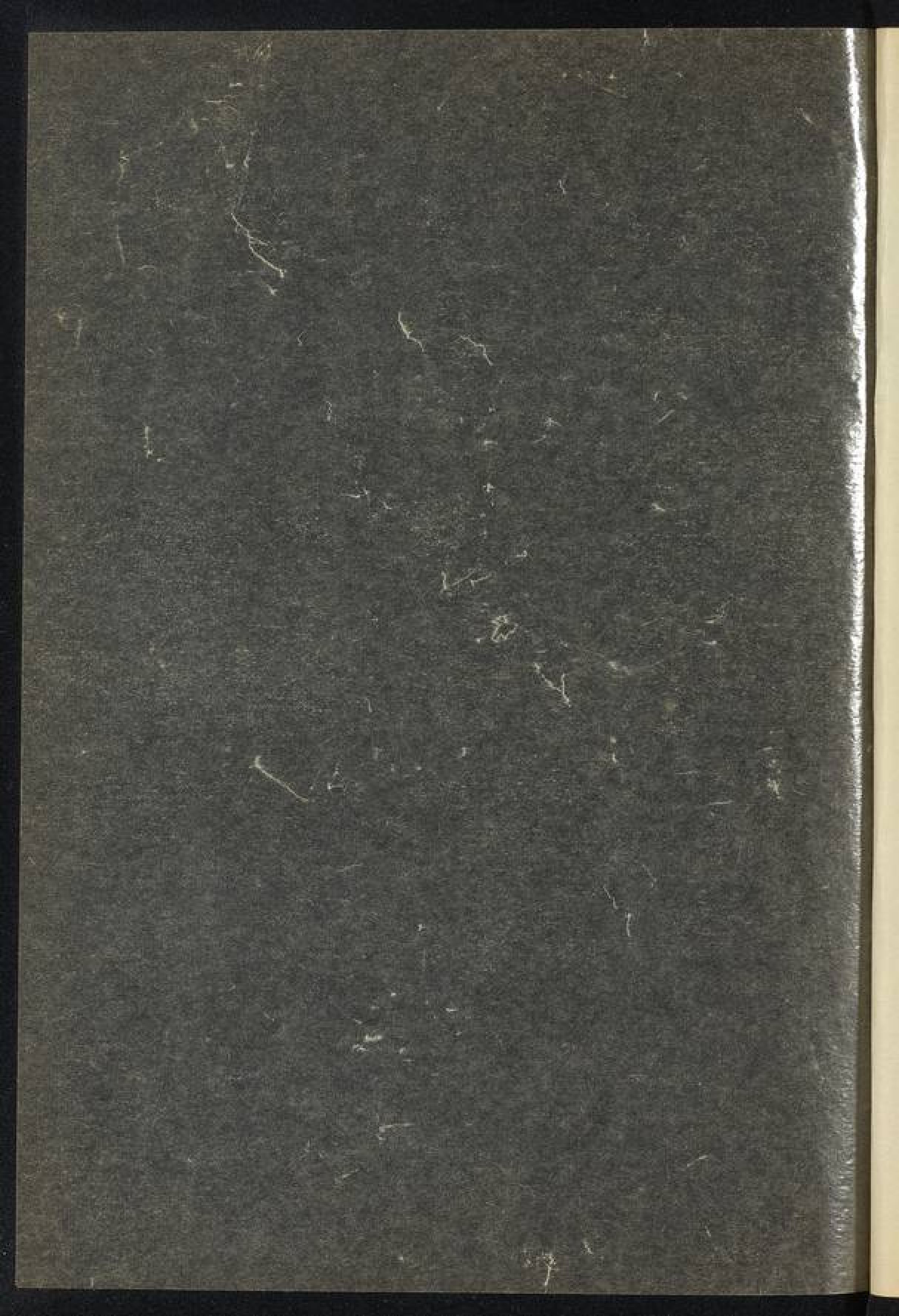
ولما شب نال رتبة أمير الامراء الرفيعة بفضل ما أحرزه من المآثر والمحامد وبسعي عمه فخر الاسرة السعدونية ومجدها الشيخ ناصر باشا(٨) وذلك دليلا عما أبرزه من تلبية أمر الحكومة وحسن الخدمة عند مد سلك البرق فى تلك الارجاء بعد انقطاعه(٩) ولما أرسلت الحكومة جيشا بقيادة الرئيس عزت باشا(١٠) لاذعان واخضاع اسرة آل سعدون وعشائر المنتفق وادخال ديارهم تحت حوزتها الحقيقية ورفع ادنى تسلط بقى لهم هناك نشبت الحرب بين الفريقين فى أواخر قيظ سنة ١٢٩٧ مالية الموافقة لاواخر سنة ١٢٩٨ هـ و١٨٨١ م فأصيب سعدون بجرح لعله كان رمزا الى مستقبل حياته وطوارىء أيامه .

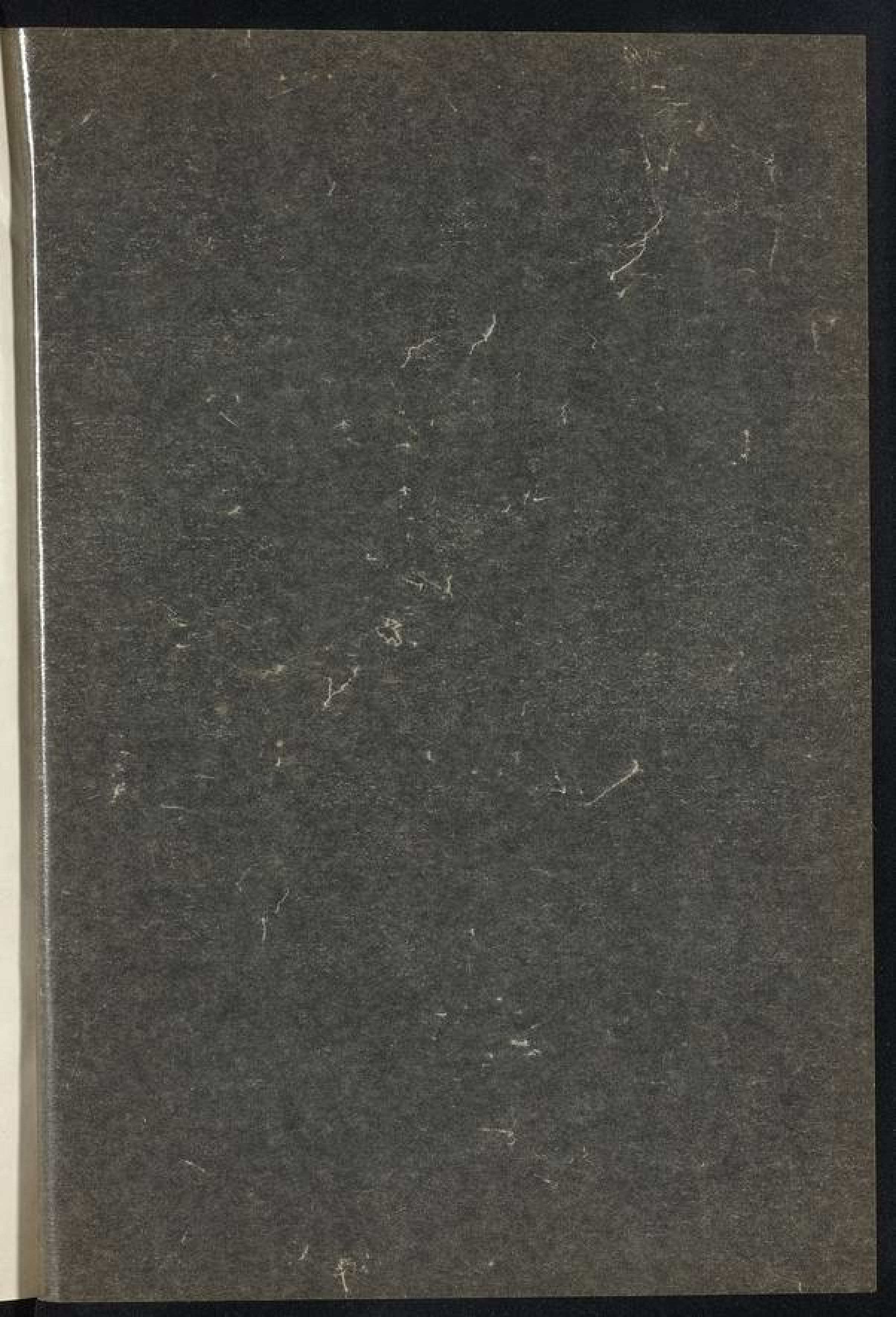
وكان يقرأ العربية ويكتبها بسهولة عظيمة . ويحسن شيئا من التركية وكان دينا تقيا سنيا مالكي المذهب وقد شد الرحال برا قياما بالفرض الواجب عليه وهو حج البيت فعاد وقد ازداد تمسكا بالدين مكبا على مطالعة الاسفار حافظا لبعض الاحاديث ولشيء من تاريخ العرب قبل الاسلام . وكان يلقى سمعه لمن يروى الاخبار التاريخية وينشد الشعر والقصيد(١١) وكان يعرف من هذا شيئا ليس بيسير وكان يميل كل الميل الى الوقوف على ما يتعلق بتاريخ أسلافه ويحفظه واذا تولى رواية أخبارهم بنفسه يظن السامع انه يسمع أحد معاصرى اولئك المشاهير المغاوير . وممن كان يروى أخبارهم بتحمس واباء وتوقد خاطر بعض متقدمى أجداده كالشيخ سعدون والشيخ حمود الثامر(١٢) والشيخ عقيل(١٣) والشيخ عيسى(١٤) وغيرهم .

(٤) صورته(*) ووصف خلقه وخلقه وأمور معيشته

كان سعدون باشا مربوع القامة الى القصر ما هى نحيف البدن لاشتغال أفكاره بالامور على الدوام أسمر اللون وكان له عينان سوداوان نيرتان وقادتان

(*) « ثم وجدت تصويره الفتوغرافى مع ابنيه فى الكتاب المسمى : بسميا
Bismya ...... by Edgar James. Banks Ph.D. New Yark & London 1912
وابناه هما ثامر بك وعجمي بك (ثم باشا) .





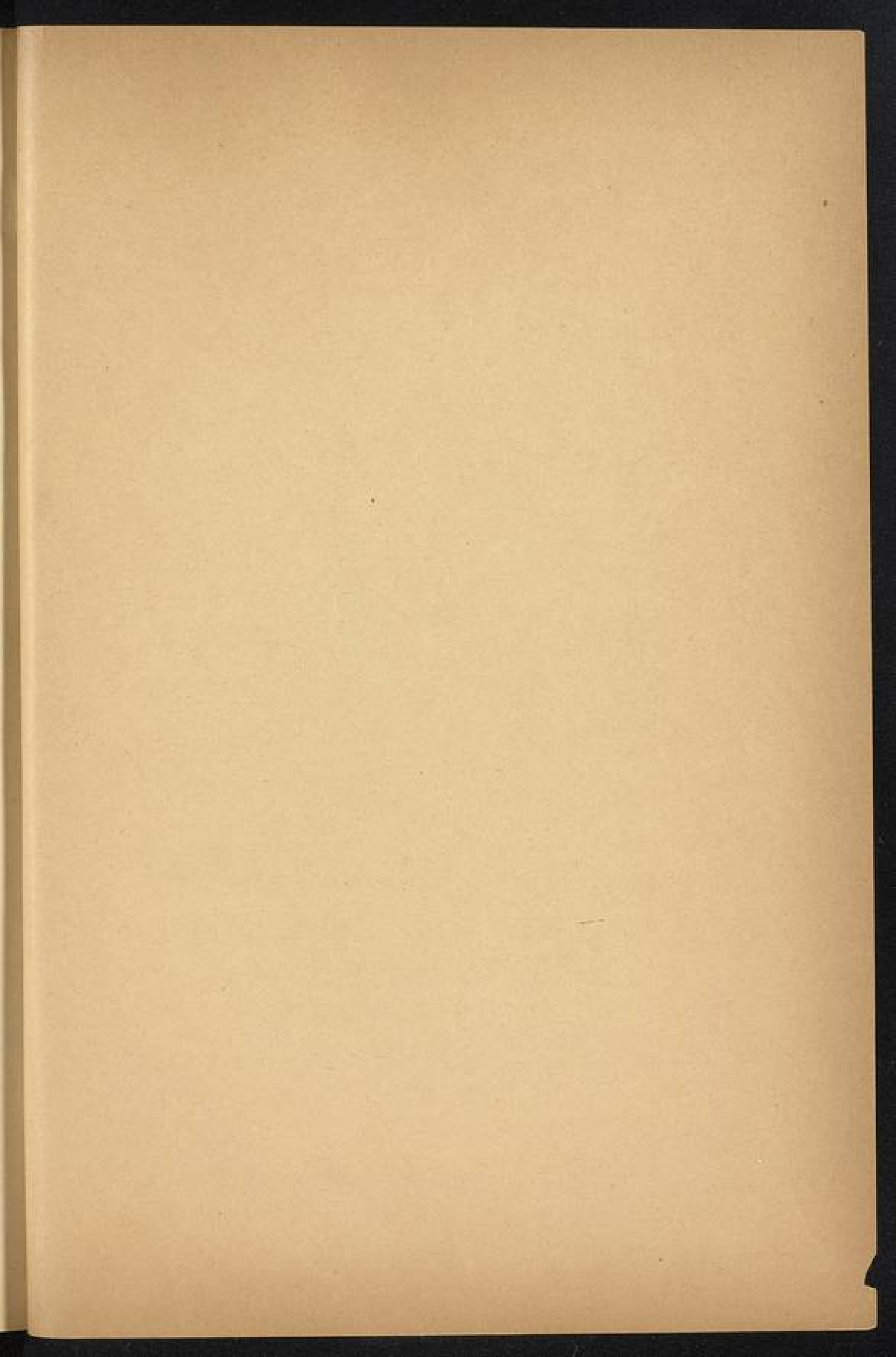


سعدون باشا آل سعدون وابنـاه

نقلا عن كتاب بسمايا لمؤلفه **بنكس**

الابنان هما ثامر بك وعجمي بك (ثم باشا)

ازاء الصفحة ٢



نجلاوان متوسط الانف حسنه شعره أسود حالك ليس بالكثير الوافر ولا بالقليل المتفرط وفى أواخر أيامه كان يخضب شعره بالاسود •

وكان يشد على رأسه العقال والكوفية • وكان عقاله من جنس عقال « أبى الضبات » (وهو العقال المحكم الشد بين فسحة وفسحة وهذه الشدة أو الربطة تعرف بالضبة ومنه هذا الاسم) وربما كانت كوفيته فى الشتاء من جنس الضريب (والضريب من الكوفيات ما كان أرضها صفراء وهى مخططة بخطوط حمراء وخضراء وتكون من حرير وقطن) وكان يبدل فى الصيف الكوفية بالياشمق(١٥) أو اليشماغ أى القناع الاحمر أو بالنيمة(١٦) •

وكان يلبس من الثياب الزبون(١٧) عليه « سترى » من شعرى أو من كتان فى الصيف ومن جوخ فى الشتاء • وعلى الزبون والسترى يلبس عباءة الصوف من أى لون كانت فى الشتاء أو من حرير صينى (جيناوى) أبيض أو من صوف رقيق فى الصيف • وكان يلبس برجله أما النعل واما الموق (القندرة أو الكندرة) اذا كان فى البادية والموق والجرموق (أى القندرة والكانوش) مع الجوارب اذا دخل المدن وكان يحب جدا شرب التبغ أو (الدخان) •

ولم يكن من طبعه التأنق بالمأكل والمشرب والملبس وانما كان يجارى كل قوم فى مألوف أمور معيشتهم من باب الحكمة والدهاء والسياسة •

وكان اذا جلس فى موضع لا يزال يلتفت الى كل جهة لتيقظ باله وانتباه فكره واشتغال خاطره بما حواليه واهتمامه بكل ما يقع فى جواره من دقائق الامور وجلائلها • وكان يؤنس جلاسه غاية الايناس بكل كلام طيب بدون أن يمس ذلك وقاره وسمعته ورزانته وهيبته بل يبقى مكرما مبجلا فى نظرهم كما يبقى محافظا على آداب مقامه العالى • ومن غريب أمره انك تراه يخاطب كل رجل بما يناسب اشغاله أو مقامه أو بما يعنى به فمع التاجر تسمعه يتكلم عن التجارة وشيخ الاعراب عن أعرابه وغزواته وموظف الحكومة عن شؤونها والقادم من المدن عما وقع أو يقع فيها الى آخر ما هناك •

الحواشى

(١) لا القب من هؤلاء الامراء بلقب الباشا الا من لقبته به الدولة العثمانية (٢) لا أسمى بعض هؤلاء الامراء بالشيوخ الا من عرفته منهم متوليا المشيخة فعلا وبأمر من الدولة العلية (٣) قتل فى وقعة جرت له مع عساكر الحكومة العثمانية حينما كان نازلا فى بادية بلاد العرب وربما كان غير بعيد عن بلدة السماوة الحالية لا القديمة وقد روى لى بعض الثقات من يعول على روايتهم : ان الحكومة العثمانية كانت قد أرسلت عليه عسكرا تطلب منه أمرا فلم يقم به • وما أبطأت ان دارت رحى الحرب بين الفريقين فضعنت العرب أو كادت• فرأى فى أثناء الضعن عجوزا قد طعنت فى السن وقد أبطأت فى النهوض للرحيل فأتاها راكبا جواده وهى لا تعرفه فحثها على الرحيل حذرا من أن يفتك بها • فقالت : مهلا ! ويحك ! ما بالك تأمرنى بهذا وشيخنا الشيخ سعدون • فقال لها : لك ما تريدين من المهلة • فبقى بجانبها ينتظر نتيجة أمرها واذ كان القتال ناشبا أتاه من جندله صريعا فمات • فلله دره من شيخ يحن على أضعف تابعيه ! (٤) الحمولة عند مصطلح العراقيين الاسرة أو السلالة الشريفة النبيلة النجيبة العريقة النسب • وبعض أهل المدن يقولون بدلها « خاندان » وهذه فارسية الاصل • والحمولة عربية النجار فصيحة الاستعمال وهى مأخوذة من السيد الحمول وهو الكريم العريق الشرف الحمول للعظائم وقد ذكر هذا المعنى اللغويون فى تفسيرهم كلمة خضارم (كعذافر) التى هى من مرادفات الحمول (٥) واليك تتمة نسب آل السعدون(*) سعدون هو ابن الشريف محمد ابن الشريف شبيب ابن مانع ابن شبيب بن مانع بن مالك بن سعدون بن ابراهيم (الملقب بأحمر العينين بن كبش بن منصور بن جماز بن شيحا بن هاشم بن قاسم (الملقب بابن فليتة) بن مهنا بن حسن المشهور بابن أبى عمارة) بن مهنا الاعرج (الملقب بابن أبى هاشم داود) بن قاسم بن عبدالله بن ظاهر بن يحى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن

(*) هذا ما كنت نقلته عن ورقة نسب ثم بان لى ان فيه أغلاطا ونقصا فى الحلقات فلا يعتد بهذا النسب من ناحية تسلسل بعض الاسماء لا من ناحية علوية هذا البيت

عبدالله الاعرم بن الحسين الاصغر ابن الامام زين العابدين ابن الامام عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين • (٦) هو غير راشد والد الشيخين : الشيخ ناصر باشا الوزير والشيخ منصور باشا صاحب رتبة روم‌ايلي بكلربكي وتسمى اختصارا روم ايلي (٧) ويلفظونها بالكاف الفارسية أو الجيم المصرية وأغلبهم اليوم في جهات البصرة مقيمين في أملاكهم الكثيرة النخيل (٨) لم يكن ناصر باشا يومئذ وزيرا وقد حاز رتبة « مير ميران »(*) العالية الشان التي لم يكن قد نالها أسلافه بموجب فرمان ورد الى بغداد مع بريد الاستانة في ٥ ذي الحجة ١٢٨٣ الموافق ١١ نيسان ١٨٦٧ م وكان قد أودع حسني افندي ياور الولاية ليوصله اليه فسلمه اياه في ١٠ ذي الحجة من تلك السنة في « منثر الشويلات » الواقع في منحدر « قلعة سكر » وهو على الغراف على نحو ثلاث ساعات من القلعة المذكورة • والمنثر في اصطلاحهم محل تذخر فيه حاصلات الزروع التي توضع اعتياديا ضمن أوعية متخذة من البواري أي من حصر القصب (٩) مد سلك البرق مجتازا ديار المنتفق محاذيا الفرات غير بعيد عنه في عهد قيم‌مقامها الشيخ فهد باشا (يومئذ فهد بك) وأول مفاوضة جرت بهذا الخط بين بغداد والبصرة كانت في غرة رمضان ١٢٨١ الموافقة ٢٨ ك ٢ سنة ١٨٦٥ م (١٠) وكان مع الجيش المذكور كثير من أعراب عشائر ربيعة وزبيد وبني لام وعليهم رؤساؤهم يقودونهم (١١) القصيد (ويلفظها الاعراب كافا فارسية أو جيما مصرية وبكسرها كسرا غير بين ضرب من النظم على بحر خاص بهم يلهجون به كثيرا وينظمونه على مواضيع مختلفة من حماسة وغزل ومديح وغيرها (١٢) هو الشيخ حمود بن ثامر ابن الشيخ سعدون المعروف بحمود الاعمى وشاخ (أي صار شيخا أي رئيسا أو أميرا) في ديار المنتفق نحو ٢٠ سنة ثم كف بصره واستمر على المبند (المسند وزان مكتب في اصطلاحهم تخت مفروش يعلو الارض نحو شبر لا يتجاوز طوله مترا أو مترا ونصف متر في متر واحد عرضا ومحاط بما يتكأ عليه وهو خاص بهذه الشيخة (بالكسر كالشيوخة والمشيخة عندهم) (ولا يجوز لغيره أن يتخذه لنفسه والمسند مجازا

(*) بل كانت هذه رتبة « أمير الامراء » ثم بعد ذلك نال رتبة مير ميران كما سنرى

الشيخة) بعد ذلك نحو عشرين سنة أيضا فكان مجموع سنى شيخته نحو أربعين سنة وقد جاء ذكر اسم الشيخ حمود المشار اليه فى كتاب المؤرخ احمد راسم بك واسمه « رسملى وخريطه عثمانلى تاريخى » فى الجلد ٤ : ١٦٦٥ . فقد قال ما تعريبه « واتفق عبدالله باشا مع الايرانيين وذلك عند رؤيته المملوك سعيد بك (أى سعيد بك الكولهمن وهو ابن سلفه سليمان باشا) فارا الى جهات المنتفق . متصورا ان بذلك يحصل على منصب قائممقام الولاية وبما ان عبدالله باشا كان قد اتهم عبدالرحمن باشا بميله الى الايرانيين عزله لكنه انثنى عن عزمه فعينه متصرفا لالوية : « بابان وكو وحرير » ومع هذا فان عبدالله باشا وقع فى ما كان يحذره وذلك انه لما سار الى ديار المنتفق قاصدا استئصال شأفة سعيد بك أخذ حمود الثامر شيخ الخطة المذكورة سعيد بك المومأ اليه عنده وقابل الباشا بعشرين الف فارس وفى أثناء ذلك تراجع جميع المماليك الذين كانوا موجودين فى معسكر عبدالله باشا مراجعة خفية بعضهم مع بعض ثم لحقوا بالمنتفق . فأسر عبدالله باشا ولما توفى ابن حمود الثامر الذى جرح فى هذا القتال عمد الشيخ حمود فذبح عبدالله باشا وطاهرا كتخدا الباشا وأرسل برأسيهما الى سعيد بك . وبعد ان وفق سعيد بك هذا التوفيق دخل بغداد وشرع يتولى امورها أولا بصفة قائممقام ثم بصفة والى وقد أتته الولاية من الدولة فى سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) ا هـ(*) .

ثم عاد المؤرخ الى ذكر حمود الثامر فى الص ١٦٩٤ من الكتاب المذكور فقال ما تعريبه : « ولما علم سعيد باشا بعزله دعا شيخ المنتفق حمود الثامر فقاوم سعيد باشا داود باشا وكان عليه الفرمان العالى الشان وكان معه خمسة آلاف عسكر من الاهالى والعربان . ولما لم يقدر على تدبير العسكر الذى جمعه أذن للشيخ بالرجوع » ا هـ قلت : والشيخ حمود الثامر مدفون بجانب الكرخ على بعد بضعة كيلومترات من غربى البلدة . وهو معروف اليوم عند العامة « بقبر الشيخ »(**) من باب الشهرة وهم يريدون قبر الشيخ حمود

(*) ذكر المؤرخ هذا الخبر فى سياق كلامه على حوادث سنة ١٢٢٤ فعولت على هذا التاريخ ثم بان لى من نبذة كتبت فى زمن حدوث هذه الوقائع ان ما جرى كان فى سنة ١٢٢٨ والنبذة نراها فى ما يلى .

(**) بل قبر حمود كما سيرد فى تصحيحها

الثامر وسوف ينسى العلم ويبقى ما لا فائدة عظيمة فى حفظه فلا يعرف بعدئذ من هو هذا الشيخ لان العوام لا يفيدها الامعان فى الحقائق فتيلا (١٣) هو الشيخ عقيل (عجيل) بن محمد بن ثامر ابن الشيخ سعدون وهو مدفون فى الشمال الغربى من قصبة شطرة المنتفق على تل قليل الارتفاع معروف باسم صبيخ (مصغرة) واليوم لا يرى لقبره أثر ظاهر (١٤) هو الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر ابن الشيخ سعدون وقد احترق بينما كان فى صريفته (الصريفة بيت يتخذ من القصب والحصر يأوى اليه أغلب أعراب جنوبى العراق) فمات . وعمل لهذه الواقعة تاريخ هو : « الشيخ حريق » يقابله سنة **١٢٥٩** الموافقة لسنة **١٨٤٣** (١٥) الياشمق أو اليشماغ عند العراقيين قناع من القطن الابيض فيه نقوش مدملكة بارزة تكون من القطن أيضا لكن من القطن الازرق أو الاحمر يتخذ للرأس (١٦) النيمة نوع من الخام يطرز بالشعرى وهو كالاغبانى الهندى والاغبانى لفظة تركية تعريف أق آبانى وهو الثيراء بالعربية الفصحى وكلمة « نيمة » تركية فارسية الاصل من نيم ومعناها نصف (١٧) الزبون عند العراقيين هو القنباز عند أهل الشام والقباء عند فصحاء العرب سابقا .

الص ٥٦٣ الجزء ١١ من السنة ٣ = أيار ١٩١٣

نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق

في اوائل القرن التاسع عشر من الميلاد

أذكر قراء لغة العرب الغراء ما كنت قد دونته في جزئها الحادي عشر من سنتها الثانية وهو قسم من ترجمة سعدون باشا وكنت قد علقت هناك حاشية بشأن حمود(١) الثامر(*) آل سعدون معربة عن كتاب التاريخ العثماني لاحمد راسم ومستندة على ثقات الرواة وقد جاء فيها أيضا بوجه الاستطراد لمحة من تاريخ بغداد تعريبا عن الكاتب المذكور ولم أقف في غيره على تفاصيل وافية تشفي غليل مطالع التاريخ عن تلك الازمنة . وربما لم تدون الوقائع بالايضاح الكافي أو دونت ثم عبثت بها يد الدهر . وها اني قد عثرت على نبذة تاريخية(٢) بين أوراق حواها صندوق وجدته في دار الشاب الحلبي الاصل والبغدادي المولد واللاتيني الطقس لطف الله(**) بن نصرالله بن فتح بن نعمة الله ابن المقدسي يوسف بن ديمتري الخوري عبود(٣) . وهذا الصندوق طوله نحو متر واحد وعرضه نحو نصف متر وكذلك ارتفاعه وهو مملوء رسائل كان قد بعث بها أجداد أسرته الكريمة بعضهم الى بعض من حلب وبغداد والبصرة وأزمير وكلكتة وغيرها بقصد التجارة ودوام الوداد بين الاقارب وفيه الاوراق التجارية الواردة اليهم من سورية والعراق والهند وايران . وتواريخ أوراق هذا الصندوق تتعلق بأواخر القرن الثامن عشر للميلاد وأوائل القرن التاسع عشر وفيها شيء نزر من صكوك شرعية صادرة من قضاة حلب يرتقي تاريخها الى أواسط القرن السابع عشر . وهذه الاوراق وان كان أغلبها تجاريا فانها لا تخلو من الفوائد التاريخية في غير بابها هذا ايضا . اذ قد ذكر اصحابها في سياق كلامهم حوادث ووقائع بلدة سكنوها لاقارب وأصدقاء وتجار قطنوا في غيرها . وقد خصص أهلها شيئا من هذه الاوراق للدين والتاريخ والادب وغيره . وما هذه الدفينة الا جزء ضعيفا من أوراق التهمتها نار شبت في ٧

(*) في لغة العرب الناصر وهو غلط طبع والصحيح الثامر (بثاء) كما بأعلاه .
(**) أنا آسف على فقدانه فقد توفي في ٢٦ كانون الاول ١٩٤٧ .

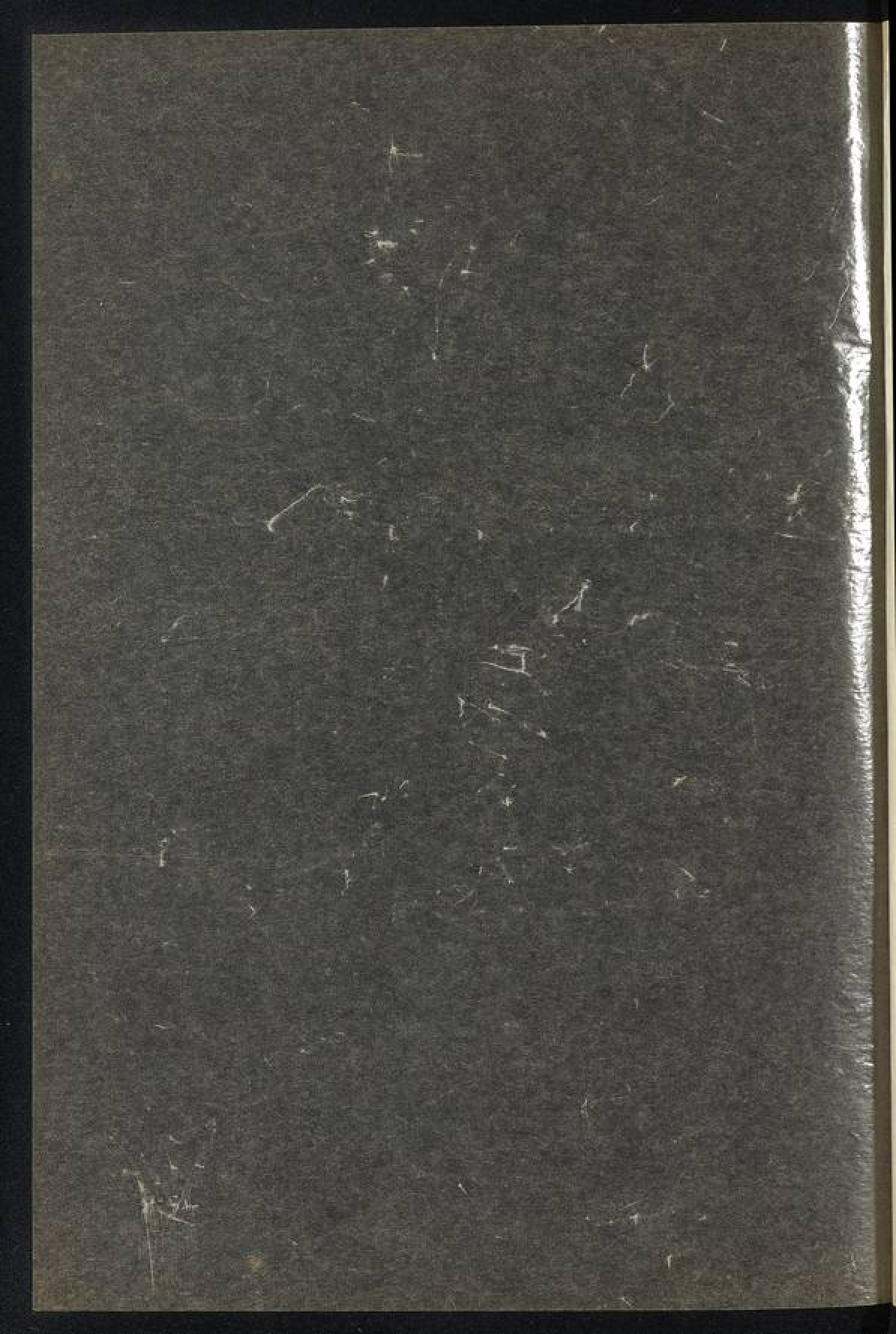
رمضان ١٣٢٦ (٢ ت ١ سنة ١٩٠٨) فى خان الموما اليه لطف الله عبود(٤) فاحرقت جميع ما فيه ولم تكن هذه الاوراق المحترقة مهملة بل كان قد خصص لها فيه حجرة مبنية بالطاباق معقودة به كما هو نسق بناء الخان المذكور • وليس فى بنائها من المواد القابلة الاشتعال سوى أخشاب الباب والطاقات بحيث نفذت النار منها فأمست طعمة لها ونصيبا • وهذه الاوراق المحترقة كان ينوف قدرها على نحو عشرين صندوقا كصندوقنا المحكى عنه وقد حوت أعمالا تجارية متسلسلة التواريخ حتى صدر القرن العشرين عائدة كلها الى الاسرة المذكورة وفيها من الكتب المخطوطة وغيرها ما يندر وجوده وكان قد اهتم بحفظه الخلف عن السلف ومن هذه الاوراق ما هو مختص بأحدهم فتح‌الله عبود الذى عرفه كثير من معاصرينا • وكان يعتنى بالاوراق المنتقلة اليه أشد الاعتناء منذ حداثة سنه وقد زادها ما اقتناه بذاته فكان يدون الوقائع فى تقاويمه اليومية كما كان يفعل سلفه • هذا فضلا عما حوته مفاوضاته التجارية والاهلية من الشؤون الجمة وكنت ترى عنده الجرائد نفسها عن السنين المتعددة الطويلة مجموعة مجلدة ومنها « الزوراء » منذ ابتداء انتشارها• ولحسن الحظ كان قد بقى من هذه الاوراق فى دار السكنى الصندوق الذى ساقنى الى هذا المقال • ورب معترض يرمى الى قلمى الزيغ عن الصدد انما أوردت شيئا عما يتعلق ببعض أحوال هذه الاسرة طلبا لتوثيق القارىء الكريم بها لما سيأتى من ذكر حوادث واخبار ذات بال فى التاريخ فانى لاحظت بونا عظيما بين ما ذكرته « سالنامات » ولاية البصرة من أسماء « متسلميها » وسنى نصبهم وبين ما أفادتنا به النبذة التى أكتب هذه الاسطر توطئة لها • وقد أقرت سالنامة ولاية البصرة سنة ١٣٠٩ ﻫ بافتقارها الى الاخبار وطلبت الى الذين يعرفون مثل هذه الامور أن يفيدوها بما عندهم • فزادنى طلبها هذا نشاطا ولبيته اذ قد سنحت الفرصة بذلك • وأما صاحب النبذة هو الحلبى أصلا والرومى الملكى طقسا الشماس ميخائيل ابن المقدسى يوسف بن ديمترى الخورى عبود المتوفى فى ١٨ آب (شرقى) سنة ١٨١٤ فى كلكتة ونبذته هذه موجودة بخط يده • ويظهر جليا من نسق تحريرها ومن تقويم له وجد بين الاوراق انه كتبها فى البصرة حينا بعد حين على توالى حلول الوقائع • والله أعلم فانه علام الغيوب •

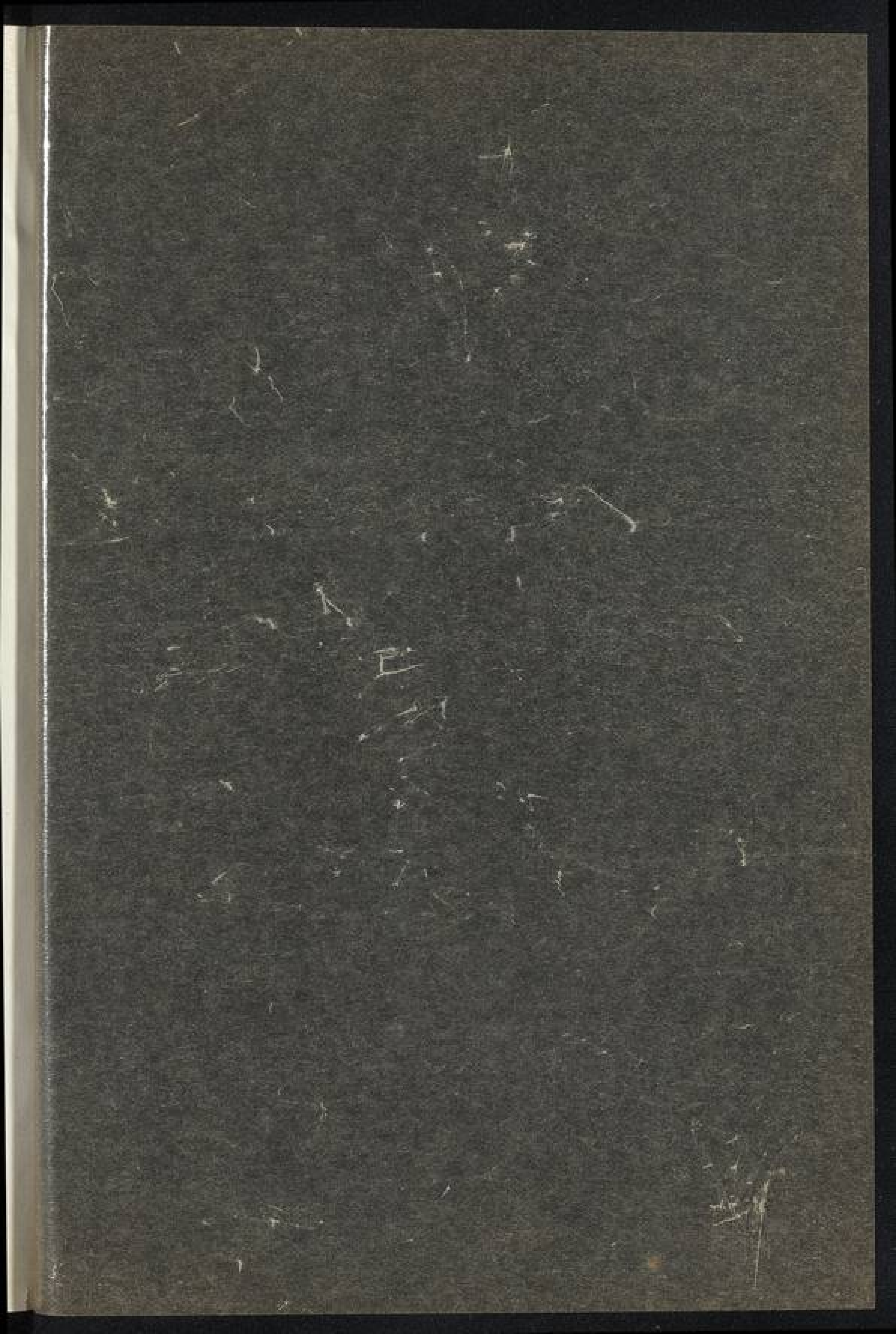
(لغة العرب) كاتب هذه المقالة هو يعقوب بن نعمة الله (نعوم) بن آكوب جان بن سركيس بن آكوب جان بن مقصود • وهو ابن عمة لطف‌الله عبود الذي وجدت عنده هذه الاوراق التاريخية النفيسة •

(صورة النبـذة بحروفهـا)

بيان مقتصر شرح ما حدث بأيام عبدالله باشا والى بغداد الذي هو أول مملوك الذي اشتراه سليمان باشا

بعد ان صار يسير (٥) المجم وكان جعله جبقجى (٦) وبعده تقدم الى وقت الذي قتل فيه سليمان باشا الزغير (٧) حصل على الوزارة بواسطة عبدالرحمن باشا الكردى (٨) فى سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) فى تاريخ سنة ١٢٢٧ فى شهر ربيع الثانى صار تنافر فيما بين أسعد بك ابن سليمان باشا وبين طاهر اغا كيخية(٩) عبدالله باشا واستبان الى البيك نية الغدر من الكهية(١٠) والدليل لذلك ضبط أملاكه الموهوبة له من أبوه ولذلك خرج باحدى الايام الى التنزه وصار قاصدا الهزيمة وعدم الرجوع الى بغداد وحين شاع الخبر حالا توجه اناس من قبل الوزير عبدالله باشا على تحصيله وأرسل له الامان لكى يحضر الى بغداد وتواسط هـذه المادة باليوز(١١) الانكليز الموجود يومئذ فى بغداد وهو مستر ريج(١٢) بما انه صاحب جاه واعتبار عند الوزير المشار اليه • وفى أوائل شهر جمادى الاولى جاء أسعد بك ودخل بغداد وتوجه الى مواجهة الوزير ومعه مستر.ريج الذى أخذ من الوزير عهد الامان عليه وبقى مدة فى بغداد ومستأمن من طرف الوزير ولكن طاهر اغا الكهية لا زال يظهر منه اشارات البغض على أسعد بك • وحين شعر بذلك وتأكد بأن الكهية قاصد قتله خرج من بغداد فى شهر شعبان سنة ١٢٢٧ وتوجه الى عند حمود آل سعدون شيخ المنتفق وقصده بالحماية • والمذكور بما انه قديم فى المشيخة من زمان أبو أسعد بك سليمان باشا قبل الولد اكرام ومحبة وكان قد سبق قبله جاسم بك ابن الشاوى(١٣) منهزما من الوزير وجاء الى عند حمود لانه لم يجد له مكان يلتجىء فيه سوى هذه العشيرة وشيخها حمود الذى مع انه كفيف(١٤) حسن تدبير وعقـله لا يوصف وحين بلغ عبدالله باشا حصول أسعد بك عند حمود زعل الكهية هيجه بالغضب وكتبوا الى حمود يطلبوه منه بالمعاتبة بانه ما يكفيك ضبط أراضى البصرة وأثمارها ومنع





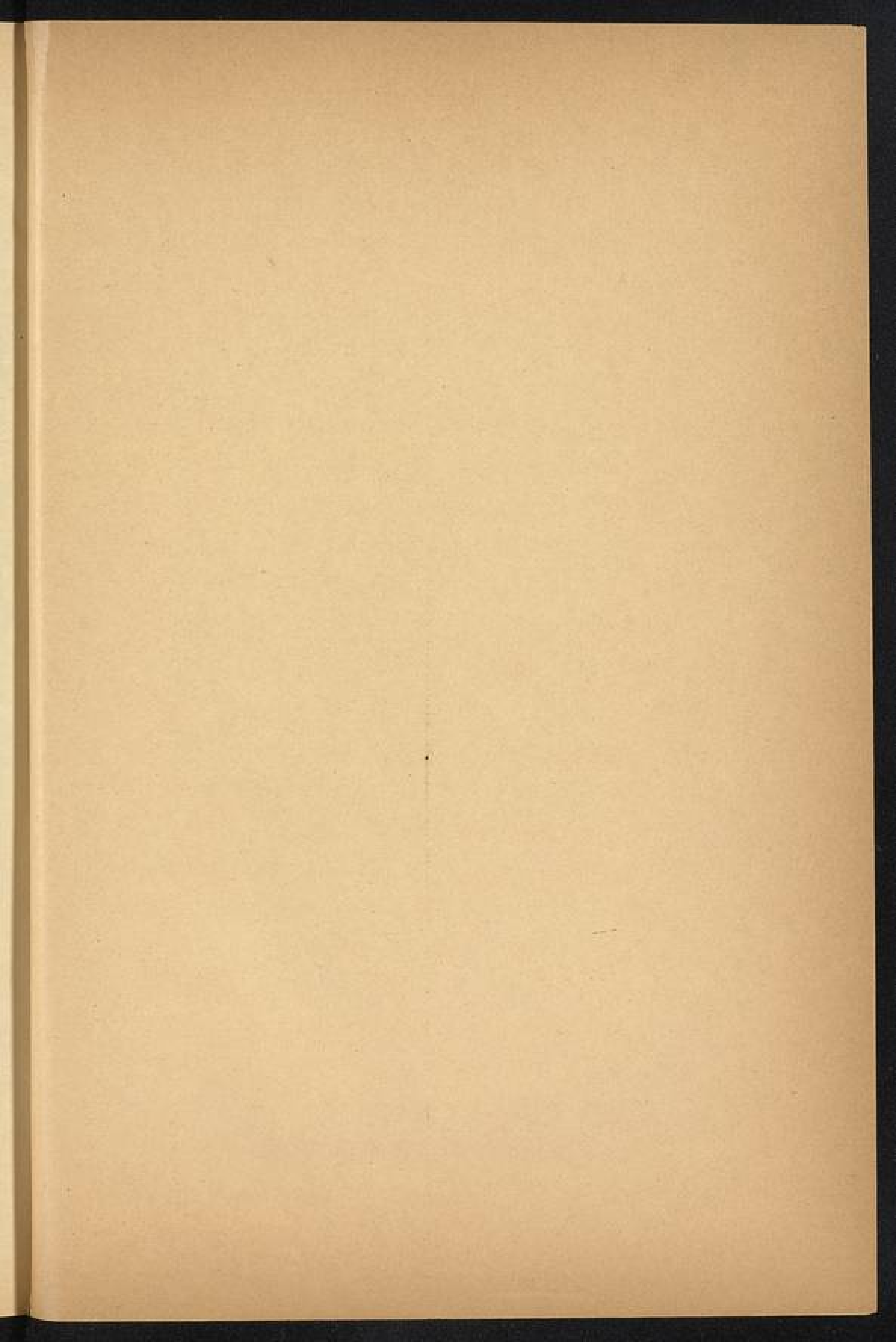
بيان مختصر شرح ما حدث بايام عبد الله باشا والحفيد الذي هو
اول مملوك الذي اشتراه سليمان باشا فصار مارس الحكم ودانه
جاء على جبنجي وبعد تقدم الوقت الذي قتل فيه سليمان باشا الصغير
حصل على الوزارة بواسطة عبد الرحمن باشا الكردي في سنة

في تاريخ سنة في شهر ربيع الثاني صار تنافر فيما بين اسعد بك
ابن سليمان باشا وبين طاهر اغا كتخدا عبد الله باشا ونشأة الى
قبلكم نية للغدر من كتخدايه والدليل لذلك ضبط املاكه الموجودة لديه
من ابوه ولذلك خرج باحدى الايام الى التنزه وصار قاصداً
الهزيمة وعدم الرجوع الى بغداد وحينما شاع الخبر حالاً توجه الناس
من قبل الوزير عبد الله باشا على تحصيله وارسل له الامان لكي يحضر
الى بغداد وتوسط هذه المادة بالمروة كليه الموجود وقتئذ في
بغداد وهو مستر ريج بما انه صاحب جاه واعتبار عند الوزير الذي
عنده ففي اول شهر جماد الاخر جاء اسعد بك ودخل بغداد
وتوجه الى مواجهة الوزير ومع مستر ريج الذي اخذ من الوزير عهد
الامان عليه فتحصن في بغداد وصار من طرف الوزير ولكن
طاهر اغا الكتخدا لا زال يظهر منه اشارات البغض على اسعد بك
وحيث شعر بذلك وتأكد بان الكتخدا قاصد قتله خرج من بغداد

نبذة من تاريخ البصرة والمنتفق

بخط مدونها ميخائيل بن يوسف بن ديمتري ٠٠٠ الخوري عبود

أزاء الصفحة ١٠



ايراد الميرى عليها ومدة سنتين ما قدمتوا لنا الذى عليكم بل الذين يشردون من طرفنا تحميهم وتلفيهم(١٥) عندك فنحن نسمح لكم عن كلما فعلتوه من تعطيل ايراداتنا ونروم ان تسلمونا جاسم بك شاوى وأسعد بك ابن سليمان باشا •

فكان جواب حمود الى الوزير ان جميع ما حررته من جرى تعطيل ايرادكم والمحصول الذى حاصل لنا فهو بالحقيقة ولا انكره ونحن من القديم الى الآن خدام لسلفاكم ولكم وأما من طرف البكاوات الموجودين عندى فما يمكن تسليمهم لان مثل هولاى اناس اجواد جاؤوا لعندى فيقتضى على آن الفيهم • وأسعد بك ابن أبوه الذى نحن خدامه ونذكر حسن فعائله معنا فعاد غير ممكن ان نسلمه ولا غيره كلمن يجى الى حينا •

فاشتد غضب الكهية من هذا الجواب وبدأ فى ديوانه يتكلم على حمود بالذميمة ويقول ما احد يقص رأسه غيرى وصار يحرك غضب الوزير على البك وحمود حتى أرضاه لمرامه وأمر بجمع عساكر وكان طلوعه من بغداد فى شهر شوال سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) على الحلة وصار مسيره بالشامية(١٦) والعساكر تنتقل اليه من لاوند(١٧) وكراد وترك من كركوك واربيل(١٨) وعروبية العراق وعكيل (١٩) وبراطلية(٢٠) وتفنجلية(٢١) حتى صار جملة العسكر الحربى ينيف على ثلاثين الف عليقة للخيل والبغال عدا الجمال ومعه من الأطواب عدد ١٠ وقنبر(٢٢) عدد ٣ وزنبرك(٢٣) عدد • المراد ان ركبة هذا الوزير ملوكية ما اتفق مثلها فى أيام سلفاه حين ركوبهم على العربان وطلب من البصرة ثمانية مراكب يتوجه بهم قبطان باشا الى سوق الشيوخ وحالا توجهت بذخائرها وبدا الوزير يقطع مراحل فى المسير والناس ما تعلم الاسباب التى قصدته على التقدم لمحاربة حمود والبك ولكن اخيرا ظهر السبب وهو ان حسب العادة القديمة يقتضى فى شهر شوال يأتى الى الوزير فرمان التقرير(٢٤) من الدولة العليةوبهذه السنة وخروه(٢٥) عنهوصارت التاتارية(٢٦) تشتغل وتطلبوا عليه مبالغ لسبب ان أسعد بك كتب على الوزارة وله رجال تساعده فى المحروسة(٢٧) ودارك(٢٨) الشتاء على العسكر وهو بالبرية ولا زال يقطع مراحل الى ان دخل شهر محرم سنة ١٢٢٨ (ك ٢ سنة ١٨١٣) حتى تقدم الى قرب عشيرة المنتفق وركب الجسر(٢٩) وعبر الى الجزيرة وفى أوائل شهر

محرم وصل تاتارغاسى الوزير عبدالله باشا ومعه قبى جوقدارى(٣٠) واشتهر عنهم انهم جايبين المنصب من الدولة الى عبدالله باشا وصار فرح فى بغداد واتانا الخبر الى البصرة صحبة ساعى الانكليز • وكان وصوله فى ٥ صفر سنة ١٢٢٨ وامنت وفرحت الناس بذلك (أملا بانه قريبا تنتهى الامور ويسلك الطريق الذى تعطل حيث جملة ماجوات(٣١) قريب عدد ٥٠ غالبهم شاحنين اموال وقهوة وسقوطات(٣٢) ومبتدا تحميلهم من شهر شعبان وغالب قهوة الموسم تحملت بهم حتى يمشوا كار(٣٣) حسب المعتاد وظهرت هذه الامور وتوخروا واموال الناس عدا تعطيلها عليهم بعضها عدم(٣٤) من الامطار والنشل(٣٥) لانه مال مهيت(٣٦) بين ايدى السكمانية(٣٧) وبعد ان كانوا فى الشط ادخلوهم الى العشار واحدى الماجوات طبعت(٣٨) واموال الناس تجركت(٣٩) • المراد ترى التاجر فى ضيقة خلق لا توصف والاموال نزلت اقيامها من جرى عدم سلوك الطريق والكساد فى بغداد ولا بد من بعض الاختلال • والقرش ما يحصل حتى يرسلوا للبصرة ولذلك صار ضيقة على الناس والوعود الباطلة فى عطاء الحق أكثر من بغداد وحلب) وفى يوم الثانى من شهر صفر سنة ١٢٢٨ نهار الاربعاء تقدم الوزير بعساكره الوافرة وتقدم حمود بجنوده ومعه أسعد بك مع عسكر قليل عثمانلى محتوى عنده وصارت الواقعة للحرب ولم يعلم الوزير ان العسكر والاغاوات والكاركلية(٤٠) جميعهم خائنين عليه ويريدوا اسعد بك والمكاتبات متصلة لهم منه بانه هو الوزير والمنصب جاى(٤١) باسمه فحالما بدا الجنك(٤٢) وضربت الاطواب أول مرة تبدد عسكر المنتفق وكاد يعدم • فاولا اللاوند خرجوا من العسكر وانكسروا ببيارقهم وتبعهم الكرد مع باشاواتهم واغاواتهم ثم الكاركلية والعثمانلى اتباع الباشا بنفسه وأما العروبية جميعهم بدوا ينهبوا نقل الاوردى(٤٣) مع الجباخانة جميعها على الاجمال ساقوها وولوا ناكسين والعسكر جميعه صار فى طرف اسعد بك وما بقى عند الباشا سوى العكيل والبرطلية والتفنكجية ونشلت ايديهم عندما شافوا الخيانة فرجع الباشا والكهية الى الصيوان واتاهم بعض الشيوخ ومنهم راشد أخو حمود و ٠٠٠ من قبل حمود واتوا بهم اليه ودخلوهم لعنده مسوقين كالغنم وفى حال دخولهم أخبروه بما انه كفيف

وثقوه بتعذيرهم على فعلهم معه وامر برفعهم الى سوق الشيوخ وحالا اخذوهم ومعهم قبجيلار كهيسى(٤٤) وناصر الشبلى شيخ العكيل وحبسوهم فى سوق الشيوخ بأمر حمود شيخ المنتفق • واسعد بك جلس فى صيوانه وبدت المنتفق وعربان العشيرة ينهبوا اورضى الوزير حتى الخزنة • تقاسموا الذهب بالشقابين(٤٥) الذى حسبوه من عدد احماله قريب ستة لكوك ذهب سكة عدا سكة الفضة من قرش وريال وعدا طواقم الفضة التى توجد عند هكذا وزير المراد جميع ما وجد بالاورضى من كلى وجزئى حصل بيد عرب المنتفق وما اكتفوا بهذا بل بعد توزيعهم ذلك جميعه فى بيوتهم بدوا يسلبوا العسكر وياخذوا سلاحهم وهدومهم والذى ما يسلم بالحال يقتلوه والذى التجا فى صيوان البيك خلص من التشليح(٤٦) ولكن حصانه وسيسته(٤٧) راحوا من يده وجميع القطرات(٤٨) تقاسموها العربان وجميع ذلك العسكر منه براطلية وتفنلكجية(٤٩) ولاوند بقيوا عرايا وكذلك بعض الاكراد والارولية(٥٠) والكركوكلية وآغتهم ابرهيم اغا الذى كان متسلم البصرة سابق تشلح وبقى عريان ودخل الى عند البيك حالا أمر له بكسوة ولبسه زخرجى باشى(٥١) وبعض من اغاوات وابن باشاوات الكرد أخذوا اوادمهم وانهزموا راجعين وبعضهم بقيوا عند البيك • واما العرب اغتنوا من هذه النهبة غناء لا يوصف وترى العربى لابس الكرك(٥٢) وزبون القطنى(٥٣) وهو حفيان(٥٤) • وكل يوم يأتوا بالخيل والبغال يبيعوها بالسوق • وفى الجنك ما قتل اناس كثير سوى نجم ابن شيخ ثوينى ابن عم حمود الذى خان(٥٥) وراح عند الباشا ولبس شيخ وبعض من جنوده ومن طرف حمود ابنه الكبير المسما برغش المشهور فى صورته ومنظره العجيب وفروسيته ففى وقت الحرب تقدم اليه واحد من ابناء باشوات الكرد وكلاهما مدرعين وطعنه برمح على الدرع الداوودى(٥٦) وهو قاطع(٥٧) ومزق الدرع وثنا(٥٨) عليه بالخشت(٥٩) وهو طارحه للارض وتحاوطته(٦٠) جنوده وجابوه الى عند ابيه• ولا زالت العرب تنتهب العسكر ولا احد يقدر يكلمهم • واما اسعد بك حالا لبس داود افندى (الذى كان أخذ أخته بنت سليمان باشا(٦١) وكان محبوب منه وهو صاحب تدبير معقول وكان عند عبدالله باشا دفتردار) كهية وكتب امر

بيورلدى الى البصرة باسم المتسلم حالا وهو رستم اغا وارسله صحبة سلاح داره(٦٢) محمود اغا • واما احوال البصرة بقيت بنوع ما مرتاحة الى يوم السبت مساء ٥ صفر سنة ٢٨ وتواردت الاخبار بان اوردى الوزير انكسر واختلت البلد وثانى يوم نهار الاحد وضعوا قلقات(٦٣) فى القهاوى والاسواق وجميع الدكاكين تفرغت من الاموال وصار الخوف بقلوب الناس ويوم الثلثا وصلت المراكب مال البصرة (الذى كان طلبهم الوزير وسافر بهم قبطان باشا الى قرب سوق الشيوخ ولكنه بعد وصوله اتاه تحريض من اسعد بك وما عاد ظهر منه اذية الى العربان ولا عاد تقدم الى السوق بل بقى متوخرا) ورموا المراسى بمكانهم قبل توجههم • ويوم الثلثا صباحا وصل ايضا السلاحدار ومعه البيرولدى(٦٤) وصار له الاى(٦٥) بدخوله الى السراى • والمتسلم(٦٦) استقبل الامر من الدرج ودخلوا للديوان وتلى على سماع المتسلم بحضور قبطان باشا والاعيان والمشايخ يذكر فيه بانه حضر له من الدولة العلية منصب وزارة بغداد والعزل الى عبدالله باشا وبان يوم الاربعاء فى ٢ صفر الساعة ١ ونصف وقفوا للمحاربة والعسكر حالا خان واتا اليه وقد استولى الامر • والخطاب الى رستم اغا المتسلم بما انه من اتباع وخدام ابوه الصادقين يقيمه متسلم البصرة تقريرا ويحرضه مع بقية الاعيان على الحفظ والصيانة الى البلد وشاع اسم افندينا اسعد باشا وامنت الناس وقد امر المتسلم والاعيان والمشايخ جميعا ان يتوجهوا الى مواجهته وان المتسلم يجيب له ٩٠ الف (غرش) من ثلاثة تجار باساميهم بموجب امر منه وهم : الحاج يوسف الزهير ٤٠ الف وسليمان بن الفداغ(٦٧) ٣٠ الف وخالد بن رزق ٢٠ الف • وحينما المتسلم عرض عليهم الامر اجتمعوا تجار الكبار وفصلوا مع المتسلم التسعين بستين الف غرش عين(٦٨) وفرضوها على كافة التجار منها على اليهود ٢٠ الف وعلى الخواجه جبرا اصفر(٦٩) ـ ٢ الف والبقية على التجار الاسلام جميعا • وطلعت المباشرية من طرف السلاح دار والمتسلم فى تحصيل القرش الذى لا يوجد بهذه الايام حتى ان بعض اليهود تدينوا فى المئة ستة بالشهر ووفروا على ذواتهم الضرب والبهدلة(٧٠) من المباشرية(٧١) لانهم ضربوا بعضا وهجموا على بيوت البعض من الرعية حتى اتصلوا الى سحب الخناجر فى البيوت مع السب والتشتيم حتى انهم من

يوم الاربعا الى يوم الجمعة مساء ما بقي شيء من الطلب بل جميعه حصل بالسراى والمتسلم اعطى فيه اوراق الى كل بقدر تسليمه على انه دين على الكمرك .

وفي هذه الايام اهتموا الاعيان والمشايخ في صف بقج (٧١ أ) ٢ هدايا الى اسعد باشا ليصحبوها معهم ويواجهوه حتى انهم اشتروا مبالغ من مال سورتى(٧٢) وكجرتى(٧٣) واكثره تمام زر(٧٤) ونيم زر(٧٥) بقج لائقة لوزير ابن وزير(٧٦) . وكان توجههم نهار الاحد ١٢ صفر ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) . كان يوسف الحاج زهير(٧٧) شد(٧٨) هدية مفتخرة من قماش وتفاريق(٧٩) وتمام زر وشوش جوزه(٨٠) ومسابح(٨١) لولو وارسلها مع ابنه حاج عيسى قبل توجه المتسلم والاعيان وما بقي بالبلد سوى ديوان افنديسى(٨٢) سابقا(٨٣) وضع(٨٤) قايمقام وهو حمو رستم اغا وعنده كم واحد من اوادم الباب(٨٥) . وبما ان شيخ العكيل ناصر الشبلى ممسوك ومحبوس في البصرة نسيبه شيخ مبارك شيخ العكيل حالا شرد(٨٦) الى الزبير(٨٧) ولبسوا(٨٨) عوضه مخرج بن دهام الذى أخوه عند شيخ حمود . ولهذه الاسباب وفراغ البلد من الحكام لا زالت الناس يتحسبون(٨٩) من الشر والفساد والاسواق ليس مستأمنة وفي يوم ١٤ صفر سنة ١٢٢٨ وصل خبر من عند حمود من الواردين بانه يوم الخميس ١٠ ص مات برغش ابن حمود من عظم الصوابات التى أصابته(٩٠) وحالا مضى راشد أخو حمود الى سوق الشيوخ وقتل عبدالله باشا وكهيته طاهر اغا وقبوجيلار كهيسى(٩١) ودفنوهم وأما ناصر الشبلى اشترى دمه(٩٢) بخمسين الف غرش عين وجابوه من السوق(٩٣) الى عند حمود وبقى مقيد وحين وصل الخبر الى اسعد باشا طلب روس المقتولين فقيل انه نبشوهم من قبورهم وقطعوا روسهم وأتوه بهم لكى يرسلهم الى بغداد لانه حين وصل خبر انكسار الاوضى(٩٤) صار ببغداد فترا(٩٥) واغات(٩٦) الينيجرية حاصر بالقلعة واختبطت البلد واما عرب المنتفق لا زالوا يتجاسروا على اختلاس خيل وحوايج العسكر الضعيف لان العثمانلى لباس القاووق(٩٧) حصل في بهدله واحتقار لا يوصف من العرب الى ان ضاقت بهم واشتكوا الى اسعد باشا وحالا رحل من قرب حمود وبعد

عنه كنحو(٩٨) ثلاثة ساعات وتنبه بالاوضى أن ينطروا دوابهم بالليل من الحرامية(٩٩) ومضى الشيخ حمود لمواجهة سعادته وسؤال خاطره فأمر له أن يعطى من البصرة ٣٠ الف عين(١٠٠) نقدي ودفتر تفاصيل(١٠١) وشال(١٠٢) وشكر وقهوة يبلغ بمقدار ٣٠ الف واتى بها بيرولدى الى المتسلم فى اعطاها وكان وصول ذلك يوم الثلثا ١٥ ص وكان المتسلم (قد) توجه (ف) وصل الامر بيد القايممقام وجمع التجار وأعطوه جواب عن النقدى ما يخصنا بل يبقى الى وقت حضور المتسلم واما التفاصيل والشال وغيره تتوازعه(١٠٣) وكل يقدم من عنده ما يحصل الى ان يصير حاضرا الى وقت مجى المتسلم على ان يسلموه الى السيد على ابن سيد حسين(١٠٤) وكيل حمود ٠

وفى ١٦ ص نهار الاربعا ويوم الخميس دخل الى البصرة جملة(١٠٥) عربان من المنتفق وغيرهم واختلت البلد بان البعض منهم مضوا الى السوق وبلصوا(١٠٦) الدكنجية(١٠٧) بشيء يساوى ٥ رومى(١٠٨) أعطوا ٣ رومى ولذلك خافوا الناس وسكرت(١٠٩) الاسواق ويوم الجمعة ما عاد يوجد احد بالدروب(١١٠) وانتصبت القلقات فى القهاوى والاسواق ففى يوم السبت ١٩ ص وصل جوقدار(١١١) راجعا من عند المتسلم قبل وصوله الى الارضى(١١٢) وصل له كرك(١١٣) ثانى للمتسلمية(١١٤) من قبل اسعد باشا وحيث هو متوجه لمواجهته سار بطريقه وارسل احد جوقداريته بالمجدة للبصرة وصار شنك(١١٥) بالسراى(١١٦) واستقرت البلد نوعا بوصول المجدة(١١٧) ٠ ويوم ٢٤ ص وصل الحاج عيسى زهير الى البصرة راجعا من مواجهة اسعد باشا وقد قبل الهدية منه وانعم عليه وامر بفرس جيدة مرختة(١١٨) ان تعطى له لاجل والده الحاج يوسف مع بيورلدى بخصوص الكمرك ان يعطى ٣ فى الـ ١٠٠ حسبما كان يعطى فى أيام عبدالله باشا ومعه تواردت الاخبار عن عزل المتسلم وقبطان باشا وغالب الدائرة(١١٩) ٠ وفى يوم الاحد ٢٧ ص وصلوا الاعيان والمشايخ ويوم الاثنين ٢٨ ص دخل المتسلم سليمان بك فخرى زاده الذى هو موصلى الاصل وكان دخوله بالالاى وقرأ فرمان متسلميته من اسعد باشا ودخل معه رستم اغا متسلم البصرة سابقا لكى يحاسبه وحضر معه كمركجى نعمان اغا وقبطان باشا عمر اغا سهر(١٢٠)

ابراهيم اغا واستقرت البلد وامنت الناس وحالا المتسلم طالع(١٢١) دلال على الحنطة لا أحد يأخذها الى برات(١٢٢) ولا من أهل البحر تنبيه صارم لانها كانت المن(١٢٣) فى ـ ٧ والرز الجات(١٢٤) فى ٨ والبصرى(١٢٥) فى ٥ واذا ما خرج من ذلك شىء الى خارج البصرة يتناسب اثمانه من غير تنبيه •

ثم فى أوايل شهر ربيع الاول رحل اسعد باشا وسار معه شيخ المنتفك حمود ومعه مقدار الفين خيال برفق الباشا يوصل معه الى بغـداد ويمر على العربان والعشاير الذين على طريقهم (واما ما كان من الامر الوارد من اسعد باشا بثلاثين الف غرش كما تقدم القول وكان رستم اغا توجه من البصرة فقد ترك وما سلموه الى وكيل حمود ولكن لزم(١٢٦) للوزير ذخاير(١٢٧) واشتراها من آل سوق الشيوش(١٢٨) بمبلغ ٣٠٠٠٠ رومى ثلاثين الف عين وكان هناك بالودى(١٢٩) حاج عيسى الزهير فامر الوزير فى بيورلدى الى حاج يوسف بمبلغ ٢٠ الف والى ابن رزق(١٣٠) بالف ٦ وشيخ سالم الف ٤ بانهم يدفعوا ذلك وبعده يحولهم على الكمرك فى البصرة والحاج عيسى تكفل الى أصحاب الطلب بالمبلغ • وفى اوايل شهر ربيع الاول انطلب ذلك المبلغ واما هم اى التجار المذكورين فرضوا(١٣١) منه على تجار الباقين من الاسلام وخصصوا الى اليهود مبلغ الف ٥ وللخواجة جبرا ٧٠٠ رومى وقبضوها الى أهل سوق الشيوخ قيمـة الذخاير • وبعـده ايضا انطلب من الباب(١٣٢) دراهم واخذوا من التجار) •

وسار الوزير فى طريقه ومعه الشيخ حمود ووصل الى بغداد وكان دخوله الى بغداد نهار الاربعاء ١٥ (ربيع الاول) سـنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) بالفرح والسرور من آل(١٣٣) البلد جميعا وقبل دخوله طلع لملاقاته السيد عليوى ينيجر اغاسى(١٣٤) ولبسه وأمنه وبعد دخوله ايضا لبسه ولبس درويش اغا القائمقام على وظيفته لان داوود افندى ما قبل ان يلبس كهيه وابن الشاوى جاسم بك لبس باب عرب(١٣٥) وتمكن بالشغل(١٣٦) واما من جهة حمود فاقام برات البلد بعد دخول الوزير بايام ٥ ودخل باكرام من قبل الوزير ونزل فى حوش حرم سليمان باشا • وصار له تعيين من الباب ومعه اولاده عدد ٢ فيصل وطلال واخوانه منصور وعبدالله وبراك ابن اخيهم وبعض الاتباع من

اوادمه(١٣٧) وبقية عسكره وزعوه على بيوت الاغوات واقام فى بغداد وهو بالصداقة مع اسعد باشا وقيل ان الباشا يروح يزوره فى بعض الايام • وحمود ما يخرج من البيت بما انه كفيف واستقرت البلد ولكن صار بها غلاء حيث الحنطة صارت الوزنة(١٣٨) فى ١٤(١٣٩) والرز فى ••• وهلم جرا بقيت الاشـياء

وفى اواخر شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٨ (١٨١٣ م) حضر الى البصرة السيد عليوى مقيدا مساق بامر الباشا وضعوه بالسراى محبوسا وقيل انه عليه أمر بقتله ولكنهم مهلوه بالبصرة اذ ان مستر ريج (*Rich*) باليوز الانكليز صديقه وبينهم صداقة كلية ويوملوا بخلاصه واذ قد حضر امر بالعفو عنـه ولكنه بقى محبوس •

وفى ١١ جا (جمادى الاولى) سنة ١٢٢٨ (١٨١٣ م) حضر عبدالرزاق اغا باش جاوش(١٤٠) الانكليز من بغداد ومعه بيورلدى من الباشا فى اطلاق سيد عليوى من الحبس وانه يجلس فى بيت الانكليز ويتعين له فى الشهر مابة عين لمصروفه وحالا مضى عبدالرزاق اغا واخرجه من السراى واتى به الى الفكترى(١٤١) وأعطوه اوضتين (١٤٢) وقد قبله مستر كوهين(١٤٣) بكل كرامة لائقة وبعده فى ١٨ جا توجه مركب مناريس(١٤٤) وارسلوه صحبته الى بوشهر(١٤٥) • واما ما كان من طرف سليمان بك متسلم البصرة فانه كما تقدم القول يوم وصوله نبه على الحنطة لا تخرج من البلد وقد استقام التنبيه كم يوم قليلة وراحت اليه الناس وتكلموا معه وقبل الرشوة وصاروا يشحنوا بناتيل(١٤٦) الى البحر وصارت الحنطة قليلة وثمنها من ــ ٧ الى ٨ والتمن كذلك غلا(١٤٧) ورجعت المسالة كما كانت والناس ما تستهاب(١٤٨) المتسلم لانه افيونجى(١٤٩) وكل ساعة عقله فى رأى نظير الجهال(١٥٠) العديمين المعرفة • وعدا ذلك صدر منه شفاعات(١٥١) كلية والدائرة غالبهم صاروا يشربوا عرق وشراب وسكر وهو دائما مكيف(١٥٢) من الافيون ويحكم حكومات(١٥٣) بغير استقامة وصارت الناس تنفر منه والتجار كذلك غالبهم تخاربوا(١٥٤) معه ومنهم الحاج يوسف الزهير وطلع للزبير وبقى هناك ومستر كوهين باليوز الانكليز كذلك احتصر(١٥٥) منه وقيل انه كتب فى حقه وقبله

مسيو رايمند(١٥٦) باليوز فرنسا كان متزاعل(١٥٧) معه واقتضى له التوجه لبغداد لسبب وفاة موسيو اندريا كورنسه(١٥٨) وتوجه من البصرة وهو زعلان(١٥٩) من المتسلم ولا عاد يوجد فى البصرة احد راضى منه وفى غرة جا وصل لبغداد تاتارية بمجدة الطواخ(١٦٠) الى اسعد باشا وصار شنك وفرح • وافى الخبر الى البصرة فى ١١ جا (جمادى الاولى) وصار شنك وبعد ذلك فى نصف جا نهار السبت طلع الشيخ حمود من بغداد بعز واكرام جزيل من الباشا وقد نال من الباشا والدائرة اموال غزيرة لا تحصى ولا تعد عدا حوايل التى صارت له على البصرة من ايرادها • المراد ان حمود بهذه المادة حصل على لكوك (ليس آلاف)(١٦١) لا يتصدق بها(١٦٢) •

ولما كان الباشا فى السوق عندهم أوهب الى اخوة حمود غالب كويات(١٦٣) البصرة مثل حمدان(١٦٤) ومهيكران(١٦٥) والسراجه(١٦٦) وغيرهم بأن يكون ايرادهم لهم • واما حمود حين رأى كل ذلك الاكرام والايراد عدا خزنة عبدالله باشا بما انه عاقل مدبر رأى ان ما وهب الى اخوته اولد له اسم كبير(١٦٧) وثانيا ليس له بل لاخوته الذى يرغب ان لا يتقووا ويصير لهم ايراد وافر فاخذ من اخوته الاوامر وردها على اسعد باشا بقوله انا انا لا ارغب يصير لك خصارة(١٦٨) انت عليك مصاريف وعساكر وهذا شى لا يناسب اخذه منك وثانيا حين وهبته ما كنت ولى الامر والان انا ارجعه عليك فقبل كلامه واخذ اوامره التى كان اعطاها • ويعلم الله كم من العطايا نال عوضها وادخلها لخزنته وحرم اخوته منها •

وفى ٢٠ جا وصل الى سوق الشيوخ وهو بنفس وزير وصاحب الامر والتدبير وقبل طلوعه عزل لمن اراد ونصب لمن اراد • وبما ان سليمان بك متسلم البصرة من صدقانه ما اراد عزله وبقى فى البصرة الى ان فى تاريخ غرة ج (جمادى الآخرة) سنة ١٢٢٨ (١٨١٣ م) من زيادة ظلمه صار من الحنطة فى ٩ عين مع انه وقت موسمها والرز الجات فى ١٠ والبصرى فى ٧ وهلم جرا بقية الاشياء • واما من جهة حمود فانه من جملة الاكرام الذى حازه من الوزير وحصل على بلد حمدان(١٦٩) التى هى مالكانه(١٧٠) الى اسعد بيك من ايام ابيه ولها ايراد بالسنة ٢٠ الف عين فهذه قدمها الى

حمود صباحية(١٧١) دخوله على بنت آل جشعم(١٧٢) التى تزوجها فى بغداد • وبقية البلاد(١٧٣) التى على شط العرب منها كان ضابطها هو واخوانه من سابق والباقى منها حصلت بيده • المراد جميع النخيل الذى على شط العرب ويصير منه ايراد للباشا حصل بيد حمود وبيد اخوته وان شاؤا يسلموا ميريه لانهم مصرفين بالامر ويحكموا ولا يحكم عليهم • والصغير من عرب المنتفك بالبصرة يتكلم بنفس عالى لا يرد ولا احد يقدر يجاوبه • والمتسلم سليمان بك مقيما بالبصرة بقوة حمود والبلد آلت للخراب من كثرة الظلم وعدم الالتفاتة(١٧٤) الى معاش الفقرا والجور من طرفه ومن طرف الدائرة على كافة ارباب البضائع لان كافة لوازمهم(١٧٥) بلا قيمة ويلتزم كل منهم ان يبيع بزايد حتى يطالع الفرق(١٧٦) • وحيث لا يوجد من يمانعه اتصلوا على بيع وقية(١٧٦ أ) الباذنجان نصف وثمن والقرع ــ والباميه المايه(١٧٧) التفاح نصف وثمن او ــ وهلم جرا بقية الاشياء كافة شى لا يوصف ولا يتصدق حصوله بالبصرة • والجور على التجار فى طلب القرض لان المبالغ الذى كانوا يطلبوها قطعوا منها جانب وافر من كمرك اموال بنكالة والمتسلم مديون مسبوق والهدايا منه متصلة للباب(١٧٨) والى حمود ويكلف التجار الى قرض • والحاج يوسف طلع للزبير من شهر ربيع الثانى وبقى فى الزبير • والشيخ سالم توجه للكويت وبقية التجار متعادين ايضا معه • وبقى فى الميدان(١٧٩) انخواجا جبر اصفر كل كم يوم يطلبوا منه قرضة وبالجهد حتى يخلص منهم مع ان له عندهم قلم(١٨٠) دراهم ولولا نظر مستر كوهين باليوز الانكليز عليه كانوا اخذوا منه كثير •

ومن بعد وصول الشيخ حمود لمكانه توجهت له الهدية من سليمان بك المتسلم وتوجهوا الاعيان جميعا لمواجهته حتى بيبى(١٨١) خدوج(١٨٢) بنت شيخ قاسم(*)(١٨٣) بنفسها ورجلها شيخ قاسم ومن بعد توجههم بكم يوم جاء للبصرة عثمان الريريسى (كذا) الذى كان قبطان ماجوة لابس شيخ على العكيل وقد انعزل ابن دهام ووقف عثمان عوضه فكان الى العرب علوفة(١٨٤)

(*) يريد بنت الشيخ درويش فقد سها فان الشيخ قاسم هو زوجها كما يقول هو نفسه وآل باش أعيان •

٧ أشهر ببرق(١٨٥) عدد ٢٥ فى ٢٥ زلمة (١٨٦) تبلغ علوفة ٧ أشهر ٢١
الف عين ولسبب ضيقة الحاصلة عند الباب كانو يوعدوهم من جمعة الى جمعة
فقاموا بيوم ٢٠ ج (جمادى الاخرة) وطلبوا حقهم وارادوا يعملوا فرد
فذلكة(١٨٧) وكان يومئذ الشيخ عبدالمحسن ابن رزق مجاورهم تكلم مع
كبرائهم وراح للمتسلم توسط بينهم على انه بعد ٣ ايام يسلمهم فمضى خمسة
ولم يكن منه شى فتجمعوا باسلحتهم نهار الخميس ٢٥ ج وتوجهوا الى
السراى مانعوهم وتوجه شيخهم لعند المتسلم أوعده فاتى ليقنعهم ما امكن
هجموا على السراى وضربوا المتسلم اول بالصخر وبعضهم هجم عليه ليقتله
فتحاوطوه الحاضرين وفر بنفسه الى الحرم فضربوا بعض الاتباع واخذوا من
أوضهم(١٨٨) بعض الشى وضربوا كم تفك(١٨٩) بالسراى وفتحوا الحبس
اطلعوا من فيه من ربعهم الحرامية فحالا لحق الى السراى الشيخ عبدالمحسن
رزق ورجعهم واخذ كلام من المتسلم ان يتدارك لهم بعلايفهم(١٩٠) وحالا
المتسلم كتب الى شيخ حمود وقوع الامر وتجاسر العسكر عليه فارسل له أحد
أولاده يقيم فى البصرة حتى لا يصير خلاف من أحد لان الهيبة والخوف صار
الى حكام العرب واما العثمانلى ما عاد احد يخاف منه وبهذه الايام توجهت
عربان من المنتفق على قبيلة بنى كعب أى بنى عامر(١٩١) وداسوا اراضيهم
ونهبوا قيمانهم وحرقوا بيوتهم قصدهم ضبط القيعان وحصل تعدى زائد على
بنى كعب وراحت الشكوجية(١٩٢) الى حمود وبعض من المشايخ حتى انهم
ارتدوا عنهم بنوع ما • ولهذه الخربطات(١٩٣) انربط(١٩٤) درب الحويزة
ودسبول وششتر وبهبهان(١٩٥) وما عاد طريق للقوافل التى دائما تأتى
وتجيب ارزاق ومغل(١٩٦) الى البصرة وتاخذ عوض ذلك مال وسقوطات
حتى ان الذهب المسمى « البلديز » كان ٥/ــ ٦(١٩٧) عين نزل الى سعر ــ ٦
من سبب ارتباط الطريق لان بهذه الايام ياتى من حويزة مغل من حنطة
وشلب(١٩٨) بمبالغ وافرة وجميع قيمة ذلك ياخذوه ذهب يلدز الى الشاه
زاده الذى بالحويزة والحنطة من قلتها تساوى رومى ــ ٧ الى ٧ • فترجع
الى ما تقدم من توجه الاعيان فانهم قاموا مدة الى ان صار لهم رخصة من حمود
بالمواجهة ومنهم البيبى بنت الشيخ درويش صار بينها وبينه كلام وقامت من

عنده مغبرة الخاطر وحضرت للبصرة مع زوجها فى ١٢ رجب سنة ١٢٢٨ (١٨١٣ م) وبقية الاعيان بقيوا هناك الى بعد كم يوم حضروا للبصرة وقيل ان حمود مراده ياتى الى نهر عمر •

واما ما كان فى بغداد يوم الاثنين فى ٢٩ ج سنة ١٢٢٨ (١٨١٣ م) دخل القابجى(١٩٩) من المحروسة(٢٠٠) ومعه الطواخ الى سعادة افنديناولى النعم اسعد باشا وصار بدخوله آلاى محتفل وحصل الفرح والسرور والقايم بمقام الكهيه ارسل مكتوب للمتسلم مع ساعى بالبشارة فى وصول الطواخ لان سعادته معتمد على عزل سليمان بك وكانوا المتقدمين الى طلب التسلمية اربعة أولهم ابراهيم اغا الذى كان حكم مرتين بالبصرة وجار على الناس وثانيهم رستم اغا الذى كان قبل سليمان بك وثالثهم بكر اغا ورابعهم مصطفى اغا ابن صارى محمد اغا وسبب عاقة(٢٠١) اعطاه المتسلمية لاحدهم حتى تصل الهدية التى موعد بها سليمان بك واما هو كان موخرها لانه منحسب(٢٠٢) الى العزل وفى ٢٥ ب (رجب) نهار الجمعة وصل للبصرة بيرقدار(٢٠٣) اسعد باشا ومعه صورة فرمان الدولة العلية ودخل فى هلاى(٢٠٤) وتلى الفرمان باسم محمد سعيد باشا(٢٠٥) والى بغداد وبصرة وشهر زور وبعده بيورلدى من سعادته بتقرير المتسلمية لسليمان بك وبعده قروا فرمان من الدولة بخصوص انتصار محمد على باشا والى مصر على الوهابى وبعده بيورلدى بهذا الخصوص وانه يصير دعا للسلطان محمود خان وصار شنك فى الصراى • ومن البلدة والمراكب رموا اطواب وسليمان (بك) أمر على الشنك سبعة ايام الصبح والعصر فيوم الخامس من الشنك نهار الثلثا ضج(٢٠٦) الخبر فى البلد بان سليمان بك معزول ونصب غيره متسلم ومقبل للبصرة وحالما بلغ اليه الخبر ارسل اخرج الهدية من الماجوة (لان كان حملها ليرسلها مع الخزندار)(٢٠٧) وخفاها ووزع غير اشياء من عنده •

وثانى يوم نهار الاربعاء فى غرة شعبان توجه كعادته الى الكمرك وفيما هو جالس وصل باش جوقدار متسلم الجديد الذى هو مصطفى اغا ابن صارى محمد اغا ودخل عليه للكمرك ورفعه الى الصراى وقيل انه صاح فيه(٢٠٨) واقامه بنفس عالى ووضعه فى الخزنة وعليه بيرقين(٢٠٩) براطلية ينطروه

وحبس الخزندار ومحرم بك والجبه‌خانجي(٢١٠) فى قناق التفنكجى باشى بالحديد واظهر بيورلدى الى سليمان افندى الدفتردار بان يكون قايم‌مقام الى حضور مصطفى آغا وفرحت الناس فى ارتفاع سليمان بك الذى حرق قلوب الفقراء وحالا ثانى‌يوم الحنطة انوجدت‌بالسيف(٢١١) (وتهاود)(٢١٢) ثمنها الى حد رومى ٥ • وبعد كم يوم صار الاخبار تتوارد من الناس بان مصطفى اغا ظالم وجرىء وحاله ابلغ من سليمان بك وازداد التواتر عنه ثم ظهر خبر بانه عزل واعطوا المتسلمية الى رستم اغا وانقطعت الاخبار عن بغداد مدة الى يوم ١٨ شعبان وصل ماجوة من بغداد واخبرت بهمة حضور مصطفى اغا ويوم ٢١ شعبان نهار الثلثا وصل الى المناوى(٢١٣) وثانى يوم نهار الاربعاء صباحا ٢٢ شعبان دخل للبلد والاعيان والآلاى ما لحق عليه لانه اسرع بالركوب وجاء ودخل السراى من باب الشرقى الذى عند باب المطبخ على العشار(٢١٤) ليس من باب الكبير حسب العادة وطلع للديوان واجتمعت الاعيان وقرى البيورلدى وصار الشنك • وثانى يوم حالا ابتدا فى تحصيل الطلب الذى عند سليمان بك لان باقى عليه قلم وافر للباب عدا دين التجار على الكمرك ومنهم (لهم) عليه خاصة وجميع الوهم(٢١٥) الذى كان ملتحق بالناس من جهته ما ظهر له أثر ولا تفاضل(٢١٦) فى شىء يضر البلد كليا •

واما ما حدث بهذه الايام على أهل البلد عموما ان العادة بالبصرة فى أيام قص العتق (العذق) الذى هو فى شهر ايلول وتشرين يصير امراض حميات واما بهذه السنة ابتدت الحميات من شهر تموز وتزايدت فى شهر آب ومع الحميات حدث نزول نقطة الذى يسموه ضمله(٢١٧) • كثيرين أنام فى حال الحمى ينزل عليهم النزول وسريعا يموتون حتى ان اناس من المسلمين ومن جملتهم السيد شعبان احد أعيان البلد مساء كان طيب(٢١٨) ما فيه مرض وفى الليل نزل عليه النزول وحالا مات ومن المسيحيين توفى الخواجه يوسف أصفر وكان مبدا مرضه فى ٢٤ تموز شرقى (١٨١٣ م) حمى وكان قبلا بكم يوم يخرج دم فمن عظم الحمى انقطع عنه الدم يوم الخميس فى ٣١ تموز (١٨١٣ م) كنا عنده ونتكلم معه راينا تغيرت احواله وصار جسمه ملطع(٢١٩) مثل لون المعلاق وتشخصت(٢٢٠) عيونه ولا عاد

ينظر ولا يسمع حالا احضروا الحكيم اعطاه روح يشمه فما كان منه فائدة واستكت سنونه(٢٢١) وسلم الروح وكان وقت العصر تغمده الله برحمته . وعندنا بالكنيسة كان واحد ورتبيت اسمه بدروس ورتبيت كانسياني (كذا) من بلد آقسقه (٢٢٢) كان مرسل من قبل المجمع المقدس الى كابول(٢٢٣) وكابول في قرب كشمير لان بها جملة مسيحيين بغير راع فارسل هذا الاب الذى هو من ابناء المدرسة(٢٢٤) بوظيفة قاصد رسولى لتلك الاقطار واقام هناك نحو ثمانية سنين من حين طلوعه من البصرة الى حين رجوعه وعمد بتلك الاطراف من كبار وصغار ونساء ورجال ... عدد ١٨٠٠ وينيف ودخل للبصرة متوخم(٢٢٥) من البحر لانه استقام ستة أشهر من بنكالة للبصرة بمركب عرب وزاد فيه المرض وهو نزيل عند البادية(٢٢٦) وتوفى في يوم ٢٠ تموز غربي (١٨١٣ م) (أي في) ٨ تموز شرقي بوفاة صالحة وكان معه ولد نجيب فريد في كل المعنى أصحبه معه كل تلك المدة ومرض في المركب ودفنه على حافة الشط قبل وصوله للبصرة وهذا الذى زاد مرضه واحزن قلبه لانه ابن شقيقته . وكان عندنا خادم اسمه كيورك ارمني من اسبهان(٢٢٧) وكثير ولد خدوم(٢٢٨) عاقل فقد توخم من رائحة المرحوم الورتبيت ومرض ثمانية أيام ويوم الثامن نهار السبت في ٢٦ تموز شرقي أصبح بنشاط وفيما هو كذلك نزل عليه نزول نقطة وغاب عن الوعى(٢٢٩) وحيث لا يوجد حكيم يفنهم ولا هذا شيء يعرفوه ان يلزم في ذلك الوقت فصادة فما التحق بشيء وفي ظرف ساعة خرج الدم من خشمه(٢٣٠) وخرجت روحه من جسمه وبقى دمه يجرى الى ثاني يوم لوقت دفنه لانه ولد دموى وذو قوة ونشاط . وفي شهر آب ازدادت الحميات حتى ما بقى بيت خال من مريض او اثنين ومات من الاسلام كثيرين من جرى النزول وكثيرين من جرى قلة الحكماء أو حكمة الحكيم العجمي الذى يداوى بالبرودات(٢٣١) وهذا شيء ضد هواء البصرة الذى يوافق فيه الحرورات(٢٣٢) لان هواها رطب واتصل ذلك الى شهر ايلول .

وفي ١٥ منه حساب شرقي انتقلت الى السعادة الابدية ابنة الخواجا

جبرايل أصفر اسمها تروز وكان لها من العمر أربعة سنين بمرض حمى متصلة من غير انقطاع ٠

وكان حضر للبصرة بيت من بغداد ٠ الرجل اسمه بطرس خنبش خياط وعنده امراته وثلاث بنات وابنين صغار وله ابن مستسلم (٢٣٣) حضر معهم فاولا مرض الرجل خنبش المذكور ومات ولده الصغير الذى يرضع ومات ولد لابنته كان يرضع وبعده فى ١٩ ايلول شرقى توفت الامراة بقى منهم ابنته الكبيرة وابنة صغيرة وابن صغير بسن السنة سبعة سنين فالتزم البادرى ان يفرقهم على الجماعة كل واحدة فى بيت لانهم حاصلين فى حال الفقر الكلى وانغلق البيت ٠

فالذى رايناه من الغم والحصر(٢٣٤) وحالة الناس وخاصة المسيحيين الذين هم قليلين جدا شىء يرعب القلب غما وحزنا ولا عاد حكاية ولا خبرية مفرحة بل مكدرة ومع هذه الاحوال كساد لا يوصف على كافة السلع والقرش قليل والاموال كثيرة وكل شىء يؤخذ (كذا) من البصرة بعد كم يوم ينزل ثمنه ٠

ونرجع لما كنا بصدده من طرف الحكم فقد حكم مصطفى اغا فى البصرة بغير ان يتعدى على أحد ولا قيل عنه ظلم احدا وفى بغداد الحكم مختل بسبب عدم وجود راس لان الوزير اسعد باشا حدث السن واخوته لهم كلام وقاسم بيك اخذ ميدان(٢٣٥) كبير وداود افندى الذى هو مدبر وصاحب راى سديد ما قبل ان يصير كهيه بسبب كثرة الروس ووجود قاسم بيك وتخربط(٢٣٦) الطرقات بسببه لانه له عداوة عظيمة من عرب ال جربة(٢٣٧) وشيخهم فارس ولسبب عداوتهم قطعوا طرقات الجزيرة واتصلوا الى طريق الموصل وسلبوا كراوين وتاتارية وحصل ضرر عظيم للتجار ثم منهم فى الشامية وقطعوا الدرب وكروان حلب التزم ان يجى على الخابور(٢٣٨) بسببهم ٠ فهذه الايام الوزير ارسل الى عبدالله اغا الذى كان سابقا حكم فى البصرة جملة سنين بايام حكم سليمان باشا وهو الشهير بالراى السديد والتدبير الرشيد ذو العقل الفريد ودعاه لكى يحضر لبغداد لانه مقيما فى بندر بوشهر من مدة ثمانية سنين ومتجنب حكومة العثمانلى على ما جرى به

بايام علي باشا (وسابقا سليمان باشا الصغير وبعده عبدالله باشا دعوه للامارة وما رضي يجي) فاولا اكراما الى اسعد باشا الذي هو ابن أبوه الشهير سليمان باشا وثانيا صداقته مع حكام العجم والشاه تغيرت نوعا فعزم على الخروج من بوشهر وحضر غفلة يوم الخميس في ١٧ ذي الحجة وبات في المناوي عند قبطان باشا وثاني يوم صباحا قبل الشمس جاء للبصرة ودخل السراي وبقي الى قبل صلوة الظهر وكانت الماجوة حاضرة حالا ركب وتوجه الى سوق الشيوخ (حيث ان افندينا ولي النعم اسعد باشا خرج في اوايل شهر ذي الحجة من بغداد وتوجه على الخزاعل(٢٣٩) لانهم كانوا عاصين وغير قابلين الشيخ الذي لبسه عليهم وكتب الى الشيخ حمود ان يركب من مكانه مع عساكره ويتقدم على الخزاعل والمذكور حسب أطباعه وعوايده اذا قال باكر(٢٤٠) يركب انجق(٢٤١) بعد شهر يتحرك(٢٤٢) فاستقام الوزير قريب الحلة مدة شهرين يقطع مراحل وحمود رحل مرحلتين ووافى الخبر للوزير بان عبدالله حضر وحصل (كذا) عند حمود وان حمود استقبل عبدالله اغا بالاكرام وريضه(٢٤٣) حتى يسافروا الى مواجهة الوزير جملة على انه باكر وبعد باكر يرحل مضت مدة مع اوايل شهر صفر الوزير لحظ(٢٤٤) بان حمود ما هو راغب المواجهة وفي مدة قريب ثلاثة أشهر رحل مرحلتين اردف اليه التحارير بانه ما عاد يلزم حضورك ارجع الى مكانك وارسل عبدالله آغا يحضر الينا وحالا أحضر شيوخ الخزاعل ولبس لهم شيخ من أرادوه وعاد راجعا الى بغداد فهذا ما كان من الوزير .

واما ما كان من عبدالله آغا فانه فارق الشيخ وجاء راجعا الى سوق الشيوخ أقام كم(٢٤٥) يوم ينتظر حرمه المقبل من بندر بوشهر وكان الحرم منعوق في الحضور للبصرة وكان توجه الحرم من البصرة في ٢٦ صفر والمشار اليه بهذا التاريخ ركب من سوق الشيوخ وتوجه الى بغداد لمواجهة الوزير الذي كان قريبا سيدخل الى بغداد .

ونرجع الى ما يخص مصطفى اغا متسلم البصرة فقد أقام بالحكومة من غير ظلم ولا تعدى على أحد وجميع الكلام الذي قيل عنه ما ظهر منه شيء

وكان عند بيت الشيخ درويش باش اعيان البصرة(٢٤٦) والموجود

الان شيخ قاسم (زوج بيبى خدوج بنت شيخ درويش وهى صاحبة الامر والنهى) واحد نزيل عندهم اسمه ملا احمد بن ملا عبود بغدادى محسوب عليهم(٢٤٧) من ايام اباه فقد حصل منه تعدى على واحد وذاك الانسان محسوب على التفكجى باشى واتصلت الحكاية للمتسلم فارسل طلبه من بيت الشيخ ما سلموه ارسل ثانى مرة كذلك ما سلموه فقام بنفسه تبديل(٢٤٨) ومعه التفكجى باشى وكافة اوادمه وراح الى بيت الشيخ هاجما لياخذ الولد وذاك لما شاف الامر دخل للحرم • واوادم بيت الشيخ وقفوا لمقاومة المتسلم وصارت ملاطشة(٢٤٩) بينهم وطلع الشيخ قاسم وتقاول(٢٥٠) مع المتسلم وتشاتموا والمتسلم هجم على شيخ قاسم وقامت اهل المشراق(٢٥١) جميعهم فالشيخ أمر على المتسلم ورفعه فى مكان بالديوانية(٢٥٢) واشتغلت الفتنة وتكاثرت الناس على اوادم المتسلم وصار الضرب بينهم وانجرح جملة اناس من الطرفين وواحد كردى كان جاى قريبا من بغداد قد كان تفنكجى باشى عند باشة(٢٥٣) الكرد وتصوب برصاص وبعده مات ومحمد اغا بن كنعان تفنكجى باشى البصرة طرمخوه(٢٥٤) من الضرب بالعصى وبعض من الجوقدارية تجرحوا •

وكان الى مصطفى اغا اخوين الواحد حسين اغا وهو خزينه‌داره أمر بسحب أطواب ومضى بهم على بيت الشيخ واخيرا لحقوا الاعيان وتواسطوا المادة وكفوا الناس وسهلوا الطريق للمتسلم حتى جاء للسراى وكان ذلك يوم الاربعاء فى ٢٦ كانون الثانى غربى (١٨١٤ م) فى ٤ صفر (١٢٢٩ هـ) وحالا ركب ساعى من طرف بيت الشيخ وارسلوه للوزير والمتسلم عمل عرض(٢٥٥) وختم فيه الاعيان وغيرهم وقصد تبرير نفسه وكان لما وصل الخبر للوزير من الطرفين وهو قرب الحلة قبل ان يدخل الى بغداد تخلق(٢٥٦) على المتسلم ولا رضى بما فعل لان بنت الشيخ مقامها كبير وخاطرها عزيز عنده أولا لاسمها الشهير بالشيخ درويش والدولة الواسعة والاملاك المتسعة فى البصرة ولكونها تصير بنت عمته لان سليمان باشا كان خالها فاكراما لخاطرها حالا أمر بعزل مصطفى اغا وركب جوقدار من طرفه اسمه عبدالله اغا حضر للبصرة يوم الجمعة فى ٦ ربيع الاول سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) ومعه

مكاتيب الى صالح افندى خزنه كاتبى الذى هو الناظر على الكمرك فى البصرة حالا واخبره سرا وسلمه الاوامر ومعه مكتوب للمتسلم ما فيه شيء من هذا الخصوص ليطمئن ومضى من هناك الى عند بنت الشيخ دخل عندها وسلمها مكتوب من الوزير وبشرها بأن الامر طبق مرامها وحالا أمرت له بثلاثة جوار بخشيش •

واما ما كان من المتسلم فانه تخوس(٢٥٧) من مجى الجوقدار ولا عنده أثر الخبر فدعا صالح افندى مستخبرا من مكاتيب التى اتت اليه فطيب خاطره وأمنه وأنكر عليه الامر وقال له تروح الى المناوى لعند قبطان باشا وتشوف ايش عنده (لانه يخاف ان يخبره فيعصى او يشرد وتصير فتنة) فمضوا الى المناوى وكان قبطان باشا اسمه عبدى اغا الذى كان اغات الاحتساب سابقا وصالح افندى اغتنم فرصة واخبر قبطان باشا ودبروا الامر بأن يرجعوا جملة بالماجوة وان الباشا معزوم عند صالح افندى • فلما وصلوا الى عند السراى طلعوا كالعادة من قناق(٢٥٨) التفنكجى باشى وعند الباب قالوا للمتسلم عليك أمر من افندينا انت مرفوع وأمروا بمسكه فمسكوه أوادم الباشا وأما هو أجاب فرمان افندمزندر(٢٥٩) وما خالف ابدا حالا ادخلوه فى اوضة فى قناق التفنكجى باشى ووضعوا فى رجليه الحديد وصبوا فيه الرصاص(٢٦٠) وعلى الباب عشرين تفنكجى ينطروا وطلع صالح افندى جلس بالديوان واحضر جميع الاعيان وقرا عليه بيورلدى ولى النعم فى عزل مصطفى اغا ووكالة صالح افندى وجملة اناس بل أقول أغلب الناس تأسفوا على رفع مصطفى اغا لانه كما تقدم القول ما صار منه أذية الى أحد ويخافوا لئلا يتعرضوا بواحد ردى ظالم •

وأما ما كان من طرف الوزير فانه دخل الى بغداد يوم الاحد ٢٣ من شهر صفر (١٢٢٩ هـ) (١٨١٤ م) وذاك اليوم ما لبس ابراهيم اغا متسلم على البصرة (وهذا ابراهيم اغا كان حكم فى البصرة على فرمان(٢٦١) سليمان باشا الصغير وظلم وأبدع مظالم اخيرا عزلوه وحكم ثانى مرة فى البصرة فى أيام عبدالله باشا وجار على الناس واخيرا الفقير والتاجر ما عاد فيه احتمال وتقدمت عروضات(٢٦٢) بحقه ثم تعادى مع بنت الشيخ وتوجهت الى بغداد

فى سنة ١٢٢٧ (١٨١٢ م) وطلبت عزله والباشا عزله ونصب مكانه رستم اغا وكما تقدم فى هذا التاريخ وقت الذى انتصر أسعد باشا وكان عند المنتفك لبس سليمان بك المقدم ذكره وبعده صار مصطفى اغا فيكون فى مضية(٢٦٣) ثلاثة سنين خمسة متسلمين حكموا بالبصرة) والمذكور حالا لبس الكرك ارسل باش جوقداره الى البصرة بخبر بحكومته وحرر الى صالح افندى ان يكون نائبا عنه الى حين مجيئه فوقع الغم على الفقراء بالبصرة حيث ان فى ايام مصطفى اغا صار بنوع ما رخص فالحنطة البحرية الطية نزلت الى سعر ـــ ٤ وغيرها فى ٤ وقس على ذلك سائر الاشياء تهاودت عن أيام سليمان بك .

وأما ما كان من طرف عبدالله اغا فانه وصل الى بغداد يوم الاربعاء ٣٠ ربيع الاول (١٢٢٩ ﻫ و١٨١٤ م) ونزل فى قناقه والناس الا أقلهم فرحوا بقدومه وحصل عندهم السرور على انه حالا يلبس كهية ويعطى نظام البلد ويدير الامور ورابع يوم نهار السبت مضى لمواجهة الوزير وما لبس وما أحد عرف السبب وبعد كم يوم أواسط شهر ربيع الاول الوزير أسعد باشا رسم على داود افندى الذى هو سهره زوج اخته بنت سليمان باشا بأن ما يخرج من بيته مع ان هذا الرجل أحسن ما يوجد بدائرته من الكاركلية وكان بوظيفة دفتردار افندى ومحبوب منه .

وكان بهذه الايام صار طلب من الوزير الى الشيخ حمود شيخ المنتفق وحرك الركاب من شهر ربيع الاول وفى شهر جمادى الاول حتى وصل بغداد وواجه الوزير بكل كرامة والقول انه أعطاه المقاطعات عن هذه السنة ايضا أى عن سنة ١٢٢٩(ﻫ) وبهذه السنة توجه من قبل الدولة العثمانية وزير يسمى بابا باشا رجل مدبر عاقل عالم بالامور فريد عصره فى ملك آل عثمان من اسلامبول مخصوص بموجب خط شريف لنظام وترتيب كافة بلاد العثمانلى ومشى بقوة من العساكر وهو مصرف ومفوض فى العزل والنصب ولذلك جميع الدراباكية(٢٦٤) الذين فى طريق اسلامبول منهم من قتلهم ومنهم عزلهم ومنهم من ثبتهم وريح(٢٦٥) تلك الاقطار من الحكام الجائرين على

الرعاية حتى انتهى الى أورفه واعطى نظامها(٢٦٦) بقتل جملة من سخطها (كذا) المتضربنين (كذا)(*) وفي أوائل شهر (جمادى الاخرة) سنة ١٢٢٩ جانا خبر للبصرة انه وصل قريب الموصل والقول عنه انه قاصد عرب المنتفق الذى وصلت أخبارهم الى الدولة فى عظم دولتهم وبهتهم مال عبدالله باشا ومن هنا ينتج بأن أسعد باشا استدعى حمود لامر ما والله أعلم •

تمت : نشرها يعقوب نعمة الله سركيس

الحواشي

(١) كنت قد قلت فى حاشية الص ٥٠٧ : ٢ ان قبر حمود الثامر معروف بقبر الشيخ من باب الشهرة والصحيح ان قبر هذا الشيخ معروف بقبر حمود بدون كلمة الشيخ فأرجو العذر عن الزلل (٢) لقد أبقيت سبك عباراتها على حالها بغير أدنى تغيير وما لم يتيسر لى قراءته أبقيت محله خاليا منه • وقد علقت بعض الحواشى على ما ظننت انه يحتاج الى فهمه الذين لا يحسنون لغة عوام العراق او ليسوا منهم (٣) آل عبود كما تناقلته السنة افراد الاسـرة وايدته عناوين وتواقيع الرسائل ودفاتر الحساب التى وجدتها والتى سيأتى ذكرها • ومن هذا البيت شكر الله فتحالله عبود القاطن الآن فى بيروت • واعرف ايضا انه كان من هذه الاسرة قبل نحو ٢٠ سنة أعضاء يقيمون فى مصر ومرسيلية هم من أحفاد الياس ديمترى الخورى عبود والياس هو أخو المقدسى يوسف (٤) هو الخان المعروف باسم جده فتحالله عبود المولود فى حلب فى ٢٢ ايلول سنة ١٨٠٥ م والمتوفى فى ١٦ ك ١ سنة ١٨٩٤ فى بغداد • وهذا الخان ملاصق للمزار المسمى « بنجه على » وهو على بعد نحو ٥٠ مترا فى الشمال الغربى من جامع مرجان الشهير (٥) اسير (٦) والاصح جبوقجى • والكلمة تركية بمعنى

(*) ثم عرفت انه يريد المتزربنين من زوربا أو زوربه التركيـة ومعناها : عاص ، متمرد وما ضاهى ذلك •

الموظف الذى يعتنى بأدوات التبغ وبتحضيره فى وعائه للتدخين (٧) الصغير (٨) هو من آل بابان راجع الص ١٦٦٤ من التاريخ العثمانى لاحمد راسم لا يزال بعض الاعراب يسمونه الى عهدنا هذا « أسعد » خلافا لنص التواريخ (٩) تصحيف كتخدا التركية الفارسية الاصل (١٠) والاصح كهيا وهى لفظة تركية لغة فى كتخدا (١١) الباليوز هو القنصل . ولا يزال كثيرون يسمونه بالاسم الذى ذكره صاحب النبذة . والكلمة رومية الاصل تصحيف « بايلوس » *Baylos* . (١٢) وبالافرنجية *Rich* (١٣) لا أظنه الا من آل شاوى البيت الشهير (١٤) بمعناها الفصيح أى الاعمى (١٥) بمعناها المتعارف بيننا أى تقبلهم وتبقيهم وقد ذكرنا الالفاظ العامية الفاظا فصيحة لمن يجهل تلك اللغة المفسدة أو المحرفة عن أصلها (١٦) بالمعنى الذى لا نزال نفهمه وهو الشاطىء الايمن من الفرات وما يليه من بلاد العرب وكان يسميه الاقدمون « طف الفرات »(١٧) اللوندى من الجند المتطوعة فى دولة المماليك . وكان يقال لرئيسهم « شهلوند » وكان لكل لوندى ثلاثة أسلحة نارية ويتحتم عليه أن يشترى لنفسه جوادا ويطعمه على حسابه ولم يكن من الاصائل . ولم يكن اللوند يعرفون صناعة التصرف فى الاسلحة لانهم كانوا متطوعة بدون سابق خبرة فى المحاربة ويعدون من عساكر الدرجة الثانية (راجع تاريخ بغداد فى الازمان الحديثة باللغة الفرنسية لهوارفى حاشية الص ٢٠٥) ومما قاله احمد راسم فى حاشية له من كتابه التاريخ العثمانى الص ١٤٨١ و١٤٨٢ ما تعريبه : كان يطلق البنادقه كلمة « له وانت » على الجند المتسلحة الذين كانوا يأخذونهم من الشرق والكلمة بمعنى عسكر الشرق . فقلبنا كلمة « لونت » الى « لوند » . وقلنا لرئيس هذا العسكر « شهلوند » وقد تقيد عندنا من أهالى الولايات الساحلية عسكر بهذا الاسم بعد سنة الف وكان هؤلاء نحو خمسين الفا كان خمسهم مشتغلا فى الاسطول . » اهـ وفى متن كتابه المذكور فى الص ١٢٢٤ و١٢٢٧ وما يليها ما ملخصه تعريبا : ومن أهم امور سنة ١٢٠٧ شروع الحكومة فى تنظيم العسكر . فانشىء النظام الجديد العسكرى وابتدىء فى تدريب رجاله فى مزرعة « لوند » وكان للجند بندقيات ذات حراب ووضع

لهذا النظام الجديد قانون مخصوص . وأول ما عمل به كان فى مزرعة لوند ولهذا عرف « بقانون مزرعة لوند » اه وقد جاء ايضا بحث عن اللوند فى الص ١٤٦٤ من الكتاب المذكور وفى ما يليها فارجع اليه ان شئت . وفى معجم لاروس الحديث المصور فى مادة *Levanti* (لوانتى) عسكر فى بحرية تركية . وفى مادة *Levanti* « لوانتن » نوتى من سواحل تركية وآسية الصغرى وفيها ايضا *Levantin* (لوانتن) نوتى يؤخذ مما كان يجيش من طوائف الجند فى سواحل البحر المتوسط »

(لغة العرب) نحن لا نوافق هؤلاء الكتاب على أصل كلمة « لوند » فالكلمة معروفة عند الفرس قبل أن يدخل البنادقة هذه الديار الشرقية وقبل أن تكون أدنى علاقة معهم . ومعناها عندهم الحر المستقل . فاخذ البنادقة هذه الكلمة من الترك ومنهم الايطاليون ومنهم الفرنسويون وكان اللوند ايضا عسكرا خاصا بالباشا ومن حرسه الخاص (١٨) كما نسميها اليوم ايضا وهى أربيل المعروفة (١٩) أى عقيل وهم من عسكر الاعراب وكان أغلبهم من نجد

(٢٠) البرطلية عند العامة جمع برطلى (بفتح الباء والراء وسكون الطاء وكسر اللام وتشديد الياء المثناة فى الآخر) وهذا أصله « براطه‌لى » التركية نسبة الى براطه بمعنى صاحب البراطة أو لابسها . والبراطة من العمرات (ملابيس الرأس) على ما قاله احمد راسم فى كتابه التاريخ العثمانى فى حاشية الص ١٥٦١ فى بحثه عن العمايم اذ قال : « شاطر براطه لرى » . وشاطر هنا بمعناها التركى وهو الموظف يومئذ بمرافقة الضباط الكبار الذين كانوا من حاشية السلطان أو الانكشارية ويمشون بجانب أفراسهم . ويريد العراقيون ببرطلى فى يومنا هذا الرجل الوقح او الذى لا يرضى بحقه او ما شابه ذلك . أما البرطلية فى ذلك العهد فكانوا عسكرا على ما أظن .

(لغة العرب) نستأذن الكاتب فى مخالفة رأيه . وعندنا ان البرطلى تصحيف براتلى التركية ومعناها المزود بالبراءة السلطانية . وكان البرتلية او البرطلية طائفة من العسكر لهم امتيازات خاصة بهم ومن كان كذلك فلا بد من

أن يباهي او يفاخر بما عنده من الالاء الخاصة به فيطغى ويبغى ويظلم ويجرم ويأتى بأنواع المنكرات والموبقات • وربما كان البراتلى نسبة الى برات وهى مدينة من ديار الارناووط (أى البانية) المشهورين بكبر الجسم وشدة الجرأة والاقدام وبطباع تقرب من الوحشية كأنهم يشعرون بانهم لم يولدوا فى العالم الا لمعاقبة الناس العصاة ولهذا كان الارناؤوط في كل عصر أهل صراع وقراع وربما كان أغلب المزودين بالبراءة السلطانية (أى البراتلية) هم براتلية ايضا من جهة الموطن أى براتلية امتيازا وموطنا • وعلى كل حال يسمى العراقيون برطلى الرجل الكبير الجسم الجرىء المقدام الذى لا يقنع بما يعطى ويطلب فوق ما يستحق ويحب الخصام لادنى أمر على حد أوصاف البرطلية الارناؤوط • وتخير على هذه الآراء الثلاثة رأى حضرة الاديب الناقد العجيب الذكاء صدينا ع • ن • وقد ادرجناه فى باب الاسئلة والاجوبة فراجعه تحكم باصابة له • • اه (٢١) لم يرد بذلك الا جمع تفنكجى بمعنى حامل البندقية وهو العسكر المتسلح (٢٢) القنبر آلة يقذف بها القنبرة أو القنبلة والقنبر بالفرنسية *Obusier* والقنبر *Obus* (٢٣) الزنبرك أو الزنبروك مدفع صغير خفيف الحمل ينقل على الدواب وقد يقال فيه الزنبلك وكان يتخذ فى عهد المماليك (٢٤) فرمان التقرير هو فرمان الابقاء فى المنصب (٢٥) أى اخروه وهو من باب الابدال والكلمة عامية (٢٦) هم سعاة البريد والكلمة تدل على ان التاتار أو التتر كانوا يستخدمون لنقل البريد منذ ذلك العهد أو قبله ولا يزال يطلق اسم التتر والتاتار أو « بوسطة التتر » على البريد الذى يرد الينا بطريق الاناضول والموصل وكركوك • (٢٧) أراد الاستانة (٢٨) أدركوقارب (٢٩) اين كان محل هذا الجسر ؟ لا أعلم (٣٠) « قبى جوقدار أو قبوجوقدارى أو قبوجوقه دارى » هو موظف الولاة لدى الباب العالى يومئذ • (٣١) الماجوات جمع ماجوة • ويقال فيها ايضا الماشوة والجمع الماشوات ويلفظ مفردها بفتح الميم بعدها الف يليها جيم مثلثة فارسية أو شين مضمومة ثم واو مشددة مفتوحة وفى الآخر هاء • وذكرها صاحب أقرب الموارد بصورة الماشوت وزان جالوت وقد نقلها عن صاحب محيط المحيط وهذا عن فريتغ وفريتغ عن دساسى وهذا خطأ فى النقل والاصح ما أوردناه والماشوة أو الماجوة كالمهيلة (راجع لغة العرب

٢ : ٩٦) الا انها أكبر منها حجما وكان اهل بغداد والبصرة يسافرون عليها قبل وجود البواخر فى ديارنا والكلمة ارمية الاصل من « ماكوتا » بمعناها . وأعراب العراق يلفظون الكاف جيما مثلثة كما أشرنا اليه غير مرة .

(لغة العرب)(*) (٣٢) العطريات والعقاقير والكلمة عامية (٣٣) بضع سفائن شراعية تسير فى الفراتين ويزيد عددها على العشرة الى ما فوق ولا زالت الكلمة معروفة عندنا الى يومنا هذا (راجع لغة العرب ٢ : ١٠١) (٣٤) تلف (٣٥) بمعناها الفصيح وهو الاسراع بالنزع والخطف (٣٦) تصحيف متيه المشدد العين وهو بالمعنى الذى نعرفه أى مهمل بلا رقيب او حارس (٣٧)جمع سكمان والمقصود سكمن التركية وهو جندى كانت وظيفته مثل وظيفة المبذق (الجندرمة) فى عهدنا هذا (٣٨) أظنه أراد غرقت ومعناها الفصيح عيث (٣٩) نعلم ان العامة عربت جورك التركية فقالت جرك (وزان عنق) ثم اشتقت منه فعلا وصرفته فقالت جركه فتجرك (وزان كسره فتكسر) أى أتلفه فتلف (٤٠) أصلها كاركر التركية الفارسية الاصل بالياء والهاء ثم أبدلت بصورة كاركل ثم جمعت ومعنى كاركر التركية الفعال والمؤثر وكان يراد بها احد موظفى ذلك الزمان بدون شك (٤١) جاء أو آت (٤٢) لفظة تركية وهى الحرب الشديدة (٤٣) وهو الاردو التركية أو الاوردو أى الجيش (٤٤) والاصح قبوجلر كهياسى وهو احد الموظفين الكبار عند الترك (٤٥)جمع شقبان وهو مقدار ما يمكن أن يحمله الانسان ويضعه فى عباءته لنقله وهو لغة فى الشكبان على ما قاله صاحب تاج العروس (٤٦) التشليح بمعناه الفصيح أى التعرية وهى من أصل ارمى (٤٧) هل أراد السايسخانة التركية وهى الدواب المحملة التى يركبها السواس وغيرهم ؟ (٤٨) بمعناها الفصيح وهى جماعة من الدواب على نسق واحد (٤٩) لا أظنه أراد الا تفنكجية وقد سها

(*) لم نر هذه الكلمة فى كتب تواريخ العباسيين ولم نقف على استعمالها الا فى النصف الاول من القرن الماضى قبل سير البواخر فى الرافدين فهل هي تحريف *Manchua* (منشوة) الواردة فى مقدمة الناقل لرحلة تكسيرا (*Texeira*) الى الانكليزية ؟ (الص ١٣) وهناك انها من السفن البحرية في أواخر القرن السادس عشر .

قلمه فى كتابتها (٥٠) نسبة تركية الى أرويل وكركوك على ما نعرفه (٥١) تصحيف زغرجى باشى وهو رئيس الزغرجية أو ضابطهم والزغرجى هو الموكل بحفظ كلاب صيد رئيسه فى الاصل ثم صار لقب وظيفة (٥٢) الفرو والكلمة تركية (٥٣) نوع من الاقمشة كان مرغوبا فيه يومئـذ (٥٤) حـاف (٥٥) الذى كان قد خان (٥٦) نسبة الى داود النبى «عم» وهو بمعنى المكين المحكم الصنع (٥٧) أى وكان الرمح حادا قاطعا وقطع الدرع (٥٨) أراد ثنى بمعناها الفصيح أى ارتد عليه بالضرب (٥٩) كلمة تركية فارسية الاصل وهى قضيب من الحديد طوله نحو متر وقد يخدد فينزل فيـه الذهب وفيـه مقبض وينتهى آخره بسنان محدود يتخذ للطعن (٦٠) اراد كان عليه كالدائرة (٦١) وعليه يكون داود افـندى صهرا له (٦٢) هو الموظف يومئـذ بحفظ أسلحة الامراء وغيرهم (٦٣) أراد جمع قوللق وهو الخفر أى الجماعة من المحافظين (٦٤) نوع من الاوامر الرسمية (٦٥) تركية معناها كما نعرفه اليوم المراسيم التى تجرى بأبهة وعظمة (٦٦) هو الموظف بادارة لواء من قبل وال أو متصرف وذلك قبل التنظيمات الخيرية (٦٧) لا أشك انه أراد الفداغ بالغين المعجمة فى الاخر اسم اسرة كريمة (٦٨) قال احمد راسم فى تاريخه العثمانى الص ١٦٠٢ عند كلامه على النقود فى اوائل القرن الثالث عشر للهجرة مـا هذا تعريبه : ارتفع سعر ذهب «اليلديز» بحيث انه بعد ان كانت قيمته نحو اربعة غروش ونصف صعد الى تسعة غروش بل الى عشرة» اه وقرأت فى تقويم لصاحب هذه النبذة ان اليلديز كان يساوى فى البصرة ستة غروش وربعا وشيئا وذلك فى منتصف رمضان سنة ١٢٢٧ ثم ارتفعت أسعاره حتى بلغت ستة غروش ونصفا فى ٢٠ شوال سنة ١٢٢٧ وقد كان سعره فى اوائل المحرم من سنة ١٢٢٦ تسعة غروش وربعا . ولا يخفى على المطالع ان أسعار النقود لم تستقر على حالة واحدة وبعد ذلك سمى القرش «شاميا» ولا يزال فى قسم من لواء المنتفق يعرف الشامى والقرش (وتلفظ الجرش بالجيم او بالكاف الفارسية) بمعنى واحد . واليوم عنـدهم الشـامى او الجرش ثلث المجيدى وهو من دراهم المعاملة لا من الدراهم الموجودة حقيقة . (٦٩) هو

والد حنا او حنوش أبى الكونت جبرائيل اصفر القاطن اليوم فى البصرة (٧٠) التحقير كما نعرف ذلك (٧١) جمع مباشر من موظفي الحكومة يومئذ وهى بغير معناها الحالى •

وقلت فى حاشية ص ٥٧٢ (من لغة العرب) عن الزغرجى باشى ما معناه اللفظى وانه ضابط الزغرجية وفاتنى أنأقول انالزغرجية جند منالانكشارية (راجع ص ١٩٢ من كتاب روضةالكاملين شرح شفيق نامه لمحمود جلالالدين وحاشية ص ٧٨٦ من التاريخ العثمانى لاحمد راسم والكتابان باللغة التركية) وانه مختص بزمان الحرب (راجع ص ٥ من كتاب سجل عثمانى ياخود تذكره مشاهير عثمانية لمحمد ثريا بالتركية) والظاهر ان فى عهد هذه النبذة قد تغير نظامهم فانهم كانوا قبلا انكشارية موظفين بمحافظة كلاب الصيد المختصة بالسلطان والزغرجى كان من المقربين منه فتقليد الوالى لمنصب الزغرجى باشى يدل على وقوع تغير فى نظامهم السابق (٧١ أ) جمع بقجه (وزان غرفة) المقصورة من بوغجة التركية والبقجة هنا بمعنى مقدار من المنسوجات لا يتجاوز الشكبان ملفوف بقطعة من نسيج تكون غلافا له وتطلق الكلمة على هذا الغلاف• وعلى محتوياته من باب تسمية الشيء بما يحتوى عليه • (٧٢) أراد النسبة الى سورات فى الهند ومنه السورتى أو الصورتى من الطاقات أو الطوائق وواحدتها طاقة وهى قطعة من اى نسيج كان قائمة بذاتها تكفى لتفصيل قباء وقد تزيد عنه شيئا أو تنقص منه • (٧٣) اراد النسبة الى كجرات فى الهند (٧٤) « زر » فارسية بمعنى الذهب و « تمام زر » هو النسيج الذى يدخل وشيه شيء غير القصب (الكلبدون) وربما كانت تلك النقوش كثيرة • (٧٥) « نيم » فارسية أى نصف و « نيم زر » هو النسيج الذى يدخل وشيه شيء غير القصب (الكلبدون) وربما كانت نقوشه قليلة (٧٦) أراد التعظيم والتبجيل (٧٧) أسرة شهيرة لا زالت معروفة الى اليوم (٧٨) بمعنى هيأ الهدية وأحضرها (٧٩) التفاريق (ولا يستعمل مفردها) طائفة من الطوائق المتنوعة الاشكال قيل خصت بالاغبانى والنيم (بكسر النون وفتح الياء) (٨٠) أراد زجاجات للنارجيلة لتقوم مقام الجوزة الهندية التى يوضع فيها الماء ولم يبطل استعمال هذا النوع

نوع الاناء (وهو الجوزة الهندية) الا من أمد قريب جدا وربما وجد منها شيء لا يذكر والشوشة أصلها « شيشة » أي زجاجة ومسلمو بغداد يقولون « شيشة » ونصارها يقولون « شوشة » . (٨١) جمع مسبحة بمعنى سبحة (٨٢) موظف في ذلك العهد « المكتوبجي » في الولاية او « مدير التحريرات » في اللواء (٨٣) السابق (٨٤) شبيه ومثيل (٨٥) الحكومة (٨٦) فر (٨٧) القصبة الشهيرة التي تبعد عن البصرة نحو عشرة كيلومترات (٨٨) البسوه والعادة يومئذ ان يلبس الآمر خلعة لمن يوليه أحد المناصب وتختلف الخلعة باختلاف المنصب (٨٩) يتوقعون مرتابين (٩٠) كل ألم أو جرح نشأ من طعنة أو سقطة (٩١) والصحيح قبوجيلر كهياسي وهو اسم لموظف في ذلك العهد (٩٢) أعطى فدية عن نفسه (٩٣) اختصارا لسوق الشيوخ (٩٤) غلط من اورضى المصحفة من أردو (٩٥) أراد فترة « المتركة » بصورة فترت بمعنى الفتنة والثورة التي تكون في المدينة (٩٦) التاء زائدة وأراد آغا وزيدت التاء لتحسين الصوت على الاذن (٩٧) من ملابيس الرأس كالفيس (الطربوش) منخفض عريض يلف عليه عمامة عرضها اصبعان أو ثلاث (راجع حاشية ص ٧٩٣ من التاريخ العثماني لاحمد راسم) (٩٨) الكاف زائدة (٩٩) اللصوص (١٠٠) أراد الغرش بذاته وليس غرش المعاملة وقد قرأت في تقويم صاحب النبذة بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٢٢٦ هـ الموافق أواخر حزيران وأوائل تموز سنة ١٨١١ م ان المتسلم نبه على انه لا يجوز أن يصعد سعر الغرش بعينه أزيد من خمسين في المائة عن سعر غرش المعاملة (١٠١) جمع تفصيلة العامية وهي الطاقة أو القطعة من النسيج التي لا تنقص عن ان تكون (قنبازا) قباء وما أشبه اذا فصلت (١٠٢) نسيج من افخر شعر المعزى يعمل في كشمير وغيرها (١٠٣) تتقاسمه (١٠٤) أظنه ابن عم السيد عبدالجليل ابن السيد يسين ابن السيد ابراهيم ابن السيد طه ابن السيد خليل الطباطبائي الحسني البصري وقد وجدت قصيدة من نظمه بين أوراق آل عبود وهي بخط أحدهم الاولين يهنيء بها المذكور للسيد حسين ابن عمه السيد اسماعيل بزواج ابنه السيد علي بابنة عمه السيد حامد في رجب سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) فعددته طباطبائيا لاتفاق علو مقام وكالة

الشيخ حمود واتفاق اسم السيد على ابن السيد حسين باسم من هنىء والده بزواجه والله أعلم . وآل طباطبائى بيت لا يزال معروفا فى البصرة (١٠٥) جماعة (١٠٦) أخذوا من (١٠٧) أراد دكانجية جمع دكانجى التركية العربية وهو صاحب الدكان (١٠٨) رب قارىء يظنه ذهبا كما ذكره احمد راسم (راجع كتابه العثمانى فى حاشية ص ٤١٧) فان الرومى يومئذ لم يكن فى هذه البلاد الا مرادفا للغرش بعينه الذى سبق البحث عنه وقد ثبت لنا هذا من تقويم صاحب النبذة ودفاتر حسابات بيته العائدة الى ذلك العهد (١٠٩) سدت (١١٠) الطرق (١١١) كان الجوقدار فى سابق العهد موظفا بتقديم « القفطان والخفتان » (نوع من الاردية راجع حاشية ص ٧٩٥ من التاريخ العثمانى لاحمد راسم) للسلطان (راجع حاشية ص ٢٦١ من الكتاب المذكور . وتجد زيه مصورا فى الص ١٠٥٤ منه) ثم تحول معنى اللفظة بعدئذ الى غير هذا المعنى وكان اسما لاحد موظفى الحكومة (١١٢) وجدنا أردو محرفة بصور مختلفة وهذه منها (١١٣) أراد كورك التركيةوهو الفرو والباس الخلع عادة جارية على ما مر بنا (١١٤) وظيفة المتسلم (١١٥) أراد شنلك التركية وهى المعالنة بالافراح فى أعياد الامة ويدخل فيها الانارة ليلا بالقناديل وغيرهما (١١٦) السراى التركية وأراد دار الحكومة أو دار الامارة (١١٧) قصد مزدة التركية الفارسية الاصل وهى البشارة (١١٨) الرخت كلمة تركية فارسية الاصل وهى هنا بمعنى سرج الفرس المحلى بالفضة والذهب وقد اشتق منها العامة فعل رخت المشدد الخاء ومنه مرختة (١١٩) الموظفون وربما جاءت بمعنى المقدمين منهم واللفظة ما زالت معروفة فى اصطلاحات الحكومة . وأظن ان أصل وضعها مشتق من اتخاذ الامر مركزا يحف به جماعة الموظفين بصورة دائرة من باب المجاز (١٢٠) صهر (١٢١) أظهر (١٢٢) خارج (١٢٣) المن الحالى فى البصرة ستون حقة استانة أى عبارة عن ٧٧ كيلوغراما وأظن انه كان يومئذ على ما هو الآن وقد ثبت عندى من أوراق آل عبود انه كان يقسم الى أربع وعشرين أوقية أو أوجية كما هو جار الى يومنا هذا (١٢٤) أظنه جنسا من الرز (١٢٥) أظنه جنسا آخر من الرز

(١٢٦) اقتضى (١٢٧) بمعناهما التركى وهى الحبوب أو المؤن (١٢٨) ما هو الا غلط قلم والصحيح سوق الشيوخ قصبة على الفرات وهى اليوم مركز قضاء بهذا الاسم وقد تصفحت كتاب رحلة « سيستيني » المسمى رحلة من القسطنطينية الى البصرة عام ١٧٨١ م (١١٩٦ هـ) المترجم من الايطالية الى الفرنسية والمطبوع فى باريس عام ٦ للجمهورية ١٧٩٧ م (١٢١٣ هـ) *Voyage de Constantinople a Bassora en 1781 par Sestini* فلم أقف فيه على ذكر سوق الشيوخ بل قد بحث عن « العرجاء أو العرجة » (اليوم فوق الناصرية بنحو ثلاثة كيلومترات قرية على ضفة الفرات بهذا الاسم وكذلك كوت المعمر (اليوم قرية بين الناصرية وسوق الشيوخ على ضفة الفرات اليمنى) وغيرهما ولم يأت بكلمة عن سوق الشيوخ • وهاك قول صاحب كتاب « وصف باشوية بغداد » *Description du Pachalik de Bagdad.* تأليف *M* .. المطبوع فى باريس فى مطبعة ساجو *Sajou* عام ١٨٠٩ « سوق الشيوخ قصبة وليس فيها ما يذكر بل هى سوق موسم يروج فيها بيع غلات أراضى الاعراب وتنفق فيها محصولات صنائعهم • ثم ذكر « كوت » (كوت المعمر) و « العرجاء أو العرجة » وقال انهما قصبتان عامرتان • فاستدل من هذا التاريخ ان سوق الشيوخ لم تشيد الا بعد سنة ١٧٨١ م (١١٩٦ هـ) والطاعنون فى السن يروون عن الذين قبلهم انها حديثة العهد • وفوق كل ذى علم عليم (١٢٩) أراد أردو (١٣٠) قد جاء ذكر ابن رزق فى الص ٤٥ من كتاب « وصف باشوية بغداد » ويقال : قد انقرض الآن هذا البيت (١٣١) سنوا وأوجبوا عليهم (١٣٢) الحكومة (١٣٣) أهل (١٣٤) تصحيف تخفيف يكيجريلر (الكاف تلفظ نونا) أغاسى وهو كبير الانكشارية (١٣٥) وظيفة يرجع اليها الاعراب فى ذلك العهد (١٣٦) تمكن من ادارة الشؤون وتمهدت له (١٣٧) رجاله وهى جمع آدمى بمعنى الرجل جمعا مكسرا عاميا (١٣٨) الوزنة كانت يومئذ اربع وعشرين حقة استانة أى عبارة عن نحو ثلاثين كيلوغراما وثلاثة أرباع الكيلوغرام كما ثبت لى من أوراق آل عبود وقد أيدته الص ١١٧ من كتاب « وصف باشوية بغداد » (١٣٩) يلوح لى ان هذا العدد يدل على قرش رائج بغداد • فقد قرأت فى دفتر للشماس ميخائيل

صاحب هذه النبذة بتاريخ رجب سنة ١٢٢٨ رمضان سنة ١٢٢٨ (١٨١٣ م) ان غرشين مع ثمن الغرش مع بارتين من معاملة بغداد تساوى روميا واحدا من النقود الحقيقية وجاء أيضا ان « الرومى » موشح بطغراء حميدية فتكون الـ ١٤ قرشا تساوى تقريبا ٤٣ قرشا صحيحا من دراهمنا فى هذا اليوم على حساب الليرة ١٠٨ قروش صحيحة (١٤٠) بمقام أول القواسين فى عهدنا (١٤١) *Factory* الانكليزية وهو محل لوكلاء شركة تجارية تكون فى بلاد الاجانب وهى هنا محل شركة الهند الانكليزية كالقنصلية فى هذا الوقت (١٤٢) غرفتين (١٤٣) *Cohen* (١٤٤) اسم المركب (١٤٥) أو بوشير بلدة على خليج فارس (١٤٦) جمع بتيل بفتح الباء وتشديد التاء المكسورة هو سفينة شراعية من سفائن البحر على غير طرز البغلة ودونها حجما تسفر الى الموانىء القريبة (١٤٧) غلا سعره (١٤٨) تهابه (١٤٩) من التركية وهو الذى يسكر بعصارة الخشخاش (١٥٠) الاحداث (١٥١) محاميات وأظنها هنا أهى التى على غير وجه الحق (١٥٢) فرح وسرور من الكيف وهو الفرح (١٥٣) أحكام (١٥٤) تقاطعوا (١٥٥) غم (١٥٦) غلط صحيحه ريموند وهوجان *Jean Raymand* (من مخطوط وهو تقويم الوقائع للآباء الكرمليين ل٠ ع) (١٥٧) مغتاظ (١٥٨) دو كورنسه *De Cornacey* قنصل فرنسا فى بغداد (من مخطوط وهو تقويم الوقائع للآباء الكرمليين ل٠ ع) (١٥٩) مغتاظ (١٦٠) أراد توغ أو طوغ قال احمد راسم فى الصحيفة ٢٠ و٢١ من كتابه ما ملخصه : التوغ علامة شبيهة بالشعر المنتشر وهو شعر مصبوغ يتخذ من ذنب الفرس كان يوضع فى السابق على راية كبيرة فى الممالك الشرقية فى بلاد الترك والهند والصين وكان يطلق عليها اسم « حاليش » ثم أبدل شكل « التوغ » فكان يوضع فى رأس عود بضع كرات شعر أبيض وأسود تجعل على شعر الفرس المنثور المصبوغ بالاحمر وعلى هذا كله فلكة بشكل كرة من ذهب ثم سميت أخيرا هذه « الحاليشات » « توغ » فالتوغ الذى بعث به السلطان السلجوقى الى عثمان الغازى كان من هذا النوع ٠

وبعد ذلك أعطيت « التوغات » فى حكومتنا لاصحاب المناصب العالية على أن تكون علامة مميزة لهم فكان يعطى أصحاب منصب أمير اللواء وبك السنجاق توغا واحدا ومير ميران وبكلربكى توغين والوزراء ثلاثة والصدر الاعظم خمسة وفى أثناء المحاربة كان يوجد مع ركب السلطان سبعة توغات » اهـ وتجد رسم التوغ فى حاشية الص ٢٢ من الكتاب المذكور وكذلك فى معجم لاروس الحديث المصور فى لفظة *Though* مع بحث عنه . (١٦١) لعل فيها مبالغة (١٦٢) لا يصدق بها (١٦٣) جمع كوى التركية أى القرية (١٦٤) نهر شهير من أنهر البصرة متشعب من شط العرب (راجع لغة العرب ٣ : ٦٣) (١٦٥) كتبها بالكاف الفارسية وتقال أيضا بالجيم وهو من أنهر البصرة الشهيرة يتشعب من شط العرب (راجع لغة العرب ٣ : ٦٣) (١٦٦) أراد السراجى وهو النهر الشهير من أنهر البصرة يتشعب من شط العرب (راجع لغة العرب ٣ : ٦٣) (١٦٧) نبه ذكره (١٦٨) خسارة (١٦٩) حمدان قرية لا بلدة (١٧٠) تركية فارسية الاصل هو الملك العظيم من الاراضى والمزارع وما أشبهها (١٧١) ما يهدى فى اليوم التابع لليلة العرس واليوم تستعمل عامة النصارى كلمة « صبحية » (١٧٢) هم من مشايخ عشائر العراق الشهيرين ولا يسعنا البحث عنهم هنا (١٧٣) أراد القرى (١٧٤) حسن الالتفات والرفق (١٧٥) الحاجات (١٧٦) باخذ العوض (١٧٦ أ) وقية بلفظ العوام بسكون الواو وكسر القاف وتشديد الياء أو الوجية بالجيم عوضا عن القاف هى اليوم أيضا عيار مستعمل هناك يزن حقتين ونصف من حقق الاستانة أو نحو ثلاثة كيلوغرامات وخمس الكيلوغرام ولا تزال معاملة هذا الوزن جارية فى قسم من لواء المنتفق (١٧٧) لا يزال أهل البصرة يتعاطون بيع الباميا وشرائها بالعدد (١٧٨) للحكومة والمراد بها هنا حكومة بغداد (١٧٩) بقى فى المسألة ١٢٠ مقدار واف (١٨١) من الفارسية بيبى وهنا بمعنى الخاتون وربما أطلقت على الخاتون الموقرة بين أقرانها (١٨٢) خدوج (بتشدد الدال) تصغير تحبيب لخديجة على الطريقة العامية القديمة (١٨٣) قد جمح قلمه فان خدوج ابنة للشيخ درويش كما قالته وأيدته نبذته كما سيأتى (١٨٤) بمعنى المعاش فى عهدنا وهو الراتب عند العرب (١٨٥) العلم والراية (١٨٦) رجل (١٨٧) وسيلة

دقيقة (١٨٨) جمع أوضة وهى تصحيف أوطة التركية بمعنى الغرفة (١٨٩) بندقية (١٩٠) جمع علوفة (١٩١) هم الآن تحت رئاسة وحكم الشيخ خزعل خان (١٩٢) جمع شكواجى التركية بمعنى المشتكى (١٩٣) الاختلالات والتشويشات (١٩٤) انقطع (١٩٥) هى من أجزاء مملكة ايران (١٩٦) أى غلات (١٩٧) رقم الخمسة يدل على عدد الدهنيمات والدهنيم كلمة فارسية من ده أى عشرة ونيم أى نصف بمعنى من العشرة نصف لانهم قسموا ربع غرشهم المعروف يومئذ الى عشرة أقسام وأخذوا نصف قسم من هذه الاقسام العشرة فكان ربع الغرش عشرين دهنيما وعليه كان غرشهم ٨٠ دهنيما كما تحققته من دفاتر حسابات آل عبود (١٩٨) هو الارز قبل تقشيره (١٩٩) أراد قبوجى التركية ومعناه البواب وهو من أسماء موظفى ذلك العهد (٢٠٠) أراد القسطنطينية (٢٠١) تأخير (٢٠٢) متوقع بارتياب (٢٠٣) تركية فارسية الاصل بمعنى حامل الراية وهو اسم لاحد موظفى ذلك الزمان (٢٠٤) غلط تصحيف ألاى التركية (٢٠٥) يستدل من النبذة والتواريخ ان الحكومة كانت تسميه محمد سعيد والعوام تسميه أسعد • وقد سمى أسعد فى كتاب تاريخ الوهابيين *His. des Wahabis* تأليف *L. A.....* فى الص ١١٣ وهو مطبوع فى باريس ١٨١٠ فى مطبعة كرابله *Crapelet* (٢٠٦) شاع وذاع (٢٠٧) خازن المال وحافظه والكلمة مركبة من العربية والفارسية ومستعملة عند الاتراك (٢٠٨) انتهره (٢٠٩) قرأنا سابقا ان البيرق جماعة من العسكر عددهم خمسة وعشرون (٢١٠) أراد جبخانهجى التركية بمعنى الموظف بعدد الحرب ومهماته وهى من أسماء موظفى ذلك الزمان (٢١١) عرصة يحيط بها حيطان تنضد فيها الحبوب وربما كان فى جوانبها بعض الانابير (٢١٢) انحط (٢١٣) هو من أنهر البصرة الشهيرة منشعب من شط العرب جاء ذكره فى لغة العرب ٣ : ٠٦٣ فهل أصله مهناوى نسبة الى مهنا بحذف الهاء للتخفيف ؟ (٢١٤) نهر كبير منشعب من شط العرب على بعد مسافة من صدره قائمة على ضفتيه مدينة البصرة (راجع لغة العرب ٣ : ٦٣) (٢١٥) الخوف والرعب (٢١٦) لم يتدخل (٢١٧) من طاملة أو داملة التركية وهى داء السكتة (٢١٨) صحيح البدن

(٢١٩) مبقع (٢٢٠) أراد شخصت أى فتحت عيناه وهما لا تطرفان (٢٢١) ضمت بعضها الى بعض (٢٢٢) يسميها الاتراك آخسخه وهى مدينة فى بلاد الكرج ضمتها روسية اليها منذ سنة ١٨٢٨ م ومن سكانها الارمن ويكتبونها بالفرنسية *Akhaltzikhe* او *Akaltzikh* (٢٢٣) كابل عاصمة الافغان (٢٢٤) أراد مدرسة انتشار الايمان فى رومية (٢٢٥) ان هواء البحر لم يوافق بدنه (٢٢٦) أراد جمع بادرى والكلمة ايطالية *Padre* بمعنى الاب أى الكاهن الراهب والمراد هنا الآباء الكرمليون (٢٢٧) أصبهان (٢٢٨) كثير الخدمة وحسنها (٢٢٩) غشى عليه (٢٣٠) انفه (٢٣١) المبردات (٢٣٢) نقيض المبردات (٢٣٣) متدين بالاسلام حديثا (٢٣٤) الكآبة (٢٣٥) اتسعت سطوته (٢٣٦) اضطربت وتشوشت (٢٣٧) هم شمر الجزيرة (٢٣٨) نهر مشهور (٢٣٩) من العشائر الكبيرة فى الجهة الجنوبية الغربية من ولاية بغداد (٢٤٠) غدا أو غدا صباحا (٢٤١) تركية أى اذا قال باكرا يركب لا يركب الا بعد ... (٢٤٢) يسافر (٢٤٣) أخره (٢٤٤) لاحظ (٢٤٥) بضعة (٢٤٦) هو بيت لا يزال شهيرا بالبصرة معروفا باسم آل باش أعيان (٢٤٧) منتسب اليهم (٢٤٨) متنكرا (٢٤٩) ملاطمة (٢٥٠) تكلم كل منهم بكلام يجرح الآخر (٢٥١) المشراق قسم من مدينة البصرة لا يزال معروفا بهذا الاسم وفيه حتى الآن دور آل باش أعيان (٢٥٢) دار يقبل فيها الضيوف والزوار وتطلق على الغرفة المختصة بقبولهم (٢٥٣) باشا (٢٥٤) يقال اليوم عند بعضهم فى اللغة الدارجة بعد شرب اللبن الحامض طرخه اللبن أى جعله ينعس فتطرمخ فلعله أراد بقوله طرخوه من الضرب بمعنى أفقدوه حواسه فصار كالناعس (٢٥٥) عرض حال (٢٥٦) غضب عامية شامية (٢٥٧) لعله تخوف (٢٥٨) قوناق التركية وهنا بمعنى الدار الكبيرة . وقد تطلق على دار من يراد تعظيمه (٢٥٩) تلفظ كما كتبها . وأصلها فرمان أفندمز كدر التركية ومعناها الامر لولينا (٢٦٠) أى وصبوا فى محل قفله رصاصا مذوبا حتى لا يتمكن من فتحه بسهولة (٢٦١) أى على زمان (٢٦٢) جمع عرض بمعنى عرض حال عند العوام

(٢٦٣) مدة (٢٦٤) جمع « در اباكى » وأراد « دره بكى » التركية ومعناها بالحرف بك الوادى ويراد به قديما الحاكم على سكان اقطاعته أو كورته ومن عادته الجور والظلم وكان أغلب هؤلاء الحكام من الاشراف . (٢٦٥) أراح (٢٦٦) أقام فيها الامن والنظام .

ملحق ببحث :

نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق

المنتهي في الص : ٣٠

اضافة

كتاب سعيد بك ابن الوالي سليمان باشا
الى المستر ريج المقيم البريطاني في بغداد

رأينا في ما سبق (الص ١٠) تدخل المستر ريج بين عبدالله باشا وأسعد بك هكذا كان يسمى على ألسنة الناس ثم كان باشا) لاصلاح ذات البين فكان هذا الاصلاح . وهناك ان أسعد بك لم يطمئن باله من الكهية طاهر أغا فغادر بغداد ملتجئا الى حمود الثامر شيخ المنتفق في ديرته . ومما يؤيد ما أورده صاحب النبذة بهذا الشأن كتاب البك الذي أرسل به الى المستر ريج (وهو محفوظ في خزانة المتحفة البريطانية كما في فهرستها للكتب التركية الص ١٠٣ رقم ٢٦٣١٩) وهو يعتذر اليه مبينا سبب مغادرته لبغداد كما سنراه . وقد رأينا (الص ١٥) أن عبدالله باشا وكهيته طاهر أغا قد قتلا قتلهما راشد أخو حمود انتقاما لموت برغش ابن حمود هذا بتأثير الجروح التي أصابته في القتال . وبأزاء هذه الورقة الصورة الفتوغرافية لكتاب سعيد بك (لم تكن بيدي الصورة يوم نشري للنبذة في لغة العرب التي ألحق بها هذه الكلمة) وبأدناه نقله من لغته التركية الى لغتنا : أيها الصديق ! حضرة بالیوز بك .

ان ما يظهر صداقتنا بعد الأداء الدائم بالدعوات اليه تعالى باخلاص القلب والفؤاد ببقاء قدركم ورفعتكم وجعله اياكم مظهرا للتوفيق هو :

يرجى أن لا يخفى عليكم اننا نمضي أوقاتنا جميعها بذكر مزاياكم الحميدة لما بيننا من الحقوق القديمة والمودة الدائمة التي تربط بعضنا ببعض .

واذا ما سئل عن أحوالنا فاننا ـ لله الحمد والمنة ـ قدمنا سالمين الى حمود الثامر شيخ المنتفق يوم الاربعاء وهو اليوم الخامس من الشهر الحالي وأقمنا عنده وليس لدينا بعون الله ما يقلق بالنا الا فكر بعدنا عن جنابكم . وان شاء الله قريبا نتلاقى

ولنأت الى الكلام على صاحب الدولة عبدالله باشا • ان أماننا منتزع منه تماما فلا اعتماد لنا على كلامه كما ان أماننا منتزع بنوع خاص من كتخداه طاهر بك لذلك رمينا نفسنا مضطرين عند الشيخ حمود الثامر فلا يكون جناب سعادتكم مغبر الخاطر لان الامر خوف على النفس ولا يشبهه شيء آخر • وقد بودر بتسطير هذا كتاب المودة بأمل أن تتلقى صداقتكم الامر على هذا الوجه • وعند وصول كتابنا هذا اليكم وتشرفه بكم وعلمكم بما فيه يرجى منكم أن لا تبعدونا عن لوح الضمير المنير مؤملين أن تذكروا مع الصادرين والواردين الخبر السار عن عافيتكم وسلامتكم

٦ ش (شعبان) ١٢٢٧ (= ١٦ آب ١٨١٢) خالص الود

سعيد نجل المرحوم سليمان باشا

وان سألتم عن يميننا يوم كنا في بغداد قبل هذا فان يميننا وقسمنا ليس بصحيح لانى كنت مرغما على الاداء فلم يكن بحسن رضائى والتوقيع الذى فيه هو محمد سعيد ولم نكتب اليمين باسمنا • ان اسمنا هو سعيد مجردا وليس محمد سعيد • وما اسم محمد سعيد الا اسم دفتردار أفندى الدفتردار السابق وهو الذى قرر ونحن كتبنا • وفى شرعنا الاعمال مربوطة بالنيات لا باللسان • ويرجى من صداقتكم أن تعلموا الامر هكذا • انتهى

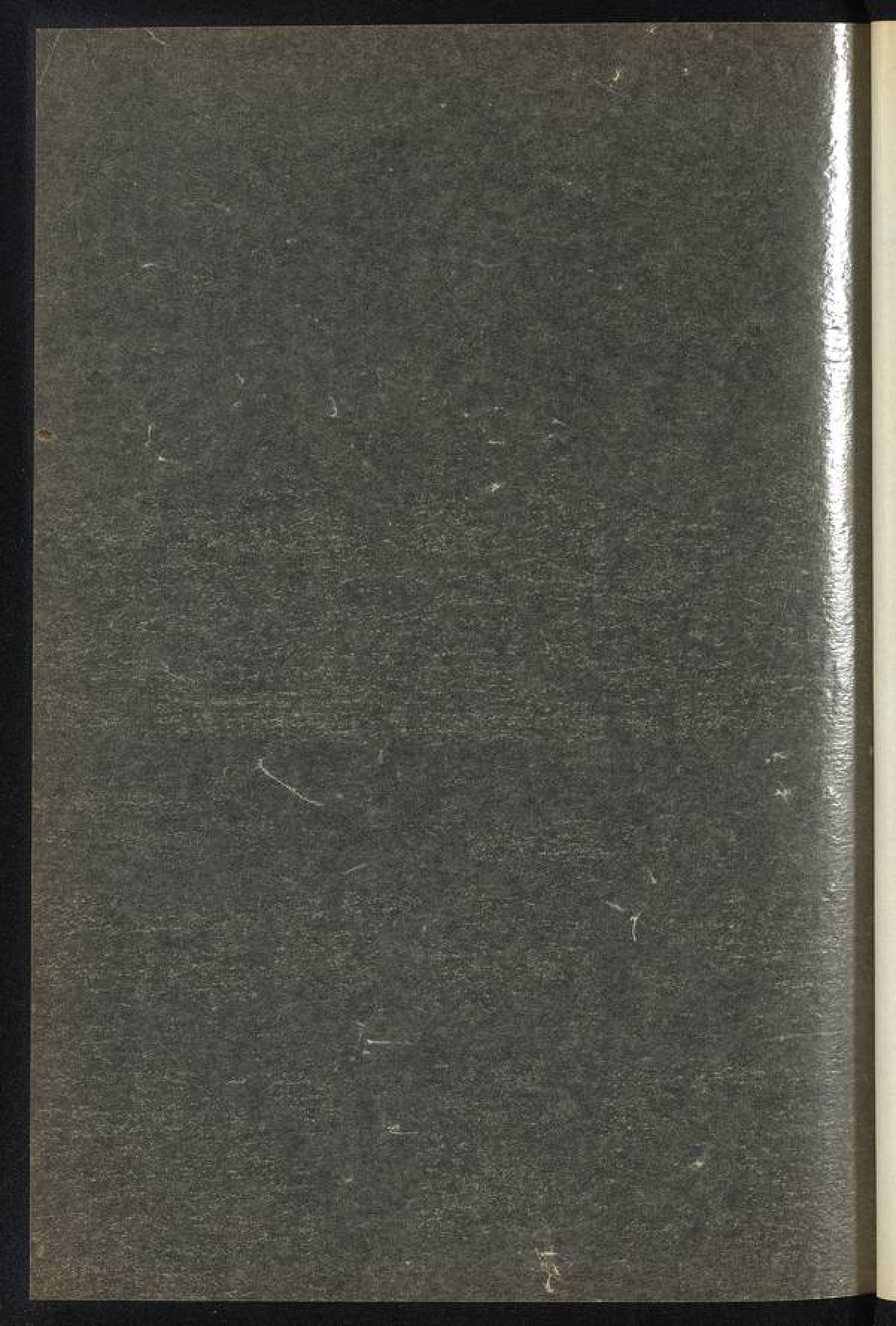
ويفهم من هذا الاعتذار ان القسم كان بوساطة المستر ريج أو أنه كان اطلع على خبره وان سعيد بك لم يعلمه بتصميمه على مبارحته بغداد •

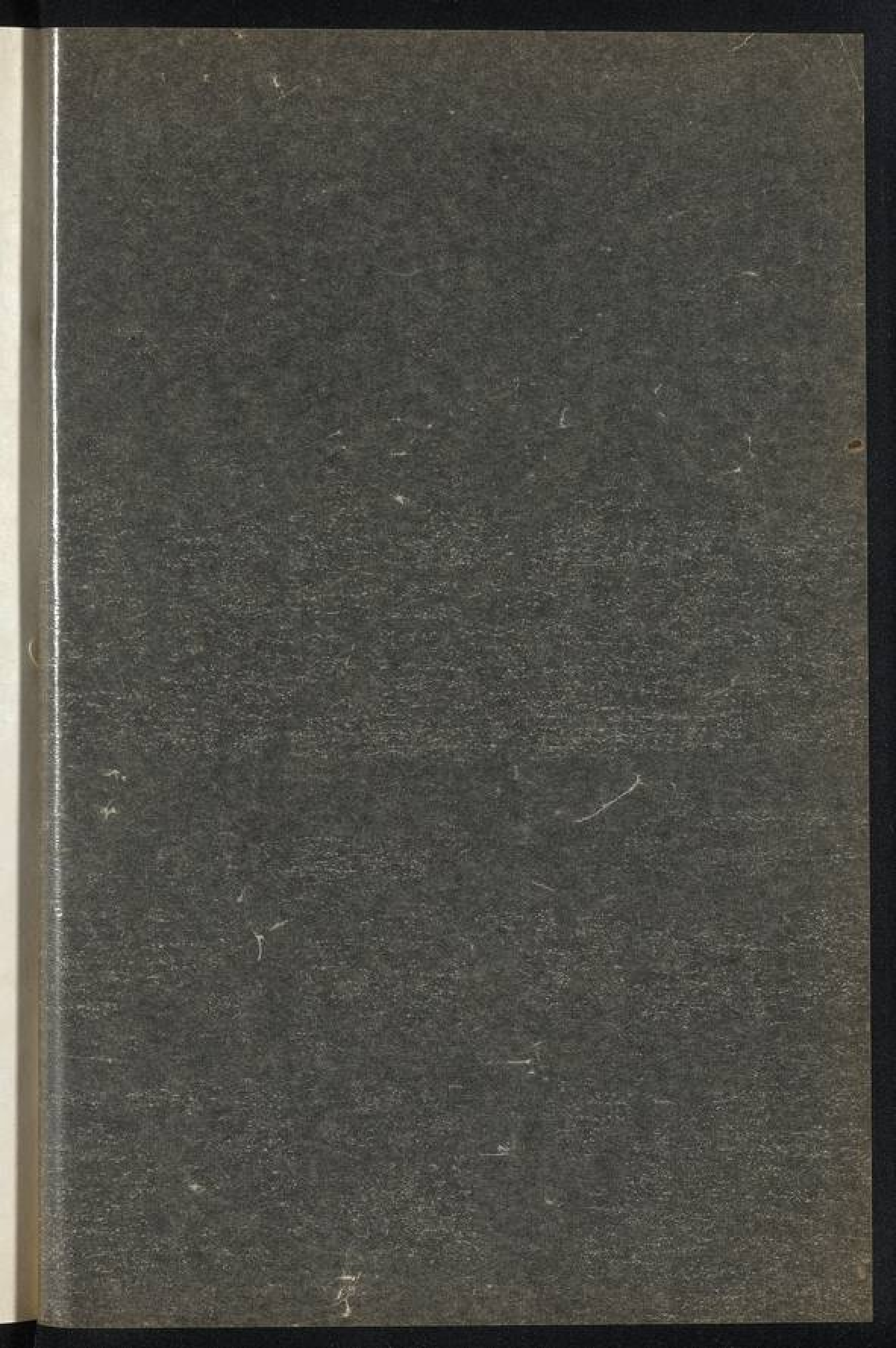
مطالعة

هذه التفاصيل لم يذكرها كتاب بغداد فى الايام الغابرة لمؤلفته كونستانس آلكسندر التى لها صلة قربى بالمستر ريج

(Baghdad in Bygone Days..By Constance M. Alexander London 1928)

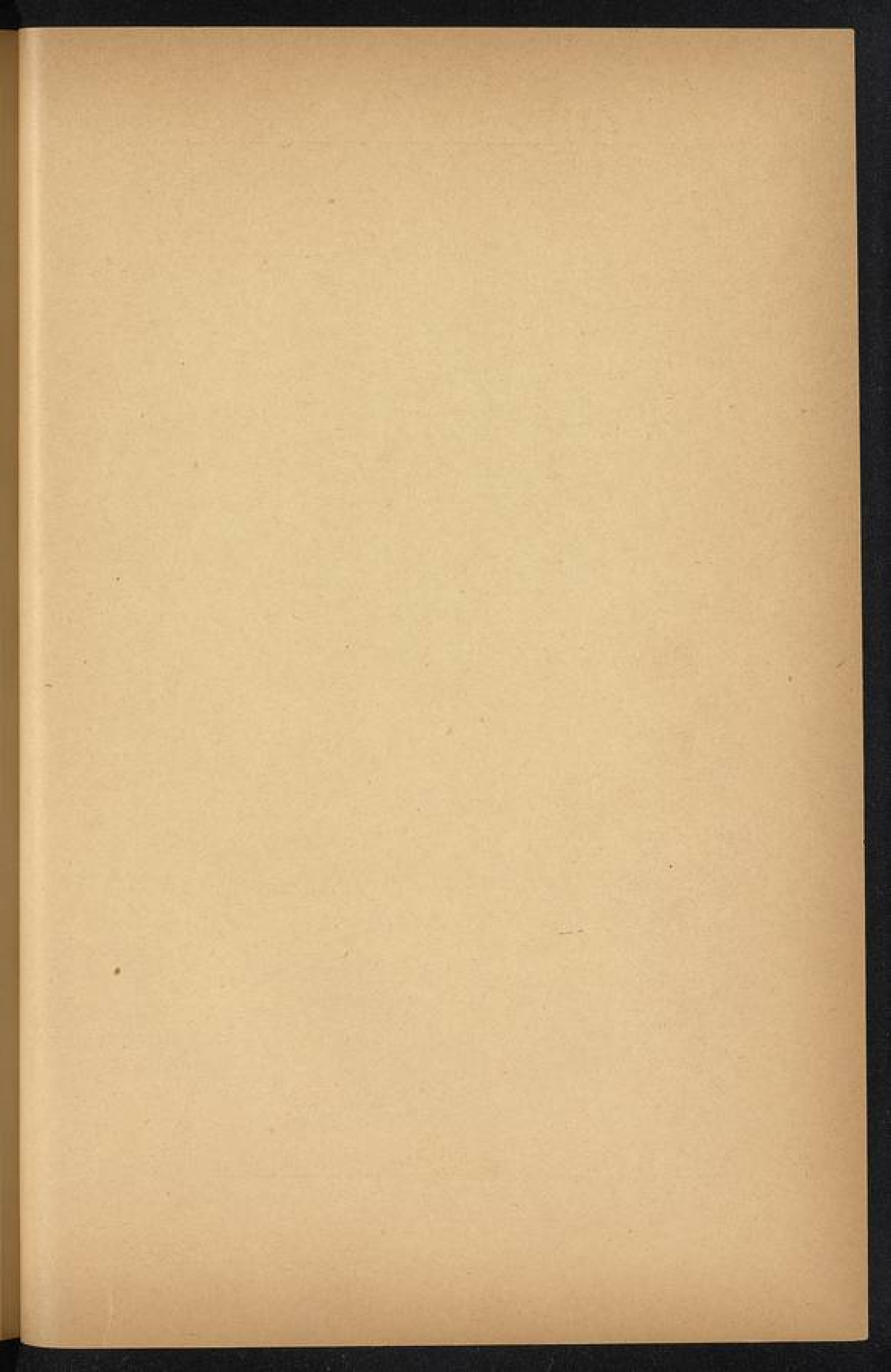
وبحوث الكتاب مستندة الى يوميات ريج ومخابراته • وراجع دوحة الوزراء بالتركية ومطالع السعود ومختصره ورسالة بالتركية فى حكومة الكولهمن بغداد لثابت استانبول ١٢٩٢ هـ • وثابت هو نعمان ثابت بك أخو نخامه حكمت سليمان • وكاتب الرسالة هو والده سليمان فائق بك انما نسبها الى ابنه • وهذه الكتب نادرة ولم تكن بيدى حين نشرى لتلك النبذة التى فى لغة العرب • وفى معارضة أخبار الكتاب المسطور بأعلاه والنبذة بأخبار الكتب المار ذكرها لا يخلو الامر من فائدة •





كتاب سعيد بك الى المستر ريج

أزاء الصفحة ٤٤ ب



لقط المفقود فى آثار آل عبود

نشرت لغة العرب فى عدديها الاخيرين من سنتها الثالثة نبذة تاريخية عن بغداد والبصرة والمنتفق كنت قد اقتطفتها من آثار آل عبود فحسبت درجها مما يشتاق اليه ويرغب فيه ونويت بمنه تعالى أن أدون فى هذه المجلة كل ما سنحت الفرصة ما أؤمل منه فائدة عامة فى ما انتخبه من آثار هذه الاسرة وعليه جئت اليوم بنبذة ثانية فيها لمعة عن العراق وحلب وهى بخط المقدسى يوسف بن ديمترى بن جرجس(١) الخورى عبود • واذ قلت فى أول العددين السابق ذكرهما شيئا من أحوال هذه الاسرة أتيت الآن ايضا بقسم من ترجمتهم لعل فيه نفعا تاريخيا اذ أكون قد عدت فوثقت القراء الكرام بصحة الوقائع وتدوينها باعتناء غريب بوقتها بلا ارتياب •

ان المقدسى يوسف صاحب النبذة بارح وطنه حلب الشهباء فى غرة شعبان سنة ١٢١٥ هـ الموافق ٦ كانون الاول سنة ١٨٠٠ م حسابا شرقيا وقصد بغداد للتجارة • وقد أقام فيها كما تؤكده لنا دفاتره التجارية والعبارتان المدروجتان فى أول النبذة ووسطها وقد التقى فى الزوراء ـ على ما قرأته فى دفاتره المذكورة ـ بابنه نعمة الله(٢) ورجع هذا الى البصرة فى ١٨ شوال سنة ١٢١٥ هـ الموافق ٥ آذار سنة ١٨٠١ ح• ش• وكان نعمة الله المذكور اتخذ البصرة مقرا لتجارته بعد خروجه من حلب فى ٢١ آب سنة ١٧٩٩ م ح• ش• الموافق ٣ ربيع الآخر سنة ١٢١٤ هـ على ما هو مسطور فى أحد دفاتره • وأما الشماس ميخائيل أخو نعمة الله فانه زايل حلب مسافرا على طريق الموصل والتحق بأبيه المقدسى يوسف فى بغداد فى ١٧ ربيع الاول سنة ١٢١٦ هـ الموافق ١٧ تموز سنة ١٨٠١ م ح• ش• كما تأكدت ذلك من دفاتر المقدسى يوسف المذكور • ويبين من تقويم لابنه الشماس ميخائيل الموما

(*) صدر جزءان فى تلك السنة ولما أعاد الاب اصدار المجلة لم يعتد بهذين الجزئين فلم يعتبر سنتهما سنة رابعة وغدا يرقم ما بدا باصداره فى سنة ١٩٢٦ بالسنة الرابعة كما سنرى •

اليه ان أباه بارح بغداد وهو معه فارين من وطأة الطاعون مساء ٨ آذار ١٨٠٣ م ح ش الموافق ٢٦ ذى القعدة ١٢١٧ هـ وسلكا طريق كركوك فدخلا الموصل يوم الجمعة العظيمة فى ٣ نيسان ١٨٠٣ م ح٠ ش الموافق ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢١٧ هـ ٠ وعادا منها راكبين الكلك(٣) صباح ٢٠ أيار ١٨٠٣ م٠ ح٠ ش الموافق ١٣ ربيع الاول سنة ١٢١٨ هـ وجاءا بغداد صباح ٢٥ أيار سنة ١٨٠٣ م٠ ح٠ ش الموافق ١٨ ربيع الاول ١٢١٨ هـ وأقاما فيها متعاطين التجارة ولم يخرجا منها حتى ٧ شباط ١٨٠٤ م٠ح٠ش الموافق ١٩ ذى القعدة سنة ١٢١٨ هـ للشخوص الى حلب فدخلاها فى ٢٩ شباط ١٨٠٤ م٠ ح٠ ش الموافق ٢ ذى الحجة ١٢١٨ هـ ٠

كان المقدسى يوسف حلبيا من طائفة الروم الملكيين متمسكا مع بنيه وآل عبود جميعهم بعرى الكثلكة صالحى السيرة شديدى التقى والورع ٠ وكانت وفاته بعد عودته من بر الاناضول على طريق أزمير فبيروت فحلب حيث توفاه الله فى ٢٣ شباط سنة ١٨٠٦ م ح٠ ش الموافق ١٨ ذى الحجة سنة ١٢٢٠ هـ٠ وقد حضر حفلة دفنته اثنا عشر كاهنا يرأسهم المطران جرمانوس(٤) كما وجدته مدونا فى دفتر ابنه نعمة الله ٠

وليس هذا الغصن وحده غصن يوسف وفروعه تقيا ومحبا للفضيلة والعلم بل قل عنه ما عرفت عن الدوحة كلها كما سيأتى ٠

قلت فى العدد الحادى عشر من السنة الماضية من هذه المجلة ان عضوا من هذه الاسرة كان فى مصر قبل نحو ٢٠ عاما فتتبعت التنقيب فوجدت اسمه الياس وكان قاطنا فى القاهرة ٠ وزدت فى التعقيب فقرأت رسائل تجارية وقعها شكر الله الياس عبود بعث بها من حلب بتاريخ سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) يفاوض بها أحد ذوى بيته فى بغداد ويخبره فى احداها انه ولد له ابنة بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٣ م) وان بكره الياس ـ ديمترى (على اسمى سلفيه) بقى بدون شقيق فجزمت ان الياس المذكور القاطن فى القاهرة هو ابن لهذا فمعرفتى للابن كانت سببا لوقوفى على أحوال والده شكر الله المرقوم (هو ابن أما لانطون وأما لفتح الله ابنى الياس بن ديمترى بن جرجس الخورى عبود)

السالك فى طريق أسلافه وذويه والمقتفى بهم ونراه قد جمع مخطوطات نادرة منها كتاب فى أعمال المجمع المسكونى الخامس والقسطنطينى الثانى المعقود عام ٥٥٣ م ومجلد يحتوى على كتابين فى أيام الخليقة وتفسيرها • قرأت ذلك فى احدى المجلات البيروتية الصادرة عام ١٠٩٤ م الص ٣٣٢ و٦٧٨ (والمجلة هى المشرق) فما عسى ان تكون بقية نفائسه ؟!

اعتنى هذا البيت بالخط ايضا فأتقنه جدا بل قد خط أصحابه در فى عقود وأخص من خطوطهم خط المقدسى يوسف بن ديمترى بن جرجس الخورى عبود وابنيه نعمة الله وميخائيل (نعمة الله توفى فى بغداد بعد أوائل عام ١٢٤٢ الموافق ١٨٢٦ م) وخط أنطون وفتح‌الله ابنى الياس بن ديمترى بن جرجس الخورى عبود وخط شكر الله الياس عبود المار الذكر • وقد أهدانى فى هذه السنة أحد الاقارب كتيبا طوله تسعة سنتيمترات ونصف فى عرض ستة سنتيمترات مشتملا على المزامير والتسابيح العشرة وغيره عليه أعداد الصحائف بقلم الرصاص ويظهر لى ان الرقم ليس بخط الناسخ وعدد الصحائف مائتان وثلاث واربعون وفى آخر الكتاب ما يلى بغلطه :

« وقد تم هذا الزبور وهو برسم أحقر عبيد الله أنطون ولد الياس خورى عبود وقد أوهبه الى ميخائيل يوسف خورى عبود • الله يجعله مبارك ••• وكان مبتداه من ٩ محرم افتتاح ١٢٢٦ ﻫ (١٨١١ م) نهار السبت صباحا وكان خلوصه نهار الجمعة قبل الظهر فى ٧ ربيع الاول سنة ١٢٢٦ (١٨١١ م) • وكنا كل‌يوم نكتب فيه من بكرى الى الظهر فقط ومن الظهر الى‌المساء فى‌المدينة (حلب) • وعدد كراريزه ستة عشر كراز » اﻫ والكتيب أنيق الخط بديع الرسم دقيق الحروف على شاكلة الكتابة الحلبية •

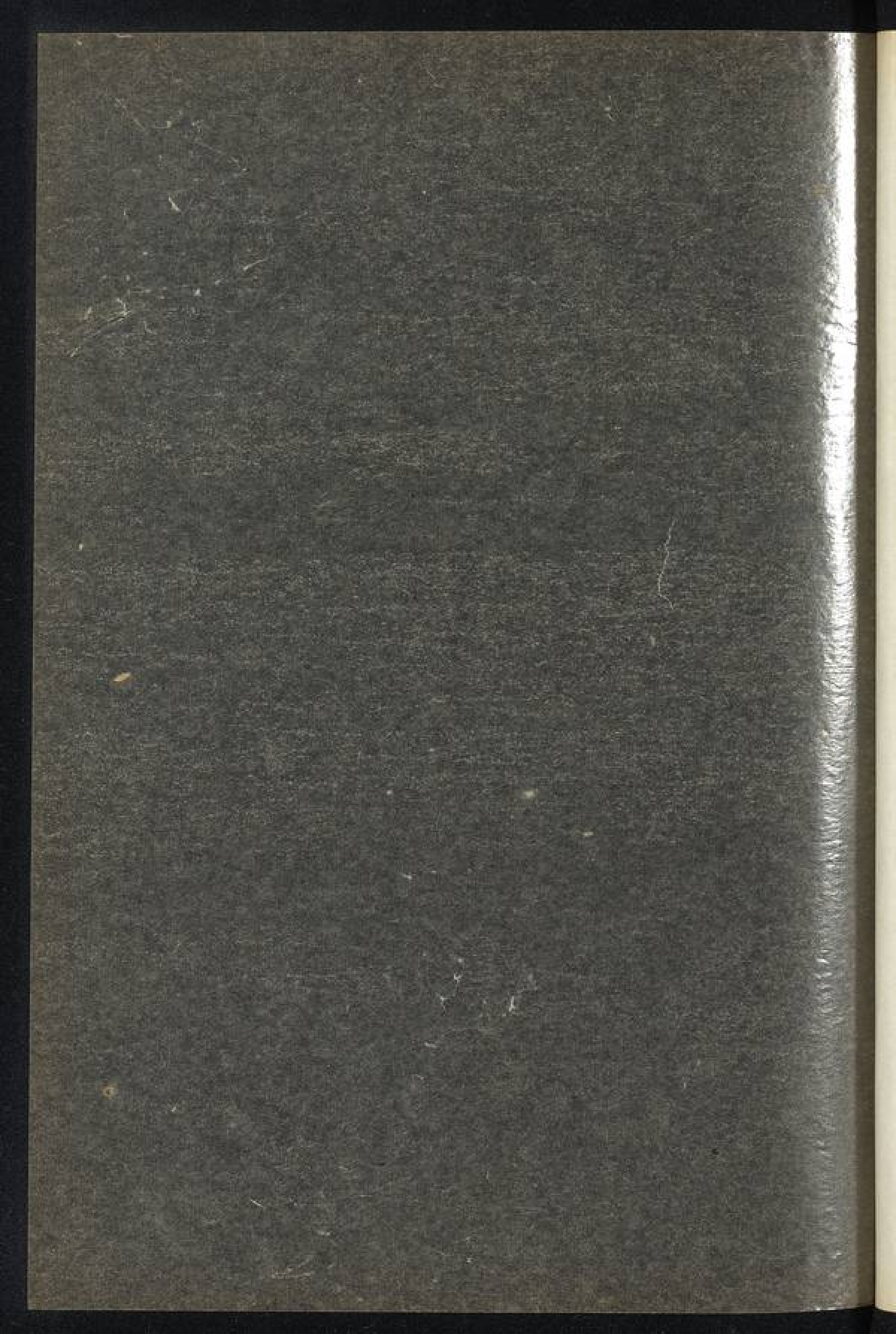
ولم تكتف هذه الاسرة بتهذيب البنين فقط اعتنت بتهذيب الإناث ايضا على ما وجدت ذكرا لذلك فى القيود • وقد رأيت رسالة ودادية بل نصيحة مكتوبة فى مستهل العشر الثانى من القرن الماضى بعثت بها مريم ابنة جرجس الى ابنها الشماس ميخائيل المار الذكر فى البصرة وقد نمقتها شقيقته لوسيا كما يفهم من مضمونها• والحق يقال انها حسنة العبارة فصيحتها وخطها جيد يخيل

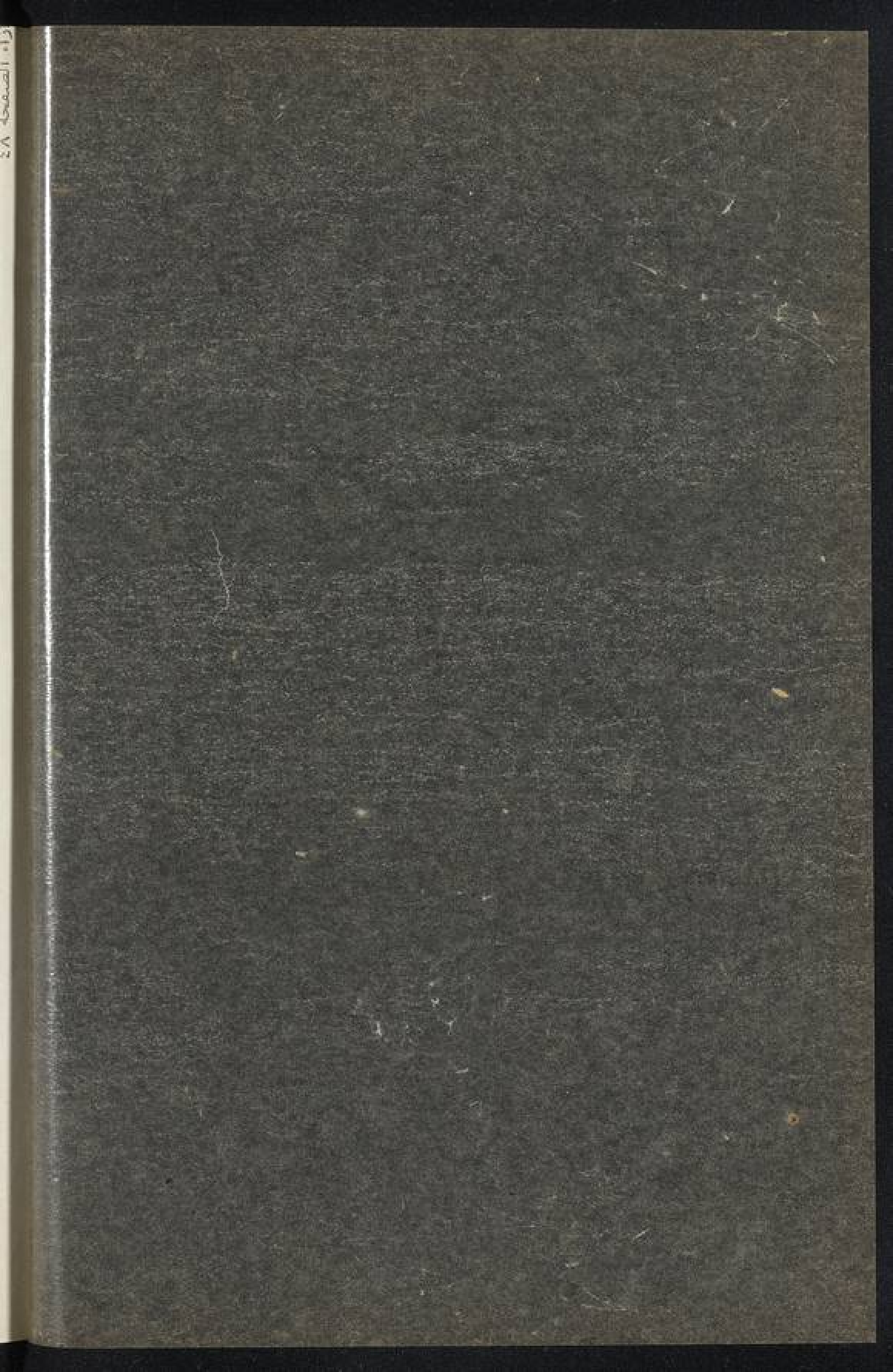
لك انه خط رجل • وقصارى القول أن تعلق هـذا البيت بالفضـل والادب غريزى ورثه أصحابه كابرا عن كابر كما شهدناه •

وفى الختام أفيد القارىء اللبيب انى رأيت هذه الكلمات وهى « تقيدت بالتاريخ » « قيدت » « كتبت » انكتبت » ومـا شـاكل ذلك على بعض أوراق الأدب والتاريخ الموجودة بين أوراق هذه الاسرة المحققة المدققة • وهذا أمر يدلنا ان لهم يومئذ مجموعات يودعونها ما يكتبونه (وكان أحـدهم المقدسى ينظم الشعر ولكنه ضعيف بل مغلوط) وما يقتونه من الخـير • فياليت الحظ يسعدنى بأن أعثر على هذه النفائس أو على نسخة منها • وهاك الآن النبـذة التاريخية التى أشرت اليها فى صدر هـذا المقال أوردها بنصهـا وحروفهـا والعنوان وحده لى •

نبذة من تاريخ العراق وحلب فى غرة القرن التاسع عشر للميلاد

بعون الله تعالى نكتب بعض أشياء رأيناها فى بغداد فى تاريخ شهر ذى القعدة سنة ١٢١٥ الموافق شهر نيسان ١٨٠١ جا الجى(٥) الانكليز من العجم وهو رجل من أشراف الانكليز بالهند • وكبنانية(٦) الانكليز أرسلوه الى عند بابا خان ليعمل صداقة بينه وبينهم وترتيب أمور تخص الكونبانية(٧) وملاحظة امور مملكتهم فقبل ان يصل الى بغداد ارسل له واليها خرجية(٨) وافرة ثم هيأ له سراية(٩) جميلة مبنية جديدا باسم ابنه أسعد بيك وجملها بمفارش لائقة ويوم مجيئه أرسل أمامه قيممقام كهيـه بك ومقـدار مـايتين نفر من خاص الايجاغاسية(١٠) فوصل الى قرب بغداد بعد ساعتين ونصب خيامه هناك وأقام ثلاثة أيام حتى أرجع العسكر الذى كان مرسول معه من شاه العجم ليوصلوه الى بغداد مع الجى مخصوص من طرف الشاه • وفى اليوم الثالث طلع مرة ثانية قيممقام وأتباعه وأدخلوه باكرام وأمامه ووراءه أتباعه الانكليز هنود سود وكلهم فتيان لم يبلغوا من العمر عشرين سـنة لباسـهم أحمر كالبحرية وفى رؤوسهم خوذ من الفولاد المجلوخ(١١) وبها ريش طوال جميعهم مشاة قدامه ووزيره وراءه ودخل من باب المعظم(١٢) بساعة ممطرة الى السراية المذكورة• وفى اليوم الثانى جاء لعنده أسعد بيك وقيممقام فوهب الى البيك قطع جواهر تساوى عشرون الف غرش(١٣) والى دائرة الوزير المعتبرين هدايا وافرة •





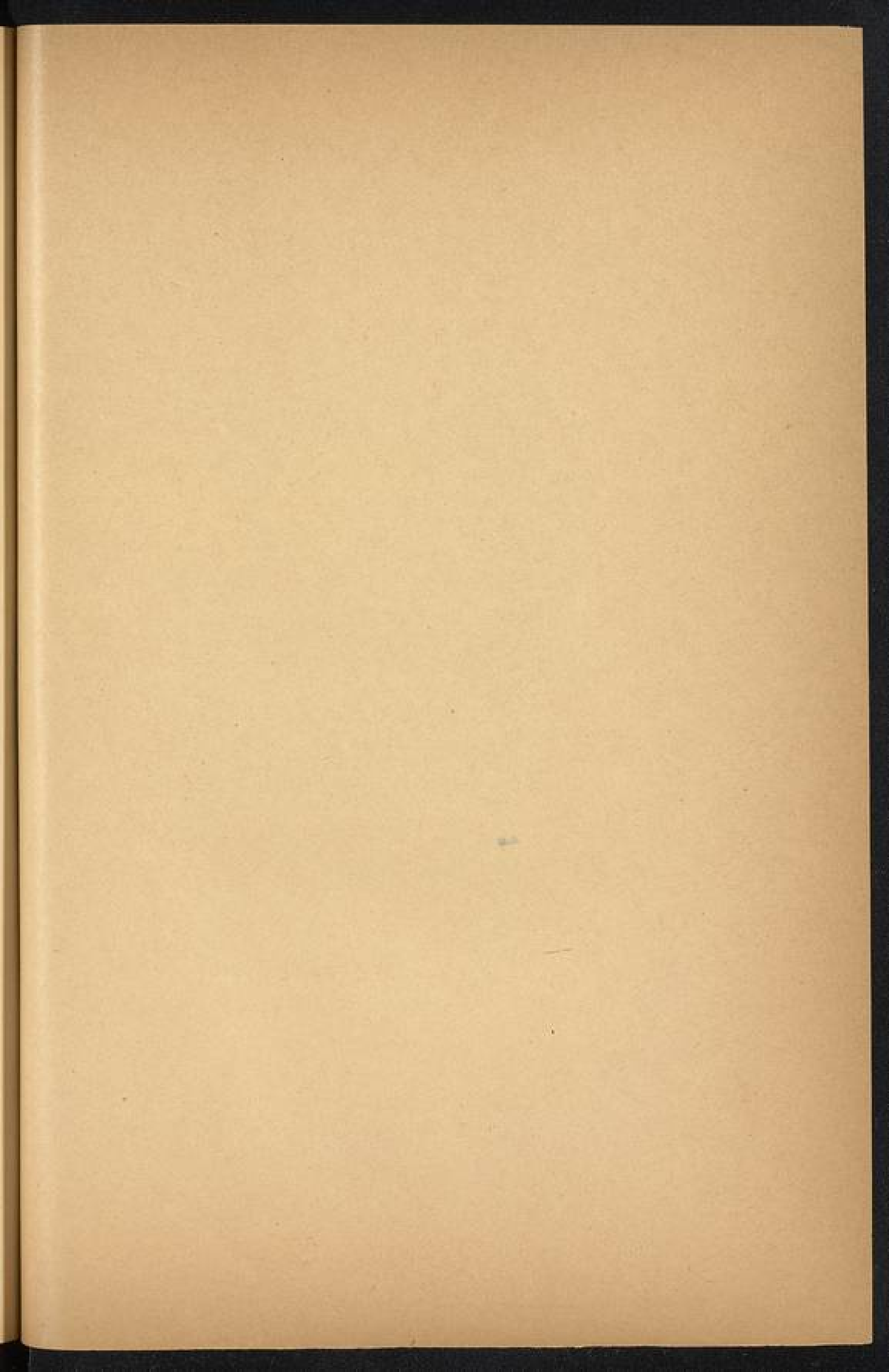
بعض نقد توضح لبعض اشياء رايناها في بغداد

في تاريخ ١٨ ذي القعدة سنة ١٢٢١ الموافق [illegible] جا الى الانكليز من العجم وهو رجل من رؤسا الانكليز بالهند وكبانية الانكليز
ارسلوه الى حضرة باشا خان ليعمل صداقة بينه وبينهم ويرتب امور تخص الكومبانية وملاحظة امور مملكتهم فقبل ان يصل
الى بغداد ارسل له والي باشا جنيبة وفرس ثم هيأ له سراية جميلة مبنية جديداً باسم ابنه اسعد بيك وجعلها بغاية الزينة
ويوم مجيئه ارسل امامه قيم مقام كهيه بيك ومقدار مايتين نفر من خاص الايجاقاسية فوصل الى قرب بغداد بعيدا عنها
ونصب خيامه هناك واقام ثلاثة ايام حتى جمع العسكر الذي كان مرسول معه من شاه العجم ليوصلوه الى بغداد مع
الجوخ مخصوص من الشاه وفي اليوم الثالث طلع مرة ثانية قيم مقام ملاقاته ودخلوا باكرام واعتماد ووراه اتباعه
انكليز هنود سود وكلهم مشاة ثم بلغ عدة العسكر ستين لباسهم احمر كالعوبة وفي روسهم خوذ من الفولاذ المجلوخ وبها
ريش خضراء جميعهم مشاة قدامه ووزيره وراه ودخلوا من باب المعظم بساعة مرصودة الى السراية المذكوره وفي
اليوم الثاني جا العسكر لسعد بيك وقيم مقام فوهب الى البيك نصف جواهر شا وعشرون من القماش والجواهر
الوزير المعتبرين هدية وافرة ثم ثالث يوم طلب مواجهة حضرة الوزير فارسل له العسكر والايجاقاسية تقف صفين
من باب سرايته الى سراية الوزير فبعد ركوبه من باب سرايته امر خزندارته ان يرمي الدراهم على الخلق فكان يرمي بالكيس
تساوي بقدر ما تسع يده على روس الناس والعسكر بقدر الاستطاعة يرد لهم حتى تخطى كام خطوة الى ان
وصل الى السراية وكعادة مواجهة الوزرا لارباب المراتب خرج الوزير من قبله الديوان وتلقاه باكرام متساوي
وكذلك عاد الى السراية والعسكر معه ووهب لرؤوس العسكر ولما هدية الوزير له ثلاثة حصن بحملة وهي
ارسل له التباع فاخر من اعماد [illegible] وبعض اشيا جوهر وقلقا في بغداد عشرة ايام ونصح [illegible]
شبا دكان بيانه بل انه هذه العشرة ايام في بغداد اصرف فيها امايه وحسن الخرج وفي [illegible]
بلغ مصروفه الى ثلاثة الآف كيس وفي شهر [illegible] توجه في مركب الذي كان قدام السراية مخصوص في انتظاره

نبذة من تاريخ العراق وحلب

بخط مدونها يوسف بن ديمتري ... الخوري عبود

إزاء الصفحة ٤٨



ثم ثالث يوم طلب مواجهة حضرة الوزير فأرسل له العسكر والايجاغاسية تقف صفين من باب سرايته الى سراية الوزير • فبعد ركوبه من باب سرايتـه أمر خزنداره أن يرمى المعاملة(١٤) على الخلق فكان يرمى ريال نمساوى بقد ما تسع يده على رؤوس الناس والعسكر بقدر الاستطاعة ليردهم حتى يخطو كم خطوة الى أن وصل الى السراية • وكعادة مواجهة الوزراء لارباب الرتب خرج الوزير من قبة الديوانخانه(١٥) وتلاقيا باكرام متساو وكذلك عاد الى السراية والعسكر معه ووهب لرؤوس العسكر •

وأما هدية الوزير له فثلاثة حصن محملة وهو أرسل له أشياء فاخرة من أعمال العجم وبعض أشياء جوهرلية(١٦) • وقد أقام فى بغداد عشرة أيام وتوجه الى البصرة فى شبار(١٧) كان مهيأ له • وقيل انه فى هذه العشرة أيام فى بغداد صرف مقدار ماية وخمسين الف غرش • وفى غيبته هذه بلغ مصروفه الى ثلاثة آلاف كيس وفى وصوله الى البصرة توجه فى مركب الذى كانوا مرسلينه له مخصوص فى انتظاره •

* * *

وفى شهر محرم الحرام سنة ١٢١٦ (أيار ١٨٠١ م) أمر حضرة الوزير بحفر بقية خندق بغداد اذ كان قبلا مقدار الثلث محفور والثلثين بغير خندق وراء الاسوار(١٧ أ) وان آل المحلات تم ذلك حيث انه حصن للبلد والامر : اما أن يعطوا أموال لحفره أم هم يتساعدوا بذلك فتشاوروا على انه اذا أعطينا أموال فتصير كبرى(١٨) فالاحسن من ذلك انه نحن نطلع جميعنا فطلع الكبير والصغير والحمال والاجير سوية وحفروه وقبل تـمام العشـرة أيام تم حفر الخندق المذكور مع بناء حافاته التحتانية لانه حصل غيرة بينهم عظيمة • واما النصارى أخذوا منهم خمسة آلاف غرش(١٩) لهذا العمل فاحتاروا فى لمها(٢٠) وحصل بينهم قال وقيل من جراها •

* * *

وفى هذا الربيع بهذه السنة حصل فى بغداد أمطار عظيمـة على حسب تقرير أهلها انهم لم يروا قط مثل هذا لانه استقام طول شـهر نيسـان الى ٥ أيار •

وفي هذه السنة المذكورة عبدالعزيز الوهابي أرسل غزواته الى بر الشامية وضربوا بعض العرب وصادفهم من عربان الجزيرة من ضربوهم وزادت الفتنة مع الوهابيين وانقطع طريق الشامية كلياه وحضرة والى بغداد أرسل عبدالعزيز بك اليه ليعمل صلح بينهم فاخذ الجمعات(٢١) وسار بهم وكان يومئذ الوهابي مهتم بالذهاب الى الحاج فمضيا جملة • وفي غيابهما شيخ المنتفك(٢٢) ضرب قوما من الوهابيين واكتسب منهم من المواشي كمية وافرة • واحدى جمعات الوهابي في ديرة الشامية(٢٣) صادفت شرذمة وكيل(٢٤) قادما من الشام قرب عانه(٢٥) فضربوها واخذوا الاموال والجمال وقتلوا من آل عانه جملة أنفار وذلك في محرم سنة ١٢١٦ (١٨٠١ م) وفي ربيع الاول توجهت فرقة من النجادة(٢٦) الذين معهم قهوة مقدار ثلثمائة حمل وبعض حمول من مال بغداد الى حلب وخاطروا بانفسهم ومالهم رغبة في بيع القهوة التي كانت عليهم بأسعار غالية • وفي وصولهم الى حلب ظهر أمر سلطاني في نزول قيمة المعاملة الغرش ثلاثة أرباع من الذهب فالتزموا النجادة المذكورين باعوا بالخسارة • وأما تجار بغداد جميع الاموال التي اشتروها من تاريخ شوال سنة ١٢١٥ (١٨٠٠) بقيت في بغداد الى عشرة شوال ١٢١٦ (١٨٠٢) حتى صار كروان كبير لان المال البنكالي والسورتي في هذه السنة ما حضر الى البصرة الا بعد شهر ايلول فمشي الكروان على الشامية بقوة لان فيه مال حلب ومال الشام مقدار خمسة آلاف حمل وسكمان(٢٧) وافرة

وأما حجاج الاعجام الذين سبقوا الكروان المذكور كان مشالهم(٢٨) عند عرب عنزة وبعد وصولهم القريتين(٢٩) قرب الشام خانوا عليهم بعض عربان وساقوا أموالهم جميعها وكانت وافرة مقدار أربعمائة راكب وحمولهم ومتاعهم ودخلوا الشام عراة وقيل ان العرب اشتركوا مع الوهابيين في هذه الغنيمة •

ثم انه في رمضان قبل توجه الكروان المذكور الموافق في شباط حصل أمراض وحميات وبائية وموت غفلة في الجانب الآخر(٣٠) من بغداد ما يلي الباب المسمى الشيخ معروف(٣١) وباب الكاظم(٣٢) وحصل الوهم(٣٣) في آل بغداد لانه طاعون وكان يموت من الجانب المذكور كل يوم مقدار من ٢٠

الى ٢٥ الى ٣٠ فمنهم كثرة وافرة(٣٤) طفروا الى البرية ومـــا بقى من ذلك الجانب الا ما قل وكان يزيد وينقص وفى كل ذلك لم يصر شيء عند النصارى ولا اليهود .

* * *

ويوم ثالث العيد فى شهر ذى الحجـة (١٢١٦) ظهر خبر ان حضرة واليها سليمان باشا مراده التوجه ثانى يوم فخافت الناس جدا وكان هذا الخبر مسموعا والتجار المعتبرين من الاسلام خرجوا من بغداد بعضهم باذن (منه و) بعضهم بغير اذن الى ديرة العرب والوزير المشار اليه نهار السبت خامس العيد خرج هو ودائرته مع الحرم والمماليك وخزينته جميعها ووقع الخوف فى قلوب الناس من أنواع شتى . ومن هذه الاسباب تعطلت الاسبـاب(٣٥) وحصـل وقوف حال عظيم واختلال بين الرعية . والوزير بعده بعيد عن بغداد مقـدار ساعتين (فقط)

وفى ١٨ ذى الحجة ورد من الوهابى عسكر جرار بكثرة وافرة الذى لم يتحقق عددهم الى مقام الحسين(٣٦) الذى يبعد عن المشهد(٣٧) مسير يوم ... ووقت فتوح الباب دخل العسكر غفلة . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

وحضر الخبر الى والى بغداد وهو بعيد عنها مسير يومين فارسل كهية باشا ومعه بعض العسكر فمضى ومشى قرب الحلة مدة أيام وابتدأوا فى المهمـات للسفر على الوهابى المذكور .

وفى ٢٠ محرم (١٢١٧ = ١٨٠٢) أرسل حضرة الوزير المشار اليه أمناء من طرفه الى المشهد وأحضر الخزينة التى فيها ثمانية وعشرين حمل بغالى(٣٨) من ذهب وفضة وقناديل وتجملات ووضعها فى خزينة بلد الكاظم لانه حضر له خبر ان الوهابى قاصد نهب المشهد ايضا وبقى الامر بالخوف من المذكور .

* * *

ومما رأينا عجبا فى التاريخ المذكور احدى الجوارى الصغار حاملة على

يدها طفل وماشية على الجسر فتزاحمت من الخلق فوقعت بالشط وهي حاملة الطفل ولم تفكه من يديها وهي تخبط بالماء الى أن قطعت مسافة بعيدة مدى ميل فأدركوها أصحاب القفف(٣٩) وأخرجوها وهي ضابطة الطفل في يديها ولم يصيبهما ضرر وسلموها الى أهلها .

* * *

وفي ٦ صفر الموافق ٢٤ أيار (ش ١٨٠٢) دخل الوزير الى البلد لانه كان الطاعون انقطع وقد صار الطاعون في ذات البلد ايضا . وحد(٤٠) ما كان يطلع لم يبلغ الى عدد ٥٠ أو ٦٠ كقولهم . والفقير ما قدرت اختبيء أبدا بل بالاقتصار قضيت هذه الايام كلها ولم أقدر على السفر لاجل الاشتباكات والمطلوب لي وعلي .

* * *

وفي هذه السنة المذكور أي سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كانت الناس أكثرها متعبية(٤١) من القهوة من الموسم السابق في ١٨ في ١٦ وأملهم ان تمشي الكراوين الى الشام وحلب . فلما طلع الموسم الثاني من اليمن على المسكت(٤٢) ظهر انه مبالغ وافرة فابتدأت تنزل أثمانها رويدا رويدا الى أن وصلت الى سعر ١١ واستقرت مدة بهذا السعر وابتدأت تتوارد الى البصرة مبالغ وكل كم يوم يحضر داوات(٤٣) وبهم مبالغ فعلى موجب تقرير آل بغداد ان موسم القهوة الذي يحضر الى البصرة دائما من السبعة الى ثمانية آلاف فردة . وأما بهذه السنة حيث ان مصر كان لها ثلاثة سنين في ضبط الفرنساوية لم يتوجه اليها قهوة من اليمن فجميع القهوة التي تجمعت في بلاد اليمن جاءت الى البصرة وكل من جلبها حصل خسران حيث أن أصل الخريد(٤٤) غالي لان جلابها في الموسمين السابقين كان مشتراهم باربعين ريال وصادفهم الحرب وباعوا بالبصرة المن في ٣٠ عين وصار القرش قرشين . وفي هذه السنة مشتراهم في ٤٥ باعوا بعضهم في ١٢ وفي ١١ وفي ١٠ فمن كثرتها تفرقت في كل البلاد وأينما توجهت خسرت مع ناقليها . وجملة أناس الذين خربت بيوتهم كان سببها القهوة وكذلك جميع البضائع التي أرسلت من بغداد الى حلب ما حصلت رأس المال لسبب الكساد الذي صار وسببه نزول أثمان المعاملة في كل مكان

بالامر السلطانى وكذلك الغزل الشاكرى بعد ان بلغت قيمته فى اسلامبول الاوقة فى ٣٥ فظهر غزل من الفلمنك أرفع وأنظف من الشاكرى وبيع بأقل سعرا منه فالغزولات(٤٥) التى مشتراها من بغداد فى ٢٥ ما مسكت سعر ١٤ بعد المصارف .

* * *

وفى هذه الايام جاز الوهابى بقومه وأخذ البحرين وجاء أمام مسكت ـ الذى البحرين كانت فى حكمه ـ وحاربه من البحر فلم يقدر لان عرب العتوب(٤٦) الذين لا تعد لكثرتهم جميعهم تبعوا راى الوهابى طمعا فى عدالة حكمه لمن هم تحت طاعته لانه لا يأخذ كومرك(٤٧) فى جميع بلاده ولا منه تعد على رعاياه فقط يأخذ العشور ويصرفها على المهمات التى تلزم ولاجل الغرباء واطعامهم لان الغريب المار على بلاده ياكل من طعامه وكذلك الفقراء . وأما مذهبه ......

وأما البر الذى تحت حكمه التى هى بلاد نجد فهى أراضى واسعة الحدود جدا وصار تحت أمره عربان لا تحصى كميتها وأما حكمه ففى كافة بلاده لم يوجد من يحلف يمين بالله ولا بغيره ولا اليمينات المائلفة عليها الناس مطلقا ولا يوجد بينهم خصام لزيادة اطاعتهم له ولمتقدميهم واجراء ما يأمرونهم به ومتمسكين ... ولذلك هم فى راحة . وأما هو أى عبدالعزيز الذى هو سيد هذه العشيرة فكأنه واحد منهم وليس له تمييز بكبر وبلباس فاخر أو محجب كحكام العصمانلى أو يبتغى ألقاب مثل اغا او افندى او شىء من ذلك بل اذا دخل عليه صعلوك من العرب وأراد يعرض عليه أمره فكلامه له يا عبدالعزيز أمرى كذا وكذا ومثل ذلك الرعية لمثلها لا يوجد بينهم كبير سوى بالنسب فيسمع كلامه على هذه الصفة . وهذه الاستقامة فى الحكم أوجبت ان لا يكون فى تلك الاصقاع بينهم لا متعد ولا حرامى ولا خوف طريق ومواشيهم سارحة على الدوام من غير خوف لان فى تلك الديار كلها ليس لهم عدو قريب اليهم ولذلك امينين من طروق الاعداء لان طرق بلادهم من كافة جهاتها عديمة الماء فلا يصل اليهم العدو وأما هم لسبب مرباهم فى تلك البلاد كل منهم اذا أمر بالغزو فياخذ جودا من الماء وجزءا من طحين فى جراب وجزءا من التمر ولبسه

القميص والسير(٤٨) فقط وركوبه الذلول(٤٩) الصابرة على العطش نظيره ولاجل ذلك متى أمر قومه بالغزو على مكان لا يخسر عليهم شيئا سوى الامر فقط وبهذه القوة تبعته العربان من قرب مكة الى حدود البحر ومن نجد الى حدود الشام ويخشى على البصرة وأرض العراق من تقدمه بهذه الصفات والله أعلم ٠

(هنا انتهت الصحيفة وفى آخرها مكتوب ما يلى : « تقيدت بالتاريخ » وفى ظهر الصحيفة ما يأتى :)

* * *

ثم انه حضرة والى بغداد (سليمان باشا) المشار اليه حصل له قهر (٥٠) عظيم من مادة(٥١) ورود الوهابى ونهيبة بلد الحسين ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ وبما انه قد شاخ وضعفت قواه وحصل عاجز عما كان يريد يفعله فى قتال الوهابى فأدركه المرض الطبيعى واستقام مقدار اثنى عشر يوم وتوفى نهار السبت فى ٨ ربيع الثانى سنة ١٢١٧ (١٨٠٢) أما المخلوقات(٥٢) عموما فى دائرة حكمه من تخم العجم الى البصرة الى بغداد الى قرب الموصل بلسان واحد يقولون انه متى قضى على الوزير المذكور عتيدة ان تخرب بغداد والبر معا من الفترات واخذ الثارات فافكار الناس (هذه) كلها باطلة لانه جل شأنه يقيم فى كل حين اناسا تدبر خليقته ٠

ويومئذ فى بغداد احمد اغا ينكجر اغاسى رجل مدبر حاكم ذو غيرة محبوبا من والى بغداد اذ كان دائما يوصيه فى ضبط البلد ٠ وقبل وفاته أحضر صهراءه الواحد كهية على باشا والثانى سليم بيك والثالث قبوجلر كهيسى والرابع داود اغا الخزينة دار(٥٣) وأوصاهم بهذه الالفاظ : اذا كنتم قلب واحد وبينكم محبة لا يتسلط الغريب وتحوزوا الدولة التى اقتنيتها والا متى تفخذتم(٥٤) عن بعضكم فتأتى الغرباء من الوزراء وتبدل الدولة(٥٥) والعائلة ثم أوصاهم فى أولاده الذى أكبرهم أسعد بيك وعمره يومئذ ١٢ سنة ففى حال توفيه اجتمعوا وتعاهدوا وتحالفوا بالقسم انهم يكونوا راى واحد وحضرة محمد بيك شاوى زاده معهم فتعهد باصلاح البر والعربان واحمد اغا المشار اليه تعهد بالبلد وآل الاوجاق(٥٦) وطالعوا المشار اليه دفنوه بكل كرامة وفى نهار الثانى نودى

بالبلد باسم على باشا بالامان وكل من الناس يلزم حده فى صناعته ولكن الينكجارية فى ساعة وفاته توجهوا الى القلعة وضبطوها من يد الحكم لانها منذ حكومة المشار اليه هى فى يده والينكجارية ما لهم اعتبار وسابقا كانت فى يدهم فالآن وجدوا الفرصة فى تسليمها وابتدأوا يوما بعد يوم يتظاهرون ويكثرون. والجيل الذى لم يعرف الفترات الاولى من الجهال(٥٧) يريد الافتتان ويدوروا وهم تحت السلاح وابتدأ السكر الذى فى كافة أيام الوزير المشار اليه لم ير سكران فى بغداد ومن له عداوة أظهرها ولا عادوا يعتبروا الحكم واحمد اغا المذكور ليلا نهارا دائرا فى البلد أحيانا متنكرا أحيانا ظاهرا لتمهيد(٥٨) الفتنة .

ثم ساعة وفاته (وفاة سليمان باشا) أرسلوا جفته(٥٩) تاتار الى الدولة ليخبروها بوفاته وبعد اربعة أيام عملوا عرض للدولة من الاعيان والملا والاغا المذكور فحواه انه مرادهم الحكومة الى كهية على باشا وان ينعم عليه بالطوغ الثالث وأرسل معه هدايا وتحريرات الى الدولة .

واستقامت البلد بنوع ما مستقرة بواسطة ينكجر اغاسى المذكور غير ان الينكجرية بعد وفاة الوزير بثلاثة أيام تسلموا القلعة كما تقدم وفى ١٥ جمادى الاولى (١٢١٧ = ١٨٠٢) نهار الاحد وقعت الفتنة بينه وبين محمد بك شاوى زاده وكانوا فى الطريق هو واحمد اغا فى ذلك الجانب وكل منهم ظن فى رفيقه سوءا وانفصلوا عن بعضهم ونهار الاثنين اصطلحوا ظاهرا وارسلوا منادى وآخر النهار عادت الفتنة وجميع الينكجارية بالسلاح .

وثانى يوم كذلك الى نهار الخميس فى ١٩ جمادى (١٢١٧) الموافق ٤ ايلول (١٨٠٢) ظهر انهم لم يريدوا على كهية المذكور لانه ظهر منه حركات لاجل أخذ القلعة وليس الامر كذلك ولكن فى هذا اليوم قيل عن الاغا المذكور حنق على كهية باشا (كهية على) فطلع من عنده وهيج البلد كلها فتبعه ينكجارية الميدان(٦٠) والشورجة(٦١) والاسافل الذين فى بغداد أرباب النهيبة المنتظرينها كل الايام الماضية وأما محلة (باب) الشيخ(٦٢) ومحلات الباب الوسطانية(٦٣) فلم يتبعوه فمضوا الوف الوف الى أطراف السراية وعملوا متاريس فى كل الأطراف وابتدأ الضرب بين الفريقين من العصر الى الصباح بالتفنك والطوب

من القلعـة على السراية وآل السراية الكروج(٦٤) تضرب من المتاريس التى بالســـراية •

ونهار الجمعة طالعوا دلال(٦٥) انه سليم بيك قيمقام وأجلسوه بالسراية ونادى المنادى باسمه وأما الاسواق أكثر أرباب الدكاكين نقلت أموالها الى الخانات حذرا من النهب وفى هذه الثلاث الليالى حصل تعد من الينكجرية على النصارى واليهود بالليل فى طلب دراهم والبعض أخذوا منهم •

ونهار السبت صباحا غادر الناس جميعها الا المحلتين المذكورتين والاغا المذكور أشهر غضبه بأنه يريد قتل كهية بيك (أليس كهية باشا كما مر ؟) وقتل محمد بيك ونهب أموالهما فابتدأ الحرب بينهمـا من قبـل العصر والطوب يشتغل(٦٦) من القلعة على السراية وادهم الظلام وهم كذلك وأما الينكجرية ومن يتبعهم وجدو الفرصة والحرب قائم فى الميدان ابتدأت تنهب الدكاكين فلم يبقى ولا دكان من جميع أسواق المتاجر(٦٧) والعطاطير(٦٨) والبقاقيل(٦٩) التى لا عدد لها فتحوها ونهبوها حتى أقفالها •

أما محمد بيك من (ذلك) الجانب أرسل أحضر كهية على باشا الى عنده فى سفينة من الشط وقال له لا تخف وأمر العكيل وعرب الجبور فى الليـل فدخلوا بالسفن وصرخوا : لعينك يا على باشا !(٧٠) وهجموا مع جمـلة من الكروج على المتاريس وحرقوا قطعة من السوق الموجه(٧١) الى الميدان لئـلا تكون فيه الكماين(٧٢) فى الدكاكين وهجموا والنار مشتعلة فالذين قدامها فى الكماين من رؤيتهم النار هربوا وهم وراهم وصاحوا بهم حتى تقطعت قلوبهم وهم مجردين سيوفهم الى الميدان فتبددت تلك الالوف التى لا عدد لها وراسهم الاغا صاحب الفتنة انهزم واختبى والطوب لا يزال يشتغل من القلعة لان هناك من الينكجرية جملة وافرة رئيسهم كوسه(٧٣) حسين وهذا رجل من التجار غير انه أحب التكبر

* * *

(انتهى هنا ما هو منشور فى لغة العرب وبعد صدور جزئها هذا احتجبت لنشوب الحرب العامة لسنة ١٨/١٩١٤ فلم ينشر مـا بقى من هـذه النبـذة وهو هذا) :

وبعد الظهر قامت العلماء والمفتى واخذوا الصنجق معهم ومضوا على القلعة لانه لم يرتضوا بما فعله الاغا واحزابه وقالوا كل من أعان الاغا على غيه فقد كفر لان الاطاعة واجبة الى ولى الامر ولما أبصروهم من القلعة ورأوا تلك الجموع فرقتها العكيل فخافوا جدا والعساكر والعكيل عسكروا أمام باب القلعة وضربوا طوب على بابها الصغير فتحوه ودخلوا والذين بها أرموا أنفسهم من الاسوار منهم على الشط منهم على الارض ومنهم سلم ومنهم حصل على الهزيمة •

أما صباح هذا اليوم الاحد قبل الفجر بعد انهم أى العرب كسروا تلك الجموع جاء منهم فرقة على محلة اليهود ونهبوا بعض البيوت من اليهود ووقع صيحة عظيمة موهمة جدا • واما كهية على باشا رجع من ذلك الجانب وجلس فى سرايته وامر الايجاغاسية والعكيل بالمحافظة والبس اغا جديد على الاوجاقلية ••• يقال له سعد الله اغا فهذا كان رتبته عسس باشى وكان ذاك ضدا لهذا (أى لاحمد اغا) ويريد قتله ولم يقدر اخيرا وشى به عند الوزير ولانه هذا السابق كان الوزير له عليه نظر خصوصى فحبا به امر فى نفيه الى البصرة ويومئذ كان له ثلاثة سنين فى الحلة فارسل كهية باشا أحضره (أحضر سعد الله اغا) وأقامه مكان ذاك الذى كان يريد قتله وحينئذ أمر ان يمضوا وينهبوا بيته (بيت احمد اغا) فحالا فى ظرف ساعة صار بيته خرابا دكداكا ونساؤه طلعت هزيمة وجواريه ضبطوها العسكر مع جملة الاموال التى طلعت فى بيته • وأمر المنادى ينادى فى البلد كل من وجد الظالم المذكور وأتانى به ويخبر به له جائزة الف ذهب ثم مسك أعوانه وأقربائه • وثانى يوم نهار الاثنين بينما المنادى ينادى وجدوا مملوكا له عبد أسود فودوه الى السراية أمر بضربه فأقر انه فى بيت فى عقد فى محلة راس القرية فجاؤوا اخرجوه من بيت واحد كان اتباعه سالفا • فليعتبر كل ظالم ! لان رؤيته فى أخذه بها كفاية لاعتبار كل ظالم لانه حملوه كانه حمل بجملة من العسكر والعكيل حافى الارجل مكشوف الراس بهيئة الموت وامامه ووراه خلق لا تعداد لهم ولما وصلوا به الى السراية أمام على باشا المذكور قام وضربه بيده بالغدارة ضربتان وامر بتقطيعه فسحبوه من السراية الى وسط الميدان وكل يضربه ضربة بالسيوف والخناجر وحصلت

نهايته نهاية تعيسة وأمر بالتفتيش على موجوداته • فهذا نهاية من لا يحفظ ودا !
لان والى بغداد لما جاء هذا هزيمة من عند الجزار (باشا) ووقع عنده حماه منه
وصيره ينكجر اغاسى وسلمه البلد • وكان حمايته من الدولة ايضا • ثم قتل
باش أسكى لانه ظهر خاين ثم بعد يومين وجدوا كوسه حسين فهذا كان رجل
تاجر من ذوى العقل والكمال لكنه من اختيارية الاوجاق • وقبل سليمان باشا
فى تلك الفترات كان له سابقة فى الترأس فهذا حينما وجد الفرصة تغير قلبه
وصار على راى ينكجر اغاسى المذكور وتسلم القلعة وظهر ضد الوزير وهو
الذى كان يأمر بضرب الطوب والكلة على السراية فلما أحضروه أمر بضربه
فضربوه الفين عصا ولم يمت مع ضعفه وحيث ان حضرة أسعد بيك ابن سليمان
باشا كان مقهور منه جدا فأمر بقطع أصابعه كلما يضربوه • فقطع منه ثلاثة
أصابع وضبطوا موجوده ثم خنقه وقتل كم واحد ممن كانوا اعوانا لهما ونادى
بالامان وتفتيح الدكاكين وأمن التجار واطمأنت البلد •

* * *

ثم نهار الاحد فى ٢٨ جا (جمادى الاولى) ورد تاتار من اسلانبول بالمجدة
(أى البشارة) لسعادته بانه هو والى بغداد وبشارة الطوغ الثالث واستقرت
البلد وحصل الفرح والسرور عند آل العرض وخذل العدو •

وبعد ان استقر فى الحكم لم ينس خيانة سليم بيك الذى نكث باليمين
وخان العهد بمواساته الى ينكجر اغاسى الظالم فامر بارساله الى برا • فطالعه الى
الحلة كم يوم ثم أرسل أحضره من الحلة وضرب بارجله القيد وأنزله فى سفينة
وأرسله الى البصرة وأمر متسلم البصرة نجيب بيك انه فى وصوله اليها يقتله •
فهذا نجيب بيك فى عام الماضى حينما كان سليم بيك متسلما هناك فحضرة عمه
سليمان باشا أرسل نجيب بيك متسلم وعزل سليم بيك وأمره بالحضور •
فحين وصول نجيب بيك حتى يتسلم كان بعده ما طلع سليم بيك المذكور وبقى
ثلاثة أيام خارج البصرة لم ياذن له بالدخول وذاك لم يتجاسر يدخل بغير اذنه
فحصل له بذلك حقارة عظيمة عند الناس ولم تكمل السنة حتى أرسل اليه مقيدا
للقتل فقتله حسب أمر الوزير المذكور باهانة كلية وضبط ما كان له فى بغداد
حتى الاتباع الذين كانوا ملتمسين اليه ضبط منه بقدر ما يجب لهم •

وفى اوايل شعبان ورد من طرف الاستانة العلية اثنى عشر تاتار بشارة المنصب وان قبو كاهيته لبس • وطلع الفرمان وتوجه به قبوجى باشى والمشار اليه أمر بضرب الاطواب وانعم على التاتارية المذكورين وسيرهم بالجواب • وكذلك ورد له تاتار من حلب من طرف ابراهيم باشا والى حلب لانه مظهر له الصداقة فارسل اليه التاتار فحواه انه طلع فرمان المنصب له كذلك انعم عليه وسيره بالجواب • وانعاماته على المذكورين كلها وافرة لانه ممدوحا بالكرم •

وفى ١١ رمضان الموافق ٢٥ كانون اول ورد القبجى بالخط الشريف وكورك تلكى اسود ودخل بآلاى معتبر الى السراية • وقطعت ألسنة أعداه واستقر المنصب عليه •

* * *

وفى هـذه السنة التى هى سـنة ١٢١٧ هـ = ١٨٠٢ مسيحية فى أوائل حزيران صار طاعون خفيف فى حلب واحتجبوا الفرنج والنصارى وكان يطلع من النصارى من ٥ الى ١٠ كل يوم ومن المسلمين زاد عن مـاية واستقام الى ٢٠ تموز •

وفى هذه السنة ايضا الوزير صاحب الختام يوسف باشا الذى كان والى المعدن سابقا وهو الذى تولى أمر سفر الفرنساوية على مصر فبعد ان وقع الصلح بينهم وبين العثمانلى واعطى نظام مصر عاد بالامر السلطانى ومر على الشام وعلى حلب ولم يؤذيهما بشىء • وكان برفقة ابراهيم باشا والى حلب والمذكور ابراهيم باشا كان فى قلبه غل على ينكجرية حلب الذين خرجوا عن الحدود وحصلوا كأنهم هم الحكام والبلد كأنها فى يدهم لانهم لم عادوا يخشوا الحكم ولا الشرف ولا الاموال الاميرية واكثر الصنايع بيدهم بالقوة واستيلاهم على النصارى لا حد له والسكر والفجور واستعمالهم القبايح بغير خوف فحصل عنـدهم دولة عظيمة • والمشار اليه مقهور منهم لاسباب عدة وأخصها بما ان المحصلية عليه ايضا فكانوا الميرى السلطانى ما يحتسبوه بشىء • وقد سبق تحريرنا عن الواقعة التى أجراها بينهم وبين الاشراف حتى يظفر بهم ولم يقدر فحين وجد الفرصة بمرور الوزير المشار اليه ومرافقته اياه من مصـر الى حلب عرفـه بأحوالهم وتعطيلهم أموال الميرى وسكرهم وفجورهم وكتب أسامى ستة وثلاثين الذين

هم وجوههم • وحين وصول ابراهيم باشا الى حلب قبل حضور الوزير مضوا الى عنده واستشاروه انهم يبقوا بالبلد أم يولوا من وجه الوزير لئلا يغدر بهم فأجابهم الفرار أولى لهم لانه لا يقدر على خلاصهم فخرجوا من عنده وولوا هاربين مع جملة أنفار ممن يلوذ بهم •

وبعد دخول الوزير فتش عليهم فقال له هربوا وكمل ما كان بناه • وأخذ فرمان فى قتل الروس المذكورين اذا وقعوا (بيده) وانه ما عاد لهم دخول الى حلب أبدا •

والوزير المشار اليه لم يصدر منه شىء يضر آل حلب بل وجدوا منه جبر الخاطر وكثيرا من الناس الذين كسبوا فى قدومه فى بيع أموال وأقام بها أيام **٢٢** بكل عدل وتوجه منها الى اسلامبول وهناك كمل صلح الممالك مع بعضها وحصل له اعتبار من السلطان حفظه الله تعالى •

وأما ابراهيم باشا بعد توجه الوزير فتش على الينكجرية وعلم ان احمد اغا ومعه كام نفر خارج حلب فى المالوحة فأرسل عليهم عسكر وقبض على اثنين وعشرين منهم واحمد انهزم ولم يقدروا على مسكه وحين جاؤوا بهم حالا أمر يخنقهم فى القلعة وكذلك قتل أولاد ••••• وغيرهم جملة أنفار وضبط أموال البعض وابتدأ يجيب النصارى الذين كانوا متعلقين ولهم شراكات مع الينكجرية جرمهم واخذ منهم بما لا يقدروا على دفعه وأخصهم أولاد الناقوز شركاء الحربلى وبطرس نجم شريك أبو خليل بن كعدان وغيرهم واجرا المظالم والعوان والمسودات وطلب كومرك طالع على الاموال وعطل كروان بغداد وأمر أن القهوة لا تباع الا من عنده وصار ياخذها من أربابها فى ٥٠٠ ويبيعها فى ٦٠٠ وهلما جرا فى كافة الاشياء من طرح حرير وغيره واخذ مبالغ وافرة من المسيحيين • وفى هذه السنة المذكورة الخواجه نصر الله دلال فى اسلامبول أخرج أمر عالى فى ابطال حشر القاضى وان الميت عند النصارى لا عاد يراجع الحاكم الشرعى وليس له عليه تسلط • وكذلك فرمان فى قضية الاعراس وابطال معتاد القولق الى السردار لانها كانت زادت جدا وعاد المسيحى اذا اتفق وعمل عرس مشتهر يصير العرس الى الينكجرية وتجملات الماكولات والمشروبات لهم ونيازهم فى سكرهم وما عدا الذى ياخذوه من القولق من

دراهم وأكل وشرب يلتزم يرضى البيرقدار الذى يجى لحمايته ويكفى من الاكل والعرق لجميعهم • فقد بطل ذلك مع هلاكهم وكسر شوكتهم من ابراهيم باشا المذكور •

تتمة التاريخ ونحن فى بغداد (هكذا وجد فى الورقة التى نقلت عنها)

تتمة التاريخ فى بغداد تابعا للورقة التى قبلها

فنعود الى أخبار بغداد فان الوزير المشار اليه على باشا فى **٨** شوال **٢١٧** ركب بعسكر وافر من العربان والاكراد والكروج جميعهم وخرج من بغداد بسرعة ولم يعلم أحد توجهه لاى جهة الا بعد وصوله الى كردستان وهناك قوم يسموا البلباز متاخمين طبراق العجم ودائما يغيروا على أطراف العجم وينهبوا منهم والشاه أرسل الجى مخصوص الى الوزير يخبره بذلك بأن هؤلاء فى أرضك فان كنت قادر على ضبطهم وتأديبهم تأدبهم والا فنحن قادرين على ذلك فالتزم الوالى بذلك ضرورة وركب وكبسهم غفلة واخذهم ونهب متاعهم وصيرهم تحت طاعته ومن هناك توجه لجهة الموصل ونصبوا له الجسر من مقابل ماء الزاب حتى عبروا العسكر الذين صاروا الوف من كرد وعرب وغيرهم وسعادته عبر بالسفينة وتوجه على آل سنجار (الذين هم قوم يزيد يعبدون الشيطان وقاطعى الطريق من الموصل الى ماردين كل مدة يضربوا من القفول التى تمر وينهبوا أموال التجار) وذلك فى أوايل ذى الحجة وجعل العساكر حول الجبل لان القوم المذكورين أماكنهم فى الجبل المذكور ولهم فيه مغاير واسعة فدخلوا اليها بجميع متاعهم ونساءهم وأولادهم • والعساكر من كل جهة وبامر سعادته تاتيهم الذخاير من كل جهة •

وأما عبدالله اغا ويوده ماردين المولى بها من أيام سليمان باشا فارسل سعادة المشار اليه طلب منه عسكر وذخيرة فارسلهم وهرب من وجهه لئلا يغدر به لان المذكور ذو تدبير وكان يوده البصرة عشرة سنين وله اسم مشاع ودائما يخاف من على باشا من حينما كان كهية فلما شعر بهربه ارسل له الامان الذى يثق به فحضره واستقبله وأمنه تكرارا •

وفى اقامة سعادته بالجبل ضايق أهله جدا وقطع شجرهم وضرب قراهم وقتل منهم ويومئذ بصحبته محمد بيك وأخيه عبدالعزيز بيك أولاد شاوى زاده وفارس شيخ عرب طى الذى له خفر من البر جميعه من باب بغـداد الى باب ماردين ومن السلطانى من كركوك الى الزاب له جعلات على بنى سنجار وقيل انه كان يسهمونه من النهايب ولذلك لا يريد اضمحلالهم وكذلك ظهر ان البيكوات المذكورين .... وتحاكوا مع الوزير المذكور حيث انهم طلبوا الراى يعطيهم رايه وأمانه وياخذ منهم بعض أنفار رهاين عنده بكفالة شيخ طى الى كبيرهم بانهم لا عادوا يتعرضون لاحد ومهما يروح من هذا الطريق يكون ملزومين باداثه . واحد كبراء اليزيدية يقال له « آوند » كان انتزح من ارفاقه وصار يحارب مع الوزير وارتضى الوزير المشار اليه ظاهرا بالرابطـة ولكن عرف ان المشيرين عليه ...... فرحـل من سنجار مقـدار خمس ساعات ونزل .

وثانى يوم فى ٢٠ محرم ٢١٨ الموافق ٢٩ نيسان ١٨٠٣ نهار الاربعاء صباحا أمر الوزير المشار اليه ....

ثم بعد قتلهما جاء الوزير وجميع عساكره معه الى خارج سور الموصل قدام باب سنجار نهار الاحد فى ٢٤ م ٢١٨ . أقام سبعة أيام الى يوم السبت سلخ محرم . ويوم الاحد أول شهر صفر توجه على البر الى بغداد . ويومئذ كان الطاعون ما انقطع منها فتعوق بالطريق اولا لاصلاح البر وثانيا لانقطاع الطاعون منها . ثم فى ٢٦ صفر موافق ٤ حزيران دخل الى المحروسة بغداد . والعربان جميعها من خوفها كل منهم لزم حده .

وفى هذه الايام تواردت أخبار عبدالعزيز بن سعود الوهابى الذى وطنه فى نجد فى بلد الدرعية فهذا منذ ظهر جده سعود الكبير سمى بالوهابى .... ورويدا رويدا صار له عشيرة كبيرة وصير عربان تلك الاصقاع من نجد الى مكة كلها تحت طاعته ورأيه واخذ أماكن شتى بقوة رجاله . وفى سنة ٢١٦ أخذ البحرين ووضع بها العتوب . وفى سنة ٢١٧ كما تقدم فى التاريخ جا الى بلد الحسين .... وفى هذه السنة أى سنة ٢١٧ فى آخرها حينما كان الحج فى مكة دهمها فى عساكره العديدة ...

فلما تواردت هذه الاخبار لاستانبول الى الدولة العلية على لسان عبدالله باشا عظم زاده أمير الحاج حالا خرجت الاوامر من الدولة الى الوزراء جميعهم بان يهتموا بالسفر على الوهابى المذكور • وسعادة والى بغداد حضر له الفرمان بذلك فى ربيع الاول سنة **٢١٨** وابتدأ فى المهمات •

* * *

وفى أوايل شهر رجب بلغ الوزير المشار اليه ان العرب المذكورين أعنى العبيد وابن محمد بيك المقتول اتفقوا جملة وركبوا على ثامر باشا ونهبوه وانهزم منهم • واستولوا على بر أورفه • وصاروا كثرة كثيرة فحالا جمع العساكر من كل قبيلة وخرج من بغداد الى قتالهم وبقى خارج بغداد فى مكان اسمه الفلوجة ينتظر أخبار العرب المذكورين •

وأما عبدالله باشا والى الحج بعد عوده الى الشام جا عليه الغضب من الدولة العلية بسبب الوهابى حيث أخذ مكة والمدينة وهو كان هناك • فعزلوه من الشام وتولاها الجزار وانه يقتل المذكور فهرب وجا بالبر مع بعض أتباعه الى أوردى سعادة الوزير على باشا فاستقبله باكرام جزيل وطمنه وقيل انه أرسل الى الدولة العلية يطلب له العفو •

وفيما كان كما تقدم الاوردى قرب بغداد تحرك بعض المفسدين فى بغداد • وقيل ان أصل حركتهم خارجة من بيوت الذين كان قتلهم سابق من داخل الباب • فهؤلاء أرشوا بعض الجهال انهم يحركوا فتنة بقتل اغا الينكجارية الذى كان لبسه الاغاوية فى جماد الثانى • فجاوا بعد العشا وضربوا على بيته بالرصاص فلم يصبه • وثانى الايام مسك منهم بعض انفار وقروا على بعضهم والقيمقام أرسل خبر لسعادته فامر بقتل البعض وتسركل البعض فقتل عدد **٧** وسركل البقية • وجملة انفار انهزموا واستقر الامر الى ان عاد الوزير المشار اليه الى بغداد فى اوايل رمضان وأبقى كهيه بيك وعسكر الكرد فى الحلة محافظين لان بعض جمعات الوهابى مسيرين على الشامية • وقبل دخوله بغداد

جا خبر ان عبدالعزيز الوهابى قتله بعض الاغوان درويش وقف قدامه يسأله احسان فضربه وقتله وقتلوه مكانه •

* * *

مما أخبر به أوانس ورتيد عن أيام الجلفلية ان جلفة كانت أرض خاوية فلما سافر صادق خان على البلاد وعاد غالبا قيل انه جاب مقدار ثلاثين الف بيت وأسكنهم العجم وأعطى الارمن النصارى أرض جلفة فعمروها وتكاثروا جدا وصار لهم رخصة من شاه العجم بانهم يكونوا تجار فصار بها اغنياء جدا • وكل شاه كان يحكم كان يراعى حقوقهم ويكرمهم فاتفق بينهم من هؤلاء الاغنياء اسمه شبراز أكبرهم وأقدمهم غنيا جدا • والشاه يومئذ كان يحبه حبا عظيما فسال الشاه من أحد الجية غير مملكة انه عجب بلادكم ما بها قلاع ؟ ولا فى سرايتك مكان معين للخزنة ؟ فلم يرد الشاه جوابا لذلك الى يوم خرج للصيد فامر جميع العساكر ان تلبس لامات الحرب وتمشى صفوفا وطوابير نظير القلعة وقال الى ذاك السايل : ان هذه قلاعنا ثم عاد من هناك ما وراء جلفة ونادى الى شبراز فمثل أمامه فقال له : كم مقدار عندك من الدولة ؟ فقال له : لا أعلم حسابها غير ان هـذا الجسر الذى عبدكم معمره يحوى اثنين وثلاثين قنطرة يجرى الماء منها • أمرنى أن أسدهم بالدراهم التى من كل سكة موجود بها • فحينئذ الشاه قال الى القاصد : ان هذه خزائنى اذا أحد تجار الارمن يوجد عنده هذا المقدار من الدولة التى ما فيه مقدرة يعرف كمية عدا بقية أرباب الدولة من الرجال والوزراء والتجار الذين فى ملكى

تقيدت بالتاريخ (هكذا جاء في الاصل)

الحواشى

(١) بعد طبع الجزء الحادى عشر من السنة الثالثة لهذه المجلة وقفت على صك صادر من محكمة حلب الشرعية تأكد لى منه ان ديمترى هو حفيد الخورى عبود وانه يتصل به بجرجيس (٢) وبعدئذ حامته جمهورية الجزائر السبع المجتمعة *Republique des Sept Iles Unies* وأمامى نسخة البراءة السلطانية المؤرخة فى أول ربيع الآخر سنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) وبهامشها تصديق قاضى حلب السيد حسن الكواكبى ما له انها مطابقة للاصل (٣) قرب منفوخة مشدودة بعضها ببعض موضوع عليها جذوع الحور يوضع فوقها حصر وان شئت الوقوف على التفصيل فعليك بلغة العرب ١ : ٤٧٢ (٤) جرمانوس آدم المتوفى فى ١٨٠٩ (مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين طبع بيروت فى المطبعة الادبية ١٨٨٤ م) (٥) تركية وهو رسول حكومة دون السفير مقاما(*) (٦) أراد *Compania* الايطالية وهى الشركة (٧) صورة ثانية لـ *Compania* (٨) دراهم للخرج (٩) صحيحها سراى الفارسية الاصل المستعملة بالتركية ثم عربت بصورة سراية وهى الصرح (١٠) من التركية ايج آغاسى ومعناها بالحرف آغا الداخل ثم جمع الكلمة باضافة التاء الاخيرة اليها وفى ص ٨٨ من كتاب « عثمانلى تشكيلات وقيافت عسكريه سى » لمحمود شوكت باشا ان الجماعة المذكورة كانت موظفة فى وقت السلم باجراء المراسيم والاحتفالات (١١) المصقول (١٢) باب فى الشمال الغربى من بغداد وسمى باب المعظم لانه يذهب منه الى القصبة المنسوبة الى الامام الاعظم أبى حنيفة وكان قديما يسمى باب الشماسية (لغة العرب) (١٣) اذا لم يقل « غرش عين » يفهم انه « غرش معاملة » وقد قرأت فى دفتر صاحب النبذة قبل هذا التاريخ ببضعة أشهر ان كل ١٤٠ قرشا من قروش المعاملة تساوى ١٠٠ قرش عين واذ سبقت

(*) لعله السر جون ملكم *Sir John Malcolm* الذى كانت قد أرسلته شركة الهند الشرقية الى ايران فى سنة ١٨٠٠ . وفى كتابه تاريخ ايران ... (*The History of Persia*) لندن ١٨٢٩ (المجلد ٢ : ١٥٣ ج) قال زرت سليمان باشا فى سنة ١٨٠٠ ومدحه وأثنى عليه . فهل سها فى قوله ١٨٠٠ وهو يريد ١٨٠١ فان وصوله كان فى نيسان كما رأينا ففى بعيد أوائل سنة ١٨٠٠

فقلت فى حاشية ٣ : ٥٧٢ ان القرش العين يساوى فى المعاملة ثلث مجيدى الحالى فتكون العشرون الف غرش نحو ٨٨٠ ليرة عثمانية ذهبا (١٤) النقود (١٥) كلمة مركبة من ديوان العربية الفارسية الاصل وخانه الفارسية ويراد بها الغرفة المخصوصة باجراء الاحكام والمراسيم (١٦) محلاة بالحجارة الكريمة. (١٧) ضرب من السفن الشراعية وقد ذكرها ابن بطوطة فى ٢ : ١١٦ وكذلك ياقوت فى مادة بغداد بصورة شبارة (١٧ أ) يظهر ان الخندق كان قد امتلأ من غريل دجلة فاوجب الامر ان يحفر (١٨) كثيرة (١٩) أى نحو ٢٢٠ ليرة عثمانية ذهبا على مبدأ ما قلناه أعلاه (٢٠) جمعها (٢١) الجموع (٢٢) لما كان ثوينى بن عبدالله شيخ المنتفق قتل وقام خلفا له أخوه ناصر فى ٤ المحرم ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) الذى لم يستقر زمنا فى المشيخة على ما نرى فالمظنون ان الشيخ المذكور هنا هو حمود الثامر (راجع عنوان المجد ص ٧٢ وما يليها) (٢٣) أقطار أو انحاء (٢٤) الميرة (٢٥) قصبة على ضفة الفرات وهى مركز قضاء (٢٦) جمع نجدى جمعا مكسرا بلغة العوام (٢٧) أصلها سكمن التركية وهذه مصحفة من سكبان الفارسية والسكبان من أصناف العساكر « راجع عثمانلى تشكيلات وقيافت عسكريه‌سى » (٢٨) مرحلهم (٢٩) بلغنا انها قرية شهيرة الى يومنا هذا (٣٠) جانب الايمن من دجلة وهو المشهور باسم الكرخ (٣١) هو باب الشيخ معروف الى اليوم (٣٢) باب من أبواب بغداد متجه نحو قصبة الكاظمية وهو معروف الى اليوم باسم باب الكاظم أو الكاظمية (٣٣) تسمى العامة حتى يومنا هذا الامراض الوبائية وهما (٣٤) شردوا بسرعة (٣٥) أسباب المكسب (٣٦) كربلاء (٣٧) النجف (٣٨) ما يتمكن من نقله البغل (٣٩) واحدها القفة وهى من أشباه السفن مستعملة فى دجلة مدورة الشكل وتفصيلاتها فى لغة العرب (٢ : ١٥٤) (٤٠) واقصى (٤١) خازنة بكثرة (٤٢) مسقط المدينة الشهيرة (٤٣) فارسية ومعناها المشترى وتأتى بمعنى المال ايضا (٤٤) البضاعة والمال وهى فارسية (٤٥) جمع غزل عامية (٤٦) العتوب هم أعراب عتبة (لغة العرب) (٤٧) ممسكا وكلمة كمرك وكومروك اصلها ايطالى *Commercio* (عن معجم ديوان كليكيان) (٤٨) منطقة من الجلد (٤٩) الناقة المعودة الرهو والسرعة (٥٠) غم (٥١) مسألة (٥٢) الناس (٥٣) هو الذى صار بعد

ذلك داود باشا والى بغداد (٥٤) تشعبتم (٥٥) بمعنى السعادة والنعمة والمال (٥٦) كلمة تركية ومعناها بالحرف الموقد ويراد بها جيوش الانكشارية وقد وضعوا ذلك تحديثا بالنعمة (٥٧) الحديثي السن ويريد بذلك ان الحديثي السن من هذا الجيل الذين لم يعرفوا الثورات الاولى يريدون ايقاع الفتنة الخ • (٥٨) لتسكين (٥٩) زوجا • وجفته تركية (٦٠) محلة واقعة في شمالى البلدة معروفة حتى الآن بهذا الاسم (٦١) محلة متوسطة المدينة لا تزال مشهورة بهذا الاسم وأظن ان ثكنة هؤلاء الانكشارية كانت يومئذ فى هذه المحلة وهى اليوم دار كريكور افندى كيورك اسكندر واخوانه فانها كانت على ما سمعت مشهورة حتى قبل نحو خمسين سنة « بدار القشلة » وهى مقابلة لاحدى الدور الواقعة بين باب « الرواق » وباب كنيسة الارمن الغريغوريين وهى فى الركن الشرقى من الطريق الموصلة بين الطريقين الآتيتين من جهة دجلة ويقال للطريق الموصلة طريق « القشلة » ولقد لصقت البلدية قبل نحو ثلاث سنين على أحد رأسيها رقعة مكتوب عليها اسمها • ولا أظن ان قائلا يردنى بقوله ان هذه الدار هى اليوم فى منطقة محلة « رأس القرية » لا جرم انها اليوم من محلة رأس القرية لكنها على حدود محلة الشورجة والله أعلم بتقسيم محلات ذلك العهد (٦٢) اختصارا من الشيخ عبدالقادر الكيلانى كما هو جار هذا الاصطلاح الى هذا اليوم • وكانت تعرف هذه المحلة فى السابق بباب الازج (٦٣) هو الباب الشمالى الشرقى ولا يزال معروفا بهذا الاسم (٦٤) جمع كرجى فى لغة العوام (٦٥) مناديا (٦٦) يقذف (٦٧) أظنه أراد أن يحصى بها بائعى المنسوجات (٦٨) بائعى العطريات والتوابل والقهوة والسكر والصابون وغيره (٦٩) أى البقالين (٧٠) كلمات يلقيها المحاربون يريدون بها اننا نفدى أنفسنا لامرك فطب نفسا (٧١) المتجه (٧٢) الكهناء (٧٣) أى السنوط ولفظة الكوسج فارسية الاصل •

الص ٥١٠ الجزء ٩ من السنة ٤ = آذار ١٩٢٧ (*)

صفحة من تاريخ البصرة والمنتفق

من رحلة للمستر توماس هوويل الريطاني (١)

خلال سنة ١٧٨٧ - ١٧٨٨

للتاريخ نفع لا يجهله الكثيرون ولذة لمن لهم ميل الى الوقوف على اخبار من سلف • واهم غايات التاريخ الانتفاع من التجارب التي سجلتها الايام المطلوبة على صحائفها الخالدة • ويقضي الواجب على المؤرخ ان ينتقي أصدق الروايات مما دونه كتبة الوقائع مميزا منها الغث من السمين • ولا مشاحة في ان هؤلاء المدونين يختلفون في أذواقهم ومشاربهم وآرائهم فمنهم من يسيطر على قلمه فيملي عليه ما تهواه نفسه غير مكترث للحق ومنهم من يكتب ما يوحيه اليه ضميره وهو على غير هدى ومنهم من لا يسطر شيئا الا وقد تروى مليا في الامر وتبصر فيه وسبر غوره فيتوخى الواقع غير هياب ولا وجل •

ان مصادر تاريخ العراق للقرن الثامن عشر قليلة فرأيت ان أضيف اليها تعريف صفحة جاءت تنبئنا عن حالة البصرة في احدى سني الربع الاخير من ذلك القرن الغابر حينما استولى عليها ثويني العبدالله المعروف بـ «ابي فريحة»(٢) (بالتصغير والتأنيث) تاركا للمؤرخ المنصف ان يتحرى اصدق المآخذ مؤيدا رأي هذا ومزيفا فكر ذاك وهو ما يطلبه التاريخ الحق •

وقبل ان اقدم على التعريب لابد لي من ابداء كلمات وجيزة للتعريف بزعيم المنتفق الشيخ ثويني العبدالله المحمد المانع • ومحمد هذا هو ابو سعدون الذي تعرف به اليوم الحمولة السعدونية الشهيرة التي كان آباؤها يسمون بـ « آل شبيب » قبل عصر سعدون ونبوغه • وما شبيب الا احد الجدود الاعلين ذوي الشرف الباذخ والسؤدد العزيز • فثويني اذا هو من آل شبيب وهو ابن

(*) عدد السنة ٤ مكرر هنا لانه كان قد صدر جزءان من هذه المجلة في سنة ١٩١٤ ثم احتجبت لنشوب الحرب العامة ولما عادت الى الصدور لم يعتد صاحبها الاب بهذين الجزءين بعدهما سنة كما مر بنا بل عد ما ابتدأ باصداره في تموز ١٩٢٦ سنة رابعة •

اخي سعدون . وقد ابتدأت زعامته للمرة الاولى سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) على أثر قتل الخزاعل (خزاعة) ثامر ابن عمه سعدون(٣) وليست تسمية آل شبيب بغريبة عنا بل هي معروفة في عهدنا هذا ايضا . وهي تطلق على اقرباء آل سعدون الذين يمتون اليهم بشبيب .

وبعد هذا التمهيد أعود الى صاحب الرحلة وهو من موظفي شركة الهند الشرقية . وكان في البصرة في شباط سنة ١٧٨٨ م (١٢٠٣ هـ) اي بعد الواقعة بضعة اشهر فقط وقد قال ما تعريبه :

« لم تبق تجارة البصرة زاهية كما كانت عليه قبلا لكنها لا تزال المخزن التجاري الاهم في هذه الاصقاع فيثري التاجر فيها واما حاكمها فهو تركي(٤) وسكانها عرب وقد توطنتها أسر تركية وارمنية .

« وكان الشيخ ثويني ـ الشيخ العربي القدير ـ قد استولى على هذه الحاضرة في سنة ١٧٨٧ م (١٢٠٢ هـ) بتدابيره الصائبة ففاجأ حاميتها واحتل المدينة بدون مقاومة . والامر الذي يجب توجيه النظر اليه انه لم يصب اذ ذاك احد من سكانها باهانة ولم يتجاوز احد على مال لاحدهم . ولم يطلب الشيخ من سكانها غرامة حربية . وبعد ان استولت جيوش الشيخ بنصف ساعة عادت شؤون الناس تجري بانتظام لا يشوبه ما يخل به فكأنه لم يقع هناك حادث يفوق العادة(٥) .

« ان الشعوب الممعنة في المدنية والعلم لتغبط هذه الحالة الداعية الى الشرف وهي ترينا انه مع ما عليه الاعراب من ميلهم الى السلب والنهب فان لهم انظمة ودساتير تبعث بهم الى حب السلام رائدها الطاعة القصوى لرئيسهم وهو روح النظام العسكري .

« اما الشيخ فهو كهل شجاع باسل ذو اقدام على العمل قل من يفوقه وهو عزيز لدى وطنييه لحسن تبصره في الامور وتوقد ذهنه وجنوحه الى جانب الحق ولاعتداله الذي يتمشى عليه في شؤون امارته ولقد جعلته هذه الصفات محترما عند الناس كافة .

« دام حكم الشيخ في البصرة ثلاثة اشهر ثم علم ان باشا بغداد(٦) ـ وهو متبوع الشيخ في تأدية الضريبة ـ كان قد قدم لمحاربته بجيش قوامه ستة

آلاف جندى فجمع الشيخ قواه واتجه بها الى شواطىء الفرات ليقابل عدوه فالتقى الجيشان هناك على بعد من البصرة واشتبك القتال واستمر بين الفريقين ولم تنجل النتيجة الحاسمة بادىء بدء بل باتت اخيرا بجانب الاتراك وانفل العرب ففر الشيخ البائس يتبعه بعض ذويه وقد نجوا من ملحمة النار • ثم خطب الشيخ ود الباشا مستميلا اياه وطلب اليه المعذرة عما صدر منه ولكن الباشا رفض طلبه واقام مقامه شيخا غيره(٧) •

« أجل • زال حكم ثوينى من البصرة ولكنه بقى برأس عشيرة كبيرة تبذل نفسها لخدمته خدمة نصوحا لحبها اياه وشغفها به ولا يبعد ان يصبح عدو الباشا الازرق ان لم يعده الباشا الى منصبه » أ هـ •

مر الرحالة بالعراق قافلا من الهند ووجهته لندن فوصل اليها والقى عصا الترحال فيها ثم نشر رحلته وفى مطاويها كلمته الاخيرة عن الشيخ ثوينى ثم جاءت الوقائع مصداقا لما ارتآه اذ اضطر والى بغداد سليمان باشا وهو فى احرج المواقف الى اعادة الشيخ ثوينى الى منصبه للمرة الثالثة ليستعين به على محاربة الوهابى فتربع الشيخ على مسند(٨) الحكم ورحل الى انحاء نجد للايقاع بالعدو ولكن عبدا اسمه طعيس(٩) (بالتصغير) وهو من عبيد جبور بنى خالد اغتاله هناك فى موضع اسمه الشباك(١٠) (وهو ماء فى ديرة بنى خالد) فى اليوم الرابع من المحرم سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) وقتل القاتل فى ساعته وهو ينتمى الى الوهابيين وقد جرت قضيته مذ ذاك مثلا يضرب به عند المنتفق فيقولون : « باع بيعة طعيس » يريدون بها انه صمم على الامر ولا يرجع عنه ولو يعقبه الموت الزؤام • ويقال ان قبر ثوينى معروف فى تلك الانحاء •

وهنا اختم حاشيتى التى جاءت كذيل لما اردت تعريبه من ذكر عهد تباعد وبقى تاريخه فى تضاعيف الكتب والاسفار •

الحواشى

(١) *Voyage en retour de l'Inde par terre.... par Howell, M.D. Traduit de l'anglais par Theophile Mandr.is. Paris V (1797) p.. 23-24*

(٢) هى ابنته واصلها قريحاء تصغير قرحاء • وفى المنتفق فى الغراف ارض

اسمها « الاقرح » واخرى اسمهـا تل قرحة (تل قرحا) ولابد من ان اسم
« قريحة » مأخوذ من المعنى الفصيح ويظهر انهم ارادوا بقرحا بيضاء أو ما
ضاهى هذا المعنى(٣) كتاب دوحة الوزراء بالتركيـة وهو فى تاريخ العراق
ومؤلفه رسول افندى حاوى ابن الملا يعقوب الماهونى الاصل وتجد ترجمته
فى جريدة « العرب » البغـدادية عى عددهـا ال ٢٨ المؤرخ فى ٣ ايلول سنة
١٩١٧ وكانت وفاته سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) (٤) كان متسلمها ابراهيم افندى
(دوحـة الوزراء) فى وقائع سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) • وفى مختصر مطالع
السعود بطيب اخبار الوالى داود : ابراهيم بك • والاصل لابن سند منه نسخة
مخطوطة فى خزانة كتب جامع مرجان والمختصر لامين بن حسن الحلوانى
طبع فى بومبى سنة ١٣٠٤ هـ(٥) جاء ذكر الواقعة فى دوحة الوزراء وجاء فى
رسالة تجارية مرسلة من البصرة معاصرة لهذه الحوادث ان « ثوينى » استولى
على البصرة فى ايار سنة ١٧٨٧ م (١٢٠٢ هـ) ثم قدم والى بغداد فاسترجعها
منه فى آب من تلك السنة(٦) سليمان باشا (دوحة الوزراء) وتاريخ جودت
٤ : ١٠١(٧) هو حمود الثامر السعدون (دوحة الوزراء) (٨) وصفته فى هذه
المجلـة ٢ : ٥٠٧(٩) الطعس التـل من الرمل ولعلهـــا تصحيف الدعص
الفصيحة(١٠) عنوان المجد فى تاريخ نجد(١ : ٧٥) ودوحة الوزراء ومختصر
مطالع السعود • ويسمى بعضهم « الشباك » كأنها جمع « الشبكة » ويلفظونها
باسكان الشين وباء مبهمة الحركة وكان ينطق بها كالجيم الفارسية المثلثة وفى
لآخر هاء وذكر معجم البـلدان ليـاقوت عدة ميـاه بهـذا الاسم ونسبها
« والشبكة الآبار المتقاربة » •

الص ٢٣ الجزء ١ من السنة ٥ = (١٩٢٧/٢٨)

مشيخة آل سعدون فی المنتفق

وسبب انحلالها

كانت حمولة آل شبيب القريشيين الهاشميين العلويين(١) تتناوب اعضاؤها منذ أمد بعيد على ادارة شؤون ديرة(٢) المنتفق المترامية الاطراف ثم نبغ فى احفاد شبيب سعدون المحمد المانع واخوه عبدالله فى منتصف القرن الثامن عشر وقد تخللت تلك الحقبة مشيخة(٣) منيخر(٤) (بالتصغير) من آل صقر(٥) وبندر(٦) من آل عزيز(٧) ـ ولعل غيرهما ـ فى فترات قصيرة لا يعبأ بها وجميعهم من آل شبيب • ومن بعد سعدون وعبدالله كانت الحكومة العثمانية تسند المشيخة تارة الى ثامر السعدون وطورا الى ثوينى العبدالله(٨) ومن بعد ثامر الى ثوينى وحمود حسبما تدعوه اليها مصلحتها • وجاء ان الحكومة اسندت المشيخة مرة الى نجم اخى ثوينى(٩) ولم يستقم فيها ولم تفتأ اخيرا الحكومة من اسناد المشيخة الى احفاد ثامر دون غيرهم •

وكان الشيخ السعدونى ـ ولا سيما بعد انقراض ولاة العراق المماليك(١٠) الكوله من او الكوله مند ـ يتعهد للحكومة بتأدية بدل سنوى من النقود وفى بعض الاوقات كان يضاف اليها الحصن الجياد عما يجبيه الشيخ من غلة الارض عن خراجها الشرعى ومن الضرائب والرسوم والنكال(١١) وغير ذلك • واما البدل فانه كان يتقرر بذمة الشيخ فى نتيجة مزايدة تدعو اليها الحكومة فتسند المشيخة الى من تراه ملائما لمصلحتها تبعا للاحوال بغض النظر عن زيادة البدل وكان يسمى المتعهد بالمال « شيخا » بل «شيخ(١٢) المشايخ » فهو شيخ لانه من بيت الشيخ السالف و « شيخ المشايخ » لانه فى الزمن عينه شيخ اخوانه واسرته وشيخ مشايخ اثلاث المنتفق وهى :

١ ـ مشيخة ثلث بنى مالك وما يلحق به من ذلك مشيخة بنى سد (بفتح السين وتشديد الدال وهم بنو اسد) المربوطة احيانا وفى بعض الشؤون بمشيخة المنتفق مباشرة •

٢ ـ مشيخة ثلث الاجود ويلحق به ايضا مشيخة بنى حكيم (تصغير حكم بضم الحاء ضمة خفيفة وفتح الكاف) فى بعض الاحيان كرابطة مشيخة بنى سد بمشيخة بنى مالك أو اقل من تلك الرابطة فى شؤونها وازمانها .

٣ ـ مشيخة ثلث بنى سعيد(١٣) .

ولما كان قد زال حكم الولاة المماليك كما اسلفنا وذلك على يد لازعلى رضا باشا الذى دامت ولايته الى سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) اوفدت الحكومة خلفا له فى ذلك العام محمد نجيب باشا فقدم الى العراق « وهو ملتزم الخطة البغدادية مع البصرة وراوندوز مقطوعا ببدل هو خمسون الف كيس(١٤) . ويظهر من هذا الاقطاع انه لم ينبثق شىء من تباشير الاصلاح الموعود به فى الخط الهمايونى المقرؤ فى كلخانة (بكاف فارسية مضمومة واسكان اللام) فى سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) الا انه جاء بعد ذلك ان مسلك الرؤساء المرقومين (آل سعدون) وحركاتهم جلب نظر دقة واهمية الباب العالى وبناء على هذا نصب نفس الاهتمام لاستخلاص المحال المزبورة من ايديهم تدريجا(١٥) وفى شهر رمضان سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٨ م) صدر الفرمان السلطانى بجلب نجيب باشا الى الاستانة واسندت ولاية ايالة بغداد الى المشير صاحب الدولة عبدى باشا لماله من الاطلاع الواسع على احوال هذه الايالة وبتولية وال خاص بايالة البصرة اذ انها من الولايات التى يجب الاعتناء بها اعتناء تاما لتمشية امورها تمشية حسنة على ان تبقى نظارة والى بغداد عليها مع دوام ربط شؤونها الحسابية بايالة بغداد . وعين للبصرة صاحب العطوفة راغب باشا(١٦) ولسبب تحويل هذا الباشا الى ايالة جزاير بحر الروم عين مكانه معشوق باشا من اصحاب رتبة مير ميران فى شهر شوال سنة ١٢٦٥ هـ (١٧) (١٨٤٨ م) واعزم الى البصرة . والباشا المشار اليه وان هو اجرى المتصرفية(١٨) فى البصرة كم سنة لكن كانت المحال التى اجرى فيها النفوذ والحكومة عبارة عن نفس البصرة والمناوى وكردلان (بكاف فارسية مفتوحة وسكون الراء وفتح الدال) وكان شغله كتابة عن القوليات(١٩) » أ هـ .

ومن الاصلاح الذى كان قد وعد به فى خط كلخانة انه صدرت الارادة السنية القاضية بتأليف مجلس كبير فى كثير من الايالات وفى رمضان سنة

١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) صدرت الارادة ايضا بتأليف مثل هذا المجلس فى بغداد ونصبت له رئيسا سالك افندى دفتر دار طرابزون(٢٠) ٠

وفى ذى القعدة سنة ١٢٦٨ هـ عين الكوزلكلى (ذى المنظرات) محمد رشيد باشا واليا على ايالة بغداد ومشيرا لفيلق الحجاز والعراق(٢١) فاقتفى بالرأى القائل بالاستيلاء على مشيخة آل سعدون فوجه نظره شطر ديار المنتفق لتديرها حكومته مباشرة ٠ تلك الديار التى كثيرا ما نهكت قوى الولاة اسلافه حينما كانت هذه الانحاء فى حالة تؤدى بهم الى النزول على ارادة زعيم وان لا يرضيهم سلوكه ٠

حدق هـذا الوالى نظره الى ديار المنتفق فبان له انه من العسر المتعذر وضع يده عليها باجمعها فورا بخطوة واحدة دون تمهيد ادارى وتوطئة فعلية وان طال امدها فسعى فى افراز ما يتسنى افرازه املا ان تستمر الحكومة على هذه الخطة فى كل مزايدة حتى يتم لها الفوز ولم يخفق الوالى فى مسعاه لانه اقنع الشيخ منصور (ثم باشا) الراشد الثامر بافراز السماوة بما يتبعها وبعشائرها لالحاقها بلواء الحلة ففعل واسند المشيخة الى الشيخ منصور على هذا الوجه ثم وقعت حوادث اسفرت عن استيلاء الجنود العثمانيـة على سوق الشيوخ فاضطر هـذا الشيخ الى الرضوخ لارادة الـوالى ورضى بان يفرز من ديرته مواضع أخر(٢٢) ٠ ونرى حسين باشا (من الامراء العسكريين العثمانيين) قائم مقام سوق الشيوخ فى١٤ شعبان سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) وللمنتفق شيخا(٢٣) اخاله الشيخ منصور بنفسه وفى تلك السنة ايضا عينت الحكومة السيد داود افندى السعدى مدرسا ومفتيا فى المنتفق(٢٤) مما يدل على انهـا نوت تثبيت قدميها لتبقى نافذة الكلمة فى تلك الديار ٠

ولما جاء بغداد الوالى عمر باشا السرداد فى ٥ رجب سنة ١٢٧٤ هـ(٢٥) (١٨٥٧ م) طمع من جهة بشجاعته وقوة حكومته ومن جهة اخرى خاف على صحة الجنود المرابطة فى سوق الشيوخ لرداءة هوائها ومائها ووخامتها فجرد تلك القصبـة من الجنود(٢٦) فاعاد بذلك الى آل سـعدون ما كانوا يتمنون الرجوع اليه ٠ ومع هذا فانه بسعى الدفتردار مخلص افندى لم يعد الى المنتفق المواضع المفرزة(٢٧) ٠ ويبين لى ان هذا الوالى تحرى له مخرجا ليبقى مسحة

مما كان قد فعله سلفه فوجده فى تسمية الشيخ منصور (ثم باشا) قائم مقام(٢٨) مع منح الحكومة اياه رتبة « مدير الاصطبل العامر(٢٩) مع لقب بك » وقد سجلت سالنامة (تقويم سنوى) الحكومة الصادرة فى الاستانة لسنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) ان الشيخ منصور بك هو قائم مقام للواء المنتفق وانه من اصحاب هذه الرتبة وهذا اللقب وان مركز اللواء هو سوق الشيوخ .

ويظهر لى ان المنتفق قد استاؤوا من هذا التطور فان قائلهم الحادى يقول :

يا ابو على(٣٠) الموردة(٣١)
اميرنا(٣٢) صاير مدير(٣٣)
عاداتنا ذبح العساجر
وشعاد لو جانا المشير

واذا مثلنا بين اعيننا المنتفق فعرفنا انهم جميعهم عشائر وعمائر هان علينا ان نسلم انهم كانوا يجهلون وجود ادارة تصلح لشؤونهم غير ادارة المشيخة التى الفوها منذ نعومة الاظفار ارثا عن الآباء والاجداد وانهم كانوا مستسلمين رضاء وطوعا للبقاء على ما وضعه اسلافهم فلا يخامر بالهم تغيير ما اعتادوه وان نقم بعضهم أو اغلبهم احيانا على الشيخ فى تصرفه فى شؤونهم وحالتهم تنبىء باحتفاظهم بكثير من العوائد والاخلاق القديمة التى لم تفعل فيها الايام شيئا يذكر .

وفى سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) فى عهد الوالى توفيق باشا جرت المزايدة بين الراغبين فى المشيخة الشيخ منصور وبين الشيخ بندر الناصر الثامر فاسندت المشيخة الى الاخير منهما فى ٢٠ شوال لمدة ثلاث سنوات ببدل سنوى قدره ٤٩٠٠ كيس(٣٤) مع افراز جديد من تلك الديار . وذلك المفرز هو ابو الخصيب وباب سليمان (فى انحاء البصرة) وشطرة العمارة(٣٥) . وغادر الشيخ بندر بغداد فى ٢٨ من ذلك الشهر راكبا سفينة شراعية وطريقه على الكوت (كوت العمارة) وبعضهم يقول (كوت الامارة) فالغراف(٣٦) ويظهر ان الشيخ بندر كان يسر بتسميته قائم مقام بدليل ان والدى كان كلما كاتبه عنون كتابه بما يلى :

« صاحب العزة قائم مقام المنتفق بندر بك »

ولما جاء محمد نامق باشا واليا للمرة الثانيـة ودخل بغداد فى ٣ شوال سنة ١٢٧٨ هـ(٣٧) (١٨٦١ م) ارتأى انه قد حان الوقت لالغاء المشيخة فوافقه على ذلك الشيخ منصور بك فاسند اليه الوالى وظيفـة قائم مقام المنتفق على ان تدار شؤون اللواء اسوة ببقية الالوية وعين محاسبا للواء سليمان فائق بك(٣٨) فقدم اليـه وكان تعيين قائم المقام يوم الخميس سلخ جمادي الاولى سنة ١٢٨٠ (٣٦) (١٨٦٣ م) وهو يومئذ فى بغداد ومعـه اخوه (الشيخ) ناصر (ثم باشا) والشيخ بنـدر الذى توفى فى اليوم التـالى بالحمى فدفن فى مقبرة الشيخ عمر(٣٦) السهروردى •

وبعد ان شخص قائم المقام منصور بك الى المنتفق عارض (الشيخ) ناصر فى الامر فى تلك الديار مما ادى بسليمان فائق بك الى ان يغادرهـا فارا منها وكان قد اقام فى سوق الشيوخ نحو شهرين(٣٩) فصمم نامق باشا على ان يستولى على تلك الانحاء عنوة غير ان برقية وافته من الاستانة تأمره بان يجهز الفيلق وينتظر الامر لمهمة حالت دون تحقيق ما كان قد عزم عليـه • فاضطر الى التساهل فأسند المشيخة الى الشيخ فهـد (ثم باشـا) العلى الثامر(٤٠) سنة ١٢٨٠ هـ(٤١) (١٨٦٣ م) ودامت مشيختـه الى شعبان سنة ١٢٨٣ هـ(٤٢) (١٨٦٦ م) فاسندت الى الشيخ ناصر بموجب شرطنامة(٤٣) باللغـة العربيـة مؤرخة فى اول ايلول سنة ١٢٨٢ ايلولية(٤٤) (١٣ ايلول ١٨٦٦ م) مختومة بالختم الشخصى الخاص بدفتر دار ايالة بغداد « عبدالنافع عفت » وفى وسطها الجملة التركيـة «موجبنجه دستور العمل طوتلمق » والجملة مكتوبة بخط ديوانى مؤرخـة فى ٣ رمضان سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) مع اشـارة وتوقيع خاصين بالمشير نامق باشا والى بغـداد • ومفاد الجملة « لتتخذ (الشرطنامة) دستورا للعمل » اى ليعمل بهـا •

ومضمون الشرطنامة انه لما كانت مدة « التزام(٤٥) مقاطعات ديرة المنتفق قد انتهت وجب وضعها فى المزايدة بعد افراز بعض المقاطعات المجاورة للبصرة فقرر المجلس الكبير بحضور حضرة المشيرية(٤٦) بافراز المقاطعات المسماة الفياضية (الفياضى) والعامية ويوسفان وكوت الفرنجي وكبـاس (الكبـاسى) الكبير وكباس (الكبـاسى) الصغير وجزيرة العين وريان وجبارات وكتيبان

(بكاف عربية) وباغات(٤٧) الصفارية(٤٨) مع توابعها ولواحقهـا بحدودها المعلومـة » ووافق هـذا المجلس على حط وتنزيل بدلاتهـا السنوية البالغـة ٦١٥ر٢٢٥ غرشا من بدل السنة ١٢٨١ وهو ٣ر١٦٦ر٠٦٦ فوضعت مقاطعات ديرة المنتفق في المزايدة مع استثناء تلك المقاطعات التي شرط افرازهـا وضم ١ر٧٤٠ر٨٢٥ غرشا على الباقي من المطروح منه « شيخ مشايخ المنتفق صاحب النجابة الشيخ ناصر آل سعدون » وبعد انقطاع الرغبات أضيف على المجموع ٤٧ر٢٠٨ غروش وكسر عن رسم خرجباب(٤٨) والدلالية فبلغ البدل السنوى ٤ر٣٣٨ر٨٧٥ غرشا وبنتيجة الحساب بلغ بدل السنوات الثلاث التي تبتدىء من اول ايلول سنة ١٢٨٢ ايلولية (١٨٦٦ م) وتنتهي في غاية آب سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩ م) ١٣ر٠١٦ر٦٢٥ غرشا وقد حول المبلغ في الشرطنامة ايضا الى اكياس فبلغ عددها ٢٦٠٣٣ كيسا و١٢٥ غرشا واحيلت « مقاطعات ديرة المنتفق » بالاكياس المذكورة الى الشيخ ناصر (باشا) بكفالة راشد آل سعدون(٥٠) وظاهر آل سعدون على ان يدفع المبلغ الى الخزينة في بغداد بتقاسيط معلومة وفوض الشيخ في التصرف في جميع عائدات وواردات ورسومات عشائر المنتفق على المعتاد الجاري سابقا وشرط عليه انه « اذا احدث رسما جديدا فضلة عن الرسوم المتعاملة الجارية » تسأله الحكومة اعادة ما اخذه على هذه الصورة لاصحابه . واذا تداخل بدل التزام سنة سنة اخرى فالحكومة مخيرة في فسخ الالتزام أو في مقاضاة الفائض وفقا للنظام . واعطى الشيخ هـذه الشرطنامة لقاء سند حوى تعهده بالمال والشروط وبذيله كفالة الكفيلين(٥١) وبعد وقوع هذا الالتزام بمدة(٥٢) وجيزة منحت الحكومة الشيخ ناصر رتبة امير الامراء فغدا باشا وفي تلك الاثناء منحت ايضا الشيخ فهد (باشا) مثل هذه الرتبة(٥٣) .

لا ينكر ان ذلك التطور ـ وقد عقبه الارتكاس ـ لم يحدث شيئا مهما في هذه الانحاء ولابد للمصنف ان يذهب الى ان قلب هذه الادارة ظاهره سهل لكنه عسر . فلم يكن الامر من الهينات يوم كان جيش الحكومة جيشا لا يعتد به منه ما يسمى بالـ « هايته »(٥٤) والموظفة(٥٥) تلك الفئة المعروفة بمساوىء الاخلاق وتشويش النظام ومن هم على هذه الشاكلة من الجنود . ولا وسائط للسفر وللنقل اذ ذاك لدى الحكومة الا ظهور الخيل والابل والبغال والحمير

والسفن الشراعية • ولا وسائل لها لايصال الاخبار من هذه الانحاء النائية واليها الا السعاة وهم يمرون في سيرهم بارضين قطانها لا يقلون بداوة عن اهل هذه الديار ويتفانون في حفظ ابتعادهم عن سيطرة الحكومة • وفضلا عن تلك الاحوال ـ وجميعها بجانب آل سعدون ـ هناك عامل آخر هو ان آل سعدون في ديارهم فموقفهم موقف مدافع يكافح عن نفسه كلما اختلف في الامر وأتهم الحكومة • ولهذا كان آل سعدون اقوياء اشداء يصعب على الحكومة تبلبلهم ورضخهم • ومع اقرارنا بذلك علينا الا نسهو ان ديار المنتفق لم تكن الا مشيخة تعتمد على نفسها لا على غيرها فلا تستمد قوة من ناحية اخرى وان ذيهي آل سعدون كانوا يتزاحمون على مشيختها اذ كل منهم يرى في نفسه الكفاية لمسندها •

ولقد زاد موقفهم حرجا بعد ان بدأت الحكومة بايفاد ولاتها من الاستانة الى العراق وعدلت عن اقطاعه للولاة ببدل مقطوع مسمى • وبعد ان تعددت الدخانيات(٥٦) وهي تمخر الفرات ودجلة وان كانت الدخانيات في عهد طفولتها بالعدد والحجم وهي تحرق الاحطاب النابتة على ضفاف الرافدين لعدم منال الفحم الحجري • وجاء آل سعدون شيء آخر لم يكن في الحسبان هو مد سلك البرق فكان يطير الاخبار فاصبح هذا العصر بدخول هذه الاختراعات في العراق عصر تجدد فعل في نفوس المنتفق وآل سعدون ما تفعله اليوم الاختراعات الحديثة في النفوس ولا سيما في نفوس الاعراب •

ولما ازفت ساعة فتح ترعة السويس (١٨٦٩ م = ١٢٨٦ هـ) التي كان ينظر المفكرون الى ما ستحدثه في الشرق وفي اجتماعياته واقتصادياته جاء اتفاقا نصب مدحت باشا المعروف بمقدرته وحنكته واليا على العراق فدخل بغداد في ١٨ المحرم سنة ١٢٨٦ هـ(٥٧) (نيسان ١٨٦٩ م) وهو يجزم على تطبيق نظام الولاية وهي اصول حديثة وضعت في سنة ١٢٨١ هـ(٥٨) (١٨٦٤ م) وقد عهد اليه تطبيقها فانصرف يسعى في انتقاء الاسباب التي توصله الى الغاية التي يتوخاها في رفع مستوى القطر العراقي وانبرى يشوق الاهلين بهمة ونشاط للسير مع مدنية العصر • ولقد استرعى نظره اختراع البواخر والسلك البرقي فذكرهما في بحثه عن لزوم اتباع الرقي العصري في خطاب

اورده فى بغداد عقب قراءة فرمان توليته على العراق(٥٩) ولعله أراد بذلك ان يشير من طرف خفى بما عند الحكومة من الوسائل الجديدة لاستمالة من كان يظن فيه المخالفة لآرائه .

ومما قام به هذا الوالى فى باب ادارة العشائر انه استقدم الى بغداد الشيخ ناصر باشا المتربع على مسند المشيخة يومئذ وكان قد بقى من مدة مشيخته مدة قليلة(٦٠) فقدم الشيخ ناصر باشا فى ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٨٦(٦١) (١٨٦٩ م) فأبان له الوالى خطة التجدد التى يجب السير عليها فرغبه فى قبول تحويل المشيخة الى متصرفية بالفعل لا بالاسم مع بناء حاضرة فى ارجاء المنتفق تسمى « الناصرية » وعدد له حسنات الاستقرار فى موضع والعدول عن الحل او الترحال والسعى وراء ترقية الزراعة فتفرس الشيخ ناصر باشا فى الامر ففقهه وعلم ان وراء الاكمة ما وراءها من ان الحكومة قد صممت على ما ترتئيه وان وسائل المقاومة التى لديه لا تجديه نفعا فلا يمكن من ردع الحكومة عن مبتغاها فانصاع للامر وعين متصرفا وعين معاونا له قائم مقام الهندية السابق صاحب الرفعة عبدالرحمن بك ونائبا عبدالباقى افندى الآلوسى ومحاسبا الحاج سعيد افندى من موظفى محاسبة الولاية(٦٢) .

وفى ٢ جمادى الاولى من تلك السنة ركب ناصر باشا الدخانية عائدا الى المنتفق(٦١) . وفى ١٧ من الشهر شخص من بغداد الى المنتفق المحاسب الحاج محمد سعيد افندى ومعه رفقاؤه الكتبة(٦١) ثم اسفرت الحالة عن اجراء الترتيبات والتنظيمات الادارية اسوة ببقية الالوية طبقا لنظام الولاية . وجاء فى ذلك التطور بناء الناصرية وتفويض الاراضى الاميرية بسندات الطابو تبعا للقانون .

* * *

مر بك فى ما تقدم تطور المشيخة حتى صارت متصرفية فليست اذن المتصرفية بنت الساعة ــ كما يظنها كثيرون وينسبها بعضهم الى استسلام ناصر باشا ــ انما هى بنت اعوام كثيرة بعيدة ولقد رأينا ان الكوزلكلى هيأ الارض لهذه البذرة وجاء نامق باشا فزرعها وبعد بقائها فى الارض الوقت اللازم نبتت فى موسم لاءمها اذ قد اودعت العناية بالعراق الى يد مدحت باشا العاملة وهو ذلك

الرجل الذى لا حاجة الى الافاضة فى تعريف كفايته وقدرته فكانت الاحوال تقضى بوقوع هذا الانقلاب لا محالة شاء آل سعدون أو أبوا ومن حسن حظهم ـ وعلى رأسهم ناصر باشا ـ انهم ادركوا المسألة فقبلوا هذا القلب والتغيير ولم يعارضه معارض منهم • ولولا هـذا التفاهم والرضا لأضاعوا بصفقة واحدة المشيخة والتفوض فى الاراضى والتصرف فيها على الوجـه القانونى ولعادوا يجرون ذيول الخيبة واليأس •

اما قول القائل ان تفوض آل سعدون فى الارض وتصرفهم فيها فى لواء المنتفق تبعـا لقانون الاراضى ونظام الطابو قـد حـدد حريتهـم فى التمسك بالمشيخة فصدهم عن استعمال ما يفرضه عليهم واجبها من الدفاع فأدى بهم هذا التفوض فى الارض والارتباط بها الى فقدان المشيخة(*) فهو قول لا اعده وجيها لانهم قبل عهد مدحت باشا بل قبل عهد الكوزلكلي كانوا مرتبطين بالارض اريد بهذه الارض املاكهم الواسعة المغروسة نخـلا باسقا تلك الاملاك التى يعرفها من له أقل المام باملاك البصرة التى تحيط بها على مسافات بعيدة وعلى ان اعترف ان مشيخة المنتفق لم تكن مقصورة على لواء المنتفق الحالى بل كانت تمتد الى آخر حدود الفاو من جهته الجنوبية ومع هذا فان تملك آل سعدون للارض وارتباطهم بها لم يؤد بهم الى التخلى عن المشيخة • ولابد للمعترض أن يتخذ هذا الاقرار حجة يدعم بها رأيه القائل بأن ارتباطهم بالارض فى لواء المنتفق هوى بهم الى الانتزاح عن المشيخة • ولكنى اخالفه فى ما يرتئيه اذ انى أجـد ان سبب تقلص ظل المشيخة هو غير هـذا • وانى لاجـده فى انتباه الحكومة ـ ولو انتباها خفيفا ـ بانتهازها الفرص بعد اطمئنانها من طمع جارتها فارس بالبصرة وحدود العراق وايقاعها بالوهابيين وما اكثر المرار التى كانت تستعين الحكومة بآل سعدون وتتذرع بهم لدفع هذه الغوائل والشدائد وكانت تعرف نفسها مضطرة الى السكوت عن آل سعدون وترغب فى استمالتهم •

ولما صفا للحكومة الجو وغدت تنام ناعمة البال مطمئنة عن هاتين الطامتين ثم أزالت حكم المماليك وارادت ان تبدىء شيئا من الاصلاح الموعود به اخيرا

(*) كنت اردت بالقائل قول كتـاب اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث للونكريك بالانكليزية والمنقول الى العربية اخيرا •

فى خط كلخانة تخطت الى المشيخة في انحاء البصرة في الجنوب والسماوة في الشمال الغربى فلم يسع آل سعدون ان يصدوها عن ارادتها فتسامحوا معها عن هذه الاصقاع حفظا للباقى وحذرا من مصادرتها تلك الاملاك العزيزة • وبعد ان فازت الحكومة فوزا بعد فوز ـ رأينا منه نبذا في مطاوى المقال ـ وتم لها الامر هناك أطمعها بالباقى هذا الفوز المتعقب خطة البتر والافراز وهو لا شك كان يجر بالمشيخة الى الاضمحلال فلا يمسى آل سعدون الا لا علاقة لهم بلواء المنتفق بصورة باتة •

* * *

لقد عرفنا ان فى العهد الاخير كانت قد قلت عند الحكومة تلك الموانع التى كانت تلجئها الى البقاء على الحالة السابقة فتمكنت من تضييق تلك الدائرة الوسيعة • ثم ولدت الليالى العوامل الجديدة التى ذكرتها وهى : تعدد البواخر وانتظام الجنود الى درجة وفتح ترعة السويس ومد سلك البرق فغدا آل سعدون يخافون امكان تسلط الحكومة عنوة على ديرة المنتفق كلها لتلحق القضاء على المشيخة بما كانت قد أزالته منها سابقا فى لواء البصرة والسماوة وربما أدى تدبير الحكومة بها الى مصادرة املاك آل سعدون الواقعة فى لواء البصرة • وهو أمر يحذره جميعهم كما كان قد خافه الشيخ منصور بك (ثم باشا) وغيره مرارا(٦٣) •

وصفوة القول عندى ان انتباه الحكومة وما ملكته من الوسائل ذلك الانتباه الذى أزال آل سعدون عن انحاء البصرة والسماوة هو نفسه غدا يسرى على ما بقى من المشيخة فيفعل فعله بالتدريج • ولو لم يكن لآل سعدون أملاك فى انحاء البصرة لخرجوا من هناك صفر الايدى ولانتابهم الامر على هذا الوجه فى لواء المنتفق لو لم يرضوا بالتفوض فى الارض والتصرف فيها بالطابو ولأمسوا فى هذا اللواء ومعهم آل شبيب لا يملكون قيد شبر وباتوا فيه غرباء لا ناقة لهم فيه ولا جمل •

فقبول آل سعدون بالتفويض فى الارض والتصرف فيها على الوجه القانوني جعلهم ذوى علاقة اكيدة في هذا اللواء مع خلو يدهم من الحكم فيه

وان تدبيرهم لتدبير رشيد تركوا فيه جانبا الآمال فى البرق الخلب وتمسكوا بالحقيقة على سبيل ما لا يدرك كله لا يترك جله .

وليس هذا التطور خاصا بآل سعدون وحدهم بل ان جميع المشايخ الكبار للعشائر المتمدرة كالخزاعل وزبيد (بالتصغير) وكانوا ذوى بأس وصولة سجلها لهم التاريخ فى صفحات عديدة لم يبقوا على ما كانوا عليه ولا سيما بعد تنظيمات مدحت باشا فقد ضئلت تلك المشايخ الكبار وضمرت ولقد فقدت الحكم فى عشائرها وقعدت عنه شأن التمدر والحضارة كما دالت الايام على مشيخة « ابن قشعم » الملقب بـ (شيخ العراقين) الذى حطم الحدثان عزه البدوى الاثيل .

وفى هذا السبيل لنا مثال شبيه بذلك فى الشمال هو اسرة بابان حكام الاكراد ذوى الشأن العظيم وقد ملأت وقائعهم قسما مهما من تاريخ العراق .

ويستنتج من ذلك كله ان لا مسوغ للقول ان مشيخة آل سعدون هوت وانحلت عراها بقبولهم بتفوضهم القانونى فى الارض فى لواء المنتفق وتصرفهم فيها على هذا الوجه .

هذا ما ارتئيته ولكل رأيه والله اعلم .

لغة العرب (ص ٩٠) : لما كان كاتب هذه المقالة قد علق على « ابن قشعم » وآله تعليقة طويلة مفيدة فى جميع مطالبها فرزناها على حدة وجعلناها موضوع مقالة فنحيل القارىء على مطالعتها فى جزء آت .

الحواشى

(١) قد وردت هذه النسبة ايضا فى مختصر مطالع السعود للحلوانى المطبوع فى بومبى سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) ص ٢٢(٢) بكسر الدال وفى اصطلاحهم القطر أو الديار أو الاراضى الواسعة زراعية كانت أو غيرها(٣) الزعامة الكبيرة أو الكبرى(٤) ذكره مخطوط تركى قديم عندى وهو صغير الحجم فيه وقايع العراق بايجاز يبتدىء من سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) الا انه ناقص الاول وينقصه ايضا بعض الصحايف فى مطاويه وينتهى فى سنة ١١٦٤ هـ (١٧٥٠ م) وكذلك ذكره وذكر سعدونا اوتر Otter فى رحلته المطبوعة فى

باريس سنة ١٧٤٨ م (٢ : ١٩٢ وما بعدها)(٥) عن احد الرواة(٦) ذكره المخطوط(٧) عن احد الرواة(٨) عن مختصر مطالع السعود وعن دوحة الوزراء بالتركية . وأضيف الى ما قاله الاديب رزوق عيسى عن هذا الكتاب (ل ع ٤ : ٢٠٦) ان هوار *Huart* مؤلف كتاب « بغداد في الازمنة الحديثة » *Bagdad dans les Temps Modernes.* قال في مقدمته ص٥ ان طبعة الكتاب كانت قد اتلفت ولم يبق منها الا ثلاث نسخ واحدة منها عند المستشرق شفر *Schefer* فاني أظن انه قد غالى في الكلام اذ كنت قد رأيت نسخة من المطبوع عند حمدي بك سليل أسرة بابان الكريمة وقرأت وصف نسخة أخرى عرضها للبيع في ليبسك الكتبي هارساوتز في احدى قوائمه لسنة ١٩٣٦ المرقمة ٤٠٥ تحت عدد ١٤٢٦(٩) مختصر مطالع السعود ص ٤٣(١٠) كان انقراضهم سنة ١٢٤٧ هـ على يد الوالي اللازعلي رضا باشا في ٨ ربيع الآخر الموافق ليلة ١٦ ايلول سنة ١٨٣١ م (عن تقويم وقايع وهي جريدة الحكومة الرسمية) التي كانت تصدر في الاستانة في الورقة الثانية من الورقتين اللتين تقدمتا العدد الاول المؤرخ ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ وعن رسالة ثابت ص ٨٨ و٨٩(١١) هو ما يسميه القانون العراقي بالغرامة والكلمة مجهولة اليوم في الاستعمال وقد ذكرتها في ذلك العهد جريدة الحكومة المسماة الزوراء في عددها ١١ في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) بقولها : « ... واذا قتل شخص شخصا آخر فمراجعته ومحاكمته لا تجري على وجه الحق بل يعطي القاتل الف شامي (الشامي عبارة عن عشرة قروش) أي عشر الليرة العثمانية من الليرات الذهبية الذي هو بحكم المعتاد المسمى « نكال » للشيوخ وبذلك يخلي سبيله » وقالت في العدد عينه في حقل آخر : « ... ومع هذا يقع عند عشائر المنتفق خلاف ذلك (خلافا للشرع والقوانين السلطانية المستندة اليه مثلا) القاتل (في تلك العشائر) لا يكون اجراء مرافعته الشرعية مع ورثة المقتول . وباسم النكال يؤخذ من القاتل الف شامي ويكون تخليته واطلاقه » . أ هـ .

قلت ان هذا القول لقول مبتور كأن لا شيء على الفجار (بشدة على الجيم والفجار القاتل بيده) غير النكال ولقد شوه هذا القول الحقيقة وهي ان الشيخ

كان يلزم بـ الفصل (الدية من المال مع تزويج امرأة أو اكثر لورثة المقتول لتطييب القلوب وايجاد صلات ودية) القاتل أو القاتل وبيته القريب أو القاتل وعشيرته وفقا للعادات المتعارفة بينهم من تأدية النكال . واذا اختلف الفريقان فى أمر وقوع الجريمة أو فى مقدار الفصل ونوعه وغير ذلك فان الشيخ أو من يقوم مقامه كان يأمرهما بتحكيم حكم يسمونه فريضة (ويقال له عارفة ايضا ويجمع على عوارف وفرائض) أو فريضتين . والم يتفق الفريقان يعين لهما الشيخ أو وكيله الفريضة أو يحيل أمر التعيين الى احد كبار القوم فيعينه ويقضى الفريضة بين المتخاصمين ثم ينفذ الحكم مع تأدية النكال اذا ثبتت الجريمة .

واذا عدنا الى الصدد نبدىء ان النكال ليس بخاص بالغرامة التى تفرض لسبب القتل فقط كما بان من جريدة الزوراء بل ان الكلمة كانت تطلق على الغرامة . والغرض من الغرامة والنكال غرض واحد فى الماضى والحاضر وهو العبرة لمن فى نفسه السوء . والفرق بين النكال والغرامة ان النكال كان يتقاضاه الشيخ المتقاعد للمشيخة والمسؤول عن الامن العام وقد اوتى الحكم فى عشائره المنتفق . فهو غرامة تأخذها الحكومة بالواسطة ضمن البدل المتعهد به الشيخ وان الغرامة تفرضها اليوم الحكومة مباشرة فتتقاضاها .

ولقد مر على زمن النكال وعهد المشيخة نيف ونصف قرن وجاء اخيرا « نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩١٨ » (الذى اثبتته الحكومة بقانون فى سنة ١٩٢٤ سمته قانون تعديله) ينص على اتباع عادات العشائر فى دعاويهم وحسمها حسما موافقا لنفسيتهم لفصل النزاع الذى يخص افراد العشائر وفقا للعادات البدوية « وللموظف الادارى المخولة له رؤية هذه الدعاوى ان يمنع المحاكم النظامية المدنية والجزائية » من النظر فى هذه الدعاوى اذا ظهر له ان احد الخصمين فى احدى الدعاوى فرد من العشائر وترآى له ان حسم الدعوى وفق العادات البدوية اقرب الى رضى الطرفين ورفع النزاع رفعا تاما مما لو حسمتها المحاكم النظامية المدنية والجزائية سواء أقيمت الدعوى فى المحاكم المدنية أو الجزائية او لم تقم » وبناء على هذه السلطة نرى ان الموظف الاداري لا يجيز لهذه المحاكم فى المنتفق ان تنظر فى الدعاوى

الجزائية ولو كان احد الخصمين من الحضر الا في احوال نادرة وأقل من ذلك اذا كان الخصمان من العشائر وكذلك قل عن الدعاوى الحقوقية القائمة بين العشائر وبين افرادها وقد لا يمس شيء من هذا المنع في مثل هذه الدعاوى الحقوقية القائمــة بين الحضر وافراد العشائر . فهل من مزك للزوراء في انتقادها اتباع عادات العشائر في ذلك العهد ؟ .(١٢) سيأتي ذكر شيخ المشايخ في ما يأتي من الـكلام(١٣) ومن كان دون هؤلاء الشيوخ فهـو « رئيس » أو « قليط » ويطلق على الكبير والصغير منهم ويأتي بعـد « المذروب » ويقال له « الضرس » في بعض الاحايين(١٤) الزوراء عـدد ٥٦٦ في ٢١ شعبان سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) والكيس في ذلك العهد خمسمائة غرش ذهبا اى خمس ليرات عثمانية ذهبا(١٥) الزوراء عدد ٥٦١ في ٤ شعبان سنة ١٢٩٢ هـ(١٦) تقـويم وقايع عـدد ٤٠٩ في ١١ رمضـان سـنة ١٢٦٤ هـ (١٢٤٨ م) معربا وملخصا(١٧) تقويم وقايع عدد ٤١١ في ٢٤ شـوال سنة ١٢٦٥ هـ(١٨) يظهر ان هذه الايالة غدت متصرفية بعد مدة وجيزة ومما يؤيد قول الزوراء هذا انه جاء في تقويم وقايع في العدد ٤٦٧ المؤرخ ١١ رجب سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م) انها متصرفية(١٩) الزوراء عدد ٥٦٨(٢٠) تقويم وقايع العـدد ٤٥١ في ٧ رمضان سنة ١٢٦٧ هـ(٢١) تقويم وقايع العـدد ٤٧٣ في ٥ ذى الحجة سـنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م)(٢٢) عن مسودة الرسالة التركية لسليمان فائق بك ابن كتخدا بغداد سابقا الحـاج طالب اغا وهى تاريخ المنتفق وضعهـا مؤلفها عن لسان غيره كما فعل برسالته المعنونة : « بغداد كوله من حكومتك تشكيليه انقراضنه دائر رساله » طبع الاستانة سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) وقد نسبها الى ثابت وهو ابنه نعمان ثابت بك . وكان المؤلف رفيقـا للمرحوم السيد محمود الآلوسي في رحلته الى الاستانة وقد ذكره في كتـابه غرائب الاغتراب طبع بغداد سنة ١٣٢٧ هـ ص ٤٤ وقد علقت عليه المطبعة عدة اسطر وقالت ان وفاته كانت سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م)(٢٣) عن صور مكاتيب لوالدى كان كتبها في ذلك العدد(٢٤) كتاب قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين لابنه الفاضل محمد رشيد افندى طبع في بومبى سنة ١٣٢٥ هـ ص ١٢٥(٢٥) عن تدوين في ذلك العهد(٢٦) رسالة سليمان فائق بك(٢٧) كذلك رسالة سليمان

فائق بك(٢٨) كان يطلق تعبير « قائم مقام » فى ذلك العهـد على أغلب حكام الالوية الاداريين وبعد ذلك اطلق على جميعهم كلمة « متصرف »(٢٩) كانت من الرتب الملكية السيفية وهى تقابل رتبة قائم المقام العسكرى الا ان الاخيرة تتقدمها • وكان قد اجرى تنسيق فى تقديم بعض الرتب وتأخير بعضهـا كما ورد فى تقويم وقايع فى العدد ٣٦٧ المؤرخ فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧ م) (٣٠) كتبت ان اسمه تامر وهو هنا ناصر (باشا) اخو الشيخ منصور (باشا) (٣١) المقدام على الحرب الحاث عليها(٣٢) يريد به الشيخ منصور بك (باشا) (٣٣) اشارة الى هذه الرتبة وانى لآسف لعـدم سماعى البيت الثانى (ثم سمعته اخيرا واوردته فى هذه الطبعة) (٣٤) الكيس هنا خمسمائة غرش اى خمس ليرات ذهبية او نحوها (راجع لغة العرب ٤ : ٥٧٦ و٥ : ٢٦) (٣٥) مكاتيب والدى ويقال لشطرة العمارة قلعة صالح ايضا(٣٦) مكاتيب والدى(٣٧) عن تدوين فى ذلك العهد(٣٨) رسالة سليمان فائق بك(٣٩) سليمان فائق بك وغيره(٤٠) سليمان فائق بك(٤١) عن بحث جاء فى صورة الدعوى التى كان قد اقامها سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٥ م) فهد باشا فى محكمة تجارة بغداد على روبين ويوسف ابنى مير بن داود • ووكيل المدعى الحاج ابراهيم المنديل والوكيل عن المدعى عليه روفائيل ياغجى الذى كانت مهنته وكالة الدعاوى(٤٢) مكاتيب والدى والاعلام المذكور • ويؤيد تاريخ سنة ١٢٨٣ هـ موافقة مضمون رسالة سليمان بك المكتوبين من نامق باشـا المؤرخين فى شعبان سنة ١٢٨٣ هـ وقد بعث بهما الى الشيخ ناصر (باشا) يستقدمه الى بغداد • ولقد عين بعد ذلك فهد باشـا متصرفا فى الديوانيـة فى جمادى الاخرة سنة ١٢٨٦ هـ ثم انفصل عن المتصرفية فى ذى القعدة من تلك السنة (الزوراء عدد ١٦ : ٢٢) جمادى الاخرة سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) وعدد ٣٧ : ٢٨ ذى القعدة(٤٣) وقيل فى آخرهـا ضبطنامة وهى كلمة مترادفة(٤٤) كانت الحكومة العثمانيـة قديما تعتبر فى بعض الشؤون المالية رأسا للسنة اول مارت بالحساب الشرقى وتعرف سنتها بعدد سنى الهجرة القمرية وتوسعت فى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) فى تعميم هذه القاعدة فى مثل هـذه الشؤون ثم فى سـنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) عدلت عن قاعدتها السابقة فى أمر عدد السنين وعدت هذه السنة الاخيرة مبدأ لها لا يتغير

في عدد سنيها فغدت تعتبر السنة كما يعتبر اهل الحساب الشمسي الشرقي وشرعت تضيف سنة على سنيها السابقة كلما دخل مارت (ملخصا عن « تاريخ جودت » المؤرخ التركي المجلد ٦ وعن « تقويم احقاب » بالتركية لحسن تحسين طبع الاستانة في سنة ١٣١٧ ﻫ أو بعدها) وكان يقال لهذه السنة رومية نسبة الى الروم الذين اخذت عنهم الحكومة الحساب الشمسي او مالية لانهم يريدون بها انها وضعت لحساب المال ٠ أو مارتية لابتدائها في مارت ٠ واما السنة الايلولية فقد جاء عنها في كلشن خلفا في حوادث سنة ١٠٩٢ ﻫ (١٦٨١ م) ان والى بغداد الوزير ابراهيم باشا استأذن السلطان بأن يعتبر اول ايلول (شرقي) رأسا للسنة في شؤون المقاطعات لتداخل المحصولات بعضها في بعض وهو أمر يخل بحال الامناء والرعايا لتداخل الشهور العربية (القمرية) في الرومية فصدر الفرمان مجيزا للوالي اتخاذ هذه الاصول ٠ وكان اول ايلول (شرقي) موافقا لليوم التاسع من شهر رمضان ١٠٩٢ ﻫ ٠ ونظرا لما رأينا في هذا الالتزام يظهر ان الحكومة لم تنصرف عن اعتبار اول ايلول رأسا للسنة في شؤون الالتزامات ولا سيما في التزامات المحصولات الارضية الا بعد مجيء مدحت باشا ٠ ولا يزال الزراع اليوم يحسبون مواسمهم في الزراعة تبعا للحساب الشمسي الشرقي غير معتقدين بصحة الحساب الغربي الغريغوري(٤٥) تعهد فرد أو جماعة للحكومة بمال معلوم لقاء احالتها حقوقها له أو لها لمدة معلومة(٤٦) الوالي والمشير نامق باشا(٤٧) بساتين(٤٨) ووردت اسماء هذه المقاطعات في مقالة البصرة وانهارها لمعالي باش اعيان ٠ (ل غ ٣ : ٥٧ و١٢٥) (٤٩) كتب هذا التعبير في الشرطنامة بصورة خرجباب أو خرج باب فيظهر انهم كانوا يلفظونها باضافة فارسية لخلو الباب من أل التعريف ٠ وكان يقال لدار الحكومة قبو أو الباب أو الباب العالي بين العوام ومثلها للحكومة مجازا ٠ وهناك وظيفة اسمها « باب عرب » (لغة العرب ٣ : ٦٤٤) وحاشية القنصل الفرنسي ريمون *Raymond* على كتاب رحلة المستر ريج *Rich* البريطاني الى خرائب بابل (الص ١٨٨) والكتاب مطبوع في باريس سنة ١٨١٨ ومن هذا يبين ان الخرج الذي نحن بصدده وضع اما للحكومة اضافة الى مالها واما للموظف « باب عرب » كان يتقاضاه مباشرة في وقت من الاوقات

ثم مزجته الحكومة بمالها لقاء راتب كانت تدفعه الى من هو موظف باب عرب(٥٠) هو غير والد الشيخ ناصر (باشا)(٥١) الشرطنامة والسند هما عندي مع جدول بتسليم البلغ للحكومة وقد أدى المبلغ تماما(٥٢) سليمان فائق بك وكنت قد قلت هنا (اى ل ٠ ع ٠ ٢ : ٦ حاشية) انها رتبة مير ميران والصحيح انها امير الامراء اما رتبة مير ميران فلقد نالها فى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) كما جاء فى الزوراء فى العدد ٣٦ المؤرخ فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٨٦ هـ ٠ ورتبة امير الامراء تقابل رتبة قائم المقام من الرتب العسكرية وهى تتقدم على الرتبة الاخيرة ولصاحبها لقب باشا ٠ فامير الامراء هى دون مير ميران الفارسية التركية التركيب وان كان معناهما واحدا(٥٣) سليمان فائق بك(٥٤) هكذا يلفظها البغداديون واما ضبطها فى المعجم التركى الفرنسى لديكران فبصورة « هايطه » وفى عثمانلى تشكيلات وقيافت عسكريه سى لمحمود شوكت ٢ : ١١ « حايطه » ٠ وقال شمس الدين سامى فى معجمه وقد كتبها كما صورها ديكران ان الاصح ان يقال فيها « هايدا وهايتا » ومعناها الحيدود والعاصى » أ هـ ٠ والهايته هم اسلاف الضبطية (الذين اوجدوا فى ايام مدحت باشا كما سنرى) ثم الجندرمة واليوم الشرطة ولا سيما الفرسان منهم ٠ ولما كان قد جرني البحث الى هذه الفئة الغشوم رأيت ان انقل بعض ما ورد عنها فى الزوراء فقد قالت فى عددها ٢ المؤرخ فى ١٢ ربيع الاول سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) ما هذا وصفه : « نفرات الموظفة وعساكر الضبطية ٠٠٠ هى فئة على غير نظام وقاعدة ٠٠٠ والحال ان العساكر المخصوصة الذين يستخدمون فى امور انضباط المملكة مع كون ادارتهم تحت قاعدة ونظام تقتضى ان تكون البستهم على نسق واحد ٠٠٠ وان يعتبر لهم الاى وطابور وبلوك ٠ ولكل لواء أو سنجاق يتخصص طابور مخصوص ويكونوا جميعا تحت أمر الاى بكى فى المركز ٠ هذا من اقتضاء اصول الولاية ٠ والموجود فى دائرة الولاية عبارة عن ثمانية الاف وكم نفر فالان ضبطية الباشبوزغ (باشى بوزوق رأسه غير منتظم) ونفرات الموظفة كاملا الغيت وتعين بمحلها الفين واربعمائة وكم نفر خيالة واربعة الاف وكم نفر بيادة اى راجل مجموعها مع الضباط عليها ستة الاف ومقدار كم نفر فقد تشكل الآى للضبطية والى الآن فرقة من البلوكات

انفتحت وترتبت ونفرات ضبطية اكثر المحال على هذا الوجه حصلت المباشرة في ترتيبهم وتعينهم ومن جهة الاخرى تنظيم الاسلحة والالبسة » أ هـ . وقال العدد ٦٢ المؤرخ في ربيع الآخر سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) نظام مأموري الحكومة في ايام داود باشا (وخلفه) علي (رضا) باشا وعلى الخصوص الذين يعرفون شغل المملكة ويعطون لافعالهم رونق التجارة المشروعة فهم بواسطة « الباشبوزق » الذي يطلق عليهم « هايته » كانوا يظلمون الخلق وعلى الخصوص في مواد الزراعة والالتزام والمقاطعات كانوا يتعدون على النـاس تعديا فاحشا الى ان جـاء المرحوم (محمد) رشيد باشا ـ نورالله قبره ـ فشمر عن سـاعد الاهتمام في رفع هذه المظالم من الوسط وكذلك اخلافه الكرام بعده سعوا في ذلك . وبقية السيوف من تلك المظالم بقت تشخط بنفسها الى ان وصلت الى حد التشكيلات الجديدة ... » أ هـ(٥٥) وقالت هذه الجريدة في عددها ٥٠٥ المؤرخ في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) تحت عنوان :

الموظف والضبطيـة

« ... كان قبل هذا موجودا في اكثر محال ولايات الدولة بدرجة ان يقال لعمومها نوع من الضبطية غير منتظم عبـارة عن اخلاط « الباشبوزق » يسمى « موظفة » و « هايتة » وكان اولئك يستخدمون بضبط المملكة وربطها وبعض المحاربات عند الايجاب . وكان هؤلاء الموظفة بادارة بعض الضباط الذين هـم باسامي مختلفة مثـل « بلوكبـاشي ويوزباشي وسركرده » الا ان الاشخاص الذين يقال لهم ضباط لا يفكرون بمنافع الملك والملة قطعا بل هم ينظرون فيما ينفعهم فقط . فاذا كان اعطى لاحدهم ماية نفر مثلا فانه عن قليل لا يستخدم ثلاثين منهم بل يدخل اسمائهم في الدفتر فقط ثم يملأ به استحقاقهم كيس طمعه ... حتى ان بعض عديمي الانصاف منهم ايضا ما كانوا يقنعون بالمناصفة . اما حضرة ... سلطان البر والبحر ... فانه أمال انظار العاطفة ... الى الامر اليهـم ... وكذلك لما ان تعلقت ارادة حضرة الملك الاعظم ... بلغو الموظفة والهايتة ايضا بودر بوضع اصول التشكيلات الجديدة لكل ولاية مع تحرير الضبطية المنتظمة . فمن هذه الجملة انه كان قد وضعت التشكيلات في ولاية بغداد ايضا واعطيت الرخصة لمن يتجاوز سبعة عشر الفا من المستخدمين

من قبل اخلاط الباشبوزق والغى اصول « الهايتة » وفتحت طوابير وبلوكات منتظمة مثل العساكر النظامية ... » اﻫ . وهنا روت الزوراء مقدرة الضبطية المنتظمة فى الاحساء ادلت بها برهانا على ما جنته الحكومة من هذا الانتظام(٥٦) هكذا كان يسمى الاعراب البواخر لرؤيتهم دخانها . وكان الكوزلكلى قد اوصى فى انفرس فى بلجيكة على باخرتين او اكثر . ولم تصل هاتان الباخرتان العراق الا بعد وفاته . سميت الاولى « بغداد ـ والاغلب يقال بغدادي ـ » وقد وصلت فى عهد السردار عمر باشا ثم جاءت بعدها الباخرة « بصرة »(٥٧) عن تدوين دونه احدهم بايام قدوم الولاة بغداد ومغادرتهم اياها(٥٨) الدستور العثمانى ١ : ٦٠٨ و٦٢٥(٥٩) تحريرات نادرة بالتركية من مطبوعات الاستانة (الص ٥٣٧) وما بعدها والزوراء العدد ١ فى تاريخ ٥ ربيع الاول سنة ١٢٨٦(٦٠) سليمان فائق بك ومكاتيب والدى(٦١) مكاتيب والدى(٦٢) الزوراء المرقمة ١١ المؤرخة فى ١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٨٦ ﻫ(٦٣) سليمان فائق بك .

* * *

قشعم فى التاريخ

يقول الاعراب « جشعم » بجيم كجعفر . وفى مختصر مطالع السعود (ص ٢٧) عن القاموس أن قشعم لقب ربيعة بن نزار وفى هذا المختصر « ان المشهور بين العرب انهم « آل قشعم » من بنى ماء السماء يعنى من قحطان » اه

ويقال ابن قشعم لكل فرد من هذه الحمولة ولا سيما للشيخ منهم اذا أرادت الاعراب تعظيمه أو حكت عن أيام مجد بيتهم . فابن قشعم علم لكل منهم كما يقال ابن سعود وابن رشيد وابن هذال وابن سويط فى مثل هذه الحال . وآل سويط هم شيوخ الضفير منذ ثلاثة قرون على أقل تقدير وكان شيخهم فى سنة ١٠٨٠ ه (١٦٦٩ م) وسنة ١٠٩٦ ه (١٦٨٤ م) سلامة بن مرشد بن صويت (كذا) جاء ذلك فى كتاب سمط النجوم العوالى فى أنباء الاوائل والتوالى لعبدالملك بن حسين العصامى المتوفى سنة ١١١١ ه (١٦٩٩ م) . وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا رأيت نسخة من مجلد منه يبتدىء بالمقصد الرابع وهى للكتبى نعمان الاعظمى فى بغداد وكان قد جاد على بها للمطالعة . وذكر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان (٣ : ٣١٢) نسخة من هذا المخطوط فى الخزانة الخديوية ومنه نسخ منها تامة ومنها ناقصة فى خزانة المتحفة البريطانية والخزانة الاهليـــة فى باريس وخزانة اليســوعيين فى بيروت وخزانة الكتبى بريل فى ليدن .

* * *

نعود الى صددنا واذا قالت المنتفق « العراك » (بكاف فارسية) فهى تريد سقى الفرات الواقع بين منحدر الحلة من جهة الشمال ومنحدر السماوة من جهة الجنوب وفى ذلك لواء الديوانية كله ألم يكن موضوع البحث خاصا بالعراق برمته فتكون المنتفق قد تمسكت بمفرد كلمة العراقين اللذين قال عنهما معجم البلدان « ... والعراقان الكوفة والبصرة ... » فما أحفظ الاعراب للاعلام ولا تستثنهم عن شوارد اللغة !

وكان يراد وقتا بالعراقين قطرنا العزيز وعراق فارس ويظهر ان هذا

الاسم بالتثنية بمعنى عراقنا وحده كان معروفا فى فارس حتى العقد الرابع من القرن السابع عشر اذا صح ما قاله اوريايوس فى رحلته(١) التى جاء فيها فى ص ٣٦٠ « ... والمتعارف ان « عراق آثور » يسمى « العراقين » وجاء فى «اوليا جلبى سياحتنامه سى » المطبوع فى الاستانة سنة ١٣١٥ هـ المجلد ٤ : ٤٠٧ ما قوله فى الخطبة التى قرئت بين يدى السلطان مراد الرابع بعد فتحه بغداد سنة ١٠٤٨ « مولانا خادم الحرمين الشريفين ومولانا ملوك (كذا) (بمعنى ملك او ان الاصل هو ملك ملوك فتسمى المرتب الكلمة الاولى) العرب والعراقين . » اهـ

* * *

سألت الاعراب فى المنتفق عما يقصدونه بالعراقين الواردة فى لقب ابن قشعم فجاء تعريفهم مطابقا لسقى الفرات الذى ذكرته وهو الذى يعرفونه بالعراك وعللوا التثنية باحتمال قسمة ذلك السقى الى شمالى وجنوبى او الى شرقى وغربى ولكنى لا أظن صحة قولهم هذا وللاعراب ايضا حدس آخر هو ان العراقين هما ذاك السقى وما فوقه الى حد يجهلونه فلم يوقفونا على سبب التسمية وفاتهم المعرفة بان البصرة كانت أحد هذا العراقين فى عهد بعيد جداً.

ويمكن لبعضهم أن يعللوا سبب تلقيب ابن قشعم بشيخ العراقين توسعا يوم كانت فارس مستولية على العراق . وعلى وجه آخر انه أريد بهذا اللقب انه شيخ برية الكوفة والبصرة لواقعة لعلها حدثت فى انحاء البصرة كان له فيها الظفر والغلبة : قلت لعلها لانى لا أقبل ما قاله غاية المرام من أمر مانع وابنه محمد وسعدون ابن الاخير منهما الذين عرفهم بانهم امراء آل قشعم اذ ان الصَحيح انهم شيوخ المنتفق بلا شك ولا شبهة أو ان غزية (بفتح الغين وكسر الزاى وتشديد الياء المفتوحة وفى الآخر هاء) وهم آل رفيع (بضم الراء وفتح الفاء) وآل حميد (بضم الحاء وفتح الميم) وساعدة (بكسر العين) وآل بعيج (بالتصغير) وغيرهم أطلقوا عليه ذلك اللقب الضخم لما كان لابن قشعم من السلطة والنفوذ ولا سيما على ضفتى الفرات وبالاخص على الغربية منهما حسبما روته كتب التاريخ العربية والتركية والفارسية .

وقد بقي على الفرات لهذا البيت رسم من تلك الايام الغابرة حفظته النسبة

للارض الزراعية المسماة « المهناوية » الواقعة فى لواء الحلة وهى مربوطة بقضاء مركزه وعانة (كنسابة) الواقعة هنالك كانت لهم ايضا •

نسب الى عقاب بن قشعم شيخهم الحالى نفسه وهو فى أول الشيخوخة من العمر فقال : انا عقاب بن صقر بن ثوينى بن عبدالعزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا بن سعد بن غزى(*) (كسر الغين كسرا غير واضح وزاى مشددة مكسورة) الذى نزح من نجد الى ديار العراق • ويبين من عدد آبائه الذين ذكرهم ان قدوم حمولته الى العراق كانت حوالى منتصف القرن السادس عشر • واول ذكر عرفته عنهم لا يتعدى العقد الثانى من القرن الحادى عشر للهجرة (١٦٠٢/١٦١١ م) كما روى لنا ذلك كلشن خلفا بالتركية (مؤلفه نظمى زاده مرتضى افندى من رجال القرن الثانى عشر للهجرة) وغيره من الكتب •

واذ جرنى الكلام الى تدوين نسب عقاب فاسترسلت فى الموضوع فلا بأس من ايراد كلام عن بعض أجداد عقاب •

ان لناصر المهنا ذكرا بينا فى كتب التاريخ الثلاثة ولا سيما فى كتاب عالم آراى عباسى لاسكندر بك تركمان من رجال القرن الحادى عشر وهو مطبوع فى طهران سنة (١٣١٤) (١٨٩٦ م)

وذكره من الاوربيين تكسيرا فنعته « بملك عربى » فى رحلته المترجمة الى الانكليزية فى ص ٥٣ *The travels of Pedro Teixeira...London 1902* فقال « ان هذه البلدة (مشهد الحسين أى كربلا) ومشهد على (النجف الاشرف) هذا تابعتان لمير (الامير) ناصر وهو ملك عربى رافد للاتراك يعيش فى أعالى تلك الاراضى » وقال فى ص ٧٢ بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٦٠٤ (١٠١٣ هـ) وبعد ان سرنا فرسخا ونصف فرسخ حططنا لدفع الرسوم التى يجب دفعها الى المير ناصر وهو ملك عربى من عشيرة ابن أمانة *Emana* وهو حاكم مشهد على ومشهد الحسين « وما أمانة الا تشويه « مهنا » اذ يصعب على سائح أن يضبط الاعلام وهى غريبة عنه •

وذكر ناصرا أيضا ديلا فاله *Della Valle* فى رحلته الشهيرة

(*) الصحيح غزى بن سعد كما سيرد تصحيحى له

(١٦١٦/١٦٢٥) في عدة مواضع جاء فيها في سنة ١٦١٦ م (١٠٢٥ هـ) ما تعريبه من رسالته السابعة عشرة المؤرخة في ١٠ كانون الاول سنة ١٦١٦(٢) « فبتنا في بئر النص (اى بئر النصف بين بغداد والحلة) ... وبعد مرورنا بيومين نهبت قافلة هناك أو بمقربة من ذلك المكان . نهبتها جماعة قوية من الاعراب . أما أنا فلحسن حظي - فضلا عن اني لم أر أحدا من هؤلاء - لقيت أحد كبار قواد بغداد كان قدم الى هنا قبلي بأمر من الباشا ومعه نيف ومائتا فارس ليستميل شيخا ويصحبه الى بغداد وهذا الشيخ هو قائد من قواد الاعراب - وان شئت فقل أميرا من أمرائهم - واني لاظنه أميرا لانه من عداد الذين يهمون الاتراك في النفع والغرض من طلب مجيئه الى بغداد هو حشد القوى فيها للشروع بعدئذ بمحاربة ملك فارس وقد أكثر قائد بغداد من فرسانه زيادة في تعظيم هذا الشيخ .

وكان يسمى هذا الشيخ أو الامير ناصر بن مهنا لانه ابن مهنا أو انه من ذريته ... » اهـ

وذكر المؤرخ اسكندر بك وديلافاله ان لناصر ابنا اسمه أبو طالب وقال ديلافاله انه كان قد قام مقام أبيه المتقدم في السن

قال روسو قنصل فرنسة في بغداد في رحلته في سنة ١٨٠٨ من بغداد الى حلب *Voyage de Bagdad a Alep par J.B. Louis Rousseau 1808 Paris 1899* في ص ١٣٦ ما تعريبه :

« فمررنا بحجة على الفرات ... فرأينا على الضفة المقابلة جبل اردى *Erdi* وعلى منتهاه شيء كالقبة قيل لي انه قبر ناصر المهنا ابن جشعم ويعتقد الاعراب انه من أصحاب الكرامات » اهـ ولا تزال ذكرى ناصر على ألسنة الاعراب تلهج بمدحه والثناء على أخلاقه ورفعة مقامه .

وذكر كنعان كتاب غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام (مخطوط) لياسين بن خيرالله العمرى وكانت ولادة المؤلف سنة ١١٥٨ (١٧٤٥ م) فقد قال فيه « وفي سنة ١٠٧٥ هـ (١٦٦٤ م) عين السلطان لفتح مدينة اللحسا (الاحساء) الامير يحيي اغا وكنعان أمير قشعم فساروا (كذا أى فسارا) الى اللحسا فقاتلوهم (كذا) بني (كذا) خالد ثم هرب أميرهم براق » اهـ

وأظنها براك بفتح الباء وتشديد الراء وكاف عربية في الآخر وهذا الاسم من أسماء الاعراب ولا أعرف لهم براق بقاف .

وجاء في هذا المخطوط ما قوله عن صقر الاول . والحرب سجال . وفي سنة خمسين (بعد المائة والالف) سار (الوالي أحمد باشا) من بغداد بالعساكر وحارب عرب قشعم فهرب أميرهم صقر وغنم عسكر بغداد وحما (كذا أي حمى) احمد باشا بيت صقر من النهب ثم صالحه وعفى (كذا) عنه ومدح احمد باشا أحد الفضلاء السيد عبدالله فخر (فخرى) زادة بقصيدة طنانة منها قوله :

عقاب الوغى لما بدا طار صقرهم   لدى حيث القت رحلها أم قشعم

وردت هذه القصيدة وأبياتها ثلاثة وعشرون في حديقة الزوراء للشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ عبدالله السويدي (مخطوط أقول هذا عن مختصرها المخطوط ايضا للاديب سليمان آل دخيل قائممقام الجبايش في لواء المنتفق في وقتنا الحاضر) . وهذه النسخة موجودة في خزانة الآباء الكرمليين في بغداد . وقد نقل هذا المختصر ثلاثة أبيات من القصيدة جاء منها البيتان الاولان في مجلة المشرق (١٦ ، ١٩١٣ ، ١٧٢) بوصفها ديوان الناظم « فخرى زاده » .

والصحيح ان هذه الواقعة كانت سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) على ما ضبطها الشيخ عبدالله السويدي في آخر بيت من قصيدة له امتدح بها الوالي أحمد باشا على ما جاء في مختصر حديقة الزوراء . قال الناظم أبو مؤلف الحديقة :

ان يضق رحب الصحارى أرخوا

هل بصقر في صحارى الهول وكر (١١٥٢)

وما يؤيد صحة ورود هذه السنة رواية دوحة الوزراء وأظن ان مؤلفها قد نقل عن السويدي على ما يبين من عبارات ساقها المؤلف في مقدمة كتابه .

اتفق مختصر حديقة الزوراء ودوحة الزوراء على تعين السنة لكنهما اختلفا على صقر اختلافا طفيفا اذ قال المختصر صقر المسمى سعدا . فقالت الدوحة عن صقر « عم الشيخ » واما غاية المرام فانه اكتفى بقوله « صقر » ولم

يزد ويمكن تعليل قول المختصر « صقر المسمى سعدا » بأحد الوجهين فاما لكون صقر من أحفاد سعد أو لانهم أرادوا بذلك الكناية عن الصقر الذى يقال له « طير السعد »

ولم يهمل التاريخ عبدالعزيز وشبيب ابنى حبيب فان على باشا كتخدا والى بغداد غزا آل قشعم فى سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) وكان كل من عبدالعزيز وشبيب شيخا على فريق منهم فلم ينل مرامه فاضطر الى الاستمالة والباس الخلع ثم عاد الى بغداد(٣)

هذا قليل من كثير مع ما توسعت فى المقال . ونرى الآن آل قشعم عشيرة خاملة الذكر فيها العرب الاقحاح من جهة الوالدين وفيها أنسال عبيدها المتقشعمين ترعى ابلها فى لواء المنتفق على الغالب ولم تبق عليها مسحة مما مضى ولقد مسختها العوادى مسخا .

الحواشى

(١) الترجمة الفرنسية طبعة باريس سنة ١٦٦٦ م *Relation du voyage d'Adan Orealius en Moscovie, Tartarie et Perse...nouvelle ed., Paris 666*

(٢) الترجمة الفرنسية طبعة باريس سنة ١٦٧٠ م الص ٥٣ (٣) دوحة الوزراء ومختصر مطالع السعود

الص ٢١٦ الجزء ٤ من السنة ٥ = (١٩٢٧/٢٠)

ابن الجوزى

مؤلف كتـاب مناقب بغـداد

ذكرى المؤلف فى كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى

ارتاب بعض الارتياب الكاتب البارع محمد بهجة الاثرى فى صحة اسناده كتاب مناقب بغداد الى أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد البكرى الحنبلى الملقب جمال الدين الشهير بابن الجوزى المتوفى فى سـنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) وذلك فى المقدمة التى صدر بها الكتاب الذى طبعه فى بغداد فى سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) • وجاء بعده الفاضل البحاثة يوسف غنيمة فى هذه المجلة (٤ : ٢٧٤) فكشف اللثام عن هذا العزو المرتاب فيه فأبان لنا بدليل واضح استخرجه من الكتاب نفسه بأن مؤلفه كان حيا يرزق فى سـنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) ثم نسب (غنيمـة) تأليف الكتـاب الى الشـيخ ابى محمـد يوسـف بن أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى المقتول فى فتنة التتار فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وهو ايضا مؤلف كتاب « الايضاح لقوانين الاصطلاح » فكأنه أراد أن يقول ان المؤلف هو ابن لابن الجوزى المتوفى فى سنة ٥٩٧ هـ •

عرفنا من مقدمة الاثرى ان ما أدى به الى ذهابه الى هذا الرأى هو اتفاق اسم المصنف وكنيته ولقبه الواردة فى صدر المخطوط مع اسـم وكنية ولقب المتوفى فى سنة ٥٩٧ هـ وان ما حمل غنيمة على رأيه هو وقوفه على ان « الشيخ أبا محمد يوسف بن أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى » كان فى قيد الحياة فى سنة ٦٥٤ هـ لكن غنيمة لم يصب كبد الحقيقة • وقد نشأ ذلك من عدم اطلاعه على الكتب التى تحتاج اليها هذه المواضيع لندرتها وقد أتاح لى الحظ الوقوف على المؤلف على ما يظهر لى •

لو كان مرجعى لتعريف مؤلفنا الى كتاب مطبوع او مخطوط مبـذول لالمعت اليه اذ الاشارة اليه تكفينا مؤونة الاطـالة الا ان هـذا الكتاب لا يزال مخطوطا لا تعرف له نسخة ثانية على ما علمته من فهارس المخطوطـات التى

بيدى ومن غير ذلك . ولهذا لا بد من التوسع فى الموضوع لانه لا يخلو من فائدة اخرى أخالها جزيلة فيكون هذا التبصر نموذجا جديدا من الكتاب اضافة الى ما نقل عنه كما سيجيء وهو يتكلم عن أربعة رجال من بيت ابن الجوزى وهم : محى الدين أبو محمد يوسف وأبناؤه جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن وشرف الدين عبدالله وتاج الدين عبدالكريم .

ان الكتاب الذى يرشدنا الى معرفة المؤلف هو نسخة من مخطوط فى التاريخ والتراجم وهو اليوم فى الخزانة التيمورية فى مصر استنسخها العالم الجواد احمد تيمور باشا فاهداها الى الاب صاحب هذه المجلة ويبتدىء الكتاب الذى نحن بصدده بقسم من سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) وينتهى فى سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) فهو عزيز جدا لندرة ما وصلنا من ذلك العصر الذى انصرف القلم عن التحبير والكتابة فى أكثره ولضياع ما كانت الاقلام قد أبرزته .

وفى كتابنا هذا فى عدة مواضع ذكر لجمال الدين أبى الفرج عبدالرحمن ابن الجوزى المقتول فى سنة ٦٥٦ هـ ويتفق اسمه ولقبه وكنيته كل الاتفاق واسم ابن الجوزى المتوفى فى سنة ٥٩٧ هـ وكنيته ولقبه . فيجدر بى - الم يتحتم على - أن أرتئى ان جمال الدين أبا الفرج عبدالرحمن الذى ذكره كتاب التاريخ هو مؤلف المناقب ولو انه أغفل ذكر مؤلفاته ومن ثمة ما جاء فى صدر الاصل من كتاب المناقب عن اسم المؤلف ولقبه وكنيته صحيح لا غلط فيه . والذى عرفه غنيمة هو والد المؤلف ويبين من كشف الظنون مادة « الايضاح » القائل ان مؤلفه هو ابن أبى الفرج عبدالرحمن انه يريد به أبا الفرج المتوفى فى سنة ٥٩٧ هـ . هذا الم يكن غيره كما أوهم الاتفاق الاثرى على ما رأينا . وعلى هذا الاعتبار يضحى الحفيد مسمى باسم جده مع اتخاذه لقبه وكنيته .

ذكرت الكتاب الغفل وهو يتكلم على أربعة رجال من بيت ابن الجوزى ويحسن بى أن أنقل وصفه عمن وصفه مع الاشارة الى الذين نقلوا عنه للتعريف به :

كنت قرأت فى المشرق (٥ « ١٩٠٢ » ١٦٤/١٦٧) مقالة للقانونى جرجس صفا عنوانها « كتبى المخطوطة » تطرق فيها الى ذكر المستنصرية

ووصف ساعتها العجيبة بخصوص بحث عن مؤلف لابن الساعاتي(١) الا انه سكت عن مأخذه فابقى فى النفس شوقا يشعر به المولعون بمثل هذه الآثار العزيزة .

ثم مرت بضع سنوات فنقل الاستاذ الاب شيخو (المشرق ١٠ « ١٩٠٧ » ٨٠) عن « كتاب قديم » مخطوط غفل عن اسم مؤلفه تكامل بناء الايوان الذى انشىء مقابل المدرسة المستنصرية فى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) وقال انه يظنه « كتاب مرآة الزمان(٢) لسبط ابن الجوزى المتوفى فى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٧ م) وكان ابن ابنا أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى (المتوفى فى سنة ٥٩٧ هـ) وانه يدعى ابن كيزوغلى » (قز اوغلى = سبط) وفات الاب ان صفا كان سبقه الى هذا النقل .

ساد السكوت أعواما عن هذا الكتاب ثم شفع صفا مقالته بمقالة اخرى سماها « تعريف بعض مخطوطات مكتبتى » فوصف فيها كتابا فى التاريخ (المشرق ١٦ « ١٩١٣ » ٤٤٢) وهذا نص ما كتبه عنه أورده بعينه لايقاف من يصعب عليه الرجوع الى المشرق على ثمن هذا الكتاب الفريد .

« تاريخ ـ جميل قديم قطع كامل نحوماية ورقة مخروم من أوله ومؤلفه مجهول وقد قابلت هذا الكتاب على عدة كتب تاريخية فلم أجد انه واحد منها، وظاهر منه انه بخط مؤلفه بدليل الضرب على بعض أسطر منه وكتابة بدلها فى الخط نفسه والصاق بعض أوراق على ما كان كتب والكتابة عليها غير ما كان وترك بعض الصفحات أو فسحة بياضا مما يؤكد ان الكتاب مسودة المؤلف نفسه .

« كانت هذه النسخة للملك الظاهر بيبرس(٣) بن ايبك فانه كتب عليها ما يأتى : « طالع فيه العبد الفقير بيبرس بن ايبك الصالحى » وقبل هذه الكتابة وبعدها ألفاظ تعسر قراءتها بسبب قدمها واصابة الورق شيء من العفن .

« أما لغة الكتاب فحسنة متينة وأسلوب التعبير فيه رفيع . وهو يبتدىء من قبل سنة ٦٢٨ هـ وينتهى فى سنة ٦٩٨ هـ (١٢٣١/١٢٩٩ م) ومما جاء فيه : خلافة المستعصم بالله ... » اهـ وقد أوردها فاستوعبت نحو صحيفة بحروف

دقيقة وأورد جزع العوام من امرأة من الجن تكنى أم عنقود وانكار العقلاء والاكابر ذلك • ثم قال واصفا لنا ما جاء فى آخر كتابه :

« وفى آخر الكتاب نبذة قال المؤلف انه نقلها من كتاب مناقب بغداد الذى ألفه الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن الجوزى وهى ١٤ ورقة يذكر فيها بناء احدى عشرة صحيفة (١٨ « ١٩٢٠ » ٥٩٦) بعنوان « شذرات تاريخية من بغداد و ••• » اه قلت لا حاجة الى تكرار محتوياتها وقد طبع الكتاب •

ولما عاد المشرق الى الصدور بعد احتجابه بست سنوات نشر الاب شيخو احدى عشرة صحيفة (١٨ « ١٩٢٠ » ٥٩٦ بعنوان « شذرات تاريخية من صحائف منسية » قال انه نقلها من تاريخ قديم كان قد وصفه صفا بين مخطوطاته وروى ان الكتاب فى يد المفضال احمد تيمور باشا •

وفى افتتاح سنة ١٩٢٢ أخبرنى الاب أنستاس ان سعادة الباشا أهداه ـ كما ذكرت نسخة من مخطوط فى التاريخ تحفظه خزانته العامرة وأوقفنى عليها فتصفحتها قليلا فقلت : ضالة أنشدها • ثم قابلت بينها وبين ما نشره المشرق فاذا الكتاب هو هو • وبعد ذلك استأذنت الاب بنسخة فأذن لى ففعلت شاكرا •

وجاء فى خاتمة النسخة المهداة ما يلى لناسخها :

هذا آخر الكتاب ثم فى الصحيفة التالية كتاب مناقب بغداد الذى ألفه جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن الجوزى • وهو يدخل فى ثلاثين صفحة وفيه : (هنا تعداد محتوياته أضرب عنها صفحا وقد عرفناها من المطبوع) كتابته كلها غير منقطة وقراءتها صعبة جدا » اه ويفهم مما كتب عن كتاب المناقب ـ المؤيد بصورته الفتوغرافية التى سيأتى ذكرها ـ ان هذه الصحائف ليست بخط كاتب الكتاب الغفل خلافا لكلام صفا الذى تراءى له ان خط الكتاب والصحائف لواحد اذ قال : « قال المؤلف انه نقلها (نقل النبذة) من كتاب مناقب بغداد ••• » واذ ليس بيدنا صورة فتوغرافية من الكتاب الغفل فلا يمكننا أن تقارن بينه وبين النبذة لتبرز الحقيقة بجلاء ووضوح • ويمكن للمعترض أن يرد استشهادنا بقول الناسخ الذى استكتبه تيمور باشا انه لم ينقل النبذة تكاسلا فرماها برداءة الخط لكن الاثرى يشكو ايضا من رداءته وغموضه فى مقدمة المطبوع وهو قول أشاركه فيه اذ قد رأيت الصورة فالارجح ان الغفل بخط والنبذة بخط آخر •

ويجدر بى أن أذكر ان الصورة الفتوغرافية التى نوهت بها هى احدى الصورتين اللتين أرسل بهما الباشا الى الاب أنستاس وعلى احداهما نشر الاثرى الكتاب وهو عمل يستحق عليه الشكر والثناء .

انتهينا من بحث المناقب الذى استطرقنا اليه الكلام ونزيد على الكتاب الغفل ان الاب شيخو استفاد منه مرة اخرى بنقله عنه مقاطيع من قصائد لابن زطينا(٤) (المشرق ٢٤ « ١٩٢٦ » ٧٣٦) ومرة غيرها باجابته لاحدهم عن زمن ظهور الاوراق المالية (٢٥ « ١٩٢٧» ٤٠٠) وهى التى كانت تسمى « الجاو »(٥) بالجيم المثلثة الفارسية .

وجاء فى مجلة الزهراء المصرية (٣ « ١٣٤٥ = ١٩٢٦ » ٢٥٤ وما يليها) ان سعادة احمد تيمور باشا أدخل فى كتابه « التصوير عند العرب » ـ الذى لم يطبع بعد ـ وصف الساعة التى وضعها أمير المؤمنين (المستنصر بالله) وذلك عن جزء قديم من كتاب مجهول الاسم والمؤلف من مخطوطات خزانته التيمورية بالقاهرة (كتب التاريخ ١٣٨٣)

* * *

وقفنا على أن فى الكتاب الغفل نقصا فى أوله ولم يسعنى أن أهتدى الى مقداره لكن ما جاء فى مطاوى كلامه يبين لى ان المفقود منه لا يقل عن عدة سنين بدليل ما ذكره فى سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) فى خبر وفاة أبى المظفر تاتكين (كذا ولعلها تاتكين) بن عبدالله الرومى الناصرى وكان مملوكا لعائشة ابنة المستنجد بالله المعروفة بالفيروزجية وهذا ما كتبه عنه .

« ... وله (لابى المظفر تاتكين) نظم حسن منه ما قاله حين قتل بنو معروف بتل المقير(٦) فى بطائح واسط وكان حاضرا الواقعة وقد تقدم ذكرها :

يا وقعة شفت النفوس وغادرت تل المقير ما به من غابر
وسقت بنو المجهول كأسا مرة تركت مواردهم بغير مصادر
جحدوا أياد (كذا) للخليفة جمة فأراهم عقبى الجحود الكافر
وتوهموا ان المقير معقل ممتنع من كل ليث خادر
فرماهم القدر المتاح بأسهم تركت ربوعهم كرسم دائر

واذا راجعنا ابن الاثير (١٢ : ١٤٧) وجدنا هذه الواقعة فى سنة ٦١٦ ﻫ (١٢١٩ م) فالنقص عشر سنوات على أقل تقدير أكل الدهر على تفاصيل أخبارها هنيئا وشرب مريئا وجعل الكتاب كذيل لابن الاثير وبنوع خاص لحوادث العراق التى لا يخرج عنها مخطوطنا الا نادرا وهو يأتى فى آخر كل سنة بوفياتها مع ترجمة وجيزة •

ومما رأيناه ان صفا ذكر المستنصرية فى مقالته الاولى وقد بان لى من المقابلة بين وصفه اياها وبين المخطوط التى بيدنا نسخته ان ما جاء به الواصف هو نقل من هذا الكتاب لكنه طوى فقرات وجملا فى تضاعيف الكلام كانت زائدة فى غرضه المقصود وتصرف فى الكتابة بربط الكلام تصرفا قليلا لا يذكر • ويظهر لى من مجلة اليقين البغدادية (٣ • ١٣٤٤ ﻫ • ٤٨٨) ان المرحوم الشيخ الاستاذ شكرى الآلوسى قد نقل عن المستنصرية ما جاء فى صفا • وما يذهب بى الى هذا القول اتفاق كلاميهما بالحرف الواحد وسكوت الالوسى عن مأخذه لان صفا لم يصرح به فتابعه وتابع ايضا حاشيته التى قالت ان شارح نهج البلاغة هو العدل أبو المعالى القاسم بن أبى الحديد وسها ان يخطىء صفا بقوله ان الشارح هو عز الدين عبدالحميد بن هبة الله ابن أبى الحديد(٧) • جل من لا يسهو !

* * *

لما كانت سنو الكتاب الذى هو موضوع بحثنا تمتد الى سنة ٧٠٠ ﻫ فليس هو اذا بكتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى على ما ظنه الاب شيخو وحسبى وفاة السبط فى سنة ٦٥٦ ﻫ • وما قاله صفا عن سنة ابتدائه وانتهائه هو من باب التقريب فقط وحقيقته كما أشرت اليه •

مر ربع قرن على الاقتباس الاول من هذا الكتاب وكبار الكتبة يقتطفون منه النبذ النادرة خلال هذه السنين وهم يجهلون اسمه ومؤلفه • وكنت من عداد جاهليه وبيدى نسخة منه منذ أربعة أعوام وأنا أفتش عن صاحبه بغير جدوى وكنت أتوقع معرفته فى الكتب التالية :

(١) مؤلفات ابن الفوطى(٨) (المتوفى فى سنة ٧٢٣ ﻫ = ١٣٢٣ م) التى

ذكرها فوات الوفيات (١ : ٣٤٨) وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ : ١٩٩)

(٢) مؤلفات الذهبي (المتوفي في سنة ٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) .

(٣) الوافي في الوفيات لصلاح الدين الصفدي (المتوفي في سنة ٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م)

(٤) ذيل الوافي المسمى الصافي والمستوفي بعد الوافي لابي المحاسن بن تغري بردي (المتوفي في سنة ٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م)

(٥) الدرر الكامنة في أعيان الماية الثامنة(٩) لابن حجر العسقلاني (المتوفي في سنة ٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م)

وفي ما هو على هذه الشاكلة من الكتب العزيزة وفيها المفقود حتى ان الموجود منها لا يزال ـ باستثناء بعض مجلدات للذهبي ـ مخطوطا نادرا غير مطبوع . كانت هذه الكتب في نظري كاشباح لا حقيقة لها فكان املي ضئيلا في ما أنا سائر اليه ولم أدر ان الايام ستتيح لي العثور على معرفة هذه الضالة على بعد بعيد من تلك المخطوطات المبعثرة في خزائن مدن عديدة .

* * *

قبل بضعة أعوام ـ وقبل أن يهدي الباشا الاب أنستاس نسخته ـ اجتمعت في « مكتبة » السلام في بغداد بالاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي بعد عودته من الشام وكان يطريء مجلدا حوى شيئا جما من الاشعار والتاريخ والتراجم وفيه شيء ليس بيسير عن العراق قال انه طالعه في الخزانة الظاهرية في دمشق فهزني الشوق اليه . وفي هذه السنة دار البحث ايضا بيني وبين الشيخ حول كتاب الظاهرية وجزيل فوائده وافادني انه مجلد من كتاب مجمع الآداب أو من تلخيصه وكلاهما لابن الفوطي وان الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف نمق فيه مقالة أدرجتها مجلة العرفان في أعداد السنة الماضية فطاب لي هذا التقرب من النظر الى الاثر بدلا من العين فشكرت شيخنا عن صنيعه بهذا التعريف النافع اللذيذ .

ارتحت لهذا الخبر وجل غايتي في هذه اللقية الازدياد من معرفة تفاصيل كتاب ابن الفوطي آملا انه يرشدني ايضا ـ ان وفقت لرؤيته أو رؤية

نسخة تكتب عليه ـ الى الغاية التى أسعى اليها • ولم يدر فى خلدى ان البحث نفسه عن تآليف ابن الفوطى سيهدينى الى ما أنا ناشده عن أمر الكتاب الغفل المجهول اذ ليس فى فوات الوفيات (١ : ٣٤٨) وتاريخ آداب اللغة العربية ذكر كتاب لابن الفوطى يمكن حمل عنوانه على كتابنا هذا • وكان قد فاتنى ما ورد فى كشف الظنون وليس فى يدى طبعة فلوجل التى تهدى السارى •

اقتنيت العرفان فطالعتها فقرات فيها (١١ • ١٣٤٥ هـ = ١٩٣٦ م • ٦٢٥) فى قول المعلوف •

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة
للشيخ كمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الفوطى

وهو عنوان وقرن ينطبقان كل الانطباق على المخطوط الذى بقى غفلا حتى الآن والذى اصطلح عليه غنيمة مضطرا الى تسميته بـ « تاريخ العراق فى عهد المغول لمؤلف مجهول » فى كتابه « نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق » (الص ١٣٩ فى الحاشية) اذ استفاد منه فى ما يختص بموضوع مؤلفه • وما مخالفة المخطوط فى ما رأيناه عن العنوان الا نقصه الطارىء فى أوله • وقد لا تخلو كتب المتأخرين ولا سيما المخطوطة التى ذكرتها من اقتباسها شىء منه وأتمنى أن يتحفنا الواقف بما يجده بهذا الشأن لدفع الريب فى ما ارتأيته •

وكنت أتمنى أن أقف على الص ٢٦٣ من المجلد التاسع من العرفان الذى قال عنه المعلوف انه وصف فيه كتاب مجمع الآداب لعلى كنت استخرج شيئا مما جاء فيه من كتابات مالكيه وغير ذلك التى كثيرا ما نراها على الكتب •

* * *

بعد التمهيد الذى مهدته فى الجزء الرابع من هذه السنة (الص ٢١٦) حان لى أن أعرف ابن الجوزى مؤلف كتاب مناقب بغداد بنقلى ما ورد فى كتاب الحوادث الجامعة عن أبناء ابن الجوزى ولعل تراجمهم المطولة وردت فى كتاب طبقات الحنابلة لابن رجب المتوفى فى سنة ٧٩٥ الوارد فى مصادر خطط الشام لمحمد كرد على فى الص ١١ •

وسيؤيد نقلى ان المصنف هو غير ابن الجوزى الذى ظنه الاثرى وانه

غير الذى عرفه غنيمة • وأما ما جاء عن أصحاب هذا البيت فى مرآة الجنان لليافعى المتوفى فى سنة ٧٩٨ ﻫ (١٣٩٥/٩٦ م) المطبوع فى حيدر اباد الدكن فى سنة ١٣٣٩ ﻫ (٤ : ١٤٧) فانه لا يروى الغليل قال الكتاب : وفيها (وفى سنة ٦٥٦ ﻫ) توفى سفير الخلافة محيى الدين يوسف ابن الشيخ أبى الفرج عبدالرحمن المعروف بابن الجوزى كان استاذ دار المعتصم (يريد المستعصم) كثير المحافظة قوى المشاركة فى العلوم وافر الحشمة • ضربت عنقه هو وأولاده » اﻫ

سنة ٦٢٦ (١٢٢٨ م) وفيها عزل « محيى الدين يوسف بن الجوزى عن النظر بخزانة الغلات بباب المراتب ورتب عوضه كمال الدين عبدالرحيم بن ياسين ثم عزل ايضا عن ديوان الجوالى ورتب عوضه محيى الدين بن فضلان •

سنة ٦٢٨ (١٢٣٠ م) فى المحرم وصل الى بغداد مظفر الدين أبو سعيد كوكبرى بن زين العابدين بن على كوجك صاحب اربل ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك وكان معه محيى الدين يوسف بن الجوزى وسعد الدين حسن ابن الحاجب وكانا قد توجها اليه فى السنة الخالية فخرج الى لقائه فخر الدين احمد بن مؤيد الدين القمى نائب الوزراء والامراء كافة والقضاة والمدرسون وجميع ارباب المناصب فلقوه نحو فرسخ ولقيه فخر الدين ابن القمى بظاهر السوق واعتنقا راكبين ثم نزلا فقال فخر الدين :

لما انتهى الى مقار (كذا ولعلها مقام • ل• ع)(*) العز والجلال ومعدن الرحمة والكرم والافضال — لا زالت الابواب الشريفة ملجأ للقاصدين والاعتاب المنيفة منهلا للواردين — وصولك يا مظفرالدين ! رسم اعلى الله المراسم الشريفة واسماها وانفذ اوامرها فى مشارق الارض ومغاربها وامضاها • قصدك وتلقيك واحماد مساعيك اكراما واحتراما لجانبك • فليقابل ما شملك من الانعام بتقبيل الرغام والدعاء الصالح الوافر الاقسام المفترض على كافة الانام والله ولى أمر المؤمنين •

فقبل الارض حينئذ مرارا ثم دخلوا جميعا الى البلد • فلما وصل باب

(*) بل هى متار كما أثبتها حبيب زيات فى هذه المجلة (٦ « ١٩٢٨ » ٦٠٠) واقر الاب بخطأ تصحيحه

النوبى ساق (كذا ولعلها سبق) فخر الدين ونزل مظفر الدين وقبل العتبة(١٠) وعضده الاجل نور الدين أبو الفضل بن الناقد احد حجاب المناطق بالديوان ثم ركب وقصد دار الوزارة فلقى مؤيد الدين القمى وجلس هناك وركب نائب الوزارة وولده وجميع أرباب الدولة والامراء وتوجهوا نحو دار الخلافة •

فاما مؤيد الدين وولده وخواصه فدخلوا من الباب « القائمى » بالمشرعة وأما الولاة والامراء فدخلوا من باب « عليان » و « باب الحرم » وانتهى الجميع الى تحت « التاج » على شاطىء دجلة • ووقفوا تحت « الدار الشاطية » (كذا) ذات الشبابيك ثم استدعى مظفرالدين من دار الوزارة بالامير عزالدين البقرا الظاهرى وباحد خدم الخليفة فحضر فرفعت الستارة فقبل الجميع الارض وكان قد نصب تحت الشباك الاوسط كرسى ذو درج فرقى عليه نائب الوزارة واستاذ الدار ابن الناقد ومظفر الدين • وسلم مظفر الدين مشيرا بيده الى الشباك تاليا قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى » فرد الخليفة عليه السلام فقبل الارض مرارا ثم شكر الخليفة سعيه فأكثر من تقبيل الارض والدعاء فأسبلت الستارة وعدل بمظفر الدين الى حجرة فخلع عليه فيها وقلد سيفين وقدم له فرس بمركب ذهبا ومشدة ورفع وراءه سنجقان مذهبان وخرج من الباب القائمى المعروف بباب التمر بالمشرعة(١١) وبه كان قد دخل • وبقى فى خدمته الى حيث أنزل بدار شمس الدين بن سنقر •

ذكر فتح المستنصرية

سنة ٦٣١ (١٢٣٣ م) فى جمادى الآخرة تكامل بناء المدرسة المستنصرية التى أمر بانشائها الخليفة المستنصر بالله ـ وكان الشروع فيها فى سنة خمس وعشرين وستماية وانفق عليها أموال كثيرة ـ فركب نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة فى يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة وقصد دار الخلافة واجتاز بها الى دجلة ونزل فى شبارة من باب البشرى مصعدا الى الدار المستجدة المجاورة لهذه المدرسة وصعد اليها وقبل عتبتها ودخلها وطاف بها ودعا لمالكها وكان معه استاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمى وهو الذى تولى عمارتها ثم عاد متوجها الى داره فى الطريق التى جاء بها وخلع على استاذ الدار وعلى أخيه أبى جعفر وعلى حاجبه عبدالله بن جمهور وعلى

المعمار والفراشين المرتبين فى الدار المذكورة المستجدة وعلى مقدمى الصناع •

وتقل فى هذا اليوم الى المدرسة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والادبية ما حمله مايه وستون حمالا وجعلت فى خزانة الكتب(١٢) وتقدم الى الشيخ عبدالعزيز شيخ رباط الحريم بالحضور بالمدرسة واثبات الكتب واعتبارها والى ولده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التى فى داره ايضا فحضر واعتبرها ورتبها أحسن ترتيب منفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها(١٣)

وفى بعض هذه الايام حضر الخليفة هناك وحضر الشيخ عبدالعزيز بين يديه وسلم عليه وعقب دعاءه بان تلا قوله تعالى : «تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا » • فبدا خشوع الخليفة وتقاطرت دموعه •

وفى يوم الخميس خامس رجب حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار الغرباء الى المدرسة(١٤) وقد تخير لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفسا • ورتب لها مدرسان ونائبا تدريس • أما المدرسان فمحيي‌الدين أبو عبدالله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعى ورشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغانى الحنفى • وخلع على كل واحد منهما جبة سوداء وطرحة كحلية وأعطى بغلة بمركب وعدة كاملة• وأما النائبان « فجمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن يوسف بن الجوزى الحنبلى » نيابة عن «والده» لانه كان مسافرا فى بعض مهام الديوان• والآخر أبو الحسن على المغربى المالكى وخلع على كل واحد منهما قميص مصمت وعمامة قصب ثم خلع على جميع المعيدين ــ وهم لكل مذهب أربعة ــ خلعا بالحكاية • ثم خلع على جميع الفقهاء المثبتين بها قمصان دمياطى وبقاقير قصب• ثم خلع على المتولين للعمارة والصناع والحاشية وعلى المعينين للخدمة بخزانة الكتب • وهم الشمس على بن الكتبى الخازن والعماد على بن الدباس المشرف والجمال ابراهيم بن حذيفة المناوب(١٥) •

ثم مد سماط فى صحن المدرسة أجمع فكان عليه من الاشربة والحلواء وأنواع الاطعمة ما يجاوز حد الكثرة فتاوله الحاضرون تعبية وتكويرا ثم أفيضت الخلع على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الربط والمعيدين بالمدارس والشعراء والتجار الغرباء ثم أنشد الشعراء المدائح فيها وفى منشئها ٠

فممن أورد العدل أبو المعالى القاسم بن أبى الحديد المدائنى الفقيه الشافعى ٠

مـا مثـل الفلك العظيـم لمبصـر   فى الارض قبل ايالة المستنصر(١٦)

تلخيص شروط المدرسة ٠٠٠ (استغنى عن النقل باحالتى القارىء على المشرق (٥ « ١٩٠٢ » ١٦٦) وعلى اليقين (٣ « ١٣٤٤ هـ » ٤٨٩/٤٩٠) ٠ وما حذفه النقل هو : « البرز والفرش والتعهد » بعد كلمة « الصابون » ٠

وفى شهر رمضان وصل « محيى الدين يوسف بن الجوزى » من مصر وخلع عليه بدار الوزارة خلعة التدريس على الحنابلة بالمدرسة المستنصرية وحضر المدرسة بالخلعة ومعه جميع الولاة والحجاب فجلس على السدة وخطب وذكر دروسا ٠

سنة ٦٣٣ (١٢٣٥ م) وفى ثامن عشر شعبان تقدم الى « أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى » بالجلوس فى الرباط المجاور لمعروف الكرخى المقابل لتربة واقفته وحضر ناصر الدين(١٧) ولما انفض المجلس مد سماط عظيم ثم خلع عليه فى حادى عشريه فى دار الوزارة وقدم له فرس عربى بمركب ذهبا ومشدة وأعطى علم بمشاد وجفتايين(*)(١٨) وخلع على جميع أصحابه وأتباعه ومماليكه وأعطى عدة ارؤس من الخيل وثياب كثيرة وخمسة وعشرون الف دينار وخمسون جملا وكراعا كثيرا وآلات ومفارش وغير ذلك وتوجه الى مستقره وقد أصلحت الحال بينه وبين عميه الكامل والاشرف ٠

وفيها تكامل بناء الايوان الذى أنشىء مقابل المدرسة المستنصرية (للاختصار أحيل القارىء على المشرق(١٩) (٥ « ١٩٠٢ » ١٦٦/١٦٧) واليقين

(*) قرأها الدكتور مصطفى جواد جفتايين وقال كذا فى الاصل ٠

(١٩) (٣ ، ١٣٤٤ ، ٤٩٠/٤٩١) والزهراء المجلة المصرية (٣ ، ٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م ، ٢٥٤) .

سنة ٦٣٤ (١٢٣٦ م) وفى هذه السنة قصد ملك الروم مدينة آمد وحصرها وضيق على أهلها وجرى بين العسكرين قتال . وقتل من الفريقين خلق كثير وقلت الاقوات وتعذرت على أهل البلد فأرسل صاحبها الى الخليفة يعرفه ذلك ويسأله مراسلة ملك الروم فى الكف عنه فأمر الخليفة بانفاذ «أبى محمد يوسف بن الجوزى» فتوجه نحوه . قال : لما وصلت اليه وجدت عساكره قد أحاطت بمدينة آمد وأهل البلد فى ضر عظيم فعرضت عليه مكتوب الديوان . فذكر ان اولئك الذين التجأوا وقتلوا أصحابه . قال : فاخرجت خط الخليفة بقلمه وتلوت قوله تعالى : «كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب» وقبله وسلمته اليه فقام ووضعه على عينه ورأسه وقرأه وأمر فى الحال بالكف عن القتال والرحيل عن البلد .

سنة ٦٣٥ (١٢٣٧ م) وفى ربيع الآخر تقدم الى المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية وأرباب الدولة من الصدور والامراء لحضور جامع القصر لاجل الصلوة على ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل زوجة الامير علاء الدين الطبرسى الدويدار الكبير وصلى عليها فى القبلة وشيع الكل جنازتها الى المشهد الكاظمى ودفنت الى جانب ولدها فى الايوان المقابل للداخل الى مصف الحضرة المقدسة فى ضريح مفرد . قيل انها كانت نفساء عن نيف وعشرين سنة . ومدة مقامها فى بغداد عشر سنين وعمل العزاء فى دار الامير علاء الدين وحضر النقيب الطاهر الحسين بن الاقساسى وموكب الديوان واقامه من العزاء . ونفذ المحتسب «أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى» الى بدر الدين لؤلؤ ليقيمه من العزاء .

سنة ٦٣٦ (١٢٣٨ م) فى هذه السنة ملك الملك الصالح أيوب ... مدينة دمشق ... ثم ان الملك الصالح أيوب صاحب سنجار راسل الملك الجواد وطلب منه دمشق على أن يعوضه عنها سنجار فاجابه الى ذلك وسلمها اليه وانتقل منها الى سنجار فلما استقر الملك الصالح فى دمشق وملكها حدث نفسه بأخذ مصر من أخيه العادل محمد ... فبلغ أخاه العادل فارسل الى الخليفة

يعرفه ذلك ويسأله التقدم الى أخيه بالكف عما عزم عليه من قصده • فأمر الخليفة بانفاذ « أبي محمد يوسف بن الجوزي » في المضي • فتوجه اليه وقرر معه القناعة بدمشق وتوفير مصر على أخيه فاشترط أشياء من جملتها حصته في تركة أبيه فأجابه أخوه الى ذلك واصطلحا وعاد الملك الصالح الى دمشق •

سنة ٦٣٧ (١٢٣٩ م) وفيها حضر الامير سليمان بن نظام الملك متولي مدرسة النظامية مجلس « أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي » بباب بدر فطاب (كذا ولعله فتاب(*)) وتواجد وخرق ثيابه وكشف رأسه وقام وأشهد الواعظ والجماعة انه عتق جميع ما يملكه من رقيق ووقف أملاكه • وخرج عن جميع ما يملكه فكتب اليه النقيب الطاهر أبو عبدالله الحسين بن الاقساسي أبياتا طويلة يقول فيها :

يا ابن نظام الملك يا خير من ... تاب ومن لاق به الزهد(٢٠)

وفيها تقدم بقطع الوعظ من باب بدر وكان الواعظ المحتسب « عبدالرحمن بن الجوزي »

سنة ٦٣٨ (١٢٤٠ م) وفيها قدم « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي » من شيراز • وحكى انه شاهد في قرية من قرى فارس تدعى شاوور صبيا عمره اثنتا عشرة سنة طوله خمس أذرع وأعضاؤه تناسب خلقه • قال وحضر أبواه عندي وهما كالرجال في العادة •

سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م) (في هاتين الصحيفتين خلافة المستعصم وقد جاءت في المشرق على ما نوهت به عن صفا) •

ذكر نقل المستنصر بالله من مدفنه بدار الخلافة الى الترب بالرصافة

في ليلة جمعة حادي عشر شعبان أرادوا نقله فهبت ريح منعت من ذلك فقال جمال الدين أبو الحسن المخرمي ارتجالا :

(*) بل هذا الذهاب في غير محله • وقد جاء في ابن خلكان (١ : ٤٣٦ من طبعة مصر في ترجمة أبي سعيد كوكبري) قوله : « وبنى مدرسة بها ويعمل السماع واذا طاب خلع شيئا من ثيابه ... » اهـ

تحركت الريـاح الهـوج لمـا	أريد بكعبة الجود ارتحالا(٢١)
وقـالت من يعلمنـى سـخـاء	أهب بـه ويغمـركم نوالا
فقلت لهـا : خليفتـه المرجى	امـام العصـر فانقلبت شمالا

فنقل فى ليلة السبت ثانى عشريه الى موضع كان قد أعده لنفسه مدفنا وبنى عليه قبة • وكانت صورة نقله أن تقدم الى كافة الزعماء ما عدا أصحاب انشاد والى المماليك وكافة مشايخ الربط والصوفية والفقهاء والمدرسين ما عدا مدرسى المستنصرية والنظامية بالتوجه على طريقة مشرعة الرصافة وتقدم الى من عداهم أن يقصدوا دار الخلافة بغير الطريق وان يرفع القضاة والمدرسون الطرحات والعدول الطيالسة وأرباب العزر عزرهم وأصحاب المشاد مشادهم ويركب الزعماء بالاقبية البيض والسرابيش وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار أبيض مسكن وغاشية فيد (؟)(٢٢) فركبوا وقصدوا دار الوزارة ما عدا مجاهد الدين الدويدار الصغير وعلاء الدين الدويدار الكبير واستاذ الدار مؤيد الدين محمد بن العلقمى • فلما تكمل من عدا هؤلاء فى دار الوزارة تقدم اليهم بقصد دار الخلافة والدخول بباب عليان الى صحن السلام فمضوا هناك قبل غروب الشمس وأما الوزير ابن الناقد فانه خرج فى محفة ودخل من باب النائمى(؟) (لعلها القائمى) ثم قصد هؤلاء كلهم دجلة نخرج الصندوق الذى فيه الخليفة فلما عاينوه قبلوا الارض وأعلنوا بالبكاء • ثم حط فى شبارة طويلة يجذف فيها خمسة عشر ملاحا فى صدرها قبة مجللة بالسجاف أطلس أسود ونزل فيها الشرابى واستاذ الدار وابن درة المعمار فوقفوا بين الصندوق ولم ينزل الوزير لعجزه عن القيام • ونزل جميع أرباب الدولة والامراء فى سفن قياما بين أيديهم شموع كبيرة • فلما وصلوا الى مشرعة الرصافة رفع الصندوق على الرؤوس وامتد الناس كلهم بين يديه الى التربة فدفن رحمه الله فى الموضع الذى أعده ثم فرقت الربعـة الشريفـة وقرئت ••• (هذه النقاط فى الاصل المهدى) وأهديت له وانصرف النـاس قبل نصف الليل ثم ترددوا الى الترب يوم الاحـد ويوم الاثنين (و) فى كل تقرأ الختمة ويتكلم « جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى » ويدعو العدل شمس الدين على بن النسابة ونقيب النقباء ونائبه •

في شعبان تقدم الى « جمال الدين أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى » أن يجلس فى الوعظ بدار بدر ورتب العدل شمس الدين على بن النيار شيخا لرباط الحريم .

سنة ٦٤١ (١٢٤٣ م) فيها تقدم الخليفة الى « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزى » المحتسب ...

وفيها نفذ « محيى الدين يوسف بن الجوزى » رسولا الى ملك الروم كيخسرو بن كيقباذ فاجتمع به فى انطاكية فلما عاد حكى أشياء غريبة منها ان النساء يتعممن كالرجال والرجال يلبسون السراقوجات ...

سنة ٦٤٢ (١٢٤٤ م) فى هذه السنة سير الملك الصالح أيوب ... عسكر الى مدينة دمشق فنزلوا عليها ... وكان الملك الصالح اسماعيل ... صاحب دمشق فيها فضج ... فراسل ابن عمه الملك الصالح أيوب ... فأسفرت القاعدة على أن ينفرد الملك الصالح اسماعيل بملك باعلبك (بعلبك) ويمضى بأهله اليها فأجاب الى ذلك وخرج ليلا وأرسل الملك الصالح أيوب الى الخليفة عبدالرحمن ابن عصرون يخبره بذلك فارسل الخليفة اليه التقليد والخلع مع « جمال الدين بن عبدالرحمن بن الجوزى » الواعظ مدرس الحنابلة بالمدرسة المستنصرية فتوجه ابن عصرون صحبته .

سنة ٦٤٤ (١٢٤٦ م) وفيها وقع الشروع فى عمارة مسناة دار على شاطىء دجلة فى بستان الصراة المنتقل الى الخليفة من البهلوان ابن الامير فلك الدين محمد بن سنقر وتولى العمل فى ذلك استاذ الدار « محيى الدين يوسف بن الجوزى » فسأل فى بعض الايام المشاهر عن اسمه فقال : « خالد » فقال :

نظرت الى الخلد الشريف بفكرتى   فبشرنى ان الخليفة خالد
اذ الاسم معناه الخلود حقيقة   واكده اسم المشاهر خالد

سنة ٦٤٥ (١٢٤٧ م) فيها أحضر مدرسو المستنصرية الى دار الوزير وتقدم اليهم أن لا يذكروا شيئا من تصانيفهم ولا يلزموا الفقهاء بحفظ شىء

منها بل يذكروا كلام المشايخ تأدبا معهم وتبركا بهم وأجاب « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزى » مدرس الحنابلة بالسمع والطاعة •

سنة ٦٥٣ (١٢٥٥ م) ذكر ولاية « ابن الجوزى » استاذ الدار • فى تاسع ربيع الاول مضى صلاح الدين عمر بن جلدك الى « محيى الدين يوسف بن الجوزى » وهو فى منزله بباب الازج فاستدعاه فركب ـ وقد رفع الطرحة ـ الى الدار المقابلة لدار الفردوس المرسومة بسكنى الاستاذ داريه وأجلسه فى المنصب من غير ان يخلع عليه وشافهه بالولاية ودخل الناس اليه مهنئين له وركب من الغد فى جمع عظيم الى دار الوزير فجلس عند مؤيد الدين نائب الوزارة ساعة ثم عاد الى داره •

وفيها رتب « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزى » مدرسا لطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية وخلع عليه وأعطى بغلة وتقدم الى صاحب الديوان فخر الدين بن المخرمى وجميع أرباب المناصب بالحضور الى المدرسة فحضروا ورتب « أخوه شرف الدين عبدالله » محتسبا عليه • وخلع عليه من غير ان يشهد عند القاضى ولم يعلم ان محتسبا تولى غير شاهد سواه

وقد نظم عز الدين أبو الحسن على ابن أسامة العلوى قصيدة يهنىء بها استاذ الدار مما تجدد بولديه يقول فيها :

مولاى « محيى الدين » يا مولى به	كل البرية فى الحقيقة يقتدى
انت المهنا بالذى قد خول	« ولداك » أم نفس العلى والسؤدد
وهل البشارة للمراتب والذى	وليـاه أم لك كريم المحتد
قد قلت حين رأيت كلا منكما	كالبدر فى جنح الظلام الاسود
هذان ما خطبا المراتب انما	خطبتهما المناقب لم تجد (؟)(٢٣)
وهما من القوم الالى خدماتهم	شرفا تصير لسيد عن سيد
ولانت مولانا المليك من الورى	وهما أحق بمسند ومسند
أنتم لدين محمد شيدتم	علما به وكذاك مذهب أحمد
فالله يجزى الخير كلا منكم	عن احمد وعن النبى محمد
وكذاك يرعاكم بعين عناية	ويمدكم منه بعمر سرمد

سنة ٦٥٣ (١٢٥٥ م) وفيها فتحت المدرسة البشيرية بالجانب الغربى من بغداد وتجاه قطفتا التى أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم أم ولده أبى نصر المعروفة بباب بشير وجعلتها وقفا على المذاهب الاربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية ووقفت عليها وقوفا كثيرة قبل فراغها . وكان فتحها يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الآخرة وحضر الخليفة وأولاده فجلسوا فى وسطها. وحضر الوزير وأرباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون وكان المدرس بها سراج الدين النهرقلى أقضى القضاة « وشرف‌الدين عبدالله بن استاذ الدار محيى الدين بن الجوزى » ونور الدين محمد بن العربى الخوارزمى الحنفى وعلم الدين احمد بن الشرمساحى المالكى . وعملت وظيفة عظيمة وخلع على المدرسين المذكورين وعلى الناظر بها ونواب العمارة والفراشين وخدم القبة وأنشدت الاشعار وكان يوما مشهودا . وكانت وفاة البشيرية فى السنة الماضية على ما ذكرنا .

سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) ... ثم عين على بعض الامراء فدخل (هولاكو) بغداد ومعه جماعة ونائب استاذ الدار « بن الجوزى » وجاءوا الى اعمام الخليفة وأنسابه الذين كانوا فى دار الصخر (؟) ودار الشجرة فكانوا يطلبون واحدا بعد آخر فيخرج لاولاده وجواريه فيحمل الى مقبرة الخلال التى تجاه المنظرة فيقتل فقتلوا جميعهم عن آخرهم ثم قتل مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير وامير الحاج فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسى الدويدار الكبير وشهاب الدين سليمان شاه بن برجم وفلك الدين محمد بن قيران الظاهرى وقطب الدين سنجر البكلكى ـ الذى كان شحنة بغداد وحج بالناس عدة سنين ـ وعز الدين أبقرا شحنة بغداد ايضا « ومحيى الدين ابن الجوزى » استاذ الدار وولده جمال الدين عبدالرحمن وأخوه شرف الدين عبدالله(٢٤) وأخوه تاج الدين عبدالكريم » وشيخ الشيوخ صدر الدين على بن النيار وشرف الدين عبدالله ابن أخيه وبهاء الدين داود ابن المختار والنقيب الطاهر شمس الدين على بن المختار وشرف الدين محمد بن طاووس وتقى الدين عبدالرحمن ابن الطبال وكيل الخليفة .

وأمر بحمل رأس الدويدار وابن الدويدار الكبير وسليمان شاه الى

الموصل فحملت وعلقت بظاهر سور البلد ووضع السيف فى أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا فى قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج الاموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوما فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال . فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ اليهم من أهل السواد الا القليل ما عدا النصارى فانهم عين لهم شحانى حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم . وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون الى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل على أمراء المغول وكتب لهم فرامين فلما فتحت بغداد خرجوا الى الامراء وعادوا (و) معهم من يحرس بيوتهم . والتجأ أيضا اليهم جماعة من جيرانهم وغيرهم فسلموا وكذلك دار الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى ـ فانه سلم بها خلق كثير ـ ودار صاحب الديوان ابن الدامغانى ودار صاحب الباب ابن الدوامى . وما عدا هذه الاماكن فانه لم يسلم فيه احد الا من كان فى الآبار والقنوات . وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره . واستولى الخراب على البلد وكانت القتلى فى الدروب والاسواق كالتلول ووقعت الامطار عليهم ووطأتهم الخيول فاستحالت صورتهم وصاروا عبرة لمن يرى .

ثم نودى بالامان فخرج من تخلف وقد تغيرت الوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الاهوال التى لا يعبر عنها بلسان وهم كالموتى اذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد .

وأما أهل الحلة والكوفة فانهم انتزحوا الى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من أموالهم وحضر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين ابن طاووس العلوى الى حضرة السلطان وسألوا حقن دمائهم فأجاب سؤالهم وعين لهم شحنة فعادوا الى بلادهم وأرسلوا الى من فى البطائح من الناس يعرفونهم ذلك فحضروا بأهلهم وأموالهم وجمعوا مالا عظيما وحملوه الى السلطان فتصدق عليهم بنفوسهم . اهـ

نتيجة بحثى

وبين لنا مما ذكر ان مؤلف كتاب مناقب بغداد هو ـ على الارجح ـ أبو الفرج عبدالرحمن جمال الدين بن محيى الدين يوسف ابن محمد بن أبى

الفرج عبدالرحمن جمال الدين ابن الجوزى وقد قتل المؤلف فى بغداد على ما رأينـا •

ان الشواهد التى أتيت بها بقصد تعريف ابن الجوزى مصنف المنـاقب وما أتيت بغير ذلك جاءت نموذجا من الكتاب الذى ارتأى عنه الاثرى فى نقده « نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق » لغنيمة ما قوله بحرفه :

« ومما يؤخذ عليه (على غنيمة) ايضا انه نقل فى مواضيع عديدة حكايات مزخرفة بادية عليها امارات الوضع عن كتاب مخطوط لمؤلف مجهول واسمه « تاريخ العراق فى عهد المغول » ولا نعرف كيف جاز له الاعتماد عليـه وهو لا يعرف مؤلفه » اهـ (مجلة الحرية البغدادية (٢ « ١٩٢٥ » ٢٢٨) •

وبعد ان شك الاثرى فى ان المناقب لغير ابن الجوزى المتوفى فى سـنة ٥٩٧ وجاء فى تضاعيف الكتاب ما لا يقبله العقل من أمر عدد الحمامات فليسمح لى أن أقول : انى لا أظن ان هناك مانعا من الاعتماد على هذا المخطوط الفذ وقد نقل عنه من رآه من الكتاب وفيهم احمد تيمور باشا • وقد أكون مخطئا فى ظنى فلاهل التدقيق والتمحيص البت فى منزلة الكتاب بعد وقوفهم على المنشور منه هنا وفى المجلات التى ذكرتهـا ولا سـيما بعـد ان بان انه لابن الفوطى على الارجح • وقد قال صاحب فوات الوفيـات عنـه « الشـيخ الامـام المحدث المؤرخ .. » وفى الكلمة التى يقولها المتتبعون يخدمون التاريخ والحقيقة وهما الغاية [illegible] خاة •

بغداد فى ٢٥ أيار سنة ١٩٢٧

الحواشي

(١) قابل بين الص ١٦٤/١٦٥ وبين ما سيأتى فى حوادث سنة ٦٣١ هـ تر أن جاء فرق بينهما الا فى الطى للاختصار (هذه الحاشية مع ما يليها كلهـا للكاتب) (٢) لم ينوه تاريخ آداب اللغة العربية (٣ : ٨٢ بنشر جويت *J.R. Jewett* بالفتوغرافية فى شيكاغو فى سنة ١٩٠٧ م للقسم الاخير من هذا الكتاب ذلك القسم الذى يبتدىء من سنة ٤٩٥ والى سنة ٦٥٦ هـ (١١٠١/١٢٥٨ م) وقبله نشرت مجموعة مؤرخى الصليبين بعض مقتطفات منه من سنة ٤٠٠ الى سنة

٥٣٢ هـ (١٠٠٩/١١٣٧) • علمت بهذا النشر من معلمة الاسلام (بالفرنجية *Ency clopedie de L'Islam* فى مادة ابن الجوزى (سبط) (٢ : ٣٩٥) (٣) لا أظن صحة ما قاله صفا لان الملك الظاهر بيبرس الصالحى النجمى توفى فى سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) راجع تاريخ أبى الفدا (٤ : ١٠) ومادة الظاهر بيبرس فى دائرة المعارف للبستانى • وهنا يوافق ذكر مخطوط فى تاريخ الخلافة إنعباسية كان قد رفعه مؤلفه الى هذا الملك • جاء فى فهرس المخطوطات العربية لخزانة باريس الاهلية *Bibliotheque Nationale. Cat des. mss. arabes des uouvelles acquisitions (1824-1924) par E. Blochet. Paris.* تحت رقم ٦١٤٤ ما تعريبه : « المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية وهو مختصر فى الخلافة العباسية تأليف على بن أبى الفرج بن الحسين البصرى رفعه الى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى سلطان القاهرة من المماليك • كتابته نسخى مصرى ترتقى الى القرن الثامن (للهجرة) أوراقه ١٦٢ (٤) ترجمة ماربرصوما المتوفى فى ٥ ربيع الآخر سنة ٥٣٠ هـ (١١ كانون الثانى سنة ١١٣٦ م) ذكر لابى بشر بن زطينا وأبى الفتح بن زطينا فى سيامتهما شماسين (أخبار فطاركة كرسى المشرق من كتاب المجدل لمارى بن سليمان (١ : ١٥٥) *Maris Amri et Slibae de Patriarchis nestorianorum ..... edidit Henricus Gismondi, Romae 1899.*
(٥) وفى تاريخ الموصل للقس سليمان صائغ الص ٢٤٥ تعريف عن « الشاو » نقله عن ابن العمرى من تاريخه بالسريانية ونقل الكلمة بالشين وهى الجيم الفارسية المثلثة النقط على الاصح (٦) هو تل معروف على ضفة الفرات اليمنى يبعد عن الناصرية بضعة أميال وهو بقايا أور التاريخية • واليوم على مقربة منه محطة للقطار تسمى « ملتقى أور » • وفى أور يحفر نقابو العاديات على ما هو معروف عند الجميع (٧) الفخرى لابن الطقطقى الص ٢٤٦ طبعة مصر و كتاب نهج البلاغة مع شرحه المطبوع فى دار الكتب العربية الكبرى بمصر ١٣٢٩ (٨) ومن الذين نقلوا عن « الشيخ الفاضل قوام الدين (خلافا لمآخذ المعلوف الآتى ذكرها القائلة كمال الدين) عبدالرزاق بن الفوطى المؤرخ البغدادى » كتاب عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب قال (طبعة بومبى سنة ١٣١٨

الص ٢٣٤) انه نقل عن كتاب تلخيص مجمع الالقاب (٩) قالت هذه المجلة (٤ : ٤٤٣) ان المستشرق كرينكو يعتني به الآن ويذكره فهرس الكتب العربية المطبوعة فى مجلس دائرة المعارف فى حيدر آباد الدكن (الهند) لسنة ١٣٤٣ انه تحت الطبع والتصحيح . والظاهر انه لم يطبع أو لم يتم طبعه لانى طلبت نسخة منه فلم ترسل (١٠) اختلفت رواية ياقوت عن هذا التقبيل قال فى المعجم فى مادة الحريم « ثم باب النوبى وعنده باب العتبة التى تقبلها الرسل والملوك اذا قدموا بغداد » . ونقل أبو الفداء فى تقويمه الص ٢٩٣ عن مشترك ياقوت ما قوله فى مادة الحريم ايضا : « ثم باب النوبى وفيه العتبة التى كانت (كذا) يقبلها الملوك والرسل » . فرواية هذا الكتاب تتفق والمعجم وتخالف المشترك الذى يظهر منه انها كانت عادة سابقة وانها أهملت فى زمنه (١١) أظنها شريعة خان التمر الحالية وسأعقد لها كلاما اذا سنحت الفرصة فان لى أدلة على ذلك (١٢) قال فى عمدة الطالب الص ١٨٢ : « وكان المستنصر قد أودع خزانته فى المستنصرية ثمانين الف مجلد والظاهر انه لم يبق منها شىء والله الباقى » (١٣) مما نقله بتصرف صفا (المشرق ٥ « ١٩٠٢ » ١٦٤/١٦٥) (١٤) ابتدأ صفا بالنقل بتصرفه المعهود (١٥) انقطع صفا عن النقل (١٦) عاد صفا فأورد ما رآه من القصيدة الا هذين البيتين التاليين أولهما الثامن بعد قول المخطوط « ومنها » وثانيهما الاخير من القصيدة وهما :

أضحى سليمان الزمان وأهله ... مستخدما فيها بجنة عبقر
فاليوم قد جمعت امور الدين فى ... أرجائها وأزيل عذر المقصر

وقالت مجلة اليقين (٣ « ١٣٤٤ هـ » ٤٨٩) بعد ان أوردت من القصيدة ثلاثة أبيات انها نشرتها فى سنتها الاولى وانها لم تعدها خشية التطويل لكنى لم أعثر عليها فى المجلة ولا فى المستنصريات التى اقتطفتها من المجلة ونشرتها على حدة .

والظاهر ان ما أذهل مجلة « اليقين » هو ما ورد فى المقالة المعنونة « المستنصرية » التى جاء منها : « ... قال العدل أبو المعالى القاسم بن أبى الحديد ... شارح نهج البلاغة » فظنت المجلة بقوله : « شارح نهج البلاغة » ان القصيدة نشرت ضمن مستنصريات الشارح ولم تلتفت الى اختلاف بين اسم

ناظم القصيدة واسم الشارح الذي ذكرته ايضا في حاشيتها على الصحيفة الاولى من المستنصريات وقالت عنه انه عز الدين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله (ويروى عبدالحميد هبة الدين) بن أبي الحديد • فالقصيدة هي لغير الشارح على ما رأينا وناظمها هو أبو المعالي القاسم الذي جاء عنه في « الحوادث الجامعة » انه توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦ هـ وان أخاه عز الدين لم يعش بعده الا أربعة عشر يوما • (١٧) عدم اتساق الكلام يدلنا على نقص (١٨) أجهل الكلمة •

لغة العرب : قلنا الذي عندنا ان الكلمة مصحفة عن جفتا هين مثنى جفتاه بكسر الجيم والجفتاهان حاجبان أشقران يلبس كل منهما قباء أصفر من حرير بطراز من نسيج الذهب وعلى رأسه قلنسوة من جنس الثوب المذكور • وكانا يركبان جوادين أبيضين في رقبتيهما حلية تشبه حلية جواد الامير • وكانا يتقدمان السلطان في سيره الجليل • وكان بأيديهما قدد من نسيج الذهب وكانت أطرافها تجلل الملك حتى اذا كان بين يديه الجواد حفرة شعر بها ووقي شر العثور (عن تاريخ السلاطين المماليك طبعة كاترمير ١ : ١٣٥) (١٩) في هاتين المجلتين تصرف قليل لا يذكر كما أسلفنا (٢٠) ما نقله المخطوط سبعة وعشرون بيتا ولم يأت بالقصيدة برمتها لقوله بعد أبيات « يقول فيها » ثم ذكر هذا القول مرة أخرى • (٢١) كذا ورد في المخطوط ولعل الصواب : أرادت كعبة الجود ارتحالا • ل ع • (٢٢) الاستفهام في النسخة المهداة أيضا ولم أهتد الى معرفة هاتين الكلمتين (٢٣) كذا في الاصل المخطوط ولعل الصواب : خطبت مناقب منهما لم تجحد • ل ع (٢٤) جاء في جامع التواريخ بالفارسية تأليف رشيد الدين فضل الله الوزير المقتول في سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) طبع باريس لكاترمير مع ترجمة فرنسية الص ٣١٠/٣١١ *Hist. des Mongols de la Perse, par Rashid ed-din pub. avec traduction et notes par M. Quatremere. Paris, 1836.*

ما ملخصه معربا عن الفرنسية : « وأنفذ هولاكو بوقا تيمور الى الحلة والكوفة وواسط فقدم الى الحلة ثم غادرها في اليوم العاشر من صفر (٦٥٦ هـ) متوجها نحو واسط فوصلها في اليوم السابع عشر منه ومن هناك شخص الى خوزستان ومعه شرف الدين ابن الجوزي فالرواية مختلفة عن قتل شرف الدين •

الص ٤٤٩ الجزء ٨ من السنة ٥ = ١٩٢٧/١٩٢٨

حريم دار الخلافة

وباب التمر في التاريخ

وعدت فى ٥ : ٣٤١ ح بعقد كلام « على باب التمر بالمشرعة(١) » فى الجانب الشرقى من بغداد والآن أبر فى وعدى •

لا يبعد ان يذهب القارىء الكريم الى ضياع هذا الاسم التاريخى لعفو تلك الآثار واندراسها لكنى أظن انه بقى ذكر لذلك الاسم • ولتعريف هذا الموضع لابد من البحث عن دار الخلافة وحريمها قبل الدخول فى الموضوع • قال معجم البلدان :

« الحريم ••• وبذلك سمى حريم دار الخلافة ببغداد ويكون بمقدار ثلث بغداد وهو فى وسطها ودور العامة محيطة به • وله سور يتحيز به ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه الى دجلة كهيئة نصف دائرة وله عدة ابواب » :

١ — اولها من جهة الغرب « باب الغربة » وهو قرب دجلة جدا •

٢ — ثم « باب سوق التمر » وهو شاهق البناء واغلق فى اول ايام الناصر لدين الله بن المستضىء واستمر غلقه الى الآن •

٣ — ثم باب البدرية •

٤ — ثم باب النوبى وعنده باب(٢) العتبة التى تقبلها الرسل والملوك اذا قدموا بغداد •

٥ — ثم باب العامة وهو باب عمورية ايضا •

٦ — ثم يمتد قرب ميل ليس فيه باب الا باب بستان قرب المنظرة التى تنحر تحتها الضحايا •

٧ — ثم باب المراتب • بينه وبين دجلة نحو غلوتى سهم فى شرقى الحريم •

وجميع ما يشتمل عليه السور من دور العامة ومحالها و « جامع القصر » — وهو الذى تقام فيه الجمعة ببغداد — يسمى الحريم وبين هذا الحريم المشتمل

على منازل الرعية وخاص دار الخلافة التى لا يشركه فيه احد سور آخر يشتمل على دور الخلافة وبساتين ومنازل نحو مدينة كبيرة . أ هـ

وفى المشترك(٣) قوله : « حريم دار الخلافة ببغداد » وهو مقدار ثلث مدينة السلام ببغداد وعليه سور (ابتداؤه) من دجلة (وانتهاؤه) الى دجلة كهيئة الهلال او نصف دائرة وله ابواب :

١ - اولها باب الغربة على دجلة .

٢ - ثم باب سوق التمر(٤) باب شاهق البناء(٥) واغلق فى اول ايام الناصر (ابى احمد العباس) واستمر غلقه الى الآن .

٣ - ثم باب البدرية .

٤ - ثم باب النوبى وفيه العتبة التى تقبلها الرسل والملوك (وغيرهم) اذا قدموا بغداد (وهى قطعة من عمود رخام ابيض مطروحة امام هذا الباب طولا) .

٥ - ثم باب العامة ويقال له باب عمورية (وبين هذين البابين محال يسكنها عامة الناس بينهم وبين دار الخلافة سور آخر فيه عدة ابواب منها) :

باب الدوامات . وباب عليان . وباب الحرم وغير ذلك .

٦ - ثم يمتد (السور من باب العامة) نحو ميل لا باب فيه الا باب بستان(٦) (فى آخر المامونية) تحت المنظرة التى تنحر تحتها الضحايا فى الاعياد .

٧ - ثم باب المراتب بينه وبين دجلة (من جهة باب الازج) نحو رميتى سهم (وهو من ناحية الشرق) وجميع ما يشتمل عليه السور يسمى « حريم دار الخلافة » فيه محال واسواق (وخانقاهات) ودور كثيرة للرعية كأكبر مدينة . وبين منازل الرعية وبين دجلة سور آخر دونه دور الخلافة لا يشركه فيه شىء من منازل غيره(٧) أ هـ .

وفى مراصد الاطلاع . « الحريم ... فمنه حريم دار الخلافة ببغداد وهو فى وسطها عليه سور دائر يتحيز به يبتدىء من دجلة وينتهى اليها ثلاثة اضالع ورابعها دجلة وله ابواب وفى بعضه مساكن للناس يقطع بينه وبين دار الخلافة حائط ممتد يفصل ما بينهما » أ هـ .

وجاء فى رحلة ابن جبير وكان فى بغداد فى سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ما قوله فى الص ٢٢٠ من طبعة ليدن :

ثم شاهدنا ••• مجلس ••• الامام الاوحد جمال‌الدين ابى الفضائل بن على الجوزى بازاء داره على الشط بالجانب الشرقى وفى آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر ابواب الجانب الشرقى ••• .

وفى الص ٢٢٦ « ••• ودور الخليفة مع آخرها (آخر الشرقية) وهى تقع فى نحو الربع أو أزيد لان جميع العباسيين فى تلك الديار معتقلين (كذا) ••• وللخليفة من تلك الديار جزء كبير قد اتخذ فيها المناظر المشرفة والقصور الرائقة والبساتين الانيقة ••• » .

وفى الص ٢٢٨ « والشرقية حفيلة بالاسواق ••• وبها من الجوامع ثلاثة كل يجمع فيها : جامع الخليفة متصل بداره وهو جامع كبير ••• وجامع السلطان ••• وهو خارج البلد ••• وجامع الرصافة بينه وبين جامع السلطان المذكور مسافة نحو الميل » .

وفى الص ٢٢٩ « وللشرقية (وللجانب الشرقى) اربعة ابواب . فاولها وهو فى أعلى الشط باب السلطان ثم باب الظفرية ثم يليه باب الحلبة ثم باب البصلية . هذه الابواب التى فى السور المحيط بها من أعلى الشط الى اسفله هو ينعطف عليها كنصف دائرة مستطيلة » أ هـ .

وجاء فى معجم البلدان فى مادة باقدارى : « ••• ابا زرعة ابن المقدسى وكان خياطا يسكن القرية(٨) بدار الخلافة » وفيه فى مادة القرية انها محلة فى حريم دار الخلافة وهى كبيرة فيها محال وسور . وفى المشترك فى هذه المادة ايضا ان‌القرية فى‌حريم دار الخلافة وان‌مؤلفه سكنها . وفى مراصد الاطلاع القرية تصغير قرية محلتان ببغداد احداهما فى حريم دار الخلافة وهى كبيرة فيها محال واسواق .

وفى تاريخ ابى الفداء (٣ : ١٧٠) فى حوادث سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) ما قوله فى وفاة المستنصر : « وهو الذى بنى المدرسة المسماة بالمستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقى مما يلى دار الخلافة(٩) أ هـ .

واذ عرفنا من ابى الفداء ان المستنصرية مما يلى دار الخلافة ومن ياقوت والمراصد ان القرية فى حريم دار الخلافة وان اول ابواب الحريم من جهة الغرب باب الغربة وانه قرب دجلة جدا يمكنني القول عن القرية انها سوق رأس القرية(١٠) ومحلة رأس القرية الحاليتين • وتعليل ادخال رأس على القرية انه كان يطلق على رأسها ثم اطلق عليها او على جزء كبير منها من باب تسمية الكل باسم الجزء ونستنتج من ذلك كله ـ والمستنصرية قائمة الى يومنا ـ ان باب الغربة هو فى المشرعة التى نسميها اليوم بشريعة المصبغة(١١) وان عندها يبدأ حريم دار الخلافة •

ولما كان حريم دار الخلافة على شكل نصف دائرة بمقدار ثلث بغداد وفيه جامع القصر وهو اليوم جامع سوق الغزل وحواليه فلابد من وصول رأس نصف الدائرة المستطيل الاسفل عند دجلة فى شريعة المربعة الحالية او تحتها قليلا •

ويزيدنا ثقة بهذا الرأى وهو انتهاء حريم دار الخلافة فى شريعة المربعة او نحوها ما عرفناه من ابن جبير بقوله ان دار ابن الجوزى (المتوفى فى سنة ٥٩٧ هـ) على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية(١٢) آخر الابواب • وسبب تعييني شريعة المربعة(١٣) ـ والمسافة بينها وبين شريعة المصبغة نحو كيلومتر ـ لما مر بنا من اتساع حريم دار الخلافة ودور الخليفة وغير ذلك ولما جاء عن مرقد ابن الجوزى الذى قالت عنه سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م الص ٣٧١) انه على رواية فى بستان اكربوزى(١٤) وعلى رواية اخرى فى مقبرة الامام احمد بن حنبل • ولعل ارجح الروايتين الاولى لانه لا يبعد ان البستان كان دار ابن الجوزى فدفن فيها • ورأيت مجلدا من كتاب صفوة الصفوة لابن الجوزى كتب فى سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦/١٢٠٧ م) اى بعد وفاته بست سنوات وفى آخره بقلم متأخر لكنه قديم ايضا ان قبر المؤلف « ... الواقعة على شاطىء دجلة » وقد اكلت الارضة مكان كلمتين فى الكتاب المخطوط وقد استعضت عنهما بالنقط ولعل احدى الكلمتين كانت « داره » •

شريعة خان التمر

حكيت عن الماضي البعيد توطئة لما بعده والى الحال الحاضرة .

في جانبنا الشرقي مشرعة تسمى اليوم « شريعة خان التمر » ويطلق عليها بعضهم شريعة مناحيم دانييل(١٥) أو بيت دانييل لان لهم على جانبها الجنوبي دارا عامرة بنوها قبل نحو نصف قرن على طراز افرنجي وهي ذات مسناة على دجلة .

وعلى هذه الشريعة على جانبها الشمالي عرصة تباع فيها اعواد القواق (الحور) لسقوف الدور ولغير ذلك يتصل بها خان متداع معروف بخان الدفتردار(١٦) والعرصة والخان تحدهما دجلة وللعرصة باب عليها وليس للخان باب عليها . وكان نصف الخان وقفا وفي نحو سنة ١٩٢٠ اشترت الاوقاف النصف الثاني فهو اليوم كله وقف تستغله وزارة الاوقاف (بنت الاوقاف منذ عهد قليل دكاكين في الجبهة المستجدة الواقعة بين السوق الذي كان فيه بابه وبين دجلة فالدكاكين تمتد من الشرق الى الغرب وكان الخان المذكور متصلا بخان آخر يذخر فيه التمر في عهدنا وبابه في شريعة المصبغة بعد عن دجلة نحو ثلاثين مترا . ولم يهمل ذكره جيمس فيلكس جونس في تقرير رفعه الى حكومته عن ولاية بغداد بتاريخ ٩ نيسان سنة ١٨٥٥ (انص ٣١٨ من مجموعة تقاريره(١٧) .

وتلاصق خان التمر المذكور ايضا قهوة ذات مسناة لها طبقتان وتعرف القهوة اليوم بقهوة المصبغة أو قهوة الشط فهي محدودة بدجلة من جهة الغرب ومن جهة الشمال بشريعة المصبغة التي قلنا انه كان عندها باب الغربة في العصر العباسي .

هذا ما كان من أمر الخان والقهوة حتى غاية الربع الاول من سنة ١٩١٦ ثم فتحت الجادة العامة(١٨) التي تشق المدينة من الجنوب الى الشمال بتوسيع طرق واسواق ويخرق دور ووسع السوق الضيق في عرضه ذو المنعطفات وهو الآتي من الركن الشمالي الغربي لجامع مرجان الى السوق الذي فيه خان الدفتردار وذلك لايصال الجادة العامة بدجلة على خط مستقيم في عرض وسيع . فمر هذا الفرع المتشعب من الجادة وهو يحاد من جهة

الشمال(*) خان الاورتمة(١٩) وبابه الجنوبي دون ان يمسهما بأذى ويحاد من جهة الجنوب خان بكر(٢٠) المعروف ايضا بخان الخضيري(٢١) بعد ان اخذ منه ما استوجبه امر التوسيع ـ حتى وصل هذا الفرع الى خاني الباشا(٢٢) الواقعين في شماله فأخذ منهما ما اريد . وابقى في جنوبه خان البرزلي(٢٣) على حاله ثم وصل (هذا الفرع) باب خان الدفتردار فقطعه وخرق الخان وما هو متصل به من جبهته الشمالية فبرزت دجلة امامه فاستجدت مشرعة واجتمع في طول نحو سبعين مترا ثلاث مشرعات شريعة المصبغة في الشمال وشريعة خان التمر في الجنوب وبينهما الشريعة التي استجدت .

ومما جاء عما نبحث فيه ما قاله اوليا جلبي(٢٤) في رحلته (٤ : ٤٢٠) في تعداده الخانات : « خورمالي خان » (خورما : تمر) بقرب محكمة القاضي . ومن البديهي انه يريد بها ما نعرفه اليوم بالمحكمة الشرعية . وقد ذكرها الشيخ عبدالله السويدي في موضعها الحالي في كتابه النفحة المسكية في الرحلة المكية(٢٥) (١١٥٧ هـ ـ ١١٥٨ = ١٧٤٤ م ـ ١٧٤٥) قال : كنت بالمدرسة الاصفهانية(٢٦) المسماة اليوم المدرسة الاحسائية(٢٧) وهي على شاطيء دجلة الشرقي على يسار محكمة القاضي . أ هـ .

ولما كان تعريف اوليا جلبي لموضع الخان يوافق كل الموافقة لتلك الانحاء التي ذكرناها ولا تبعد شريعة خان التمر الحالية ما يزيد على ستين مترا عن شمال باب المحكمة فوجود خان التمر في عهد اوليا جلبي وبقاؤه باسمه الى عهدنا في موضعه أمر صريح ولا يبعد ان بقي اسم « باب التمر » التاريخي في الشريعة الحالية حتى عهد اوليا جلبي كما حفظ هذا الاسم منذ عهد الرحالة حتى يومنا هذا .

واذا يقال ان تسمية هذه الشريعة بشريعة خان التمر هي من باب المصادفة والاتفاق قلنا لو صح قولهم فانه نعم المصادفة في هذا الاسم الحلو ولا سيما انه من أهم محصولاتنا الارضية واشهرها .

(*) كان قد زل القلم فقلت الجنوب في المجلة .

الحواشى

(١) صحح فى هذه المجلة (٥ : ٣٤٠ ص ١٥) بقولك الباب القائمى بالمشرعة(٢) اظن ان كلمة « باب» هنا زائدة فانها مخالفة للحوادث الجامعة لابن الفوطى ولنقل ابى الفداء عن المشترك (راجع الص ٣٤٠ المذكورة) • وللمشترك الذى سانقل نصه • ولعل الجملة هى : « وعنده العتبة » أو « وعند الباب العتبة » • اما « كلمة كانت » التى ادخلها ابو الفداء على جملة « ••• التى يقبلها الرسل والملوك » نقلا عن المشترك فكنت قارنت بين نقله وبين معجم البلدان والحوادث الجامعة (ايضا الص ٣٤٠) فذهبت الى مخالفة المشترك لغيره • اما الآن وهو بيدى وليس فيه « كانت » فانى ارتئى ان هذه الكلمة زيادة من ابى الفداء • وسبب ذلك ان العادة لم تكن قد بقيت فى عهده المتأخر عن ياقوت بنيف وقرن • ومما يؤيد دوام العادة حتى بعد وفاة ياقوت ما جاء فى الحوادث الجامعة (راجع الص ٣٤٠ المذكورة) (٣)هو ايضا لياقوت وقد طبع فى كوتنجن *Gottingen* فى المانية فى سنة ١٨٤٦ (٤)الاختلاف ظاهر بين الحوادث الجامعة (راجع الص ٣٤٠) وبين ياقوت اذ قال الاول « باب التمر بالمشرعة » وقال الثانى « باب سوق التمر » وبما ان الذى ذكره ياقوت هو ثانى ابواب نصف الدائرة فهو على يمين باب الغربة للخارج من الحريم فليس موضعه على المشرعة • ولا منافاة بين القولين اذ الظاهر انهما بابان احدهما بالمشرعة وثانيهما يخرج منه الى المدينة ولعلهما سميا بالاضافة الى كلمة واحدة لافضاء احدهما الى الثانى بأقرب مسافة • (٥) نقل ابو الفداء فى تقويمه الص ٢٩٣ بحث الحريم عن المشترك • والآن وقد طبع المشترك ففيه بعض الزيادات على النقل • وفى ابى الفداء نقص كلمة البناء الموجودة فى المعجم ايضا مما يؤدى الى فتح باب للالتباس اذ يجوز ان يتبادر الى الباب ان « شاهقا » علم وقد زلت قدم جورج سلمون ناشر مقدمة الخطيب فذهب الى هذا الاعتبار فى الص ٥٧ من مقدمته بالفرنسية التى صدر بها مقدمة الخطيب وقد ترجمها الى الفرنسية وعنوانها هكذا :

G. Salmon L'introduction topographique a l'his. de Bagdad. Paris. 190

(٦)ولعله باب البستان المقابل لباب التشريفات الذى ذكر فى الحوادث الجامعة

فى اخبار سنة ٦٢٩ و٦٣٠ (٧)الأهلة والعضادات جميعها فى المشترك المطبوع (٨)ضبطها فهرس المعجم بالتصغير (٩)اعتنى لسترنج بالبحث عن مواضع بغداد فصنف كتابا جليلا سماه بغداد فى عصر الخلافة العباسية

Le Strange. Bagdad during the Abbasid Caliphate. Oxford. 1900.

فرسم (الص ٢٧١) مصورا صغيرا لبغداد جاء فيه حريم دار الخلافة وقصور الخليفة وبساتينه ثم نقل عنه جورج سلمون (الص ٥٧ من مقدمته) المصور وتخطى الى وضع اسماء ابواب الحريم على مواضعها لكنه وهم بوضع اسماء باب المراتب فى أعلى الحريم وانتهى بوضع باب الغربة فى السفل فجاء الامر معكوسا (١٠)منهم من يلفظها بالتصغير ومنهم من لا يصغرها والاشهر الاول • واما الترك فكانوا يقولون « قريه باشى » بدون تصغير وقد ذكرها رحالتهم اوليا جلبى (٤ : ٤١٩ و٤٢٠) بصورة قورنه باشى والظاهر انه غلط نسخ أو طبع يريد بها « قوريه باشى » تصحيف قرية كما قالوا « قورية » فى احد قسمى مدينة كركوك • وسوق رأس القرية واقع اليوم تحت « شريعة خان التمر » وهو يمتد من الشمال الى الجنوب وبه تتصل محلة رأس القرية من جهة الشرق وهو قسم من الشارع المسمى اليوم شارع النهر (١١)وقالت ايضا مجلة تنوير الافكار البغدادية « ١ (١٣٢٩ هـ) ٢٤٦ » ان شريعة المصبغة هى باب الغربة ولو ذكرت مصدرها أو برهانها على ذلك لقوت الحجة (١٢)هو باب كلواذى (راجع لسترنج) وفى العصر العثمانى القديم قرانلق قبو (تعريبه باب الظلام) أو قره قبو (الباب الاسود) (عن لسترنج وهوار وقد اخذا ذلك عن عدة مصادر منها شرقية ومنها غربية) وهو ما سمى بعد ذلك بالباب الشرقى ويسميه البريطانيون منذ الاحتلال بالباب الجنوبى • وأعلل سبب تسمية بعضهم لهذا الباب بباب البصلية لقربه من المحلة التى بهذا الاسم وتسمية بعضهم له بباب كلواذى لانه يفضى الى كلواذى وهى قراره أو (كراره بكاف فارسية) الحالية كما قال جيمس فيلكس جونس فى الص ٨٧ ح أو فى انحائها كتلول محمد • وقال سترنج ان اسم باب كلواذى اسم سبق عهد استيلاء المغول على بغداد وقد ورد فى معجم البلدان وفى الحوادث الجامعة فى اخبار سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) ولا ارتئى رأى مجلة دار السلام البغدادية « ١ (١٩١٩) ٢١٤ » ان بابا كان

بين باب الحلبة وباب البصلية يسمى باب كلواذى هدم قبل سبعين سنة على ما سمعه صاحب المجلة من الاجداد وهـذا الاب الاستاذ صاحب المجلـة يذكر « المشرق ١٠ (١٩٠٧) ٤٤١ » ان الباب الشرقى هو باب كلواذى • وفضلا عن ذلك فان لسترنج وهوار قد حققا ان لبغداد اربعة ابواب فيها باب الطلسم لا خامس لها الا باب الجسر وهناك مصادر لم يورداها تؤيد هذا القول نفسه • ومن هذه المصادر اوليا جلبى صاحب الرحلة وكان فى بغداد سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٥ م) وريموند فى الكتاب الذى حشاه على رحلـة القنصل البريطانى ريج الى بابـل *M.J.C. Riche. Voy. Aux ruines de Babylone. traduit et enrichi d'observations par Raimond Paris, 1818*

واندرى سواريس سيور دودفال فى رحلته الص ٨٢ : *Journal de mon voyage des Indes oriemtales par terre commencee au mois d'octobre 1694 et fini au mois de decembre 1695....fait par Moy Anche soarez sieur du Val.*

وهى غير مطبوعة عرضها للبيع الكتبى شامونال *Chamonal* فى قائمته المرقمة ١٤ فى سنة ١٩٢٣ فاشتريتها • وجميع هؤلاء الكتاب يقولون ان ابواب بغداد ما عدا باب الطلسم ثلاثة ورابعها باب الطلسم والظاهر ان الباب الذى ذكرته دار السلام هو احد البروج التى كانت تتخلل السور بين الابواب وكانت كثيرة ذكرت اسماء بعضها فى سياق الكلام فى الكتب • (وذكر عددها كتاب جهانىما للحاج خليفة الص ٤٥٨) وسمى سواريس دوفال الابواب فقـال : قره قبو وهو يفضى الى البصرة وآق قبو وهو يفضى الى بلاد فارس ومعظم قبوسى يفضى الى الموصل ودياربكر وجسر قبوسى • ولم يذكر باب الطلسم لانه مغلق بالبناء فلم يحسبه بابا • وخلاصة القول ان العبرة فى هذه الاقوال وهى لاناس كثيرة فى أزمنة مختلفة وليست العبرة فى دار السلام بهذا الشأن • (١٣)أظنها دار المربعة التى ذكرها معجم البلدان اذ قال عنها انها من بناء المطيع لله (١٤)المعروف بيننا ان اسم بستان اكريبوز والظاهر انها كانت لاحد من الاغريبوزيين نسبة الى جزيرة تعرف عند الترك بأسم آغريبوز *Egripos* وعنـد الغربيين باسـم نكـروبـون *Negrepont* وانـه كان يقـال لـه « آغريـبوز لى فلان أو اغريبوزى » ثم حذف اسمه وأداة النسبة فعرفت بـ آغريبوز او اكريبوز

والبستان وقف للذرية تحدها دجلة وقد امست منذ سنوات قليلة عرصة .
ويتصل جانبها الجنوبى بدار المرحوم النقيب السيد عبدالرحمن الكيلانى
المحدودة بدجلة ايضا التى احدثها قبل نحو عشرين عاما خارجا عن سور البلد
على الشاطىء الذى تركته دجلة وداخل السور وهى واقعة بازاء دار القنصلية
البريطانية فى العهد العثمانى المحدودة بدجلة ايضا (كانت هذه الدار وفيها
القصور الكثيرة والبساتين الانيقة « للنواب اقبال الدولة » المتوفى فى العقد
الاول من قرننا الهجرى) . وقد قسمتها الجادة الى قسمين شرقى وغربى على
ما نراه اليوم فالغربى هو المقر العام للجيش البريطانى والشرقى هو دائرة
البرق والبريد ومساكن لضباط بريطانيين . ويفصل بين دار النقيب ودار
القنصلية شريعة وكانت بالجانب الشمالى للشريعة بئر (ارضها مع حريمها اليوم
فى دار النقيب) وكان يستقى منها الماء فيجرى الى مقام الشيخ عبدالقادر
الكيلانى ثم استغنى عن البئر بعد وضع البلدية مضخة فى شريعة المصبغة ومد
الانابيب فى المدينة وايصالها الى مقام الشيخ واسالة الماء اليه فيها (١٥)مناحيم
صالح دانيل من سراة الاسرائيليين وهو اليوم من الاعيان فى مجلس الامة
(١٦) من هو هذا الدفتردار (؟) (١٧) *J. F. Jones. Selections from the records of the Bombay Government, N,xlii, New series Bombay 1857.*
(١٨) احدثها خليل باشا فاطلق عليها جادة خليل باشا . واسمها بالتركية منقوش
على قطعة من الكاشى مع عام ١٣٣٢ فوق قاعدة منارة جامع السيد سلطان على
القائمة فى زاوية الجامع المستقبلة للجنوب والشرق . واكتفت الناس اذ ذاك
بقولهم الجادة العامة أو الجادة اختصارا . وعند الاحتلال البريطانى فى ١١
آذار سنة ١٩١٧ اطلق عليها البريطانيون اسم الشارع الجديد وتقول الناس
اليوم الجادة(*) فتكتفى بها وعدد السنين المذكورة (اى ١٣٣٢) هو على حساب
التاريخ المالى العثمانى (الموافق لسنة ١٩١٦) فليس هو اذن بالهجرى . وسبب
هذا القول هو ان الحرب العامة ابتدأت فى سنة ١٩١٤ وكان مجىء خليل
باشا الى بغداد بعد ذلك بنحو سنتين فلا يمكن ان يكون ذاك التاريخ هجريا
(١٩) اورتمه بالتركية يعنى مغطى وهو من اوقاف مرجان على جامعه (راجع
عن الوقفية مجلة تنوير الافكار) ١ ، (١٣٢٨ هـ) ١٥٨ ، (٢٠) اظنه احد الخانات

(*) هى اليوم شارع الرشيد .

التى ذكرها اوليا جلبى (٤ : ٤٢٠) اذ قال « خانات بكار » (٢١) كان للحاج عبدالرزاق الخضيرى واليوم لاولاده او بعضهم وآل خضيرى اسرة كبيرة تتعاطى التجارة (راجع لغة العرب ٢ : ١٨٢) (٢٢)داود باشا آخر الولاة من المماليك فى بغداد (٢٣) اسرة كانت من التجار وقد باعت الخان المعروف باسمها منذ نحو سنتين للمصرف الايرانى وفيه اليوم المصرف المذكور وتدار فيه شؤونه • وبعض الناس يقول برزانلى الا ان اهل البيت المذكور يكتبون اسمهم برزهلى نسبة تركية الى برزه (بالهاء الصريحة فى الآخر) وهى قرية فى انحاء مدينة السليمانية العراقية (٢٤)طبعت رحلته فى الاستانة فى سنة ١٣١٤ ﻫ/١٣١٥ (٢٥)عن نسختى الص ٦ ولا تزال مخطوطة (٢٦) الى من هذه النسبة ؟ (٢٧) نسبة الى الشيخ احمد بن محمد الاحسائى الحنفى المتوفى فى سنة ١٠٨٣ ﻫ (١٦٧٢ م) عن كتاب مساجد بغداد للمرحوم الشيخ شكرى الآلوسى • « نسخة الآباء الكرمليين » وتسمى اليوم التكية الخالدية نسبة الى الشيخ خالد النقشبندى • قال الآلوسى انه عاد من البلاد الهندية فى سنة ١٢٣١ ﻫ (١٨٠٥ م) •

الص ٤٦٥ الجزء ٨ من السنة ٥ = (١٩٢٧/٢٨)

استدراك بخصوص آل قشعم

قلت فى هذه المجلة (٥ : ١٣٩) ان اول ذكر عرفته عن آل قشعم فى العراق لا يتعدى العقد الثانى من القرن الحادى عشر وفاتنى ان كلشن خلفا الذى نقلت عنه الخبر كان قد ذكرهم قبل ذلك . وهذا تعريف ما فيه :

« ولما دخلت سنة **٩٥٣** هـ (١٥٤٦ م) سار الوالى الوزير « اياس باشا » والى بغداد قاصدا البصرة فزار بطريقه الروضة الرضية لفاتح خيبر (على بن ابى طالب) لاستحصال الاستعداد للفتح والظفر ثم حرك الوالى ركابه الى البصرة بعد ان اتلف شيخ آل قشعم الذى كان قد سلك طريق الطغيان مؤذيا الناس فى تلك الانحاء ... » أ هـ .

الص ٢ الجزء ١ من السنة ٦ = كانون الثاني (١٩٢٨)

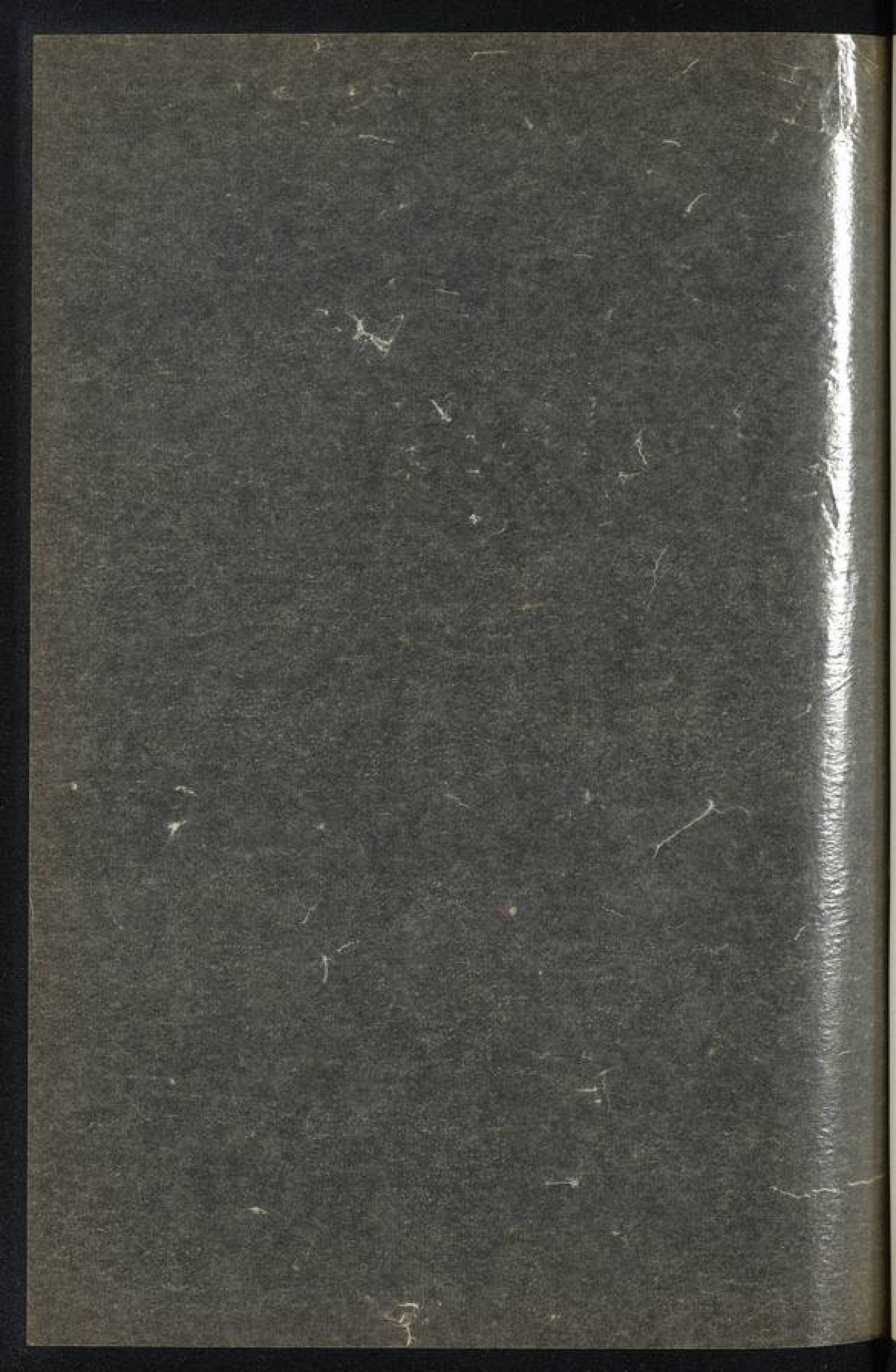
منارة جامع سوق الغزل

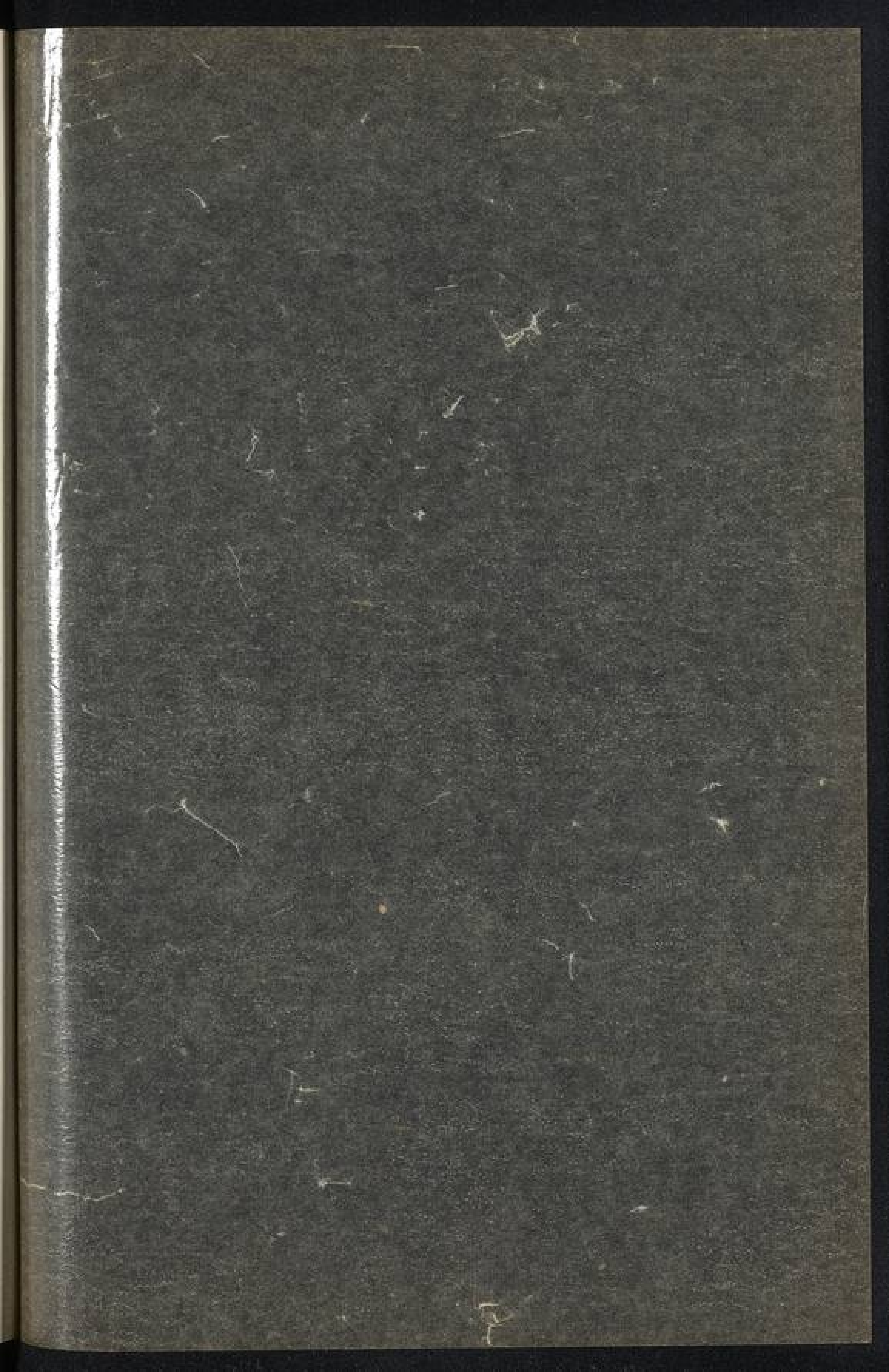
لم يكتب احد عن منارة سوق الغزل قبل نحو ثلاثة قرون سوى الافرنج اما البغداديون أو غيرهم من العراقيين أو سواهم فلم يرصدوا لها نبذة ولا مقالا بل لم يذكروها ذكرا •

ولما احتل البريطانيون بغداد ذهب مهندسوهم الى رؤية المئذنة وفحصوا ما حواليها فخافوا سقوطها واتلافها البيوت التى فى جوارها اذا هوت فتدفن حينئذ اصحابها تحت الردم • فعزموا على هدمها حقنا لدماء الخلق فاوعزت السلطة المحتلة الى احد الادباء المشاهير ان يكتب مقالا ينشر فى جريدة العرب (فى سنة ١٩١٧) ليهيىء الافكار لقبول هذا الخاطر الذى اقلق ارباب السلطة المحتلة • فذهب صاحب الجريدة المذكورة يومئذ الى السر برسى كوكس وأفهمه ان لا خطر على هويها لانها اصبحت كالصخرة الواحدة وقد مضت عليها السنون وهى فى تلك الحالة التى يظن انها خطرة وليست بها • فلم يقنع الحاكم المذكور بما قيل له لانه آلى على نفسه ان ينسفها بالبارود كما نسفت مدخنة « العباخانة » تلك المدخنة التاريخية التى بنيت فى نحو سنة ١٨٦٩ وكانت آية فى البناء والمتانة والجمال •

فلما رأى مدير الصحيفة المذكورة ان صاحب الزمام لا يرجع عن عزمه أسرع فأخبر بالامر المرحوم السيد محمود شكرى الآلوسى ليذهب ويقنع برسى كوكس بأن يعدل عن تحقيق ما دار فى خلده • فذهب الآلوسى مع مدير جريدة العرب ـ وهو صاحب هذا المقال ـ وحملا الحاكم على ان يترك هذه المسألة الآن الى وقت آخر الم يرد ان يعدل عن رأيه • فقنع • وبعد سنتين كلف مهندس البلدية وهو المسيو شافانيس الفرنسى بأن يقوى كرسى المئذنة بما عنده من الوسائل ففعل • وهى اليوم قائمة على ساقها كما كانت سابقا وتضحك من كل من حاول ان ينظر اليها نظره الى شيخة متغضنة •

اما مسألة بانيها أو معيد بنائها فبقيت غامضة أشد الغموض • وكل من كتب عنها من الافرنج منذ نيبهر الى يومنا هذا • وكذلك قل عن كتبتنا فى هذا

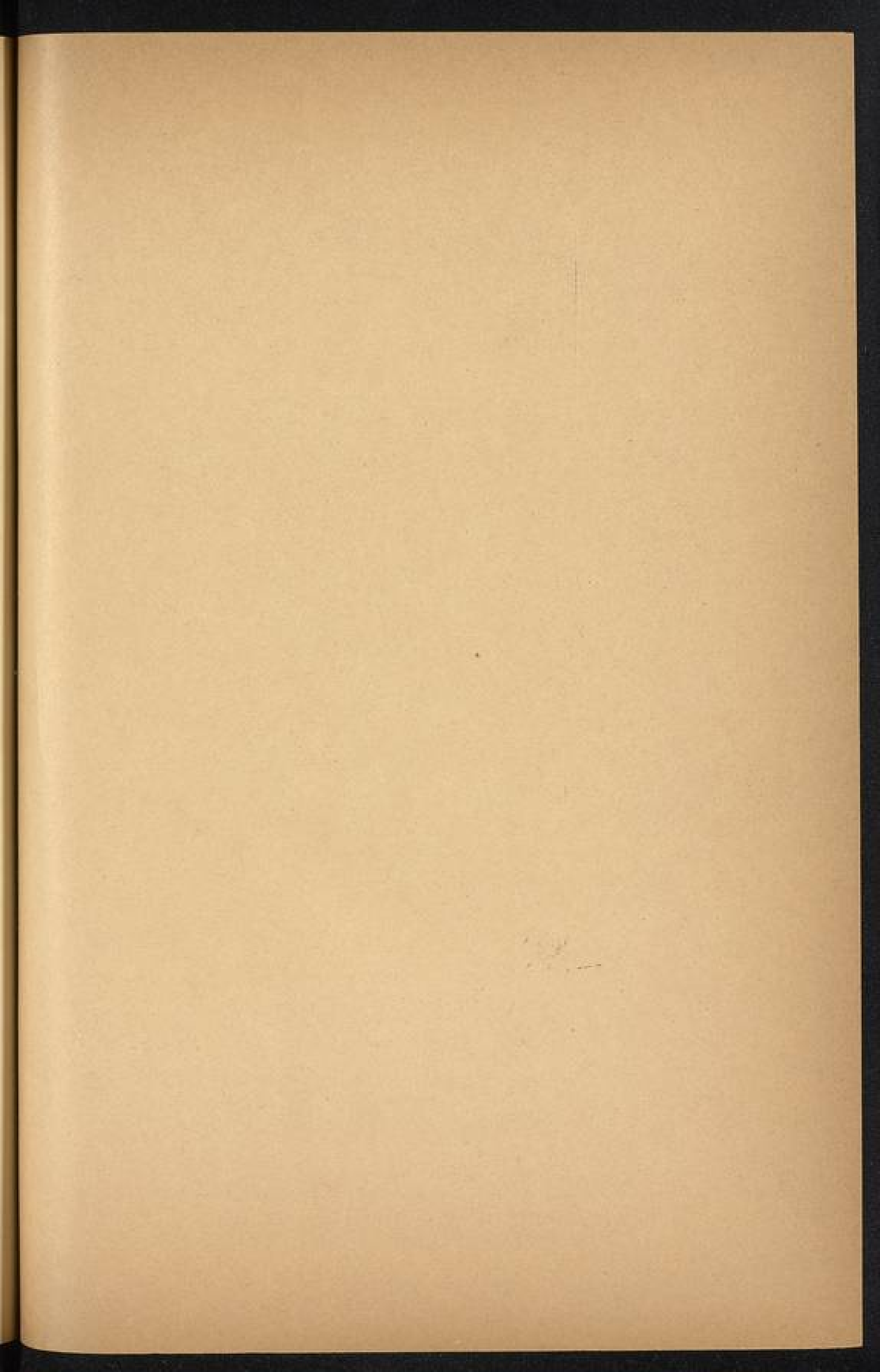






منارة سوق الغزل قبل اصلاحها

ازاء الصفحة ١٣٣



العصر فانهم جميعهم لم يتفقوا فى اقوالهم عن بانيها او معيد بنائها • اما الآن وقد أخذ صديقنا المحقق البحاثة يعقوب نعوم سركيس ينشد عن صاحبها فى كتب التاريخ فلم يبق ريب فى معرفة صاحب هذه المئذنة التى هى زينة الحاضرة ومفخرتها على تعاقب الايام وها نحن اولاء نزف هذه العروس عروس الفكر الى محبى التاريخ والتطلع الى الحقائق الراهنة • (انتهى كلام الاب صاحب المجلة) •

* * *

فى نحو وسط جانبنا الشرقى من بغداد فى محلة سوق الغزل اليوم منارة منفردة لجامع قديم تعرف باسم المحلة كانت فى رحبة من الارض مستطيلة قليلا تكسيرها نحو خمسمائة متر وفى ثلاث من جهاتها ابواب لدور حقيرة • ثم منذ نحو ثلاث سنوات احيطت الرحبة بجدار ارتفاعه نحو مترين ونصف • وفى هذه العرصة تباع الغنم صباح كل يوم • والمنارة فى نحو وسط هذه الرحبة وهى شاهقة البناء تشرف على المدينة وانحائها من علو لا يماثله علو عندنا(١) وهى كذيالك الشيخ الفرد النادر الذى شوهت وجهه تجعدات العتى لكنه لا يزال منتصب القامة متجلدا صابرا على حلو الايام ومرها • وصبر المنارة على عوامل الطبيعة دليل باهر على تقدم فن الريازة فى ذلك الزمن وعلى انتقاء الرزاة مواد البناء من احسن انواعها واتقانهم صنع الآجر وغير ذلك •

وبمقربة من المنارة فى غربيها الجنوبى على بضع عشرات من الامتار مسجد جامع بغير منارة معروف على الالسنة بجامع سوق الغزل • واذا استقصينا الخبر من الماضى عن الجامع التاريخى القديم الذى بنيت له المنارة اجابتنا صحائف الاخبار انه كان يسمى جامع الخلفاء قبل نيف وثلاثة قرون على أقل تقدير كما سيجىء • وبايغالنا فى تاريخه فى ما قبل ذلك نجد انه كان يسمى فى القرن السابع للهجرة وما قبله « جامع الخليفة » أو « جامع القصر » •

جامع سوق الغزل غير جامع الرصافة

نشرت جريدة (العرب) البغدادية ــ فى عددها الصادر فى ١٤ ايلول سنة ١٩١٧ والمرقم ٣٨ ــ مقالة بغير توقيع عن جامع سوق الغزل انه جامع الرصافة وان المنارة التاريخية منارته وشتان بين قولها وبين الحقيقة • ثم نقلت مجلة

مرآة العراق(٢) تلك المقالة (١ : ١٣٢٧ هـ = ١٩١٩) : ص من ٨ الى ٩ من عددها الثانى •

ومن الغريب ان كاتب المقالة بعد ان استشهد بأبن الأثير عن بناء جامع الرصافة فى سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) شهادة لا علاقة لها بجامع الخليفة أو القصر أورد عن الرصافة وجامعها كلام معجم البلدان وهو ما يؤيد ان محلة الرصافة على مقربة من مرقد الامام الاعظم ابى حنيفة وهو المرقد الذى لا يجهله احد فى بغداد وموقعه فى شمالها يبعد عنها نحو ثلاثة كيلومترات فى ما نسميه « الاعظمية » أو « المعظم » على اصطلاح آخر • وذهب ايضا مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث(٣) (ص ١٢ ح) الى ان جامع سوق الغزل هو جامع الرصافة وانه فى محلة رأس القرية • والصحيح انه اليوم فى محلة سوق الغزل •

ان ما قاله الكاتبان لا يفوت الكثيرين لكنى رأيت الأجدر ان انبه على ذلك ولا سيما ان البحث عن جامع الرصافة وجامع الخليفة او القصر متداخل بعضه ببعض احيانا • ولهذا اورد شيئا مما كتب عن ذلك متبعا اتساق الكلام غير ملاحظ لتواريخ تأليف الكتب اذ غرضى البحث عن جامع الخليفة ومنارته وبنائها بعد بيانى ان كلا من هذين الجامعين هو غير الآخر • قال ياقوت فى معجم البلدان :

« رصافة بغداد • بالجانب الشرقى • لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربى واستتم بناءها أمر ابنه المهدى ان يعسكر فى الجانب الشرقى وان يبنى له فيه دورا وجعلها معسكرا له فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور وعمل المهدى بها جامعا اكبر من جامع المنصور واحسن وخربت تلك النواحى كلها ولم يبق الا الجامع وبلصقه مقابر الخلفاء لبنى العباس وعليهم وقوف وفراشون برسم الخدمة ولو لا ذلك لخربت وبلصقها محلة ابى حنيفة الامام وبها قبره ••• » أ هـ •

فلا ادرى كيف تسنى لصاحب مقالة جريدة « العرب والمرآة » ان يوفق بين ما قرأه ان المهدى بنى جامعا بالرصافة وبلصقه مقابر الخلفاء ••• وبلصقها

محلة ابى حنيفة وبها قبره . وبين ما يراه بعينه ان جامع سوق الغزل يبعد عن مرقد ابى حنيفة ما يزيد عن ساعة للراجل .

وجاء فى مراصد الاطلاع فى معنى ما ذكره ياقوت ثم قال : « وقد كانت انقطعت العمارة عنها (عن الرصافة) فبنى المستنصر سورا حسنا بالآجر »(٤)

وفى كتب مناقب بغداد ص ٣٣ ما قوله : « قال هلال بن المحسن :(٥) عبرت الى الجانب الشرقى من مدينة السلام بعد الاحداث الطارئة فرأيت ما بين سوق السلاح والرصافة وسوق العطش ومربعة الخرسى والزاهر وما فى دواخل ذلك ورواصفه وقد خرب خرابا فاحشا حتى لم يترك النقص جدارا قائما ولا مسجدا باقيا . واما بين باب البصرة ... من الجانب الغربى فقد اندرس ... وصار الجامعان بالمدينة (مدينة المنصور) والرصافة فى الصحراء بعد ان كانا فى وسط العمارة » أ هـ .

وكان ابن جبير نزيل بغداد فى سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) وهذا ما جاء فى رحلته ص ٢٢٦ من الطبعة الافرنجية : « ... وباعلى الشرقية (الجانب الشرقى) خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة وبالرصافة كان باب الطاق المشهور على الشط . وفى تلك المحلة مشهد حفيل البنيان له قبة بيضاء سامية فى الهواء فيه قبر الامام ابى حنيفة رضى الله عنه وبه تعرف المحلة » .

وورد ما يلى فى المخطوط الذى عرفناه « بالحوادث الجامعة » قال :

« وفيها (وفى سنة ٦٥٣ هـ ـ ١٢٥٥ م) وقع بين اهل محلة الرصافة ومحلة ابى حنيفة والخضريين فتنة افضت الى محاربة شديدة استظهر فيها اهل محلة ابى حنيفة والخضريين على اهل الرصافة وطردوهم الى باب المحلة وركبهم السيف فدهمهم الليل فازدحموا للدخول فمات منهم جماعة نحو ثلاثين نفرا وحصروهم ومنعوا ان يدخل اليهم شيء حتى الماء من دجلة فاضر بهم ذلك فنفذ شحنة بغداد من زجر اهل محلة ابى حنيفة وكفهم عن الشر ثم انهم اقتتلوا بعد ايام وخرج بين الفريقين خلق كثير وقتل جماعة واستظهر اهل محلة ابى حنيفة والخضريين على « اهل الرصافة » وباتوا تلك الليلة واستعدوا للقتال

وعزموا على احراق محلة ابى حنيفة وعبر من اهل باب البصرة لمساعدة اهل الرصافة خلق كثير •

ولا بأس من ايراد ما جاء فى هذا المخطوط بهذا الشأن ايضا غير مجزىء بالنقاط الخاصة بالبحث لما فيه من الفائدة • وهذا قوله :

« وفى هـذه السنة (٦٥٣) اتفقت امور عجيبـة وحوادث غريبـة قـد ذكرناها • منها : الغرق العام الذى اخرب اكثر بغـداد لا سيما دار الخلافة والدور الشطانية من الجانبين وانتقال النـاس من دورهـم وتضاعف اجرة المساكن الشعثة فى اطراف البلد • وغلت الاسعار وتعذرت الاقوات وغرقت نواحى دجيل ونهر عيسى ونهر ملك (نهر الملك) والاعمال الفراتية : عانة والحديثة وهيت والانبار والحلة والكوفة وقوسان • وذهبت الزروع وتلفت الأشجار وتهدمت الجوامع والمساجد كجامع المنصور وهو اول جامع وضع ببغداد ورباط الزوزنى المجاور له والقبة الخضراء و « جامع المهدى بالرصافة » ومشهد عبيدالله والرباط المنسوب اليه وجامع السلطان و « جامع القصر » ورباط دار الذهب بعقد المصطنع • وبعض مسجد قمرية بالجانب الغربى • وحائط رواق المدرسة النظامية وعدة مساجد • وقيل ان رجـلا ثقة تصدى لاثبـات ما تهدم من الدور فى الجانبين كان مبلغها اثنى عشر الف دار وثلاثمائة ونيف وسبعين دارا » • أ هـ •

واخبرنا ابن بطوطة فى رحلته وهو فى بغـداد فى رجب سنة **٧٢٧** هـ (**١٣٢٦** م) بقوله : « ••• ويقرب الرصافة قبر الامام ابى حنيفـة رضى الله عنـه » أ هـ •

وهذا كاف لبيان موضع الرصافة وجامعها ومن ثم لرد قول جريدة العرب ومجلة المرآة وكتاب مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث • وسيجىء فى سياق الكلام ما يؤيد هذه الحقيقة •

* * *

ومما روته لنا مقدمة الخطيب ما ذكرته عن جامعى الرصافة والخليفة قالت (فى الص ٦١) بعد كلامها عن جامع المدينة « مدينـة المنصور » بالجانب الغربى :

« واما المسجد الجامع بالرصافة فان المهدى بناه فى اول خلافته . اخبرنا بذلك محمد ... قال : سنة ١٥٩ (٧٧٥) فيها بنى المهدى المسجد الذى بالرصافة فلم تكن صلاة الجمعة تقام بمدينة السلام الا فى « مسجدى المدينة والرصافة » الى وقت خلافة المعتضد فلما استخلف المعتضد أمر بعمارة القصر المعروف بالحسنى على دجلة سنة ٢٨٠ (٨٩٣ م) وانفق عليه مالا عظيما وهو القصر المرسوم بدار الخلافة وأمر ببناء مطامير فى قصر رسمها هو للصناع فبنيت ... وجعلها محابس للاعداء وكان الناس يصلون الجمعة فى الدار . وليس هناك رسم المسجد انما يؤذن للناس الدخول وقت الصلاة ويخرجون عند انقضائها . فلما استخلف المكتفى فى سنة ٢٨٩ (٩٠١ م) نزل(٦) القصر وأمر بهدم المطامير التى كان المعتضد بناها وأمر ان يجعل موضعها « مسجد جامع فى داره » يصلى فيه الناس فعمل ذلك(٧) وصار الناس يبكرون الى « المسجد الجامع فى الدار » يوم الجمعة فلا يمنعون من دخوله ويقيمون فيه الى آخر النهار وحصل ذلك رسما ثانيا(٨) الى الآن واستقرت صلاة الجمعة ببغداد فى المساجد الثلاثة التى ذكرناها الى وقت خلافة المتقى » أ هـ .

ويلوح لى ان ابن الجوزى فى كتابه مناقب بغداد نقل عن مقدمة الخطيب لما بين لى من تشابه الجمل والكلام . قال ابن الجوزى فى الص ٢١ : « جامع الرصافة » بناه المهدى فى اول خلافته الى ان ولى المعتضد وعمر القصر الحسنى فى سنة ٢٨٠ فكان يأذن للناس فى دخول الدار يوم الجمعة للصلاة وليس قد رسم مسجدا . فلما استخلف المكتفى فى سنة ٢٨٩ أمر بهدم مطامير كان قد عملها المعتضد وأمر ان يعمل مكانها « مسجد جامع » فعمل هذا الذى هو الآن . وأقيمت الصلاة فى الجوامع الثلاثة ... « حتى قال : » وما زالت الجمع تقام فى جامع المدينة(٩) و « جامع الرصافة » و « جامع القصر » ومسجد براثا ... « ثم قال ايضا : » وكان فى زمن عضد الدولة يقف الانسان عند الباب الحديد (كذا) من شارع الرصافة والصفوف ممتدة من « المسجد الجامع بالرصافة » الى هذا الموضوع (الموضع) ومسافة ما بينهما كمسافة ما بين المسجد الجامع بالمدينة ودجلة ... ثم أمر السلطان ملكشاه بن محمد بن الب ارسلان بعمارة جامع بالمخرم وهو الجامع المسمى بجامع السلطان ... » أ هـ .

وقال ابن جبير فى ص ٢٢٨ : والشرقيـة (الجـانب الشرقى) حفيلـة الاسواق عظيمة الترتيب ••• وبها من الجوامع ثلاثة كل يجمع فيها :ــ

« جامع الخليفة » متصل بداره وهو جامع كبير فيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة • مرافق للوضوء والطهور •

و « جامع السلطان » وهو خارج البلد ويتصل به قصور وتنسب للسلطان ايضا المعروف بشاه شاه(١٠) وكان مدبر اجداد الخليفة •••

و « جامع الرصافة » وهو على الجانب الشرقى المذكور وبينه وبين جامع السلطان المذكور مسافة ميـل • وبالرصافة تربة الخلفـاء العباسيين رحمهم الله ••• أ هـ •

واخبرنا ابن بطوطة الذى يبين لى انه نقل تنفـا عن ابن جبير كما فعل ابن الجوزى بنقله عن الخطيب • قال (ابن بطوطة) فى الص ١٤٢ :

« وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التى تقام فيها الجمعة ثلاثة احدها :

« جامع الخليفة » وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة للوضوء والغسل •••

والجامع الثانى « جامع السلطان » وهو خارج البـلد وتتصل به قصور تنسب للسلطان •

والجـامع الثالث « جامع الرصافة » وبينـه وبين جـامع السلطان نحو الميــل » أ هـ •

مر بنا ان الجامع الذى نحن بصدده يسميـه بعضهم « جامع القصر » وبعضهم « جامع الخليفـة » والآن يحسن بى ان ألخص ما قالوه ليتضح انه واحد • قالت مقدمة الخطيب ان المكتفى أمر بهـدم المطامير التى كان المعتضد بناها بالقصر الحسنى وانه القصر المرسوم بدار الخلافة وانه أمر بجعل موضعها « مسجدا جامعا » • ويضاف الى ذلك ما ذكره كتاب المناقب بروايته لنا بناء هذا الجامع انه « جـامع القصر » • ويلحق بما جـاء ذكر ابن جبير وابن بطوطة لجامع الخليفة وسكوتهما عن « جامع القصر » وقد عدا جوامع الجانب الشرقى جميعها ولو كان جـامع الخليفة غير جـامع القصر لذكراه باسمه • فجامع

الخليفة وجامع القصر واحد • وقد أقر ذلك نفر من مشاهير المستشرقين منهم لسترنج فى كتابه : بغداد فى عصر الخلافة العباسية وماسنيون فى كتابه بعثة ما بين النهرين وهرتسفلد فى كتابه عن بغداد •

ومن الذين ذكروا جامع القصر ابن الاثير فى الكامل دفعات عديدة ويظهر لى انه لم يذكر جامع الخليفة ولا ارجح انه مرت قرون ولم يحدث مرة واحدة أمر يوجب ذكر جامع الخليفة وانى لارجح انه وافق على اصطلاح الناس عليه بجامع القصر • ومما جاء فى ابن الاثير عن « منارة جامع القصر » قوله (١١ : ٥٤) فى حوادث سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) :

« وفيها فى ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر واذن فيها » أ هـ •

فنظرا لما اتى به ابن الاثير لا أرى مجالا لمخاطبة « البناء » للمنارة الشاخصة للابصار بمئذنة الرشيد فى قصيدته التى نشرت فى هذه المجلة (٣ « ١٩١٤ » : ٥٧٤) الا اذا اراد الشاعر المجاز واذا صح له ذلك • اما قول حاشية تلك الصحيفة ان المئذنة كانت فى عهد الخلفاء العباسيين لكن بانيها لا يعرف على التحقيق وان منهم من يرى انها من عصر الرشيد وانه هو بانيها وفى وسط المسجد الجامع فانى أقسم جوابى عليه الى قسمين : الاول أريد به انها كانت فى زمن الخلافة العباسية وهذا لا غبار عليه فان ابن الاثير روى لنا بناءها فى العصر العباسى • والثانى انه من بناء الرشيد لا يصح اذ ان الجامع الذى ينسب بناء المنارة اليه هو جامع القصر ــ وعلى اصطلاح ثان جامع الخليفة ــ وقد احدثه المكتفى كما رأينا وهو ابن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد • فلا يمكن ان تكون المنارة من بناء الرشيد ولم يكن رسم لجامع فى هذه البقعة قبل المكتفى ولم نر لها ذكرا حتى نوه ابن الاثير بسنة بنائها • فكان الواجب يقضى بالا يهمل القول الصريح لابن الاثير وهو المعول عليه يومئذ • اما الآن وقد عثرنا على كتاب الحوادث الجامعة فانى سأروى ما اطلعنا عليه من امر بناء المنارة القائمة حتى هذا اليوم وهو ما كان بعد زمن ابن الاثير بنحو خمسين سنة •

ومن الذين ذكروا جامع القصر وانه فى حريم دار الخلافة ياقوت فى مادة الحريم كما مر بنا فى هذه المجلة (٥ : ٤٥٠) « فجامع القصر » أو الخليفة

هو ما سمي بعده « بجامع الخلفاء » الواقع اليوم فى محلة سوق الغزل ثم عرف الجامع الذى شيده سليمان باشا على ما سيأتى « بجامع سوق الغزل » .

ذكر جامع الخليفة أو القصر فى الحوادث الجامعة

يستند جل ما ورد فى هذا المقال عن الموضوع الذى تناولته عن كتب معروفة والآن استل كل ما جاء فى الحوادث الجامعة عن الجامع ومنارته تعميما للفائدة وان كان بعض ذلك خارج موضوع البناء .

ابتدأت نسخة الكتاب الناقصة فى اولها بذكر جامع القصر فى سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) فقالت : « وفيها عاد الامير مجير الدين جعفر بن ابى فراس الحلى الى بغداد وكان مقيما بمصر عند ولده ... وعاد الى بغداد فى غرة رجب وأقام بداره فادركته المنية فى آخر ذى الحجة فصلى عليه فى جامع القصر ... »

وسبق لى فى هذه المجلة (٥ : ٣٣٩ وما بعدها) تفصيل وصول مظفر الدين ابى سعيد كوكبرى الى بغداد فى سنة ٦٢٨ هـ نقلا عن الحوادث وقد اهمل المرتب شيئا من ذلك اضيفه هنا لعلاقته بهذا البحث وبابن الجوزى معا وهو بعد قولك « سنقر » (ص ٣٤١ س ٦) :

بدرب فراشا وانزل جماعة من الامراء الواصلين معه فى دور فى عدة محال وباقى عسكره فى المخيم ظاهر البلد . واقيمت له ولاصحابه الاقامات الوافرة .

ثم سأل زيارة المشاهد والربط ببغداد فعمل له فى كل مكان وليمة . وصلى فى « جامع القصر » جمعتين داخل الرواق الى جانب المنبر .

ثم حضر فى منتصف صفر مؤيد الدين القمى نائب الوزارة وولده والجماعة الذين حضروا يوم دخوله وجرت الحال على ما تقدم شرحه . وخاطبه الخليفة بما طابت به نفسه فقبل الارض وابتهل بالدعاء وتلى قوله تعالى : « يا ليت قومي يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » ثم اسبلت الستارة وخلع عليه فى تلك الحجرة واعطى كوسات واعلام وخمسون

الف دينار برسم نفقة الطريق وبرسم حاشيته واصحابه عشرة آلاف دينار وخرج من هناك الى دار الوزارة وحضر جميع اصحابه فخلع عليهم بحضوره .

واقام بعد ذلك اياما ثم خرج الى مخيمه ظاهر سور سوق السلطان وتوجه الى بلده . وكانت مدة مقامه ببغداد عشرين يوما . ومضى معه « محيي الدين ابن الجوزى » وسعدالدين حسن ابن الحاجب على وعادا فى ربيع الاول واخبرا ان مظفر الدين حلف امراءه واعيان اهل بلده على طاعة الخليفة وتسليم البلد عند وفاته . أ هـ

وجاء ايضا فى حوادث سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م) ذكر جامع القصر(١١) (راجع لغة العرب ٥ : ٣٤٥) .

وفى المخطوط ايضا قوله : وفى آخر شعبان (٦٣٥ هـ) انتهى (كذا) عمارة « باب جامع القصر » مما يلى الرحبة وفتح(١٢) وفتحت المزملة التى عملت .

وفى اخبار السنة المذكورة ايضا ما موجزه : وفيها امر خطيب « جامع القصر » ابو طالب بن المهتدى بان يحرض فى خطبته على الجهاد فى امر المغول وقد وصلوا دقوق (دقوقا) وانبثوا فى اعمال بغداد .

وورد فيه فى حوادث سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) قوله : « وفيها توفى عز الدين ابو زكريا يحيى بن المبارك بن على بن المبارك بن على بن الحسين بن بندار المخرمى ... وصلى عليه فى جامع القصر ... »

وفى حوادث سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) قوله بعد مبايعة المعتصم : « ... يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة تقدم الى كافة ارباب المناصب والولايات والامراء الكبار بالركوب الى « جامع القصر » فحضروا دار الوزير اولا ثم توجهوا الى الجامع وصلوا داخل الحطيم واعفى الوزير من الحضور لعجزه » . وخطب نقيب النقباء بهاء الدين الحسين بن المهتدى ونثر عند ذكر اسم الخليفة الف دينار والف درهم عليها اسمه(١٣) تولى نثار ذلك بشير السترى (التسترى ؟) وصعد معه علم الدين ابو جعفر بن العلقمى اخو استاذ الدار ونفذ الى جامع المنصور وجامع المهدى بالرصافة وجامع السلطان وجامع فخر الدولة بن المطلب وجامع بهليقا(١٤) ذهبا ودراهم نثر ذلك عند ذكر اسم الخليفة . وكان مبلغ

ما يعد الى كل موضع خمسمائة دينار وخمسمائة درهم وذكر الخطباء الامر بالحج ورغبوا فيه وعرفوا الناس انه قد وقع الشروع فى اسبابه .

سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) « وفيها حضر الامير سيف‌الدين على بن قيران عند الوزير واستاذ الدار وانهى اليهما انه شاهد العدل شمس‌الدين على بن النسابة خطيب جامع القصر فى بستان يعرف بالديلجى (؟) ... »

سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) « وفيها توفى نقيب النقباء بهاء الدين ابو طالب الحسين بن احمد بن المهتدى بالله . كان خطيبا « بجامع الخليفة » ناظرا فى وقوف ترب الرصافة ثم ولى نقابة العباسيين وأقر الخطابة فمرض يوما واحدا ومات . ولم يعرف له فى مدة خطابته ما يقطعه عنها . وكان مولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة » .

وفى هذه السنة وقع الغرق الذى جاء نقل وصفه فى الصحائف المتقدمة فى هذه المقالة وفيه ذكر « جامع القصر » .

وفيها توفى شرف‌الدين اقبال الشرابى ... فى ثامن عشريه (اى من شهر شوال) وصلى عليه فى « جامع القصر » ودفن فى تربة ام الخليفة المستعصم بباب القبة على يمين الداخل .

سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) وفى شوال ندب العدل نجم‌الدين عبدالله بن البادارى(١٥) الى القضاء وهو مريض فاستعفى فلم يعف واستدعى الى دار الوزير فحضر بين غلمانه وهو ضعيف عن الحركة والكلام فخلع عليه وشرفه بالقضاء فركب الى « جامع الخليفة » وجلس فى القبلة (القبة ؟) وقرىء تقليده على المنبر ثم خرج وجلس فى منصب القضاء وحكم وسمع البينة وكتب الانهاء ولم يجلس بعد ذلك وانقطع فى بيته تسعة عشر يوما وتوفى ...

سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وفيها دخل هولاكو بغداد واستولى عليها . ومما قاله المخطوط : « ...(١٦) واحرق معظم البلد « وجامع الخليفة » وما يجاوره ... » ثم قال : « ووصل الامير مراعا « قرابوقا(١٧) ؟ » بعد ذلك الى بغداد وعين عماد الدين عمر بن محمد القزوينى نائبا عنه فكان يحضر الديوان مع الجماعة . وكان ذا دين ومروءة . عين على شهاب‌الدين بن عبدالله صدرا

فى الوقوف وتقدم اليه « بعمارة جامع الخليفة » وكان قد احرق كما ذكرنا . ثم فتح المدارس والربط وأثبت الفقهاء والصوفية وأدر عليهم الاخباز والمشاهرات وسلمت مفاتيح دار الخلافة الى مجد الدين محمد بن الاثير وجعل أمر الفراشين والبوابين اليه » .

سنة ٦٧٠ هـ (١٢٧١ م) وفيها امر علاء الدين (الجوينى) صاحب الديوان بتجديد عمارة « منارة جامع الخليفة » وكان صدر الوقوف يومئذ شهاب الدين ابن عبدالله فشرع فى ذلك وانجزت فى آخر شعبان ثم سقطت فى شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح ولم يتأذ احد ممن كان هناك .

سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) « وفيها تمت عمارة « منارة جامع الخليفة » وكانت قد سقطت فى شهر رمضان سنة سبعين . وتمت عمارة مسجد الشيخ معروف (الكرخى) قدس الله روحه بالجانب الغربى من بغداد على شاطىء دجلة . أمر بعمارته شمس الدين محمد بن الجوينى صاحب ديوان الممالك . وكان قد خرب لما غرقت بغداد سنة ثلاث وخمسين وستمائة » .

سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) « ... ثم توجه علاء الدين (الجوينى) نحو العراق فلما وصل الى اشنى(١٨) بلغه ان ارغون سار من خراسان لما بلغه وفاة ابيه السلطان اباقا خان يريد العراق فاقام فى اشنى وانفذ الكرزد هى(؟) والجلال حسى (يخشى ؟)(١٩) ونجم الدين الاصفر(٢٠) ومجد الدين بن الاثير وجماعة من اصحابه ومعهم رأس مجد الملك وكتب معهم مكتوبا صورته : (يطول امر نقله ويخرجنا عن الموضوع) . وكان وصولهم بغداد فى رجب وقرىء هذا الخط فى جامع الخليفة ... »

« وفيها توفى الشيخ جلال الدين عبدالجبار بن عكبر الواعظ مدرس الحنابلة بالمدرسة المستنصرية ودفن فى المسجد المجاور لداره . وكان عالما فاضلا ورعا زاهدا جلس للوعظ بباب بدر فى زمن الخليفة . وبقى على ذلك الى واقعة بغداد ثم جلس فى جامع « الخليفة » واستمر الى ان مات وكان له قبول عند العالم » .

سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) « وفيها توفى موفق الدين ابو الفتح بن ابى فراس

الهنائسى (الهرائسى ؟)(*) اخو قاضى القضاة . وكان رجلا صالحا خطب « بجامع الخليفة » الى ان اضر فاستتاب ولده مكانه » .

سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) هناك ذكر لباب « جامع الخليفة » .

وفى هذه السنة احبست (كذا) الغيوث حتى انقضاء بعض شباط فاجتمع الناس عند قاضى القضاة عز الدين ابن الزنجانى ثم خرجوا الى مقبرة معروف (الكرخى) رحمه الله يوم الخميس سابع عشرين صفر واجتمعوا فى باب المدرسة البشيرية ونصب هناك كرسى خطب عليه العدل شمس الدين ابن الهنايسى خطيب « جامع الخليفة » ثم تضرعوا (كذا) الناس وسألوا الله عز وجل ان يعمهم برحمته واكثروا من البكاء والاستغفار وعادوا .

ثم خرجوا يوم الجمعة الى ظاهر سور بغداد يتقدمهم شيخ المشايخ نظام الدين محمود راجلا مستكينا وكذلك قاضى القضاة واجتمعوا وراء جامع السلطان وخطب الخطيب المذكور ثم تلاه الشيخ شهاب‌الدين عبدالمحمود بن السهروردى فارخت السماء عزاليها وتواترت الغيوم فدخلوا بغداد وقد توحلت الطرق ودام نزول الغيث ثلثة ايام ثم سكن . وزادت دجلة بعد ذلك وانتفع العالم بما عمهم من لطف الله ورحمته .

وفى الحاشية ما قوله : فصام اليهود ببغداد ثلثة ايام متواليات واكثروا فيها من الدعاء والصلاة وخرجوا فى اليوم الثالث وهم صيام فاستسقوا فلم يسقوا .

سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) « وفيها قتل « بجامع الخليفة » ببغداد فى يوم جمعة رجل ... » انتهى ما اردت نقله من الحوادث الجامعة .

الجامع فى كتاب جامع التواريخ وبعده

وجاء فى التاريخ الفارسى المسمى جامع التواريخ لرشيد الدين(٢١) فى ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣ ما تعريبه :

« واحرق (المغول حينما استولى هولاكو على بغداد) القسم الاعظم من

(*) ارتاب الاب صاحب المجلة فى كلمة الهنائسى وقال الا تكون الهرائسى ؟ فكتبنا هذه الكلمة مستفهمين . ثم عرفت ان فى جزيرة السيد احمد الرفاعى الواقعة بين دجلة والغراف تل يقال له « الهنائس » ولا زلت غير عارف لمعنى هذه الكلمة .

المواضع الشريفة كجامع الخليفة ومشهد موسى الجواد عليه الرحمة(٢٢) وترب الخلفاء ... »

وفى ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ما تعريبه ايضا :

« وعمر عماد الدين عمر القزوينى الذى كان نصبه الامير قرتاى نائبا عنه فى جامع الخليفة ومشهد موسى الجواد ... »

ولم اطلع فى ما لدى من الكتب على ذكر « جامع الخليفة » خلال بعض مئات من السنين حتى ذكره تكسيرا(٢٣) فى أواخر سنة ١٦٠٤ م (١٠١٣ هـ) فقال ما تعريبه عن ترجمته الانكليزية ص ٦٤ :

« وتشاهد العين هنا (فى بغداد) خرائب للعمارات البديعة من العهد الفارسى كجامع الخلفاء ... (*Calefah*) »(٢٤)

وقال اوليا جلبى فى رحلته (٤ : ٤١٩) ما تعريبه وقد قدم الى بغداد فى ١٢ ربيع الاول سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٥ م) :

« جوامع قلعة بغداد . تبلغ محاريب بغداد ستمائة وخمسة وستين محرابا . ومن جملة جوامع سلاطين السلف جامع الخلفاء المعبد القديم ذو المنارة والقبة الواقع فى رأس جورجه(٢٥) وقد ورد فى رحلة الاب لياندرو الكرملى(٢٦) المرسل فى بغداد فى الربع الثانى من القرن الثامن عشر ذكر أمام جامع الخلفاء » .

وجاء بعده الرحالة نيبهر وقد أم الشرق فى منتصف ذلك القرن ايضا فحكى عن المستنصرية وعن بناء المستنصر لهذا الجامع فقال ما تعريبه ونصه :

« وبنى المستنصر بعد ثلاث سنوات جامعا بديعا فى محلة « سوق الغزل » لم يبق منه الا المنارة والجدار الداخلى ومدخلان وهناك اليوم قهوة » .

وفوق هذا المدخل كتابة تفصح عن اسم البانى . والكتابة هى « أمر بعمله سيدنا ومولانا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين أعلى الله تعالى معالم الاسلام بهمته العالية وازهى دعائم الايمان بآياته وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . » والظاهر انه يريد بذلك بناء الباب الذى ذكره كتاب الحوادث

الجامعة والترميم الذى ذكره لسترنج وهذا الكلام ينزع الشك الذى وقع فى صدر لويس ماسنيون اذ ذهب الى ان ما قرىء للرحالة نيبهر وكان مكتوبا على الباب ليس أكيدا (راجع عن شك ماسنيون ٢ : ٤١) .

ثم اهملت الاقلام ذكر الجامع التاريخى حتى اتانا مؤلف دوحة الوزراء فذكر فى حوادث سنة ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) فى خبر وفاة سليمان باشا والى بغداد(٢٧) قيامه بتشييد الابنية منها انه « لما رأى ان الجامع الشهير بجامع الخلفاء الواقع فى « شورجة » قد تهدم وهجر ولم يبق له الا أثر قليل ورسم جزئى هدمه من أساسه فانشأ جامعا أنيقا » .

وقال المرحوم الشيخ العلامة شكرى الآلوسى فى كتاب مساجد بغداد ان « بالقرب من جامع الخلفاء المعروف بجامع سوق الغزل سقاية انشأها الشيخ صبغة الله وقد حرر على جدارها هذه الابيات وفيها التاريخ(٢٨) . » فأوردها الآلوسى برمتها اما انا فاكتفى ببيت التاريخ خوف الاطالة :

ان جئت ضمآن قلب يا مؤرخها   اشرب هنيئا مريئا بارد الراح

سنة (١٢٦٠ هـ) (١٨٤٤ م)

وقالت جريدة (العرب) و (مرآة العراق) : قال بعض المؤرخين انه أدرك من باب هذا المسجد ميلين شامخين(٢٩) فى الهواء كانا على جانبى باب الجامع وان سليمان باشا الكبير والى بغداد فى سنة ١١٩٣ هـ(٣٠) (١٧٧٩ م) هدمهما وبنى بانقاضهما مسجدا صغيرا بقرب المنارة وهو المشتهر اليوم بجامع الخلفاء وكان الباب الذى على جنبيه الميلان عند السوق التى يباع فيها اليوم الغنم وغير ذلك ولم يبق من الجامع القديم سوى مئذنته الشهيرة اليوم بمنارة سوق الغزل ... أ هـ .

وهناك قصيدة لمنشد لم يسمه الكاتب خاطب بها الجامع والمنارة باسم جامع الرصافة(٣١) وهو غلط ظاهر كما رأينا .

وقالت جريدة (العرب) والمرآة ايضا : « لما احتل الجيش البريطانى دار السلام بغداد ... ارسلوا لها (كذا) اى الى (المنارة) عارفين من المهندسين ومشاهير المعمارين فكشفوا عليها ... ثم باشروا فى اصلاح خللها ... وقد

جددوا كرسيها على الاساس الاول واخذوا يصلحون البدن كله ... غير ان شرفتها فما فوق قد وهنت ... حتى اشرفت على السقوط ... فعسر اصلاحها على هذه الحالة فاقتضى فل ما وهن منه واعادته كما كان بحجارته وانقاضه ... » أ ه .

هذا ما اوقفتنا عليه الجريدة والمجلة المذكورتان اما ما نراه اليوم فهو انهم رمموا قاعدتها نحو مترين فوق سطح الارض ولا تزال المنارة باقية على حالها بغير اصلاح ويا ليت وزارة الاوقاف تهتم بترميمها من غير ان تهدم منها شيئا(*) .

وشاهد الاستاذ المستشرق ماسنيون هذه المنارة وصورها فى كتابه « بعثة العراق » وبحث عنها فقال انه يظن ان تاريخ بنائها يتقدم على السنة ٦٣٣ ه (١٢٣٥ م) التى جاءت فى الكتابة التى نقلها نيبهر وذهب ان بناءها يرتقى الى قبل ذلك التاريخ نظرا الى طراز البناء والى أثر الكتابة الكوفية التى تمنطقها كما نراها وكما صورت هنا وفى بعض كتب الافرنج التى ذكرنا .

اسماء الجامع وعمر المنارة

يستنتج من مقالتى ان للجامع الذى بحثت فيه عدة اسماء وهى : جامع القصر ثم اطلق عليه اسمان معا وهما الاول المذكور والثانى جامع الخليفة . ثم عرف بجامع الخلفاء وبعد ان بنى سليمان باشا قريبا من المنارة جامعا اشتهر ايضا الجامع بجامع « سوق الغزل » . واذا عدنا الى كتاب الحوادث الجامعة وجدنا ـ والعهدة عليه ـ ان عمر المنارة اليوم ٦٦٩ سنة قمرية اى ٦٤٩ سنة شمسية . وما بقى من عمرها هو عند علام الغيوب .

الحواشي

(١) أعلى بناء فى بغداد قبة كنيسة اللاتين اذ علوها ٣٢ مترا وهذه المنارة أعلى منها بثلاثة امتار « لغة العرب »(٢) هى مجلة مصورة صدرت منها اعداد قليلة فى البصرة . ثم احتجبت الى هذا اليوم (٣) بقلم الاديب الفاضل على ظريف

(*) تم بعد ذلك ترميمها فاصبحت على أحسن حال فى سنة ١٩٤٠ م

الاعظمی طبع فی بغداد فی سنة ١٩٢٦ (راجع لغة العرب ٤ : ٩٢) ٠ (٤) وفی الحوادث الجامعة قوله : « وفيها (فی سنة ٦٢٧ هـ – ١٢٢٩ م) تكامل بناء سور الرصافة الذی أمر بعمارته الخليفة المستنصر » أ هـ ٠ (٥) وهلال هو الحسين حفيد ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابیء (راجع معجم الادباء لياقوت ١ : ٣٢٤ وراجع ترجمته الواردة فی صدر كتابه تاريخ الوزراء نقلا عن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزی) والظاهر ان ما جاء فی المناقب منقول من تاريخه الذی ينتهی فی سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) وكانت وفاته فی سنة ٤٤٨ هـ وممن نقل عنه الخطيب فی مقدمته وابن الجوزی (المتوفی فی سنة ٥٩٧ هـ) فی كتابه اخبار الحمقی المغفلين وفی معجم البلدان ٠ (٦) وفی احدی النسخ التی نقل عنها الناشر : « نزك »(٧) جاء فی المشرق (١٠ « ١٩٠٧ » ٣٩٢) ان الذی بنی جامع القصر هو علی المقتفی والصحيح المكتفی علی ما رأيناه هنا وعلی ما قاله ابن الاثير فی سنة ٢٨٩ هـ (٩٠١ م) (٧ : ١٧٠) انه أمر بهدم المطامير التی كان ابوه اتخذها لاهل الجرائم ٠ وجاء فی الفخری ان المكتفی بنی المسجد الجامع بالرحبة ببغداد ٠ (٨) وفی احدی نسخ الناشر : باقيا (٩) مدينة المنصور بالجانب الغربی (١٠) يريد به ملكشاه ٠ (١١) وذكر ابو الفداء فی حوادث سنة ٦٣٥ هـ و٦٣٦ (٣ : ١٦٠ و١٦٤ من الطبعة المصرية) قدوم محيی الدين يوسف ابن الشيخ جمال الدين ابن الجوزی رسولا من الخليفة ليصلح بين العادل والصالح ايوب كما مر بنا هنا (٥ : ٣٤٥) (١٢) جاء فی كتاب لسترنج ص ٢٦٩ ما تعريبه : « ورمم المستنصر ايضا جامع القصر الذی كان بناه علی المكتفی وبنی اربع دكات علی يمين أو غرب المنبر الی طلاب المستنصرية الی جلوسهم لحضور المناظرة بعد صلاة الجمعة » واظن ان هذه الصحيفة كانت مأخذا للاب الاستاذ صاحب هذه المجلة فی ما قاله عن الجامع فی المشرق (١٠ « ١٩٠٧ » ٣٩٢) ٠

وقال نيبهر وكان فی بغداد فی منتصف القرن الثامن عشر فی رحلته فی الترجمة الفرنسية *Voy. en Araie par C. Nirbuhr Amsterdam 1780* طبعة امستردام (٢ : ٢٤١) ما سيجیء تعريبه مع كتابة نقشت علی مدخل باب جامع سوق الغزل قال ان فيها تاريخها وهو سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) فيها ان

المستنصر أمر بهذا البناء ومن هذا يبين اختلاف سنتين بين القولين لكن يؤيد احدهما الآخر بأن البانى هو المستنصر . (١٣) فى « كتاب مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغى » لاسماعيل غالب الذى كانت نشرته المتحفة العثمانية فى سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) فى الص ٢٧٤ والص ٢٧٨ ان فى المتحفة بعضا من هذا الدينار والدرهم (١٤) جاء فى مناقب بغداد ص ٢٣ ان عمر بن بهلقا (كذا) الطحان استأذن بعمارة مسجد العقبة وصليت به الجمعة فى منتصف شعبان ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) (١٥) ذكر ابو محمد عبدالله بن البادراى فى هذا المخطوط ايضا فى حوادث سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) وسنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) . وذكر نجم‌الدين البادارى فى المشرق (١ « ١٨٩٨ » ٦١٣) وفى الطبعة الخاصة ص ٩٢٠ من كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى وقال الاستاذ الاب شيخو فى الحاشية انه لم يجد له ذكرا فى التاريخ وفاته ان ابا الفداء ذكره فى حوادث سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) رسولا من الخليفة فسعى فى الصلح بين الملك الصالح والحلبيين .

وترجم اليافعى فى كتابه مرآة الجنان (٤ : ١٣٧) فى وفيات سنة ٦٥٥ هـ هذا الرسول فقال عنه انه العلامة القدوة نجم‌الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابى الشافعى الفرضى ... ودرس بالنظامية ثم ترسل عن الخلافة ... وولى فى آخر عمره قضاء العراق خمسة عشر يوما ثم مات ... أ هـ

* * *

لغة العرب : فى ضبط الاب شيخو لكلمة البادارى غلطان : الاول اعجامه الذال وهى مهملة على رواية جميع المؤلفين . والغلط الثانى ضبطه انراء بالتشديد وهى مخففة كما فى‌معجم البلدان والانساب للسمعانى والطبرى فى تاريخه وفى كتب غيرهم ل.ع .

(١٦) جاء تفصيل بعض ذلك فى مقال لى عن بحث عن مؤلف كتاب مناقب بغداد ومؤلف الحوادث الجامعة (١٧) جامع التواريخ طبعة كاترمير (ص ٣٠٨–٣٠٩) (١٨) الظاهر انه يريد اشنه (معجم البلدان) وهى اشنو الواردة فيه ايضا فى مادة بسوى . وورد هذا العلم بالصورة الاخيرة فى كتاب

جهانكشاى جوينى (طبعة جب ١ : ١٦٠ و١٨٤) وفى حاشية تلك الصحيفة روايات مختلفة جاءت فى نسخ اخرى هى غير النسخة التى عول عليها فى الطبع . ومن هذه الروايات « اشنويه » التى جاءت فى نزهة القلوب (طبعة جب) . وقال باربيه دى ميناد *Barbier de Meynard* فى معجمه الجغرافى لبلاد فارس (ص ٤٠ ح) ان الكرنل رنلسن ضبطها بصورة *Ushnei. In Journal of the Geogr. Soc T.X.P. 16* وقال ان السمعانى فى خزانته الشرقية وابن العبرى فى تاريخه بالسريانية حكيا عن نصارى تلك البلاد . وضبطها اوليا جلبى فى رحلته (٤ : ٣٠٩) بصورة اشنوية ووصفها فى صحيفة ومما قاله عنها ان المغول اخربوها ثم عمرها السلطان « اوزون حسن » .

(١٩) ورد بخشى فى الاسماء ولم يرد يخشى . ويخشى من يخشيدن الفارسية وهو العطاء والهبة ومعنى يخشى بالتركية القديمة : الجميل الظريف .

ولكاترمير حاشية على ص ١٨٤ شرح لهذه الكلمة ولا نظنها توافق هنا معنى هذا الاسم . (٢٠) الحرف التابع للضاد ليس بواضح ويحتمل ان يقرأ فاء (بنقطة واحدة او غينا منقوطة) (٢١) ذكر قبلا فى هذه المجلة (٢٢) اظنه يريد الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد لان كتاب الحوادث وجامع التواريخ يذكران ان جيشا لهولاكو عبر دجلة وقاتل عسكر الخليفة فقهرهم المغول ونزلوا الجانب الغربى فلابد من ان تضرر مشهد موسى الكاظم ومحمد الجواد فارادوا تعمير ما خرب . هذا رأى والحجة فى رده انه لو اراد المؤلف الامامين لقال عليهما الرحمة والرضوان او عليهما السلام بالتثنية . ولعل الذى شوش الكلام غلط للناسخ . هذا لم يكن فى الجانب الشرقى مشهد لموسى الجواد فان كان كذلك فهل من يهدينا اليه ؟

(٢٣) ذكرت رحلته فى هذه المجلة (٥ : ١٣٩) (٢٤) قال الجنرال دى بليه فى كتابه المصور ص ٣٤ ان طراز منارة جامع سوق الغزل طراز فارسى ظاهر *Prome et Samar par le Gen. L. Beylie. Paris 1907* (٢٥) لفظها الشورجة بال التعريف ولفظ الترك والايرانيين لها بلا تعريف وهى تتصل بمحلة سوق الغزل من شماليه او من شماله الشرقى والكلمة فارسية : شورجاه (بجيم مثلثة فارسية) ومعناها البئر الملحة (٢٦) *Leandro di Santa Cecilia. Roma 1753-57*

له ثلاث رحلات وهي نادرة جدا رأيت قسما من احداها استكتبه الاب الفاضل نرسيس صائغيان نسابة نصارى بغداد على نسخة دار الكتب الاهلية في باريس وهو يداوم على استكتاب ما له علاقة بهذا القطر وعند طبع هذه المقالة ظفرت بنسخة منه في باريس فاجتلبتها (٢٧) ترينا قائمة المخطوطات العربية للمتحفة البريطانيـة (١ : ١٤٧) ان لمحمود بن عثمان الرحبي كتـابا اسمه : « بهجة الاخوان في ذكر الوالي سليمان » وهو مقسم على مقدمة واربعة ابواب وخاتمة . المقدمة تتعلق في ذكر (كذا) الارض ... الباب الاول في ذكر ملوك الفرس . الباب الثاني يتعلق في ذكر ملوك شتى . الباب الثالث يتعلق في النبي صلى الله عليـه وسلم . البـاب الرابع يتعلق في ذكر الوزير سليمان باشـا والي ولاية البصرة . الخاتمة تتعلق في معرفة طبـاع اصل الاقاليم والامصار واخلاقهم » وكان الكتاب للمستر ريج القنصل البريطاني الذي اغنى المتحفة البريطانيـة بالمخطوطات العربية والتركية . وكان قنصلا في بغداد في الربع الاول من القرن التاسع عشر . واوراق الكتاب ٤٥ وهذا سليمان باشا الذي ولي بغداد بعد ذلك هو غير سليمان باشا المقتول في سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) وقد نسب الاديب علي ظريف بناء هذ الجامع (الص ١٢ من كتابه) الى سليمان باشا الكبير وهو قول صحيح لكنه غلط في قوله المقتول في عام ١٢٢٥ هـ لان سليمان باشا الكبير الذي يسمى ايضا ابا سعيد (مختصر مطالع السعود الص ٤ و٢٩) توفي في سنة ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) (راجع دوحة الوزراء ومختصر المطالع وسالنامات بغـداد) ولاحد الرحبيين وهو ابو البركات محمد بن عبدالغفور كتاب نزهة المشتاق في علمـاء العراق ذكرته مجلـة اليقين في سنتهـا الاولى (١٣٤٠ — ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢—١٩٢٣ م) واقتطفت منه اشعارا ولا يزال الكتاب مخطوطا . (٢٨) نقلها ماسنيون في كتـابه (٢٩) لعلهما المدخلان اللذان ذكرهما نيبهر (٣٠) هذا مبدأ ولايته (٣١) جاءت هذه القصيدة في التكملة التي اضافها السيد محمد خلوصي ابن السيد محمد سعيد التكريتي النـاصري الى نسخة مبعث الآباء الكرمليين من كتاب مساجد بغداد تأليف الآلوسي والنسخة كلها بخط السيد محمد خلوصي وهو يقول عن القصيدة انها للسيد عبدالقادر العبـادي البـغدادي .

الص ١٠٦ الجزء الثاني من السنة ٦ = شباط ١٩٢٨

خاتم الامان

معاجمنا لا تحوى الا شيئا من الفاظ لغتنا التى كانت شائعة قبيل الاسلام وفى صدره واما المفردات التى نشأت فى عهد العباسيين فلا تكاد تجد لها اثرا وانما تراها مبثوثة فى كتب الادب والتاريخ والبلدان • ولهذا كان من الواجب تتبعها وتدوينها لتكون لغتنا حية • ومن جملة الكلم المولدة التى لا وجود لها فى معاجمنا « خاتم الامان » و « منديل الامان » وقد بحث عنهما صديقنا المدقق يعقوب افندى نعوم سركيس منقبا عنهما فى الاسفار ثم جاءنا بتحقيقه لهما فى المقالة الآتية :

(لغة العرب)

للعوائد حياة ولا ريب فى ان مصير حياة العوائد يوما الى الاهمال ان عاجلا او آجلا •

اذا حدثنا احد اليوم عن خاتم الامان يستغرب الكثيرون قوله واذا روى لنا صاحبنا ان المنديل قام بمثل هذه الوظيفة قد ينسب المطلع هذه العادة الى قرون كأن شيوخ جيلنا الحاضر لم يشهدوا ذلك فى اوائل عمرهم • فرأيت ان أثبت ما وقع عليه نظرى فى هذا الموضوع لما فيه من اللذة وتدوين التاريخ •

ان المخطوط الذى عرفته بالحوادث الجامعة لابن الفوطى منهل غزير المادة وقد اتحفنا بخبر جاء فيه ذكر خاتم الامان قال المؤرخ فى حوادث ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) •

ذكر واقعة الاتراك (فى بغداد)

« فى شعبان حضر جماعة المماليك الظاهرية والمستنصرية عند شرف الدين اقبال الشرابى للسلام على عادتهم وطلبوا الزيادة فى معايشهم وبالغوا فى القول وألحوا فى الطلب فحرد عليهم وقال : ما نزيدكم بمجرد قولكم بل نزيد منكم من نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها ذلك • فنفروا وخرجوا على فورهم الى ظاهر السور وتحالفوا على الاتفاق والتعاضد فوقع التعيين على قبض جماعة

من اشرارهم فقبض منهم اثنان وامتنع الباقون وركبوا جميعا وقصدوا باب البدرية ومنعوا الناس من العبور فخرج اليهم مقدم البدرية وقبح لهم هذا الفعل فلم يلتفت اليه فنفذ اليهم سنجر الياغر فسألهم عن سبب ذلك فقالوا : نريد ان يخرج اصحابنا وتزاد معايشنا • فانهى سنجر ذلك الى الشرابى فاعاد عليهم الجواب : ان المحبوسين ما نخرجهم وهم مماليكنا نعمل بهم ما نريد • ومعايشكم ما نزيدها • فمن رضى بذلك يقعد • ومن لم يرض واراد الخروج من البلد فنحن لا نمنعه • وطال الخطاب فى ذلك الى آخر النهار ثم مضوا وخرجوا الى ظاهر البلد فاقاموا هناك مظهرين للرحيل فبقوا على ذلك اياما فاجتمع بهم الشيخ السبتى الزاهد وعرفهم ما فى ذلك من الاثم ومخالفة الشرع • فاعتذروا وسألوه الشفاعة لهم وان يحضر لهم « خاتم الامان » ليدخلوا البلد فحضر عند الشرابى وعرفه ذلك وسأله اجابة سؤالهم • فاخرج لهم « خاتم الامان » مع الامير شمس الدين قيران الظاهرى والشيخ السبتى • فدخلوا والشيخ راكب حماره بين ايديهم وحضروا عند الشرابى معتذرين فقبل عذرهم • وكان مدة مقامهم بظهر السور سبعة ايام » أ هـ •

وجاء ذكر خاتم الامان بعد ذلك التاريخ بنحو مئة سنة فى كتاب عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب اذ ادخل فيه مؤلفه نبذا تاريخية • وملخص خبر هذا الكتاب بشأن « خاتم الامان » (ص ١٢ وما بعدها من طبعة بومبى ١٣١٨) ان الشريف احمد بن رميثة كان مقيما فى الحلة نافذ الامر • عريض الجاه • كثير الاعوان • الى ان توفى السلطان ابو سعيد (فى سنة ٧٣٦ هـ — ١٣٣٥ م) فاخرج الشريف من الحلة حاكمها الامير ابن الامير طالب الدلقندى الحسينى الافطسى وتغلب على البلد واعماله ونواحيه • ولما تمكن من بغداد الشيخ حسن ابن الامير آقبوقا اراد هذا أخذ الحلة من الشريف بدون ان يقدم اليها لكنه عجز عن اخذها بهذه الصورة فقصدها بنفسه واحاط بها • ثم رأى ان يرسل الى الشريف شيخ الاسلام بدر الدين المعروف بابن شيخ المشايخ الشيبانى فأمنه وحلف له واعطاه « خاتم الامان » انتهى ما اردت تلخيصه •

منديل الامان

رأينا في ما تقدم ان الخاتم كان شارة للامان فبقى علينا ان نرى المنديل حاملا السلام قائما بما تكفله الخاتم •

جاء في معجم المستشرق دوزى الذى وضعه في اسماء الالبسة عند العرب(١) (ص ٤١٥) شواهد اراد بها صاحبه ان يستقصى بما يراد بالمنديل وصورة استعماله كلباس وقطعة نسيج يحتاج اليها الانسان وغير ذلك • ومما جاء به المستشرق انه اقتطف نبذتين من كتاب الف ليلة وليلة فيهما ذكر « منديل الامان » •وهذا كلام المعجم •

« فقال : اخى اراد الامان فاعطاه « منديل الامان » (١ : ٢٧١) طبعة مكنكتن) •

« فقال الشاب : العفو يا امير المؤمنين ! اعطنى « منديل الامان » ليسكن روعى ويطمئن قلبى • فقال له الخليفة لك الامان من الخوف و (لك) الاحسان (٢ : ١٨٥) » أ هـ •

وقد يتبادر الى الخاطر ان امر اعطاء منديل الامان في الف ليلة وليلة من تلفيق المؤلف الواسع الخيال • لكننا نستفيد مما اقتطفه دوزى ايضا من مخطوط للنويرى في تاريخ ديار مصر ان اعطاء منديل الامان كان من الامور التى تقع بالفعل فقد قال النويرى(٢) :

« فجاء الملك الصالح اسماعيل بعساكره الى القدس وصحبته الفرنج فارسل الى الشيخ بعض خواصه « بمنديله » وقال له : ادفع اليه « منديلى » وتلطف به واستر له وعده بعوده الى مناصبه » أ هـ •

هذا ما كان قبل مئات من السنين وقد كان مثله في النصف الثانى من القرن الماضى • وهنا ادرج صورة الوثيقة التى عندى وهى تتعلق بهذا الباب ولها شأن في تاريخ المنتفق فضلا عن تعريفها ايانا ببقاء هذه العادة الى هذا العهد القريب •

وهذا نص الوثيقة التاريخية بوضعه المغلوط •

ذو النجابة ناصر(٣) السعدون •

وصلنا معروضك • وصار معلومنا كافة ما ذكرت من الافادات خصوصا من بيان السبب الداعي لالتماسك الرأى والامان الثانى من طرفنا فى قرآن ممهور وان الاشتباه والوسوسة الحاصلة لك ناشىء من الاوراق والكواغد الواصلة اليك المرسولة مع كاتبك ملا خضر لطرفنا • فيكون معلوم جنابك ان الاوراق المذكورة مشتملة على بيان عزل (اخيك) منصور (ثم باشا) وما فيها ذكر جنابك • وعلى الخصوص تاريخها مقدم على تاريخ شقة الرأى والامان التى ارسلناها اليك مؤخرا • فيقتضى ان لا يمر فى خاطرك شىء من الوسوسة ويلزم ان تعتمد على رأينا واماننا الوثيق بلا اشتباه • واجزم بان جوابنا لا يتبدل ولا يتغير • عفا الله عما سلف •

وبهذه الدفعة قد سيرنا لك مع ملا خضر « كفية الرأى والامان » لاجل اطمئنان قلبك • فاذا صار ذلك مفهومك ينبغى ان تتوكل على الله تعالى وتجى الى طرفنا • وانت مأمون وما تشاهد من جانبنا سوى حسن الالتفات • تجى ظالما وتعود الى محلك سالما • ولا حاجة فوق ذلك الى طول الكلام هكذا يكون معلوم جنابك والسلام •

فى ٢٩ شعبان ١٢٨٠ وفى ٢٧ كانون ثانى ١٢٧٩ (١٨٦٤ م) •
(الخاتم) محمد نامق(٤) •

ومن المعلوم ان العراقيين يطلقون كلمة الكفية على المنديل • وهذه الكفية التى ورد ذكرها هنا هى عندى مع الوثيقة وما تقدمها من رسائل نامق باشا التى كان قد بعث بها الى ناصر (ثم باشا) وفيها يستدعيه الى بغداد ولم يكن قد صار شيخا بعد • وتلك الكفية هى من نسيج دقيق من الكتان ولونها ابيض تشوبه سمرة لعتقها وزواياها مطرزة بالقصب فهى من النوع الذى كان يسمى جوره (بفتح الجيم المثلثةوسكون الواو وفتح الراء) وكان يرد من الاستانة• وكلمةجوره تركية معناها المنديل المطرز الاطراف • وكان هذا اللفظ مستعملا بين ظهرانينا وقد هجر اليوم اذ لا يؤتى منذ أمد بمثل هذه الكفافى(٥) من الاستانة لتدفق المنسوجات الاوربية علينا •

ولا يبعد ان تكون كفيتنا هذه الاخيرة من الكفافى الحاملة السلام والامان فى عراقنا المحجوب وان بها كان عندنا العهد الاخير لتلك العادة دفينة بطون التاريخ •

الحواشي

(١) *R. A. Dozy. Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les Arabes. Amsterdam 1845.*

(٢) كانت وفاته فى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م) (٣) بعده ناصر باشا (٤) والى بغداد (٥) جمع كفية فى كلامنا الدارج وهو موافق للقواعد المشهورة •

الص ١٧٧ الجزء ٣ من السنة ٦ = آذار ١٩٢٨

جامع الخلفاء

بعد ان قدمت الى مدير هذه المجلة الغراء مقالتي « منارة سوق الغزل » التي ادرجها في الجزء الاول من هذه السنة ، طبع الكاتب البارع بهجة الاثري كتاب « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » ودعتني تلك المقالة الى ان انعم النظر في البحث الخاص بجامع الخلفاء ، آملا ان اجد فيه ما تزين به تلك الصحائف من الانباء المتممة ، فوجدته يقول في المتن والحاشية (ص ٣٩) عن هذا الجامع ان بانيه هو الامام محمد المهدي في سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) ، ولم اتذكر وجود هذا القول في النسخة الخطية المحفوظة في خزانة الآباء الكرمليين التي كنت طالعتها ابان كتابتي المقالة ولكني لم اعتد بذاكرتي ، فرجعت الى النسخة الخطية لتحقيق الغاية ، وهذا ما فيها (ص ٧٢) عن قدم الجامع : « كان هذا هو المسجد الجامع ايام الخلافة العباسية ... فكان مصلى خليفة المسلمين من آل عباس . » أ هـ ، ولم يزدنا المخطوط في تعريف زمن بناء الجامع .

واذ ذكرت هذه النسخة المخطوطة ، وقد نظر فيها المرحوم الشيخ محمود شكري الآلوسي كما سيجيء ، فلا استغني عن نقل ما ورد فيها عن « شخصية » ناسخها وغير ذلك لعلاقته بالبحث .

وهذا ما فيها في الص ١٥٥ : « تكملة المساجد الكائنة في الجانب الغربي ، وقفت على القسم الثالث من اخبار بغداد وما جاورها من البلاد للعلامة الاستاذ السيد محمود شكري افندي الشهير بالآلوسي دامت معاليه ، وهذا القسم التاريخي يحتوي على ذكر الجوامع والمدارس في بغداد ولما كان الجانب الغربي يحتوي على كثير من المساجد التي لم يرد ذكرها فيه احببت ان الحقها فيه (كذا) خدمة للتاريخ ، والله الموفق المعين » أ هـ .

وفي آخر الكتاب (ص ١٧١) ما يلي : « هذا ما وصلت اليه يدي من تكملة المساجد في الجانب الغربي مع ضيق الوقت ... وانا الفقير اليه تعالى محمد خلوصي ابن السيد محمد سعيد التكريتي الناصري ، تحريرا في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان المعظم سنة ست وثلاثين وثلثمائة والف هجرية » . أ هـ

قلت ان الشيخ الآلوسى نظر فى هـذه النسخة والذى يؤكد لنا ذلك ما نقرأه فى ورقة بخطه ملصوقة بالصفحة ٣٣ من المخطوط فيها قصيدة لعز الدين ابى حامد عبدالحميد بن ابى الحديد وهى التى طبعت فى مجلة اليقين (١ « ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م « ٤٢٣) فى جملة المستنصريات ثم فى المستنصريات المطبوعة على حدة (الص ١١) وجاء منها بيتان فى اليقين ايضا (٣ « ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م «٤٨٩) ووردت فى كتاب المساجد المطبوع (ص ٩١) ومطلعها :

ابيت فلا اقيم على الصغار وبالمستنصر الملك انتصـارى(١)

وفى ذيل الورقة ما قوله : تابع صحيفة ٣١ من كتاب المساجد بعد قوله : فى الشرع والمطلوب كالمتعذر(٢) ثم تثبت هذه القصيدة • ثم يأتى بعدهـا : « وتلخيص شروط هذه المدرسة (يريد بها المستنصرية) » أ هـ • وكل ما فى هذه الورقة بخط الآلوسى •

وبعد هذا الايضاح عن النسخة المخطوطة لا اخال ان القول عن جامع الخلفاء انه جامع الرصافة من زيادة المؤلف بعد نظره فى تلك النسخة • وقد يكون ظنى فى غير محله •

ولما كانت النسخة المطبوعة لكتاب المساجد تعتبر جامع الخلفاء انه جامع الرصافة احببت ان اعود الى طرق هذا الموضوع نفعـا للتـاريخ ولعلمى ان الحقيقة بنت البحث وان الاثرى من الذين ينشدونها وانى لاستأذنه فى ذلك :

قال الاثرى فى مقدمته على المطبوع (ص ١٥) نقلا عن الخطيب البغدادى « ان اول جمعة احدثت فى الاسلام فى بلد مع قيام « الجمعة القديمة » فى ايام المعتضد فى دار الخلافة من غير بناء مسجد لاقامة الجمعة • قال : وسبب ذلك خشية الخلفاء على انفسهم فى المسجد العام • وذلك سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م) ثم بنى فى ايام المكتفى مسجد فجمعوا فيه » أ هـ •

وقد علق الاثرى (ص ٣٩) حاشية على بحث جامع الخلفـاء اورد فيه ملخص كلام معجم البلدان عن الرصافة وجامعها فقال :

« ذكر ياقوت الحموى المتوفى فى سنة ٦٢٦ ان المهدى بنى فى الرصافة جامعا اكبر من جامع المنصور واحسن وان فراغه من بناء الرصافة والجامع بها كان سنة ١٥٩ هـ اى فى السنة الثانية من خلافته وانه وجد تلك النواحى فى عصره خربة وانه لم يبق منها يومئذ الا الجامع وبلصقه مقابر خلفاء بنى العباس وقال : وعليها وقوف وفراشون ولو لا ذلك لخربت » أهـ • فكأنه أراد بذلك ان يؤيد ما جاء فى الكتاب نفسه من ان جامع الخلفاء هو جامع الرصافة • ولو لم تكن لدينا تلك الشواهد التى اوردتها فى مقالة منارة سوق الغزل عن ان جامع الخلفاء هو غير جامع الرصافة لكفانا قوله نقلا عن الخطيب انه كانت « جمعة قديمة » وجمعة احدثت فى ايام المعتضد فى دار الخلافة ثم بنى مسجد فى ايام المكتفى فجمعوا فيه » •

ويحسن بنا ايضا ان نرجع الى كتاب مناقب بغداد الذى طبعه الاثرى (ص ٢١ و٢٣ و٣٣) فاذا راجعناه لا يسعنا ان نسمى جامع الخلفاء بجامع الرصافة بل نقول بدون تردد انه جامع القصر •

والظاهر ان الاثرى ائتمن جريدة العرب • او مجلة مرآة العراق(٣) التى نقلت عنها • على ما نقلته عن معجم البلدان ولم يظن ان هناك بترا وعدم ترو أدى الى قولها ان جامع الخلفاء هو جامع الرصافة • ولو لا اعتقاده بامانة النقل لأتى ببقية كلام المعجم عن الرصافة وجامعها حيث يقول : وبلصقها (بلصق مقابر خلفاء بنى العباس) محلة ابى حنيفة الامام وبها قبره « ولأنتهى بالبت بأن جامع الخلفاء هو غير جامع الرصافة » •

واذا عارضنى احد فى اسناد النقل عن احد المأخذين المذكورين : العرب والمرآة بأنه قول مجرد عن سند فان لى دليلا على ذلك هو اتفاق كلام حاشية ص ٣٩ من كتاب المساجد المطبوع مع كلام المنقول عنه الا التحرير • وهنا اقتطف كلام الجريدة والمجلة وكلام الكتاب للمقارنة بينهما •

كلام الحرب والمرآة

وقال بعض المؤرخين انه ادرك من باب هـذا المسجد ميلين شامخين فى الهواء كانا على جانبى باب الجامع وان سليمان باشا الكبير والى بغداد سنة ١١٩٣ هدمهما وبنى بانقاضهما مسجدا صغيرا بقرب المنـــارة وهو المشتهر اليوم بجامع الخلفـاء وكان الباب الذى على جنبيه الميلان السوق التى يباع فيها اليوم الغنم وغير ذلك .

كلام الكتاب

وذكر بعضهـم انه ادرك من هـذا المسجد الجامع ميلين شامخين فى الهواء كانا على جانبى بابه وان سليمان باشا والى بغداد سنة ١١٩٣ هـ هدمهمـا وبنى بانقاضهما مسجدا صغيرا بقرب المنـارة . وهو المسجد الموجود اليوم . وان الباب الذى عليه الميلان كان عنـد السوق التى يباع فيها اليوم الغنم وغيره .

وجاء فى الجريدة والمجلة المذكورتين ما قولهما :

« ... فانهم (يريد بهم البريطانيين) لما رأوا ما عراها (عرا المنارة) ... ارسلوا لها عارفين ... فكشفوا عليها ... ثم باشروا فى اصلاح خللها ... وقد جددوا كرسيها على الاساس الاول واخذوا يصلحون البدن كله ... » وقال الاثرى عن ذلك : « وقد اعتنى البريطانيون بعد احتلال بغداد بالمنارة الباقية من الجامع وجددوا كرسيها على الاساس الاول ولم يكملوها . وكان الزمن قد أكل بعض الكرسى فضعف وهـذا الذى اعاده الى ما كان . ولقد احسن الاثرى بقوله : « لم يكملوها » اذ انهم لم يصلحوا غير الكرسى وعسى ان يقوم احد بقراءة بقية كتابتها ولعله يفلح بادراكه منها شيئا(*) .

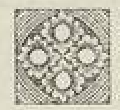
وصفوة القول ان جامع الخلفاء كان يسمى جامع القصر ثم سمى جامع الخليفة ايضا وقد فشا عنه قول انه جامع الرصافة فى كتاب المساجد المطبوع لغلط المصدر الذى اخذ عنه . والعصمة لله وحده .

الحواشي

(١) ناظمها عز الدين هو شارح نهج البلاغة (٢) جاءت فى المطبوع ايضا

(*) صورت الكتابة مديرية الآثار العامة وقرىء فيها اسم الجوينى على ما كان قيل لى .

منسوبة الى شارح نهج البلاغة وفى الحوادث الجامعة انها لابى المعالى القسم بن ابى الحديد وكان قد نشرها عن هذا المخطوط المجهول الاسم والمؤلف اذ ذاك جرجس صفافى المشرق (٥ « ١٩٠٢ » ١٦٥) وقال غلطا فى الحاشية ان ابا المعالى القسم هو شارح نهج البلاغة (وراجع عنها هذه المجلة ٥ : **١٩٢٧ : ٢٢٢** و٣٤٣ ح) وما يزيدنا ثقة بصحة نسبتها الى ابى المعالى القسم انها لم ترد الى المستنصريات(٣) راجع هذه المجلة (٥٦ « ١٩٢٨ » ٤) تر رقميهما وتاريخهما •



الص ١٨١ الجزء ٣ من السنة ٦ = آذار ١٩٢٨

دفين جامع الآصفية

جاء فى كتاب المساجد المطبوع (ص ٢٨-٣١) بحث عن جامع الآصفية قال فيه ان فى الجامع قبر اشتهر بين الناس انه للعالم الزاهد ابى الحارث المحاسبى وان البعض يقول للكلينى من اكابر علماء الامامية وان كلا القولين لا يصح وانه يفهم من كلام بعض المؤرخين انه قبر ابى جعفر المستنصر بالله بانى المدرسة المستنصرية « بل هو الظاهر المتعين » ثم قال ولابد ان يكون ذلك لاحد الخلفاء وأيد ذلك بعده (ص ١٠١) .

وانى لاستميح الاثرى عفوا باستخراجى من المطبوع نفسه فضلا عن غيره ان المرقد لغير المستنصر .

جاء فى هذا الكتاب (ص ١٠١) « ثم اشيع موته بعد ذلك (موت المستنصر بعد مبايعة ولده) ودفن فى الدار المثمنة على دجلة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن تحت قبة كان قد اتخذها لنفسه مدفنا » أ ه .

وفى معجم البلدان ان الدار المثمنة هى فى دار الخلافة . وقد رأينا هنا (٥ « ١٩٢٧ » ٤٥٣) ان اول باب لحريم دار الخلافة من جهة الغرب هو باب الغربة وانه هو ما يسمى اليوم بشريعة المصبغة . وقد قال كتاب المساجد (ص٧١) عن باب الغربة انه هذه الشريعة ولا اظن ان الاثرى يخالف القائل ان ما كان فوق شريعة المصبغة ليس بحريم دار الخلافة اذ قد أتيت بينات بهذا الصدد فى مقالة عن حريم دار الخلافة فى هذه المجلة فى عددها الثامن من سنتها الخامسة ومن ثم فجامع الآصفية ليس فى دار الخلافة فليس بالدار المثمنة وليس اذن دفين المرقد بالمستنصر هذا فضلا عن انه نقل من الدار المثمنة كما رأينا .

وهذه رواية اخرى عن دفن المستنصر ونقله جاءت فى كتاب الحوادث الجامعة فى اخبار سنة ٦٤٠ ه (١٢٤٢ م) وهى هذه : « ودفن (المستنصر) فى الدار المثمنة بدار الخلافة على شاطىء دجلة » وقال كتاب الحوادث ايضا

فى فصل صدره هكذا : « ذكر نقل المستنصر بالله من مدفنه بدار الخلافة الى التربة بالرصافة » .

... تقدم اليهم (وقد ذكرهم قبلا) بقصد دار الخلافة ... فمضوا ... ثم قصد هؤلاء كلهم دجلة فخرج الصندوق الذى فيه الخليفة ... ثم حط فى شبارة طويلة ... فلما وصلوا الى مشرعة الرصافة رفع الصندوق على الرؤوس وامتد الناس كلهم بين يديه الى التربة فدفن رحمه الله فى الموضع الذى اعده ... ثم ترددوا (تردد الناس) الى الترب ... » أهـ .

وفى معجم البلدان فى مادة الرصافة ان خربت تلك النواحى كلها ولم يبق الا الجامع وبلصقه مقابر الخلفاء بنى العباس ... وبلصقها محلة ابى حنيفة الامام وبها قبره . فترب الخلفاء هناك وفيها مرقد المستنصر كما رأينا . وكلتا الروايتين الرواية الواردة فى كتاب المساجد ورواية الحوادث الجامعة تؤيد احداهما الاخرى ان دفين الآصفية ليس بالمستنصر .

ومما جاء فى كتاب المساجد ايضا انه صرف على عمارة هذا المرقد نحو عشرة آلاف دينار وانه من البعيد ان يدفن الكلينى فى مثل هذا الموضع أو ذلك الرجل الصالح المحاسبى الذى كان لا يملك دينارا ولا درهما وانه من البعيد ان يصرف غيره على عمارة مرقده هذا المبلغ .

قلت : وفضلا عن هذا الاستخراج ورد فى نزهة القلوب (بالفارسية) لحمد الله المستوفى الذى الفه فى سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) وتوفى فى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ان الحارث المحاسبى مدفون فى الجانب الغربى على ما جاء فى الكتاب المذكور (الص ٣٥ من طبعة جب بلندن) خلافا لما يرى فى كتاب « تراجم الوجوه والاعيان المدفونين فى بغداد وما يليها من البلدان » تعريب وتأليف صفاء الدين عيسى البندنيجى المتوفى فى سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) وهو كتاب مخطوط يرى فى خزانة الآباء الكرمليين فى الحاضرة وهو القائل ان المحاسبى مدفون فى الآصفية ولما كان المستوفى اقدم عهدا من الاخير بقرون فمن الظاهر ان القبر ليس للمحاسبى بصورة باتة على ما ذهب اليه المرحوم الآلوسى .

وعسى ان يطلعنا اهل البحث على هذا الدفين .

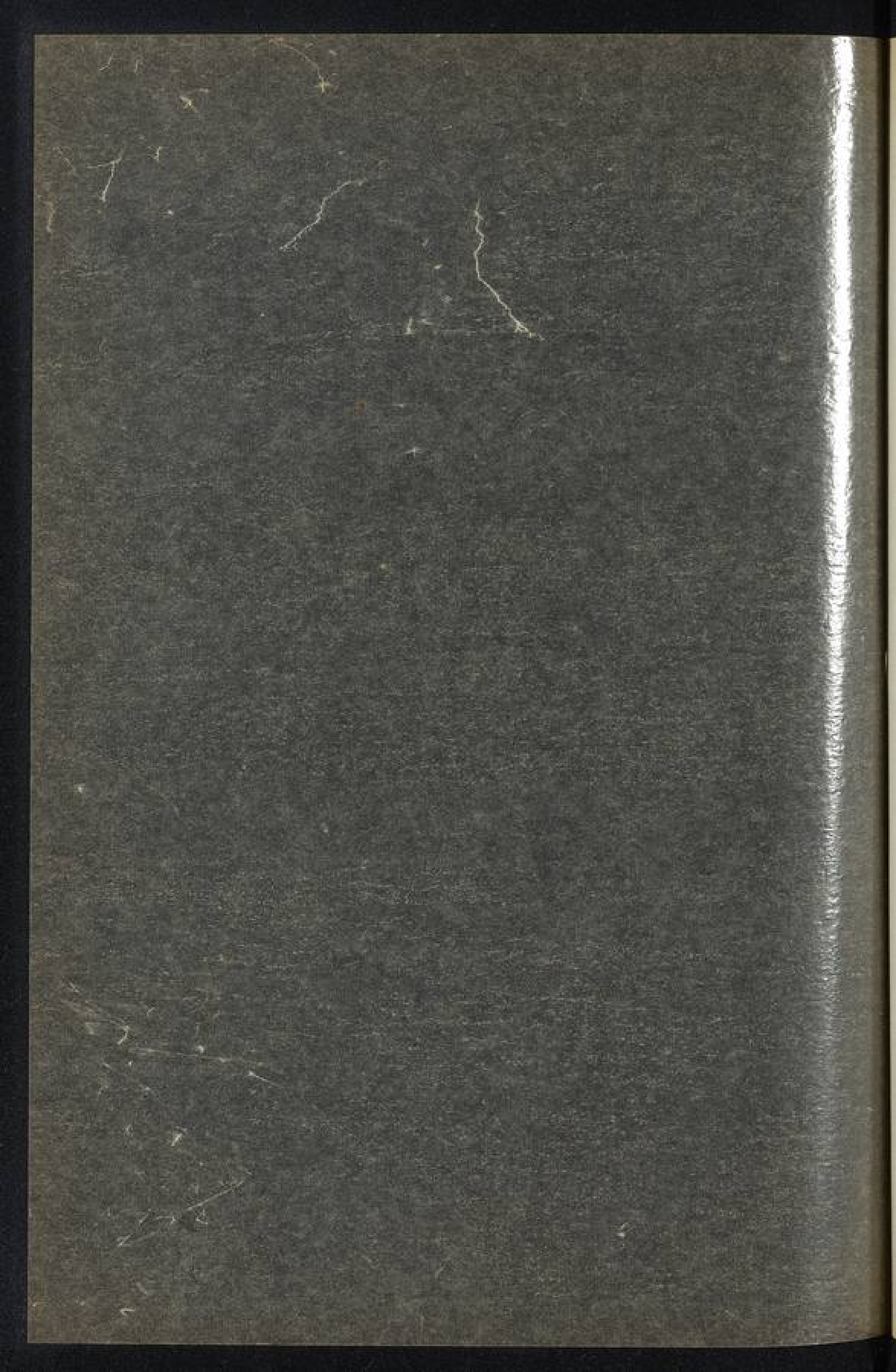
الص ٣٥٤ الجزء ٥ من السنة ٦ = أيار ١٩٢٨

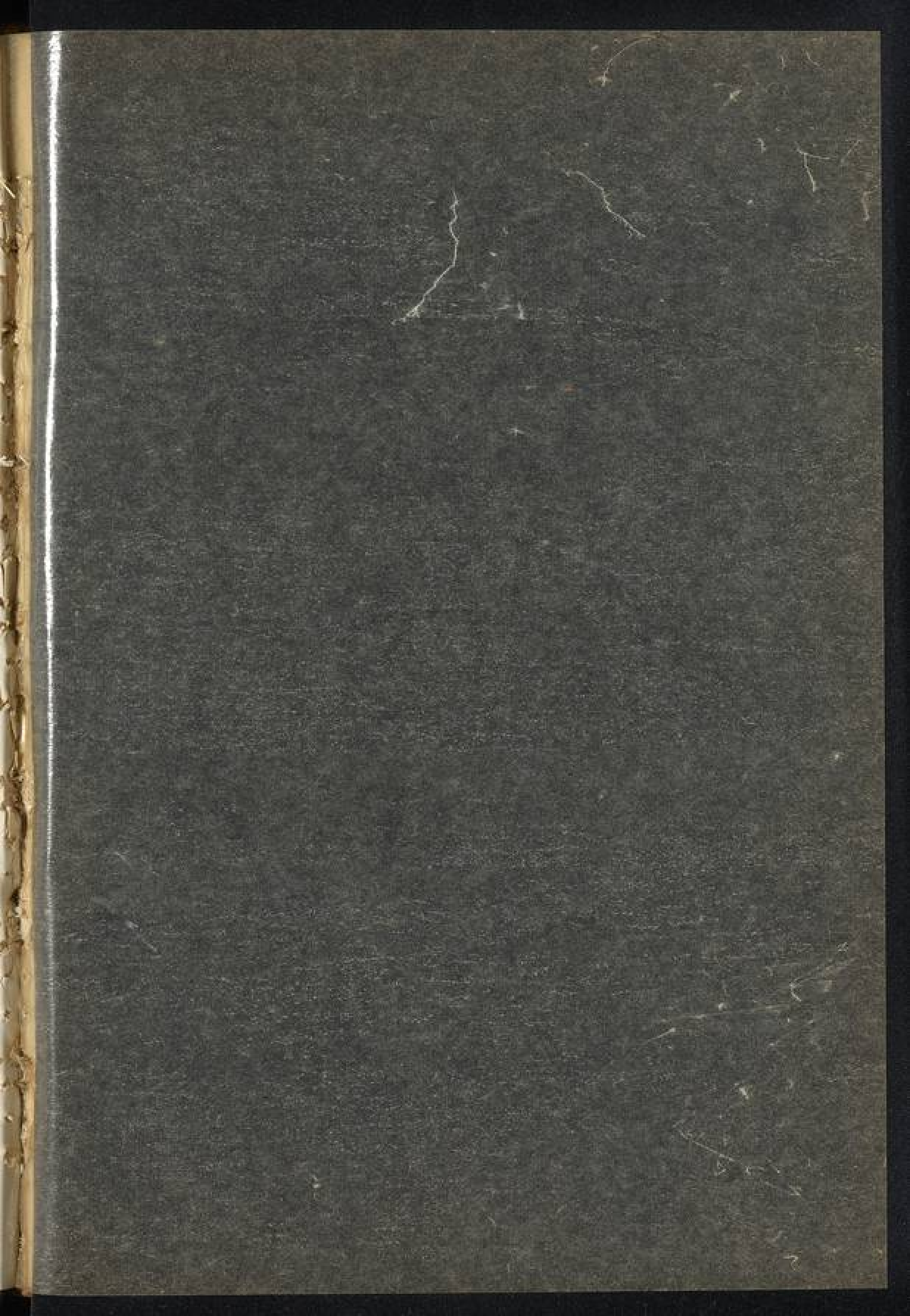
المدرسة المستنصرية

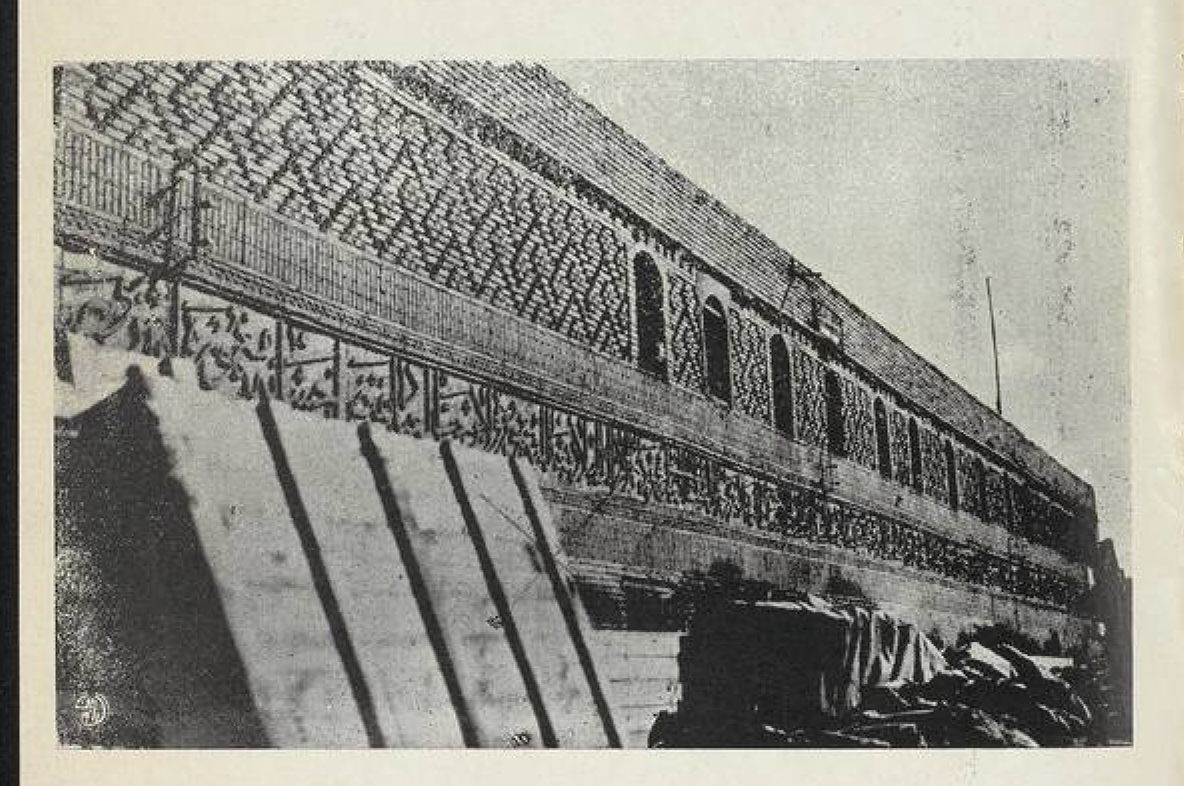
هى تلك المدرسة الرصينة البناء المطلة على دجلة التى شرع فى تشييدها فى بغداد على جانبها الشرقى المستنصر بالله العباسى فى سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) وأتمها فى سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) فجاءت آية بين مآثره الجليلة وسجلت له تقديره للعلم وحبه لرفعه . وقد مدح الشعراء منشئها وراحت الركبان تتغنى بها فى الآفاق . وكانت موردا صافيا للطلاب ومرتشفى العلوم ، ثم دالت عليها الايام بالبؤس . وانقلبت عليها بالشقاء فرأى الرحالة نيبهر(١) - ويا للاسف - مطبخها فى سنة ١٧٦٦م (١١٨٠ هـ) دار لضرائب سماها *Peage* (٢) أى ضريبة المرور وأظن انه أراد بذلك الكمرك . وقال عن قسم كبير منها انه خان يسمى (أوت ميدانى خان) أى خان ميدان الحشيش وان الكل خراب يباب(٣) . ولا شك فى ان فى قوله عن خرابها كلها تطرفا ومغالاة . فانه قال ببقاء بعضها . ويدلنا واقع الحال على ان الخراب الذى قاله صاحب الرحلة هو عن مرافقها التى اندثرت ودخلت فى خبر كان وعن الاهمال الذى صارت اليه . وهى لا تزال اليوم تنازع البقاء قوية عليه الى أمد قد يكون بعيدا .

والذى نعرفه عن هذا المعهد الجليل ان القسم القائم الآن وهو المدرسة بنفسها كان يسمى فى القرن الماضى « خان المواصلة أو المصالوة » على لغة بعض العوام . والظن الغالب على سبب هذه التسمية ان الموصليين كانوا قد اعتادوا أن ينزلوه اذا قدموا الى بغداد ثم أمسى بعد ذلك مخزنا لالبسة الجيش ثم دارا للكمرك وهى الضريبة المعروفة التى كان يقال لها « رسومات » أيضا وهكذا كانت المستنصرية عند الاحتلال ولا تزال كذلك دارا للكمرك .

وقبل نحو خمسة وعشرين عاما ابتدأ الكتاب باستخراج نبذ من مطاوى الكتب عن هذه المدرسة الرفيعة الشأن ودبجوا فيها مقالات ونقلوا عنها أبحاثا أتحفوا بها مجلة المشرق (٥ « ١٩٠٢ » ١٦٤ و٩٦١ و١٠ « ١٩٠٧ » ٨٠ و٣٩٠) ومجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٤ «١٣٤٢ = ١٩٢٤ » ٤١) واليقين (٣ « ١٣٤٤ = ١٩٢٥ » ٤٨٣) والزهراء (٣ « ١٣٤٥ = ١٩٢٦ » ٢٥٤) وهذه

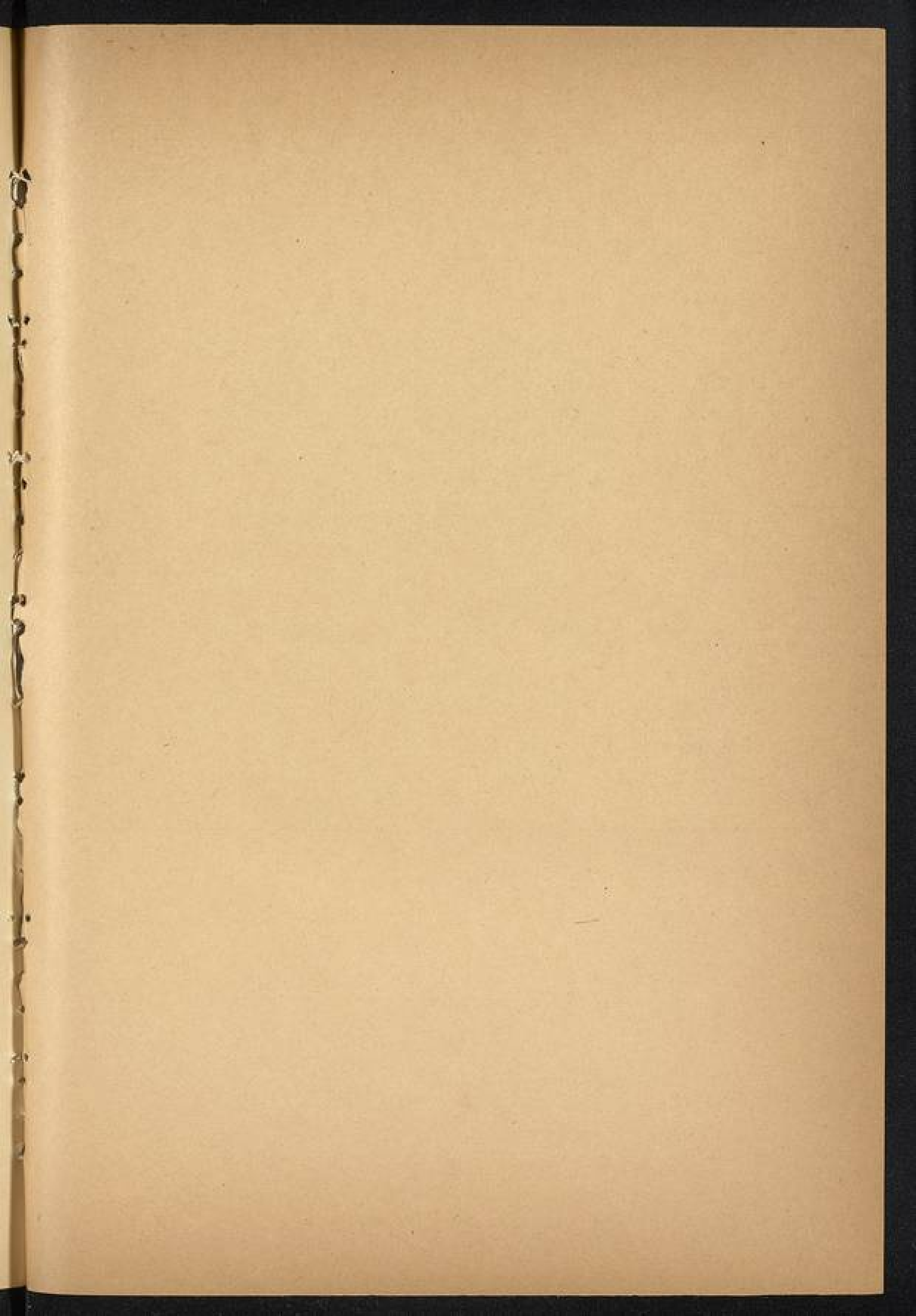






جبهة المستنصرية المطلة على دجلة

ازاء الصفحة ١٦٤



المجلة (٥ «١٩٢٧» ٣٤١ و٥٠٥ وغيرهما) وملحق جريدة العراق المؤرخ فى ١٥ تموز سنة ١٩٢١ ولعل غير ذلك مما لا يحضرنى أو أجهله . وحكى عنها بايجاز كتاب تنزه العباد فى مدينة بغداد للمعلم (ثم الطبيب) نابليون الماريني(٤) وخلاصة تاريخ العراق للعلامة شقيقه صاحب هذه المجلة ومختصر تاريخ بغداد للفاضل على ظريف الاعظمى وآخر ما ورد عنها ما رواه كتاب تاريخ مساجد بغداد وآثارها المطبوع وفيه قول الصفدى الذى أظنه منقولا من مجلة المجمع العلمى العربى التى قالت انه نقل عن الصفدى عن ابن الساعى . وكانت وفاة ابن الساعى فى سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) .

ومن الذين كتبوا عن هذه المدرسة من المستشرقين فى أيامنا لسترنج وهوار وماسنيون وفيوله وهرتسفلد وذكرها المستر لنكرك(٥) فى كتابه الانكليزى الذى ضمنه تاريخ العراق فى القرون الاربعة الاخيرة ولقد اقتبس هؤلاء الكتاب من عرب وأوربيين ما اقتبسوه وأضاف على ذلك بعضهم شيئا عن الوقت الذى كتبوا فيه ومنهم من نقل الكتابات المنقوشة على جدران هذه المدرسة ومع هذا فانه بقى من تاريخها شىء فى تضاعيف الكتب . ولم يأتونا عنها بشىء عن الحقبة الممتدة بين استيلاء هولاكو على بغداد فى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وبين دخول هذه المدينة فى قبضة العثمانيين فى سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) الا ما اقتطفوه من رحلة ابن بطوطة وكلمة نقلوها عن نزهة القلوب بالفارسية لحمد الله المستوفى وهما من رجال القرن الثامن للهجرة .

وقد اكتفى كتاب المساجد المطبوع (ص ٩٧) عن ذلك الزمن بالاسطر التالية :

« ولم تزل هذه المدرسة على ما كانت عليه فى زمن منشئها الى أن حدثت حادثة التاتار ... فجميع ما كان فى هذه المدرسة من كتب وفرش ومرافق قد نهبه جند العدو المخذول بل من الكتب ما رموا به الى دجلة قهرا لاهل العلم والدين . وبعد ان تولى بغداد من تولى عاد شمل المدرسة وأهلها الى ما كان عليه ولم تزل تجمع الافاضل والفضائل الى أن دخل العراق فى حوزة الدولة العثمانية ... » اهـ .

وهذا كلام موجز عن ست وعشرين سنة مرت من فتح المدرسة الى استيلاء هولاكو على بغداد ومر بين ذلك وبين دخولها فى يد العثمانيين نحو ثلثمائة سنة وفى ما نقله الكتبة لم نقف على خبر عنها عن تلك الايام الا ما سبقت الاشارة اليه • ولا نعرف فى كل ما جاء آنفا من جمع على الاقل تراجم بعض مدرسيها الا ان نبذة فى مجلة المشرق (٥ « ١٩٠٢ » ٩٦١) جاء فى صدرها :

« ان الاب انستاس استلها من كتاب مساجد بغداد ومدارسها للشيخ محمود شكرى افندى الآلوسى قالت ان فى تاريخ ابن النجار وغيره تفصيل تراجم مدرسى المستنصرية مع من تخرج فيها من الاساتذة والائمة الاعلام • واذ كان هذا الخبر قولا مجملا و كان تاريخ ابن النجار غير متداول فى الايدى فقد سدل انستار على معرفة هؤلاء الشيوخ الافاضل • ولعل شيئا نزرا من تراجمهم فى مختصر هذا التاريخ لابن ايبك الحسامى المعروف بالدمياطى(٦) • وهب تاريخ ابن النجار نفسه بأيدينا فانه لا يحوى الا تراجم مدرسى بضع من السنين لا غيرها لان المؤلف توفى فى سنة ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) أى فى السنة الثالثة عشرة من فتح المدرسة ولا يبعد أن يكون فى « غيره » خبايا ولعلنا نجد لم شعث من ذلك المطلوب فى المخطوط الذى ذكره تاريخ المساجد (ص ٤٧ و٤٨) وقال عنه انه مختصر ذيل تاريخ ابن النجار وانه من مخطوطات الخزانة النعمانية بجامع مرجان فى بغداد ويا ليت الناشر عرفنا باسم الكتاب ومؤلفه ان أمكن ذلك ويا حبذا لو وصفه(*) • ونظرا الى ما جاء فى هذا المختصر عن ذكر سنة وفاة العاقولى (كما ورد فى كتاب المساجد ص ٤٧) وهو المتوفى فى سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ م) فمؤلفه هو من رجال القرن الثامن للهجرة أو بعد ذلك فله متسع لايراد تراجم كثيرين من مدرسى هذه المدرسة •

ولقلة ما كتب فى هذه المادة عن لى أن أجمع شتات ما وقفت عليه من نتف أخبار هذه المدرسة وأخبار نفر من مدرسيها وما وقع فيها من الحوادث ضاربا صفحا عما جاء فى تلك المقالات والكتب القريبة الى الباحث المتتبع •

ولا شك ان ما أريد أن أستنير به عن العصور التى مرت على هذه المدرسة

(*) ثم نشره بالطبع الاستاذ الكبير عباس العزاوى وقد علق عليه حواشى واسمه منتخب المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار

سيكون ضئيلا وضئيلا جدا لكن ما أورده سيضيف صفحة جديدة الى تاريخها وان كانت صفحة صغيرة • وسيبين لنا انها فتحت بعد حادثة بغداد لهولاكو بمدة وجيزة لا تتجاوز ثلاث سنوات لو طالت والذى يخبرنا بذلك ما جاء فى الحوادث الجامعة فى أنباء سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) وهو :

« وفيها رتب الشيخ عبدالجبار بن عكبر الواعظ مدرس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية نقلا عن الاعادة بها • وحضر دروسه الصاحب علاء الدين (الجوينى) والاكابر والعلماء وخلع عليهم » ١٠ هـ

مسجد الحظائر والمستنصرية

يرينا كتاب المساجد (ص ٣٦ و٨٥) ان جامع الآصفية هو من مرافق المستنصرية لكنه لم يرو لنا المصدر • وقال القنصل الفرنسى ريموند فى بغداد عن طرز البنائين المذكورين انهما واحد وكان القنصل المذكور فى بغداد أوائل القرن التاسع عشر • وحكى لنا عن جامع الآصفية ـ قبل ان يسمى بهذا الاسم ـ فقال (ص ١٥٦ و٢١٨ من كتابه) « المولاخانة » تكية للدراويش لا يفصلها من المدرسة المستنصرية الا طريق يفضى الى الجسر والظاهر انها منها • وقد اتصل به ان المولاخانة كانت جامعا لطلاب المستنصرية •

أما كلشن خلفاء فانه ينبئنا فى أخبار سنة ١٠١٧ هـ (١٢٠٨ م) ان بانى زاوية الدراويش المولوية هو محمد جلبى كاتب الديوان وكاتم الاسرار عند محمد بن احمد الطويل • وان محمدا هذا كان مستقلا فى بغداد ومتغلبا عليها فى تلك السنة وكانت هذه الزاوية فى عهد مؤلف كلشن عامرة على ما قاله فى كتابه الذى يمتد الى سنة ١١٣٠ هـ (١٧١٧ م) •

وقد عد اوليا جلبى(٧) تكايا بغداد وفيها « المولويخانه » وكان صاحب هذه الرحلة فى بغداد فى سنة ١٠٥٨ هـ و١٠٦٦ هـ (١٦٤٨ م و١٦٥٥ م) •

وفى جهانما (ص ٤٥٩) ان فى بغداد مولويخانه تطل على دجـلة فى موضع مبهج •

واذ قيل ان الآصفية من مرافق المستنصرية رغبت أن أنقل كلاما عما

كان يجاور هذه المدرسة آملا أن يعين ذلك من يبحث على استخراج شيء عن تاريخ جامع الآصفية الحالى .

* * *

جاء فى الحوادث الجامعة فى زيادة دجلة وغرق بغداد فى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) ما يلى :

« ونبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن دار « سنقرجا » زعيم خوزستان(٨) المجاورة للمستنصرية ومن مسجد الحظائر المعروف بأم الناصر(٩) المجاور لهذه الدار ... »

واذ لم يفصح هذا الكلام عن موضع المسجد والدار أكان ذلك فى شمالى المدرسة أم فى جنوبيها فلا يمكننا تعيين موضعهما بالتدقيق لانه يجوز ان محلهما كان فى شمالى المدرسة أو جنوبيها أى فوقها أو تحتها . وسبب هذا الاحتمال اننا نجد مسافة قدرها نحو مئة متر تفصل بين المدرسة القائمة اليوم وبين شريعة المصبغة وهى باب الغربة(١٠) فى العصر العباسى الذى قلت ان ما فوقه ليس بحريم دار الخلافة . وكان بلصق المستنصرية ـ على ما أخبرنا به ابن العبرى(١١) ـ بستان يتنزه فيه المستنصر ويقرب من شباك مفتح (أى مفتوح) فى ايوان المدرسة ينظر الى البستان وعليه ستر فيجلس وراء الستر وينظر الى المدرسة ويشاهد أحوالها وأحوال الفقهاء ويشرف عليهم ويتفقد أحوالهم . ولكن لا ندرى أيضا بأى جهة من الجهات كان هذا البستان . ويسوقنا الى الظن ان دار سنقرجا كانت فى شمالى المدرسة ما جاء فى كتاب المساجد (ص ٨٦) عن الصفدى عن ابن الساعى ان الدار المجاورة لهذه المدرسة « فى الحد الاعلى » لم ير مثلها أحد ولا لادراك وصفها أمد »

والظاهر انها هى الدار التى قال عنها كتاب الحوادث فى أخبار سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) كما سيجىء ان السلطان غازان دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها ثم عاد الى الدار المذكورة وبات بها . فالراجح ان هذه الدار هى التى ذكرها ابن الساعى لما بين اناقتها التى عرفنا عنها بقوله « لم ير مثلها أحد ولا لادراك وصفها أمد » وبين منزلة غازان ورفعته من الموافقة

والوئام • واذا صح ترجيحي هذا أضحى من الاكيد أو شبهه ان الدار المحكي عنها هي لسنقرجا فتكون الآصفية مسجد الحظائر المجاور لهذه الدار كما رأيناه • ولعل هذا المسجد هو جامع المستنصرية الذي ذكره كتاب الحوادث كما سيرد في سنة ٦٧٢ اذ قال في معرض كلام : « باب الجامع (كذا) المستنصرية » • وليس بغريب أن نرى هذا الجامع بعد ان كان يسمى مسجد الحظائر ان يسمى ايضا جامع المستنصرية بعد بنائها كما ان جامع الآصفية كان يعرف وقتا بالمولاخانة • وقد عرف صالح التميمي قدمه كما يفهم من أبياته(١٢) ذلك القدم الذي حكى عنه ريموند المعاصر للتميمي • ولنا مثال في تغيير الاسماء كما جرى في تسمية جامع القصر(١٣) • وأما كون طرز بناء المدرسة المستنصرية والجامع المعروف بالآصفية واحدا فلا ينافي امكان أن تكون الآصفية مسجد الحظائر • وسبب عدم المنافاة قرب زمن أم الناصر المتوفاة في سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) من زمن بناء المستنصرية اذ لا تزيد المدة التي بينهما على خمسين سنة فلم يكن ثمة اختلاف في الريازة في وقت لا بد أن تطورها ــ على فرض وجوده ــ كان بطيئا جدا • ونظرا لما أثبته فالاحتمال عن الجامع المعروف بالآصفية اليوم هو مسجد الحظائر احتمال غير بعيد ولكن البت في الامر هو غير الاحتمال • واظهار الحقيقة الراهنة يحتاج الى نصوص تؤيد هذا الرأي المشكوك فيه • ومن هذه الشكوك ان كتاب الحوادث يقول دار سنقرجا المجاورة للمستنصرية ومسجد الحظائر المجاور لهذه الدار • ويقول ايضا ان غازان دخل المستنصرية من الدار المجاورة فيكون موضع الدار المذكورة بين المستنصرية وبين مسجد الحظائر ولكن يجوز ان نرتئي ان المؤلف لم يراع الترتيب بدقة وضبط كامل وخلاصة القول ان لم يكن جامع الآصفية مسجد الحظائر بنفسه فهو قريب منه جدا •

وهنا يحق للسائل أن يلزمنا بالجواب عما أوضح عنه كلشن خلفاء بقوله بان باني المولاخانة هو محمد جلبي • قلت الظاهر ان هذا الباني جدد في المسجد شيئا ليتخذه تكية للدراويش فقيل انه بنى المولاخانة كما ان هذا الجامع المعترف بقدمه قيل له الآصفية نسبة الى آصف المجدد بناءه الذي أريد به ــ على ما يبين ــ داود باشا كما يستدل من البيت التالي للتميمي :

حتى أتى ذو العلى داود « آصفنا »

من حل بالسبعة الأفلاك مفخره(١٤)

وأتمنى لو ان باحثا يجد ما يسد بعض الفراغ ــ والفراغ واسع جدا ــ عن تاريخ هذه المدرسة الشهيرة فيضم الى لقاطه ما يرد هنا وما جاء فى تلك الكتب والمجلات فيزف الينا تاريخا ثمينا عن هذا المعهد الجليل بعد تمحيص ما يطالعه وتدقيق النظر فيه فان ما فى بعض ما كتب أغلاط وهفوات وسهو .

وعلى سبيل المثال نورد سقوط كلمة فى ترتيب الحروف أثر وقوعها فى التاريخ . جاء فى المشرق (١٠ « ١٩٠٧ » ٣٩٣ ح) فى تاريخ كتابة منقوشة فوقه : قال فى آخرها : « وكان ذلك فى سنة اثنتين وثمانين والف » ولما كان ذلك فى تجديد وقع فى زمن السلطان عبدالعزيز من آل عثمان فلا يمكن أن يكون التاريخ الا سنة اثنتين وثمانين ومائتين والف . وقد ورد عفوا هذا التاريخ الصحيح فى هذه المجلة (٥ « ١٩٢٧ » ٥٠٧) دون أن ينبه على ذلك الغلط الذى قد يجر الكتاب اليه .

. وهنا أشرع بالاقتباس والاقتطاف وما لا أنسبه فهو منقول من الحوادث الجامعة .

سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) فتح المدرسة المستنصرية وتلخيص شروطها (راجع أجزاء المجلات المذكورة قبلا وكتاب المساجد ولا سيما مجلة المشرق . وجميع هذه النقول الآتية غير المنسوبة هى من كتاب الحوادث) .

وفيها توفى أبوعبدالله يحيى بن فضلان (نقل المشرق (١٨ « ١٩٢٠ » ٥٩٦) ترجمته عن المخطوط الذى عرفناه بالحوادث الجامعة) .

سنة ٦٣٢ (١٢٣٤) وتوفى أبو حفص عمر بن محمد بن أبى نصر الفرغانى الفقيه الحنفى . شيخ صالح قدم بغداد وأقام بها مدة برباط الزوزنى(١٥) المجاور لجامع المنصور ثم انحدر الى واسط وأقام عند بنى الرفاعى سائحا متعبدا وانتفع به بنو الرفاعى واشتغلوا عليه ثم عاد الى بغداد بعد سنين (سنتين ؟) وأصعد الى سنجار فأقام بها مدة يقرأ عليه فى جامعها الفقه والادب ثم عاد الى بغداد وأقام برباط العميد مدة ثم ندب الى تدريس الطائفة الحنفية لما فتحت المدرسة المستنصرية فلم يزل بها الى أن مات .

قيل دخل اليه الشيخ محمد بن الرفاعى فصبحه غلطا وكان مساء فقال ارتجـــالا :

أتانى مســـاء نور عينى ونزهتـــى
ففرج عنى كربتى وأزاحـــــا
فصبحتـــه عنـــد المســـاء لانه
بطلعتـــه رد المســـاء صباحـــا

سنة ٦٣٣ (١٢٣٥) فى المحرم وصل الملك الناصر ناصر الدين داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب الى بغداد ... وسأل ناصر الدين فى مدة اقامته ببغداد ان يحضر المدرسة المستنصرية فأمر الخليفة بعمل دعوة واحضار فقهاء المدارس ثم أحضر ناصر الدين فجلس على طرف ايوانها الشمالى ووقف مماليكه وأصحابه فى ربعى المالكية والحنفيـة ووقف عند كل طائفة حاجب وحضر قراء الديوان وقرئت الختمات وأنشـد جماعة من الفقهاء قصائد ثم قدم الشروب وبعده أنواع الاطعمة فتناول ناصر الدين من ذلك بعد أن قبل الارض مرارا . فلما فرغ من ذلك انصرف الى داره(١٦) .

وفيها وصل الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بن عمر المغربى الاصـــل الشرمساحى المولد الاسكندرانى المنشأ والدار الى بغداد ومعـه أهله وولده وجماعة من الفقهاء المالكية فلقى بالقبول من الديوان ثم أحضر دار الوزارة وأحضر جميع المدرسين فذكر مسألة تفرع منها عدة مسائل على مذهب الامام مالك بن أنس وبحث الجماعة معه واستجادوا كلامه فخلع عليه واعطى بغلة بعدة كاملة اسوة بالمدرسين بالمدرسة المستنصرية . وولى التدريس على الطائفة المالكية بالمدرسة المستنصرية . وتقدم بحضور أرباب الدولة والمدرسين بسائر المدارس والفقهاء فحضروا فخطب خطبة بليغة وذكر اثنى عشر درسا وختمها بدرس من الوعظ وأعربت دروسه عن فضل ظاهر . وجعل له فى كل رجب مائة دينار وخلع على أخيه وجعل معيدا لدرسه ثم خلع على الفقهاء الذين وصلوا صحبته وأثبتوا .

وفيها تكامل بناء الايوان الذى أنشىء مقابل المدرسة المستنصرية (نقل ذلك المشرق وراجع اليقين والزهراء وكتاب المساجد) .

سنة ٦٣٤ (١٢٣٦) وفيها حضر عبدالله الشرمساحى مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية بالبدرية عند شرف الدين اقبال الشرابى وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة .

سنة ٦٣٥ (١٢٣٧ م) وفيها ولى أقضى القضاة أبو الفضل عبدالرحمن بن اللمغانى تدريس الطائفة الحنفية بالمدرسة المستنصرية عوضا عن ابن الانصارى الحلبى فانه سأل الاذن له فى العود الى بلده بأهله وأولاده فأذن له. وكانت مدة تدريسه بالمدرسة المذكورة احدا وعشرين شهرا(١٧)

وفيها فى تشرين الاول جاء رعد هائل وبرق عظيم ووقعت صواعق كثيرة منها صاعقة أصابت انسانا ظاهر سوق السلطان قريبا من سوق الخيل ... ووقعت صاعقة أخرى فى دار يهودى بخربة ابن جردة(١٨) ... ووقعت صاعقة أخرى فى شباط على الرواق بالمدرسة المستنصرية فشعثت منه موضعا .

سنة ٦٤٠ (١٢٤٢) ذكر ركوب الخليفة . فى يوم الخميس خامس عشر شهر رجب ركب المستعصم بالله فى شبارة ومعه شرف الدين اقبال الشرابى وعز الدين مرشد الهندى المستعصمى وأصعد فى دجلة الى مشرعة الكرخ وعاد منحدرا الى باب الازج(١٩) ثم عاد الى داره .

ثم ركب يوم السبت سابع عشر الشهر على الخيل وتقدم الى جميع من كان يركب مع والده بالركوب معه وقصد دار الحريم ودخل الرباط ثم تكرر ركوبه فلم يدع صالحا ولا وليا الا زاره وقصد مشهده ولا رباطا منسوبا اليهم ولا مدرسة الا تردد اليه وشاهده . وقصد المدرسة المستنصرية يوم الجمعة سابع شعبان ومعه الشيخ شمس الدين على بن النيار . واعتبر خزانة الكتب التى بها وأنكر عدم ترتيبها ووكل بالنواب يومين ثم أفرج عنهم ...

سنة ٦٤٢ (١٢٤٤) وفيها توفى المعبب (المحب) أبو عبدالله محمد بن محمود ابن النجار الحافظ المتقن المحتوى على فنون العلوم . حفظ أولا القرآن المجيد وقرأ علم النحو مع الحديث وبرع فى كتبه التاريخ وقرأ علم الادب،

وسافر الى الحجاز وجاور بمكة ثم دخل بلاد الشام والجزيرة والموصل وبلاد الجبل وخراسان وكانت مدة سفرته وتطوافه هذه البلاد ثمنية (ثمانيا) وعشرين سنة قرأ فيها على العلماء والمشايخ واشتمل معجمه على ثلاثة الف (آلاف) شيخ واربع مائة امرأة وجمع مجموعات كثيرة تزيد على اربعين كتابا • منها الذيل على تاريخ بغداد ست عشرة مجلدة ونثر الدر ثمانية أجزاء والعقد الفائق فى عيون أخبار الدنيا ومحاسن الخلائق • وقدم بغداد سنة اربع وعشرين وستمائة وقد مات أهله جميعهم فسكن دارا فى محلة الظفرية فعرض عليه السكنى فى رباط شيخ الشيوخ فأبى وقال : انى قادر على المسكن ومعى نحو من ثلثمائة دينار فما يحل لى أن أرتفق من وقف • واشترى جارية فلما فتحت المستنصرية عين عليه (كذا) مشتغلا فى علم الحديث فأجاب الى ذلك لانه لم يبق معه من المال الا شيء يسير فلم يزل على ذلك الى أن مات • وكان مولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ببغداد •

سنة ٦٤٤ (١٢٤٦) وفيها فتح باب خزن المدرسة المستنصرية المقابل لباب سوق المدرسة واخذ منه نحو اربع مائة رطل شمعا معمولا وحدود ثلثمائة رطل سكرا ومبلغ ثلثمائة دينار وثلثون مصلىا(*) (كذا بدون نقط) طرية وقيل ان جوقة الرندى فعلوا ذلك • وكثر اللصوص ببغداد وكانوا يأتون بالعدة ويأخذون أموال الناس •

سنة ٦٤٥ (١٢٤٧) وفيها أنهى خازن المدرسة المستنصرية انه شاهد ختم الخزانة متغيرا والقفل بحاله فاعتبروا ما فيها من الرهون والعين فشذ منها شيء ومن المال ثلثمائة دينار فأنهى ذلك الى الخليفة فأمر بالزام الفقهاء والحاشية برمى تراب(٢٠) ففعلوا ذلك ثلاثة أيام فلم يجدوا شيئا فتقدم بتقسيط ذلك على النواب بالخزن والفراشين على قدر أحوالهم فاستوفى ذلك منهم ورتب عوضهم •

وفى مرآة الجنان لليافعى (٤ : ١١٢) : سنة ٦٤٥ وفيها توفى الكاشغرى ابراهيم بن عثمان الزركشى ببغداد • سمع من جماعة ورحل اليه الطلبة من

(*) قرأها الدكتور مصطفى جواد مصمتا كما فى الص ٢١٣ من طبعته للحوادث

الآفاق والجهات وكان آخر من بقي بينه وبين الامام مالك خمسة أنفس وتولى مشيخة المستنصرية •

وذكر كتاب الحوادث في أخبار سنة ٦٤٦ (١٢٤٨) تواتر الامطار وزيادة دجلة ووصف ذلك في نحو أربع صحائف من هذه المجلة وقد نقلته آنفا (ص ٣٥٨) عن نبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن دار سقنرجا المجاورة لها ومن مسجد الحظائر المجاور لهذه الدار •

سنة ٦٤٧ (١٢٤٩) وفيها كتب انسان فتيا مضمونها : هل الايمان يزيد وينقص أم (كذا) لا وعرضت على جماعة فلم يكتبوا فيها فكتب ابن وضاح الحنبلي وعبدالعزيز القحيطي وبالغا في ذم من يقول : ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ثم سلمت الى فقيه حنفي فحبسها عنده ولم يكتب فيها فانتهى حديثها الى الديوان وتألم الحنفية من ذلك وقالوا : هذا يعرض بذم أبي حنيفة فتقدم باخراج ابن وضاح من « المدرسة المستنصرية » ونفى ابن القحيطي عن بغداد فحمل الى الحديثة وألزم المقام بها •

سنة ٦٥٣ (١٢٥٥) وتقدم الخليفة الى المدرسين في المستنصرية ان يقولوا بعد الختمة كلاما خلاصته ان الامير مجاهد الدين ايبك الخاص مولى امير المؤمنين لم يثبت عليه عند مولاه ومالكه شيء مما نسب اليه • وفقه الله تعالى والخلائق للتمسك بطاعة أمير المؤمنين والاخلاص في ولائه وأودعهم واياه شكر مراحمه العميمة وانعامه فسأل الدويدار ان يحضر المدرسون عنده فحضروا فخلع عليهم •

سنة ٦٥٤ (١٢٥٦) • ذكر غرق بغداد • في هذه السنة زادت دجلة فأحاط (الماء) ببغداد وغرق الجانبين ••• وصلى الناس عدة جمع « في المدرسة المستنصرية » وكان الناس يحضرون بالسفن فامتلأت المدرسة وغلق بابها واتصلت الصفوف في السفن من « باب المستنصرية » الى سوق المدرسة والى آخره وصلى أهل باب الازج في مصلى العيد بعقد الحلبة •••

سنة ٦٥٩ (١٢٦٠) وفيها رتب الشيخ جلال الدين عبدالجبار بن عكبر الواعظ مدرس طائفة الحنابلة « بالمدرسة المستنصرية » نقلا عن الاعادة بها •

وحضر درسه الصاحب علاء الدين (الجويني) والاكابر والعلماء وخلع عليه •

سنة ٦٦٧ (١٢٦٨) وفيها توفى أقضى القضاة نظام الدين عبدالمنعم البندنيجي ودفن فى صفة الشيخ الجنيد وقد بلغ من العمر الى ست وسبعين سنة • وكان ورعا عفيفا تقيا حسن السيرة استعمل بالفقه فى عنفوان شبابه بمدرسة دار الذهب ببغداد حتى برع وافتى ثم رتب معيدا « بالمدرسة المستنصرية » ثم شهد عند أقضى القضاة كمال الدين عبدالرحمن بن اللمغانى ثم جعل فى ديوان العرض على اطلاق معايش الجند فلما تكملت له سنة اطلق له عنها المشاهرة فامتنع وقال : « لا يحل لى أن أجمع بين خدمة ووظيفة المستنصرية » فأنهى ذلك الى الخليفة فاستحسنه وتقدم أن يطلق له مشاهرة مع أرباب الرسوم • ثم عين قاضيا بالجانب الغربى سنة اثنتين وخمسين ثم نقل الى الجانب الغربى (كذا والظاهر الشرقى) وخوطب بأقضى القضاة سنة خمس وخمسين فاستمر على ذلك الى الآن •

سئل فى حال مرضه عمن يصلح بعده للقضاء فقال : قد تقلدته حيا فما أتقلده ميتا • فقيل له : لا بد من الاشارة فى ذلك فقال : ان امتنع سراج الدين الهنايسى فيكون عز الدين ابن الزنجانى قاضى الجانب الغربى • فلما توفى أحضر سراج الدين بن محمد بن أبى فراس الهنايسى الشافعى ورتب قاضى قضاة بغداد نقلا من التدريس بالمدرسة البشيرية فلم يمتنع من ذلك •

سنة ٦٦٨ (١٢٦٩) فيها تقدم علاء الدين صاحب الديوان يعمل « دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية » يقبض الماء من دجلة ويرميه الى مزملتها ثم يجرى تحت الارض الى بركة عملت فى صحن المدرسة ثم يخرج منها الى مزملةعملت تجاه « ايوانالساعات » خارج المدرسة وجددتطبيق(٢١) صحنها وتبنيد (٢٢) حيطانها وكان المتولى لذلك شمسالدين حميد الخراسانى صدر الوقوف •

وجاء فى كشف الظنون ذكر كتاب الابهام لدفع الاوهام انه للعلامة ظهير الدين محمد بن عمر النوحابادى البخارى الحنفى ألفه بالمستصرية ببغداد سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩) •

سنة ٦٦٩ (١٢٧٠) فيها توفى الشيخ سراج الدين عبدالله بن الشرمساحى المالكى المدرس « بالمدرسة المستنصرية » وكان عالما كثير العبادة • ورد الى بغداد فى زمن الخليفة المستنصر ومعه أخوه علم الدين احمد فلما توفى الآن عين أخوه علم الدين فى موضعه نقلا عن تدريس البشيرية •

سنة ٦٧٠ (١٢٧١) وفيها قتل نجم الدين خواجه أمام كان من نواب الصاحب علاء الدين قدم معه من خراسان فأثبته فقيها « بالمدرسة المستنصرية » وفوض اليه أمر وكالته فى خاصته وقدمه وأعلى مرتبته حتى صار المشار اليه فى بغداد وحصل أموالا عظيمة

ثم كفر النعمة واستعد للقول فى الصاحب فبلغه ذلك فقبض عليه وحبسه فى داره فنقب الحبس وخرج منه ليلا والتجأ الى بعض امراء المغول وضمن له مالا على أن يوصله الى حضرة السلطان فركب الصاحب فى جماعة وأحاط به وأخذه وقتله وطيف برأسه فى بغداد ثم دفن فى مشهد أبى حنيفة •

سنة ٦٧٢ (١٢٧٣) فيها وصل السلطان أباقا خان الى بغداد وفى خدمته الامراء والعساكر وخواجه نصير الدين الطوسى وعبر دجلة وتصيد فى أراضى قوسان حتى بلغ قريبا من واسط ثم عاد الى بغداد ونزل بالمحول وأمر بالاحسان الى الرعايا وتخفيف التمغات وحذف الاثقال عنهم • وكتب ذلك على حيطان باب « الجامع (كذا) المستنصرية » ثم أقطع المحول بلغان(٢٣) خاتون فلما انقضى الشتاء عاد الى مقر ملكه •

وأما خواجه نصير الدين الطوسى فانه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وادار أخباز الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد فى الوقت وأصلحها بعد اختلالها •

وفيها مات العلم الشرمساحى أخو سراج الدين المالكى وهو مدرس المالكية بالمستنصرية •••

سنة ٦٧٤ (١٢٧٤) ••• وتأخر وقوع الغيث فى هذه السنة فخرج الناس الى ظاهر بغداد للاستسقاء مشاة تقدمهم قاضى القضاة عز الدين احمد الزنجانى وخطب الشيخ جلال الدين عبدالجبار بن عكبر الواعظ ثم خرجوا

من الغد كذلك وخطب الشيخ عماد الدين ذو الفقار مدرس الشافعية « بالمستنصرية » ثم خرجوا فى اليوم الثالث وخطب الشيخ ظهير الدين محمد بن عبدالقادر فلم يسقوا ماء الغيث انما زادت (كذا) الفرات عقيب ذاك وسقت (كذا) الزروع •

وفيها عين الشيخ محيى الدين محمد بن المحيا العباسى خطيبا بجامع المدينة المعروف بجامع السلطان ولصلاة العيدين « بالمدرسة المستنصرية » وشرط الواقف ان لا يخطب بها الا هاشمى عباسى ولم يخطب بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمى سواه •

سنة ٦٨١ (١٢٧١) فيها توفى الشيخ جلال الدين بن عكبر •

وقد نقلت البحث فى هذه المجلة (٦ « ١٩٢٨ » ١٦) فلا حاجة الى اعادته •

سنة ٦٨٢ (١٢٨٣) فى رجب منها وصل شرف الدين هرون بن (كذا) الصاحب شمس الدين محمد الجوينى صاحب ديوان الممالك الى بغداد وقد فوض اليه تدبيرها وجعل صاحب ديوانها على قاعدة عمه علاء الدين فاستبشر الناس بقدومه وحضر الشعراء بين يديه وانشدوه المديح •••

وعين شمس الدين زرديان نائبا عنه وخلع على القاضى بدر الدين على بن محمد بن ملاق (كذا) وفوض اليه أمر القضاء بالجانب الغربى اضافة الى ما كان يتولاه من الحسبة بجانبى بغداد والتدريس بمدرسة سعادة • وعين الشيخ نصير الدين بن عبدالله بن عمر الفاروثى مدرس الشافعية « بالمدرسة المستنصرية » وسلك طريقة عمه فى تدبير العراق •

سنة ٦٨٣ (١٢٨٤) وفيها اشتهر فى بغداد ان عز الدولة ابن كمونة اليهودى صنف كتابا سماه : « الابحاث عن الملل الثلاث » تعرض فيه بذكر النبوات وقال مانعوذ بالله من ذكره فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله فركب الامير تمسكاى شحنة العراق ومجد الدين ابن الاثير وجماعة الحكام الى « المدرسة المستنصرية » واستدعوا قاضى القضاة والمدرسين لتحقيق هذه الحال وطلبوا ابن كمونة فاختفى واتفق ذلك اليوم يوم جمعة فركب قاضى القضاة

فمنعه العوام فعاد الى « المستنصرية » فخرج ابن الاثير ليسكن العوام فأسمعوه أقبح الكلام ونسبوه الى التعصب لابن كمونة والذب عنه فأمر الشحنة بالنداء فى بغداد بالمباكرة فى غد الى ظاهر السور لاحراق ابن كمونة فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر ٠ وأما ابن كمونة فانه وضع فى صندوق مجلد وحمل الى الحلة ٠ وكان ولده كاتبا بها فأقام أياما وتوفى هناك(٢٤)

وفيها اجتمع الفقهاء « بالمستنصرية » على جمال الدين الدستجردى صدر الوقوف ونالوا منه وأسمعوه قبيح الكلام فحماه منهم الشيخ ظهير الدين البخارى (؟) المدرس وخلصه من أيديهم فاتصل ذلك بالحكام فعزلوه ورتبوا رضى الدين ابن سعيد فلم ينهض بامور الوقف وصحت الحال بين يديه فأعيد جمال الدين الدستجردى ٠ ووصل بعد ذلك فخر الدين احمد بن خواجه نصير الدين الطوسى وقد أعيد أمر الوقوف بالممالك جميعها اليه وحذفت الحصة الديوانية فى الوقوف ووفرت على أربابها فعين على مجد الدين اسمعيل بن الياس صدرا بالوقوف عوضا عن جمال الدين الدستجردى فعين على عز الدين محمد بن شمام نائبا عنه فيها ٠

وفيها توفى نور الدين على بن تغلب الساعاتى كان يتولى تدبير الساعات التى تجاه المستنصرية ٠ كان مولده سنة احدى وستمائة ٠

سنة ٦٨٤ (١٢٨٥) وفيها استناب قاضى القضاة عز الدين ابن الزنجانى فى القضاء ببلاد الحلة العدل الفقيه تاج الدين محمد بن محفوظ بن وشاح الحلى ٠ ورتب نجم الدين محمد بن أبى العز البصرى الشافعى مدرسا « بالمستنصرية » ٠

وفى كتاب نكت الهميان فى نكت العميان (ص ١٨٩ – ١٩٠) ترجمة أحد مشايخ المستنصرية وهو عبدالرحمن بن عمر بن أبى القاسم ٠ الشيخ الامام العلامة نور الدين أبو طالب البصرى الحنبلى مدرس طائفته بالمدرسة المستنصرية ببغداد مولده سنة أربع وعشرين وستمائة ووفاته يوم عيد الفطر سنة اربع وثمانين وستمائة (١٢٨٥ م) ٠

كان من العلماء المجتهدين العاملين عين أولا مدرسا بمدرسة

الحنابلة بالبصرة فدرس فيها مدة وانتفع به خلق كثير • حفظ القرآن المجيد في أول عمره وختمه سنة احدى وثلاثين وعمره يومئذ سبع سنين ونصف • قدم بغداد سنة سبع وخمسين وفوض اليه التدريس بطائفة الحنابلة بالمدرسة البشيرية(٢٥) فدرس بها مدة وكف بصره سنة أربع وثلاثين وأذن له في الافتاء سنة ثمان واربعين ••• ومن تصانيفه : كتاب جامع العلوم في تفسير كتاب الله الحي القيوم أربعة مجلدات و•••

ولما توفى الشيخ الامام جلال الدين ابن عكبر مدرس الحنابلة « بالمدرسة المستنصرية » عين مدرسا بها • وذلك في يوم الاثنين التاسع من شوال سنة احدى وثمانين وستمائة •

وفي هذا الكتاب (ص ٢١٠) ايضا ترجمة على بن الحسن بن يوسف وهو الشيخ الامام العلامة موفق الدين أبو الحسن ابن الصياد البغدادى • أحد معيدى الحنابلة « بالمدرسة المستنصرية » كان من أعيان العدول ببغداد وأضر قبل وفاته بمدة ••• وكانت وفاته بناحية الراذان في شهر رجب سنة خمس وثمانين وستمائة (١٢٨٦) •••

سنة ٦٩٦ (١٢٩٦) في المحرم سار السلطان غازان يريد العراق فلما وصل همذان بلغه ان نوروز قد تغيرت طاعته في نيته وفسدت سريرته وان جمال الدين الدستجرداني صاحب الديوان عين له يخبره بالاحوال فأمر بقتل الدستجرداني فقتل توسيطا • وكانت مدة ولايته الآن أربعين يوما ورتب صدر الدين الخالدى عوضه ثم توجه الى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والاحسان ولم يتعرض احد من العسكر لاهل السواد بما جرت به العادة من رعى الزروع ولا غير ذلك • وكان الرعية تسير بينهم ومعهم الاشياء المجلوبة للبيع فلا يأخذ أحد منهم شيئا الا ابتياعا باللطف واللين • ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته •

فلما دخل بغداد لم ينزل أحد في دار الا بالاجرة وما أزعج أحد من منزله ثم انه دخل « المدرسة المستنصرية » من الدار المجاورة لها(٢٦) وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ وكانوا (كذا) المدرسون والفقهاء

قد جلسوا على عادتهم والربعات الشريفة فى أيديهم فلما عاينوه قاموا وخدموا[١]
فأمر رشيد الدين أن يقول لهم انتم مشغولون بقراءة كتاب الله عز وجل كيف
جاز لكم تركه والاشتغال بغيره فقال أحد المدرسين : السلطان ظل الله فى
أرضه وطاعته وتعظيمه والانقياد له واجب فى الشرع ٠ فدخل خزانة الكتب
ولمحها ثم عاد الى الدار المذكورة فبات بها فنزل من الغد فى شبارة وقصد
المحول وأقام بدار الخليفة(٢٧) أياما فتألم الناس من الزامهم بالخراج ذهبا
أحمر وكان جمال الدين الدستجردانى قد استوفاه فى السنة الماضية كذلك
وقال : قد كانوا فى زمن الخلفاء يؤدونه ذهبا ٠ فأضر ذلك بالناس فأمر
السلطان باجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد فتوفر عليهم شىء كثير من
التفاوت فزادت أدعيتهم ثم توجه الى الحلة ٠٠٠

وفى نكت الهميان (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨) ترجمة على بن احمد بن يوسف
بن الخضر الشيخ الامام العلامة زين الدين آل أبى الحسن الحنبلى الآمدى
العابر ٠

ومما رواه نكت الهميان عن المترجم انه « لما دخل (السلطان)(٢٨)
غازان ٠٠٠ بغداد سنة (خمس)(٢٩) وتسعين وستمائة أعلم بالشيخ زين‌الدين
الآمدى المذكور فقال : اذا جئت غدا المدرسة المستنصرية اجتمع به ٠ فلما
أتى السلطان غازان المستنصرية احتفل الناس له واجتمع بالمدرسة أعيان بغداد
وأكابرها من القضاة والعظماء وفيهم الشيخ زين‌الدين الآمدى لتلقى
السلطان ٠ فأمر غازان أكابر أمرائه أن يدخلوا المدرسة قبله واحد بعد واحد
ويسلم كل منهم على الشيخ زين‌الدين ويوهمه الذين معه انه هو السلطان
امتحانا له ٠ فجعل الناس ـ كلما قدم أمير ـ يزهزهون له ويعظمونه ويأتون
به الى الشيخ زين‌الدين ليسلم عليه والشيخ يرد على كل من أتى به اليه من
غير تحرك له ولا احتفال به حتى جاء السلطان غازان فى دون من تقدمه من
الامراء فى الحفل وسلم على الشيخ وصافحه ٠ فحين وضع يده فى يده نهض له
قائما وقبل يده وأعظم ملتقاه والاحتفال به وأعظم الدعاء له باللسان المغلى ثم
بالتركى ثم بالفارسى ثم بالرومى ثم بالعربى ورفع به صوته اعلاما للناس (وكان
زين المذكور يعرف بألسن عدة) فعجب السلطان غازان من فطنته وذكائه وحدة

ذهنه (ومعرفته) مع ضرره • ثم ان السلطان خلع عليه فى الحال ووهبه مالا ورسم له بمرتب (يجرى عليه) فى كل شهر ثلثمائة درهم • وحظى عنده وعند أمرائه ووزرائه وخواتينه (كثيرا) » اه وذكر الكتاب تصانيفه وغير ذلك حتى قال انه توفى بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة (بقليل والله سبحانه وتعالى أعلم) •

وفى مرآة الجنان (٤ : ٢٤٢) قوله : وفيها (أى فى سنة ٧٠٦ (١٣٠٦) مات ببغداد الامام العلامة المتفنن نصير الدين بن عبدالله بن عمر الفاروقى(٣٠) الشيرازى الشافعى مدرس المستنصرية قدم دمشق وظهرت فضائله فى العقليات

وفيه (٤ : ٢٤٣) فى تراجم سنة ٧٠٧ (١٣٠٧) انه مات ببغداد مسندها الامام رشيد الدين محمد بن أبى القاسم المقرىء شيخ « المستنصرية » روى عن جماعة وتفرد وشارك فى الفضائل واشتهر •

وفيه ايضا (٤ : ٢٧٧) فى تراجم سنة ٧٢٨ (١٣٢٧) انه فيها توفى الامام الواعظ مسند العراق شيخ « المستنصرية » عفيف الدين عبدالله بن محمد ابن الحسن البغدادى •

وفى تاريخ أبى الفداء (٤ : ١٠٦) طبعة مصر ١٣٢٥ فى حوادث ٧٣٢ (١٣٣١) انه توفى فيها الامام شهاب الدين أبو احمد عبدالرحمن بن محمد بن عسكر المالكى مدرس المستنصرية ببغداد وله مصنفات فى الفقه وكان حسن الاخلاق ولد فى سنة (ستمائة و) أربع وأربعين بباب الازج (ببغداد) •

وفى التاريخ المذكور (٤ : ١٠٧) فى حوادث ٧٣٣ (١٣٣٢) انه فى صفر وصل الخبر بموت محدث بغداد تقى الدين محمود بن على بن محمود بن مقبل الدقوقى كان يحضر مجلسه خلق كثير لفصاحته وحسن آدابه وله نظم وولى مشيخة « المستنصرية » وحدث عن الشيخ عبدالصمد وجماعة وكان يعظ • وحمل نعشه على الرؤوس وما خلف درهما •

* * *

ويعز علينا أن تظهر المستنصرية بمظهر قلعة حرب وهيجاء بعد ان كانت ذلك المنهل النافع • فقد جاء فى كلشن خلفاء فى أخبار سنة ٩٤٠ (١٥٣٣) قبيل

دخول السلطان سليمان الى بغداد ان حاكمها محمد خان (٣١) الذى كان تولى بغداد طلب من الطائفة « تكلو » ان تخرج معه منها لكن هؤلاء أبوا الطاعة وعددهم نحو ثلاثة آلاف من الشجعان فأضرموا نار الفتنة بينهم وبين الخان واتخذوا المدرسة المستنصرية الواقعة فى رأس الجسر مقرا لجمعيتهم وحصنا منيعا لهم وقد رأى الخان ان يكافح نار جمعهم وبدل بيت سرورهم ببيت الحزن فتهيأ لهم ومعه أتباعه وتعلقاته (أى أقرباؤه وقد ترد الكلمة بمعنى منسوبين وتابعين) وشمر الساق لذلك لكن السيد محمد كمونة(٣٢) تدخل فى الامر ودفع الهرج والمرج •

وفى فذلكة كاتب جلبى بالتركية (٢ : ٥) ترجمة(٣٣) المولى غنائم (غانم) البغدادى(٣٤) ومما فيها انه ولد فى بغداد وانه حينما ولى رضوان افندى قضاء بغداد فى سنة ٩٩٨ (١٥٨٩) أنعم عليه بالتدريس « بالمدرسة المستنصرية » التى هى أجل مدارس دار السلام وكان المولى المذكور أعلم العلماء فى هذه الديار• وقالت الفذلكة انه استشهد فى بغداد فى سنة ١٠٣٠ (١٦٢٠) حينما استولى على بغداد بكر صوباشى وكان له الانتساب الاتم الى الفقه فكانوا يرجعون الى فتواه • وقد جمع مسائل الضمانات وله رسالة نافعة فى ترجيح البينات وهى ملجأ القضاة وابتدأ بكتاب فى النحو والتزم شواهده من الآيات القرآنية لكنه لم يتيسر له اتمامه وله كتاب اسمه حصن الاسلام

ومما يؤسف له ان اوليا جلبى (٤ : ٤١٩) رأى المدرسة الواقعة فى السراجخانة وهى مدرسة ــ على ما سماها ــ يعطى فيها للانكشارية « آت تعيينى » أى « علوفة الحصان » ويعز علينا أن نراها « خان ميدان الحشيش » فى أيام نيبهر ومرة أخرى على هذه الصورة المؤلمة •

وذكر لنا كلشن ما كان بجوارها فقال ما ملخصه : ان والى بغداد السلحدار(٣٥) حسين باشا عمر سوقا بديعة المنظر عند باب المدرسة المستنصرية واشترى غير ذلك من الاملاك ووقف جميع ذلك على خيراته وهى البئر العميقة التى عمرها على دجلة فأسال الماء فوق جدار بناه فأوصله الى مرقد شهاب الدين السهروردى دفعا لقلة الماء ولليبس الذى كان قد مضى عليه زمن طويل فى تلك المواضع المباركة فأخلاها من العمارة وغيرها من اجتماع الناس فيها • وأحيا

المولى هناك بستانا غدا نزهة للخاص والعام • وأنشأ فى موضعين سقايتين • وكانت اسالة الماء فى سنة ١٠٨٥ هـ (١٦٧٤ م) على ما حفظه بيت بالتركية رواه الكتاب • وكانت خيرات الواقف باقية فى عهد المؤلف •

وأختم كلامى متمثلا بقول القائل :

تلك آثارنا تدل علينـــــا فانظروا بعدنا الى الآثار

وأرجو أن ينهض وطننا العزيز بالعلم اسوة بالشعوب الراقية اذ لا حياة بغير العلم وهو الحجر الاساسى لكل سعادة

الحواشى

(١) لا أذكر بالافرنجية عناوين كتب الافرنج التى وردت اسماؤها قبلا فى هذه المجلة ولا أعيد الاسماء التامة لغيرها من الكتب الواردة هنا • (٢) من غريب متفقات اللغات كلمة « الباج » فانها فى الفرنسية والتركية (التى هى من الفارسية) تكاد تكون بلفظ واحد ومعنى واحد • أما الفرنسية فمأخوذة فى أصلها من رومية (لاتينية) معناها القدم فيكون معناهـا : اجرة المرور أو العبور (أى عبور القدم) وأما فى التركية المأخوذة من الفارسية فهى من أصل بخشيدن ومعناها العطاء والهبة والاجرة فيكون معناها العطاء عن العبور • وهذا من الغرابة بمكان عجيب • وصاحب محيط المحيط ذكر الباج فقال : « والباج ايضا اتاوة تؤخذ على الغنم » • ولم ينبه على عجمتها كأنها فى نظره عربيــة فصيحة مع انها لم ترد فى كتاب عربى انما نقلها عن العوام الذين تلفقوها من الترك فاعلم هذا • (لغة العرب) (٣) ص ٢٤١ و٢٤٣ من رحلته من الطبعـة المذكورة هنا قبلا • (٤) المطبوع فى بيروت فى سنة ١٨٨٧ (٥) المفتش العام للدخل فى الوزارة المالية العراقية وهو يحسن العربية والتركية ويكتبهمـا وهذا اسم كتابه :

For centuries of Modern Iraq, by S. H. Longrigg. Oxford. 1925.

(٦) مخطوط ذكره جرجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية (٣ : ٧٥) قال ان نسخة منه فى المكتبة الخديوية وان اسمه المستفاد من ذيل تاريخ بغداد •

(٧) رحلة ٤ : ٢٤٠ (٨) ذكر ابن الاثير (١٢ : ١١٣) فى حوادث سنة ٦٠٧ ﻫ (١٢١٠ م) سنجر مملوك الناصر • (٩) واسمها زمرد خاتون وتوفيت فى سنة ٥٩٩ ﻫ (١٢٠٢ م) وهى مدفونة عند معروف الكرخى (ابن الاثير ١٢ : ٢١ و١١٨) فى حوادث سنة ٥٩٩ و٦١٢ (١٠) راجع هذه المجلة (٥ : ٤٥٣) وهو أول أبواب الحريم من جهة الغرب أى انه حده الاعلى (١١) طبعة اليسوعيين ص ٤٤٢ (١٢) ص ١٣٨ من هذه المجلة عن كتاب المساجد ص ٢٩ (١٣) انظر ص ٢١ من هذه السنة (١٤) راجع الص ١٨٣ المذكورة (١٥) كان مجاورا لجامع المنصور بالجانب الغربى (عن الحوادث) وفى ابن الاثير (١٠ : ٤) فى حوادث سنة ٤٥١ (١٠٥٩ م) انه توفى فيهـــا على بن محمود بن ابراهيم الزوزنى أبو الحسن وهو الذى نسب اليه رباط الزوزنى المقابل لجـامع المنصور • (١٦) وفى تاريخ أبى الفداء (طبعة مصر ١٣٢٥ فى ٣ : ١٥٧ فى حوادث سنة ٦٣٣) خبر مسير الناصر داود الى بغداد وغير ذلك ونظمه قصيدة فى مدح المستنصر أورد أبو الفداء بعضها وفيها يعرض الناظم بصاحب أربل • (١٧) ترجمة أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ (٤ : ٤٣٢) وقد نقل عن ابن العديم وقال انه درس فى المستنصرية فى يوم الخميس العشرين من جمادى الاولى سنة ٦٣٣ وهو ثانى مدرس بها ثم عاد الى بلده فى صفر سنة ٦٣٥ وان أول من درس بالمستنصرية من الحنفية هو عمر بن محمد الفرغانى • (١٨) فى ابن الاثير (١٠ : ١٠٤ و١٠٥) فى حوادث سنة ٤٩٣ (١٠٩٩) انه مات فيها أبو نصر بن أبى عبدالله بن جردة وأصله من عكبرا واليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد • (١٩) وفى الاصل باب الازج وهذا الباب لا وجود له فى بغداد (ل• ع) (٢٠) لا تزال هذه العادة معروفة عند أهل بغداد يعملون بها عند مسيس الحاجة سترا للسارق أو خيفة من انه لا يظهر المال المسروق علنا هربا من الفضيحة أو خشية من العقاب • (٢١) طبق الدار فرشها بالطاباق أو الطابوق كما يقول العراقيون والطاباق الآجر • (٢٢) بند الحائط (من باب التفعيل) قواه بتصحيح ما فيه من خلل (٢٣) راجع هذا الجزء ص ٤١٠ (٢٤) نقل هذا البحث كتاب نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق وعرفنا نقلا عن كشف الظنون ان عز الدولة هو سعد بن منصور وان وفاته

كانت فى سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) ولعل الصحيح عن تاريخ وفاته ما جاء بأعلاه وذكر النزهة مؤلفات ابن كمونة وقال ان نسخة من « الحكمة الجديدة فى المنطق » عند الاستاذ جميل الزهاوى وذكر الردين اللذين وردا فى كشف الظنون فى دحض الابحاث وقال ان للاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبى تأليفا لا يزال مخطوطا عنوانه فلاسفة اليهود فى الاسلام فيه تلخيص فلسفة ابن كمونة وغيره (راجع النزهة الص ١٤٤ و١٤٥) وفى كشف الظنون ايضا طبعة الافرنج (٨ : ٢٥١) ان فى خزانة آيا صوفيا نسخة من شرح الاشارات ونسخة من شرح التلويحات لابن كمونة

لغة العرب (وابن كمونة يعرفه الفقهاء باسم « شيطان الحكماء » واسم كتابه الذى عند الزهاوى هو « الجديد » وهو فى المنطق والحكمة • والى الآن لم يرد الفقهاء اعتراضاته على الدين حتى انها عرفت عندهم بالشبهات) (لغة العرب) (٢٥) كان الشروع فى بنائها فى سنة ٦٤٩ (١٢٥١) وفتحت فى سنة ٦٥٣ (١٢٥٥) وهى بالجانب الغربى من بغداد تجاه قطفتا (وراجع الص ٤٠٤ من هذه المجلة السنة السابقة (٢٦) على الظاهر هى دار سنقرجا التى مر ذكرها الص ٣٨٥) والتى عاد اليها غازان وبات بها كما سيجىء بعد أسطر (٢٧) جاء فى حوادث سنة ٦٥١ (١٢٥٣) ما يلى « وفيها تكاملت دار الخليفة المستعصم بالمحول » وهو بالجانب الغربى (٢٨) الاقواس والعضادات فى المطبوع (٢٩) والصحيح ان غازان دخل بغداد فى سنة ٦٩٦ (١٢٩٦) وكما رأيناه هنا (٣٠) جاء قبلا بصورة الفاروثى وجاءت هنا بصورة الفاروقى ولا نعلم أى الروايتين هى الصحيحة والفاروثى نسبة الى فاروث وقد ذكرها ياقوت فى معجمه وأطلالها باقية الى الآن ومعروفة بهذا الاسم وهى واقعة على مجرى دجلة فى العصر العباسى وهو المعروف اليوم بالدجيلة (بالـ التعريف والتصغير) وهى تحت آثار مدينة واسط والظاهر ان الفاروث ارمى الاصل • واليوم لا يجرى الماء فى الدجيلة (٣١) ذكره عالم آراى عباسى (الص ٢٧) فقال : محمد خان شرف الدين اغلى تكلو حاكم بغداد وذكره كتاب « شرفنامة » (٣٢) وله ولآل كمونة العلويين ذكر بين فى كتاب عالم آراى عباسى ولهم ذكر فى أعلام النبلاء للطباخ (٥ : ٥٤٧) فى ترجمة غادر القنواتى المتوفى فى

سنة ٩٥٣ (١٥٤٦) لكنه غلط الاعلام بقوله « كونة » وكان قد روى لى الاستاذ العامل الشيخ على الشرقى ان في الكوفة وانحائها رجالا من هـــذا البيت (٣٣) مطبوع في الاستانة في سنة ١٢٨٧ (٣٤) وترجمه مختصرا سجل عثمانى وقال غانم افندى البغدادى وجاء فى كشف الظنون انه محمد غانم بن محمد البغدادى له ملجأ القضاة عند تعارض البينات وله مجمع الضمانات وحصن الاسلام وفيه انه توفى فى حدوث سنة ١٠٣٠ (٣٥) لغة العرب : أى صاحب السلاح أو حامله والمراد بذلك عند العثمانيين لقب يلقب به من يقول « بلكا » من الفرسان ثم أطلق على من لم يقده « البتة »

الص ٦٥١ الجزء ٩ من السنة ٦ = ايلول ١٩٢٨

كتاب الجدول الصفى من البحر الوفى

لهبة الله محمد الديري

عود صاحب هذه المجلة ان يرحب بنقد الكتبة اياه اذا كان نقدهم نزيها يرمون به الى الحقيقة وعودها ان تؤمن على اقوالهم وآرائهم الصحيحة دفعا للغلط الذى لا يخلو منه احد وهاءنذا متصد لشيء من ذلك مستمبحا الاب عذرا لاثقا به .

كتب حضرة الاب فى المشرق فصولا شائقة عن العراق وآثاره وغير ذلك منها مقالة « مدارس الزوراء فى عهد الخلفاء » (المشرق ١٠ « ١٩٠٧ » ٣٨٥) واتى فيها بذكر المدرسة البلطاسية (ص٣٩٧) وقال انه نقل ما وجده فى كلشن خلفا لنظمى زاده وهو :

« وهذه النقول عن مبانى بغداد وتاريخها نقلتها من التاريخ الصغير للمؤرخ الشهير بالخطيب . اما تاريخه الكبير ففيه من تراجم الرجال والكتب واسمائها ورواة الحديث وكتبهم ما لم يسمع به . فمما يضيق عنه نطاق الحصر من ذلك المدرسة البلطاسية فيها من الكتب ما يبلغ فهرسها ٣٦٠ مجلدا اما عدد خزانها فيبلغ ٥٠ شخصا والمدرسة المذكورة تشتمل على اربعة آلاف حجرة *Casiers* وراتبها فى اليوم عشرون الف رغيف وعشر بقرات ومائة كبش . وراتب مدرسها ـ وهو الشيخ قوام الدين ـ مائة رغيف وكبش واحد وخمسون درهما فى اليوم » انتهى على ما ذكر فى الخطيب البغدادى وذلك فى عهد المتوكل (ص ١٤ من نسختنا الخطية) على اننا قد بحثنا فى ما عندنا من الكتب وما وصلت يدنا اليه منها فلم نعثر على ذكر هذه المدرسة فلعل النظر فى تاريخ الخطيب هبةالدين الديرى البغدادى يزيل الشبهة عما فى هذا الكلام من المبالغة او ما يقرب منها . هذا واننا لا نعرف الى اى اسم نسبت هذه المدرسة ولا من هو هذا بلطاس فهل من باحث يفيدنا عما نحن من امر هذه المدرسة ومنشئها ؟ » انتهى كلام الاب .

وجاء في الحاشية لصاحب المقال ايضا عن الخطيب : « ان صاحب كلشن خلفا يريد هنا (بالخطيب) الخطيب هبةالدين الديرى البغدادى (كذا) كما يتضح من بقية كلامه ونحن لم نعثر على هـذا الاسم فى ما لدينا من الكتب والمشهور من كتبة تاريخ بغداد باسم الخطيب البغدادى هو : ابو بكر الخطيب الحافظ احمد ... البغدادى فلا يبعد ان يكون هـذا هو المطلوب هنا فذكره صاحب كلشن بلقبه هبةالدين وذكره غيره بلقب الخطيب . واما الديرى البغدادى فيكون نسبة الى دير كان فى بغداد او بجوار بغداد ... فلا جرم ان الخطيب نسب الى دير من ديرة بغداد فصح عليه نسبه الى دير والى بغداد معا » . انتهت حاشية الاب

ليس اطلاعى على مقالة الاب بابن اليوم بل انه كان قبل نحو عقد ونصف عقد من السنين فاستوقفت المقالة نظرى فرجعت الى كلشن خلفا لارى نصه التركى فوجدت ان المعرب الذى اعتمد عليه الاب لم يحسن الترجمة فعلق الامر ببالى . والذى يحدو بى الى ما اكتبه الآن هو صدور « كتاب مخطوطات الموصل » وما يأتى هو الصحيح تعريبه نقلا عن الاصل التركى الوارد فى ظهر الورقة ٧ من كلشن خلفا المطبوع ونحو تلك الصحيفة من مخطوطى :

« وعلى ما قاله الخطيب ان فى زمن المتوكل كان فى دار الخلافة اربعة آلاف فراش وان اماكنها العديدة واصطبلاتها المتفرقة وحواليهـا وحواشيها مثل مدينة شيراز(١) وهذه النقول هى من التاريخ الصغير للمؤرخ المذكور . اما تاريخه الكبير ففيه من اسماء الرجال والعلماء ورواة الحديث الشريف ما لا يسع القلم ان يكتبه وهو يخرج عن حد الحصر وفيه من اسماء الكتب ما لم يقف عليه احد . وفى الجملة ان المدرسة البلطاسية فيها ٣٦٠ مجلدا تحوى فهارس الكتب وخمسون خادما متأهبا لخزائن الكتب وفى المدرسة اربعة آلاف حجرة وراتبها اليومى عشرون الف رغيف وعشر بقرات منتخبات ومئة كبش مسمن ولمدرسهـا قوامالدين راتب قدره فى كل يوم مئـة رغيف وكبش وخمسون درهما . هذا ما كتبه الخطيب على وجه الاختصار (هنا بيت من الشعر) وما رواه هبةالله الديرى عن الخطيب البغدادى عن وفرة المال عند الخلفاء العباسيين وعن قوة سلطنتهم وهو يستغفر من المبالغة والنقصان والاختصار . وانا (اى مؤلف

كلشن) استغفر ايضا عن المبالغة والغلو وعن املائي بالاختصار طالبا المعذرة »
انتهى كلام كلشن • ولا شك انى من الذين يأخذون على الخطيب هذا قوله
المغالى فيه وهو شبيه بالقول عن عدد حمامات بغداد انهـا ستون الفا وهو عدد
يرده العقل السليم •

واول ما الفت النظر اليه انه جاء فى المقالة : « هبةالدين » وفى الاصول
جميعها : « هبةالله » وقد رأينا ان هبةالله الديرى هو غير الخطيب البغدادى فهما
رجلان وليسا بواحـد وتعريب المعر بالذى لم يميز فيه ذلك أدى بصاحب
المقـالة الى وضع ما فى الحاشية من تأويل وتوفيق • ولو لفت النـاقل نظره
الى قبل ما عربه ببضعة وجوه لاتضح له ان اسم هبةالله الديرى هو محمد فلا
يمكن ان يكون هذا الديرى الخطيب البغدادى الذى اسمه احمد ــ وقد مر
بنا ايضا ــ ولعرف اسم تأليف الديرى المذكور وهو « الجـدول الصفى من
البحر الوفى » ولما طرأ هناك سبب لهذا التشويش فطمست الحقائق • وانك
لتجد تعريب ما استندت اليه (ص ٥ من المطبوع) فى ما يلى :

« وبعد ان عرفنا هبةالله محمد الديرى فى تاريخه الجدول الصفى من
البحر الوفى ان كتاب الخطيب البغدادى المسمى ضبط عالم (اضافة تركية عن
الفارسية) ••• » أ هـ •

ونظرا لما تقدم لا مشاحة ان هبةالله محمد الديرى متأخر عن الخطيب
البغدادى فقد نقل عنه • واسم كتاب الديرى يدل على انه مختصر من كتاب
مطول وهل اوضح من هذا الاسم : جدول من بحر ؟ وما البحر على الظاهر
الا تاريخ الخطيب البغدادى(*)

* * *

كان وقوفى على اسم هبةالله محمد الديرى واسم كتابه فى تلك السنة
التى اشرت اليها وانا اتحرى من ذلك الحين مظنة اجد فيها نسخة من الكتاب

(*) كنت تمنيت فى آخر هذا المقال ان تحقق خزانة الاوقاف الحصول على نسخة منه وقد فعلت فانها جلبت المخطوط الى بغداد وصورته وكنت نظرت فى الاصل وفى الصورة فوجدت الكتاب تاليفا قائما بنفسه وليس بمختصر لتاريخ الخطيب والتصوير فى خزانة الاوقاف •

ولم أر اسمه فى كشف الظنون ولقد فتشت فى كثير من فهارس دور الكتب الاوربية وفى غيرها فلم اجده حتى اتحفنا الفاضل الغيور على الادب والعلوم والتاريخ الدكتور داود الجلبى بكتابه « مخطوطات الموصل » وفيه (ص ١٧٣) فى جملة مخطوطات المدرسة المحمدية فى جامع الزيوانى نسخة من « الجدول الصفى من البحر الوفى » لكنه لم يصفها الامر الذى كنا نتمناه ولعل عذره ى ذلك قوله : «ان عيون حافظى الكتب فى المدارس ترمقنى بلحاظ تدل على لسآمة ولسان حالهم يقول : رحم الله من زال » أ هـ •

طلب الأب فى مقالته المذكورة ان يفيده احد عن اسم من نسبت اليه المدرسة البلطاسية وعلى بلطاس وعلى منشئها وكنت اود ان اعثر على جواب هذا السؤال الذى بقى على ايضا غامضا ولكن بوسعى ان اقول شيئا عن هذا هو ان النسخة المطبوعة تذكر هذه المدرسة بهذا الاسم ومخطوطى يذكرها باسم المدرسة البرطاسية وبرطاس قوم عرفهم التاريخ وذكرتهم المعاجم المتخصصة لمثل هذه المباحث كمعجم البلدان ودائرة المعارف للبستانى والمعلمة الاسلامية الافرنجية التى اوردت المصادر العربية القديمة التى اعتمدت عليها ومن الغريب انها لم تذكر كتاب آثار البلاد للقزوينى (ص ٣٩٠ من طبعة الافرنج) وقاموس الاعلام الذى ذكرهم بصورة برطاش (بشين منقوطة) • ومن الكتب التى كثر ذكرهم فيها كتاب تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار تأليف م• م• الرمزى المطبوع فى اورنبورغ فى سنة ١٩٠٨ •

ذكرت تلك المقالة عن المدرسة البلطاسية انها من مدارس بغداد وان لا ذكر فى كلشن عن المدينة التى كانت فيها وجل ما جاء عنها ذكرها فى بحث ثروة الخلفاء ومقدرتهم فى المال فيجوز انها كانت فى بغداد او غيرها من المدن واظن انها لو كانت فى بغداد ــ وهى من امهات المدارس كما يفهم من ذلك الوصف ــ لما اغفلت ذكرها مقدمة الخطيب وهى مطبوعة تتعاورها الايدى ولما غض النظر عن ذكرها كتاب مناقب بغداد • ومن العجب السكوت العميق عنها فى كتب التاريخ والتراجم التى وقعت بيدى وهى طائفة ليست بيسيرة • ولو كانت كما ذكرت لجاءت كلمة عنها ولو فى سياق الكلام كما تذكر النظامية والمستنصرية(٢) ولعلنا نقف على المدينة التى كانت فيها وغير ذلك اذا تسنى لنا

الاطلاع على نسخة من الجدول الصفى الذى قلنـا ان نسخة منه فى الموصل والامل ان خزانة الاوقاف العامة تحقق الحصول على نسخة منه بالوقت القريب وليس ذلك عليها بعزيز .

الحواشى

(١) جاء فى مقدمة الخطيب (ص ٤٧) نقلا عن ابى نصر خواشاذة ان دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها كان ذلك مثل مدينة شيراز (٢) قلت هنا (٦ : ٤٢٦) ان لغانم افندى مدرس المستنصرية كتاب ملجأ القضاة واقول الآن ان نسخة منه فى المتحفة البريطانية (راجع الذيل على ذيل فهرست المتحفة ص ٢١ عدد ٦٢٤٦ و ص ٢٤ العدد المذكور ايضا) ومنه نسختان ذكرهما كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبى وذكر له ايضا نسختين من مجمع الضمانات .

البحرين والزبارة والطرابلسي الشاعر

من مآخذ التاريخ ما تركه السلف من الاوراق التي لم يكتبها لغاية النشر وهي مع ذلك لا تخلو احيانا من كشف اللثام عن الماضي اكثر من الكتب التي وضعت لمثل هذا الغرض وتزداد الحاجة في احوال عديدة الى اشباه هذه المتروكات التي كان قد حفظها اصحابها اولا لقصد مادي او معنوي ثم صانها المتأخرون كأثر لاسلافهم او اهملها هؤلاء في الزوايا منسية فعاشت هيئة مطمئنة • ويتفق ان تقع هذه الوثائق تحت نظر من يجلها ويحلها محلها وتكون احيانا المرجع الوحيد للتاريخ وتفيده ايما افادة اذا كانت المدونات قليلة • وكم تأتي بخبر ذي بال لم تعره المطولات آذانها اما لانها فاتتها او انها اعتبرتها تافهة لا قدر لها •

ومن الاوراق التي يمكن ان تفيد التاريخ المكتوب الذي قدمت عليه هذه السطور فهو يبحث عن احد الاقطار العربية التي قل من كتب عن وقائعها في القرن الماضي • اريد بهذا القطر جزيرة البحرين وما جاورها • وكانت الاضطرابات تتقاذفها اذ ذاك ويسمع فيها صراخ المقاتلين ودوي آلات الحرب كما تلاطمها امواج البحر الواقعة عليه •

اصدر الشيخ محمد النبهاني كتابه التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية مطبوعا طبعة ثانية بمصر سنة ١٣٤٢ ﻫ (١٩٢٣ م) فتصفحته في هذه الايام فذكرني بمكتوب بيدي يبحث عن البحرين والزبارة(١) وعن سعود من آل سعود وبني عتبة(٢) وغير ذلك والمكتوب للسيد عبدالجليل ابن السيد ياسين (الطباطبائي) (٣) كتبه في البحرين الى نعمةالله يوسف عبود في حلب • وقبل ان انقل المكتوب اقول عن المتخاطبين :

للسيد عبدالجليل ديوان طبع في مطبعة نبات المصري وليس فيه سنة طبعه ولا المدينة التي طبع فيها • وقد تخللت قصائده نبذ كثيرة طويلة فيها الاسباب التي دعته الى ايراد تلك القصائد • وكانت ولادة صاحب الديوان بالبصرة في سنة ١١٩٠ ﻫ (١٧٧٦ م) ووفاته في الكويت في سنة ١٢٧٠ ﻫ (١٨٥٣ م) على

ما جاء في ترجمته الواردة في اول ديوانه • وكان تاجرا ولا سيما كان يتجر باللؤلؤ كما يبين من مكاتيبه العديدة الى نعمةالله عبود المذكور • ومن بيت الطباطبائي افاضل يقيمون اليوم في البصرة او الزبير او في كلاهما •

وكان للتاجر الشاعر مع آل عبود اواصر صداقة وصلات منها تجارية ومنها ادبية تربط بعضهم ببعض • فقد جاء في ديوانه (الص ٢٠) قوله : « وقد ورد عليه (على عبدالجليل) كتاب من نعمةالله بن يوسف (عبود) النصراني الحلبي وفي طيه ورقة في تخميس وتشطير البيت المشهور لبعض اهل حلب وقد اقترح عليه ان يخمسه ويشطره كما صنعا (كذا) وهذا تخميس نصرالله ابن فتحالله (الطرابلسي) (٤) الحلبي ••• » أ هـ

وجاء في ديوانه (الص ١٣٥ وما بعدها) تهنئة نثرا ونظما رفعها الى السلطان عبدالمجيد بظفر واستعطفه في اسقاط الميري(٥) عن نخل له عدده اربعة آلاف وهو متفرق في انهار البصرة وعن دكان جزار له في احدى اسواق البصرة لان الميري – على ما قال – قد استحوذ على الغلة والاجرة • وبعث بتهنئته هذه في ربيع الاول سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١ م) ضمن كتاب الى احد كبار النصارى المقيمين في الاستانة ولم يذكر اسمه وكان ذلك بوساطة « صاحبه وابن صاحبه القديم المودود جناب الخوجه فتحالله بن نعمةالله يوسف عبود الذي عرفه بهذا النصراني كما قاله » : مذ علم (فتحالله) ان لنا حاجة تقتضي واسطة شفيق حازم ••• لم يجد اهلا لقضاء لوازم الاصحاب ••• الا ظريف ذلك الجناب ••• فبمقتضى ذلك دلنا عليك في رفع الحاجة اليك ••• وطلب منه ان يبعث بالفرمان الشريف عن يد فتحالله ايضا اذا من الله تعالى بالحصول على المراد وكان فتحالله عبود همزة وصل بين السيد عبد الجليل وبين بطرس كرامة (الديوان ص ١٧٧) •

وبعض تراجم آل عبود في هذه المجلة الغراء (٣ «١٩١٣–١٩١٤» ٥٦٣ و٤ « ١٩١٤ » ١٩) • وليوسف والد نعمةالله تأليف دونه بنفسه عن ايامه في وقائع حلب لا يزال غير منشور ونسخته وحيدة والموجود منه قد سقط منه الاول وفيه نقص في موضعين في نحو الوسط • تراءى لي ذلك لعدم ارتباط الكلام بعضه ببعض • وهو يبتدىء بقسم من سنة ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) وينتهي

في سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) وآخره تام لكنه خال من الخاتمة • وفي الاربع السنوات الاخيرة اخبار عن بغداد كنت قد شرعت في نشرها في لغة العرب في جزئها الثاني من سنتها الرابعة (آب ١٩١٤) (٦) وذلك عن اوراق للمصنف قبل ان اجد تأليفه مجموعا • ويقع المخطوط في مائة وثمان وثلاثين ورقة يختلف طول وعرض كل منها بسنتمتر او نحوه والورق ليس من جنس واحد بل من اجناس عديدة مما يدل على ان المخطوط هو اول نسخة منه كان صاحبه يكتبها على توالي السنين وكانت كراريس غير مجلدة يوم صارت بيدي • واطول ورقة فيها قياسها نحو ٢٣ سنتيمترا في نحو ١٦ س وفي اوراقها حاشية بيضاء قدرها نحو ٦ سنتيمترات فيها تكثر تواريخ وفيات كبار النصارى ومواليدهم في حلب وغير ذلك • وصفوة القول عن حجم المخطوط انه لو طبع لجاء في نحو ثلثمائة صفحة من قطع هذه المجلة • وهو بخط مؤلفه الجلي الفصيح على الطريقة الحلبية • وكان هذا المخطوط للاب الفاضل نرسيس صائغيان الذي وصفه في هذه المجلة (٣ « ١٩١٣-١٩١٤ » : ٣٦٤ ح) وابان لنا احد مضامينه الحاكي عن امور طائفية • اما الكتاب فنحو ثلثيه لا مساس له بطائفة المؤلف الرومية الملكية بل هو تاريخ لحلب يروي لنا وقائعها مع اسماء ولاتها وسلوكهم وما اصابها من اضطرابات وقلاقل واوبئة وغلاء ورخص وشدة وفرح وغير ذلك • وكان الاب نرسيس قد ظن ان الكتاب حينما وصفه لاحد بيت عجوري (عجور) الحلبيين ثم اتفق كلانا لاسباب اكيدة يطول شرحها انه ليوسف عبود المتوفى في حلب في ٢٣ شباط (حسابا شرقيا) سنة ١٨٠٦ م وانه بخطه بلا ريب • والمخطوط اليوم عندي بعد ان اهداه الى الاب صائغيان فشكرا له على هديته الثمينة •

* * *

والآن انقل الى القراء مكتوب السيد عبدالجليل بعلاته • ومكاتيبه الى نعمةالله عبود وجميعها على هذا النسق من الاغلاط • وهو مؤرخ في ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) وقد بعث به من البحرين الى حلب :

« ... كتابك وصل ، وبه الانس حصل ، لما افهم عن وصولك للاهل والوطن(٧) فلله النعمة والفضل وله الثناء الحسن ، وجميع ما ذكرت صار فى البـال ولا سيما من قبل ما عتبت به من عدم المراسلة العام الماضى فلك العتبى ولكن قد قيل : « فرب لها عذر وانت تلوم » وذلك ان طرفنا العام قد وقع فيه اضطراب عظيم ، واقل ما وقع ان اهل الزبارة جلو منها وتحولو الى البحرين وحاربو بن سعود وهذا ما وقع الا الامور شاقة متعبـة ، وقد جلو منهـا فى النصف من ربيع الثانى سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) وبقى حربهم مستمر الى ربيع اول سنة ١٢٢٦ هـ وهذه المدة التى فيهـا الحرب لا يزال لبنى عتبة فى البحر ستين سبعين سفينة تدور فى البحر وجميع الناس ما لهم شغل ولا عمل الا اخذ السلاح والاهبة للقتال وقد عدمو الراحة والبيع والشراء والغوص وتعطلت جميع الاسباب بالكلية حتى انهكتهم الحرب ولما اراد الله الفرج تصادم خشب(٨) بنى عتبة وخشب اتباع الوهابى واقتتلوا مع اول اشراق الشمس الى بعد الزوال حتى فنى غالب الفريقين واحترقت ثمانيـة مراكب خمسة لبنى عتبـة وثلاثة لضدهم ، وباقى خشب اتباع بن سعود استولو عليـه بنى عتبة ونصرهم الله عليهم ، وقد فنى منهم قدر عظيم ما بين قتل وحرق وغرق فى البحرين وقتل من بنى عتبة قدر سبعمائة رجل وصارت الدائرة على اتباع بن سعود ،

واما الفقير ففى اول ضعون بنى عتبة من الزبارة كنت بايدى اتباع ابن سعود وحيل بينى وبين اهلى ومالى وبرحت عندهم من صفر سنة ١٢٢٥ الى صفر سنة ١٢٢٦ حول كامل ، وبقيت اجوب البلاد فتارة فى « قطر »(٩) وآونة فى الحسا ومقدار ثلاثة اشهر فى الدرعية عند سعود الا انى محشوم(١٠) موقر عندهم ولى وجاهة عندهم والحمد لله ، وصارت حرفتى فى استخلاص شيوخ بنى عتبة آل خليفة من حبس سعود لانهم محبوسين عنده من ذى الحجة سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) الى رمضان سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) وحبس الجماعة هو سبب تحويل بنى عتبة عن طاعة سعود وصرنا انا ومعى اثنين من كبار الجماعة اهل الزبارة عند سعود يعرف منا الصدق معهم ونحن على ذلك ، واجتهدنا فى خلاص آل خليفة من يد سعود بالعهود والايمان على انهم اذا وصلوا الى رعيتهم مكرمين يرجعونهـم الى الزبارة ويعملون بطاعة سعود فصدقنا ، ونحن ما لنا

باطن غير ظاهرنا معه • وقد اخذنا المواثيق على آل خليفة بذلك فارخصنا (سعود) وهم معنا •

فلما وصلنا الى البحرين نبذو طاعته ونقضو عهده وقامو بحربه وحضرو الوقعة المذكورة ونحن ما امكننا الا التسليم لان المال والعيال عندهم فى البحرين ولا بيدنا حيلة• والذى الجأهم الى نقض العهد هو ما اذاقهم سعود من الذل والهوان واخذ كرايم الاموال من الخيل والركاب والسلاح مقدار ٣٠٠،٠٠٠ ريال فرنسة(١١) واردف ذلك بحبسهم وصدور هذا الامر منه معهم بعد العهد فكأنه تبين منه اولا عدم الوفاء بعهده معهم • هكذا فهموه وربما له عذر يطول شرحه وكل متأول امر • ويستبين الامر للجميع اذا وقفو بين يدى الحكم العدل سبحانه وتعالى •

والآن نحن فى البحرين مستقرين على احسن حال • وفى مبدأ هذا الامر لما كنا فى ارض بن سعود وكنت فى اسوأ حال من مفارقة الخل والصاحب والوطن كارها معاشرة غير المشاكل والمجانس وفى ارض لا نعرفها وناس ما الفناهم ومع ذلك ونحن مباشرين القتال مع اتباع سعود فالمفازيع(١٢) والقتال بكرة وعشية • والمراد اننا اقمنا حولا كاملا على حال صعب متعب مردى مهلك مفاليس من المال والاهل والعيال الى ان اذن الله بالفرج ورجعنا كما شرحناه لكم والحمد لله على كل حال •

وقد صنفت فيما وقع علينا وما قاسيناه من الشدايد رسالة عربية تشابه مقامة من مقامات الحريرى كالرحلة(١٣) وارسلتها لبعض الاصحاب فى البصرة • فاعرف لشدة ما وقع علينا حتى احوجنا الحال تصنيف رسالة فيه والله المستعان •

ثم ان جماعتنا بنى عتبة بعدما من الله عليهم بالنصر والظفر على عدوهم ••• وقطع دابرة بن سعود من جميع ساحل البحر استراحو واستقرو وكل اخذ فى البيع والشراء والغوص وامتدت سبلهم وقد بلغ عندنا اللؤلؤ هذه السنة اقيام مذ خلقه الله ما بلغ قيمة هذه السنة مع نزوله فى البلدان وسبحان عامر الكون • وقد تعوضنا الذى قسمه الله وبعنا غالبه ابكارا(١٤) لحصول المصلحة ولغلائه فما جرعنا (حرأنا) نقطعه(١٥) الا القليل • وقد صار عندنا بعض المخرق(١٦)

بقدر ربع العادة لان الاكثر بعناه ابكارا • وقد طلع عندنا قبل الناس ربطة مقدار مثقال ٦٠٠ شيرين(١٧) وارسلناها ليوسف الزهير(١٨) يبيعها وكتبنا لاخيك ميخائيل(١٩) ـ على العادة كما كنا نكتب لك عند ارسال المال ـ اجراء لحقوق الصداقة لاجل تنبيهه • فان كانت له رغبة فالامر يصير واضحا لديه • وهذا في شوال وحال التاريخ طلع عندنا قدر مثقال ١٦٠ يكة اليكة(٢٠) عال العال وارسلناها ليوسف ايضا وعرفنا اخيك بها • وعندنا بعض « الكبايتى » (٢١) مهما زهب (اى تهيا وحضر) نعرفه بارساله ان شاء الله وهذا كله لاجل بقاء الملازمة للصداقة والقيام بمقتضياتها ••• واسئل لنا خاطر خالكم العزيز صديقنا الخواجه نصرالله ••• (٢٢) » انتهى هذا ما اردت نقله حفظا للتاريخ •

الطرابلسي وعبود وبعض الادباء

من المعلوم ان الشيء بالشيء يذكر وهذا ما دعاني الى الدخول في موضوع آخر • رأى القراء الكرام انى اضفت نسبة الطرابلسى الى ذلك الشاعر نصرالله بن فتح‌الله النصرانى الحلبى • واظن ان الفرصة تبيح لى الكلام عليه زيادة فى تعريفه لمن تهمه ترجمته وفى ذلك ترد اسماء ادباء وتجار كانوا فى البصرة •

ان اضافتى هذه النسبة ليست لمجرد ان نصرالله المذكور كان من شعراء ذلك العصر وان اسمه واسم ابيه متفقان مع اسم الشاعر الشهير بالطرابلسى بل لوقوفى على ان نعمة‌الله عبود كان صديقا قديما للطرابلسى الذى كان قد عرفنا به المشرق فقد جاء فى صورة المكتوب ـ والصورة عندى ـ لنعمة‌الله كتبه الى الطرابلسى يمدح فيه الشيخ خالدا ابن الشيخ احمد بن رزق الساكن فى البصرة ويثنى عليه ثناء عاطرا زكيا ومما يقوله عنه انه من التجار وله شغف عظيم بالادب والعلوم حتى ان ذلك يلهيه عن اشغاله التجارية وانه « اطلع على مجموعتى من شعر جنابكم (يعنى شعر الطرابلسى) فصارت كأنها نديمه الخاص وانه شرع فى بناء دار جديدة له يتم بناؤها فى سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) ولوح له (لنعمة‌الله) من بعيد فى طيات الكلام برغبته فى قصيدة من شعركم يزين بها الدار مع ان كلا من الشيخ عثمان بن سند والشيخ عبدالله بن جامع والشيخ احمد الكردى قد نظم قصيدة بتاريخها الا انه لا يظن ان ينقش الشيخ خالد شيئا من ذلك فى الدار املا بالحصول على قصيدة من نظمكم » • ويرجو

نعمةالله فى كتابه من الطرابلسى ان يحقق رغبته وبهذا يكون قد دفع ايضا قول من انكر عليه ان نظم المجموعة لاحد المسيحيين فلبى الطرابلسى سؤال صديقه بمكتوب مؤرخ ٢٥ ج سنة ١٢٣٢ وقد استهله بهذا العتاب لامر نجهله كان قد وقع بينهما .

« ... ثانيا لنبدى لجنابكم انى منذ فارقتكم ووقوع الهجروية المعهودة منكم فلابد ان صافى سماء المودة تكدر بغيوم الانفعال واوشك ان يشوب عقد الصحبة الانحلال وزاد على ذلك مع مرور كذا اشهر بل اعوام لم يظهر من جنابكم ولا ادنى اشارة حتى سلام فهنالك زدنا تحقيقا بمودتكم الوردية وكدنا نقاوم طبعنا وننزع عنا محبتنا الآسية . وشهدت لنفسى بالالمعية اذ :

الالمعى الذى يظن بك الـــ ظن كأن قد رأى وقد سمعا

كون سابقا مر لنا مع الجناب واقعة مزاح نظمنا لها ابيات جاء شطر منها :

« فينفر عنى مغضبا وله الذنب »

ربما فى حفظكم . وقد غيرت الشطر الاول فقلت :

يحب ولكن لا يدوم له حب وينفر عنى مغضبا وله الذنب

ولولا الذمام لصارت قصيدة طويلة ولكن ما الحيلة . وما زالت تتفاقم هذه الظنون ... حتى تلبد ذلك الغيم المتكاثف ... حتى ورد كتابكم الكريم المستحق التعظيم ... فحالا اصبح ما عندنا كانه هشيم ... ورأينا من السماحة السماح ... »

ثم اردف الطرابلسى قائلا : « ثم اننا لكى نحقق لجنابك عدم تغيرنا على اى حال كان ... فقد قبلنا بكل رغبة رجاءكم فى نظم ابيات تهنئة وكتابة فى الدار الجديدة التى احدثها الشيخ خالد ... فبادرنا بتحرير رسالة وهى خاصة له ضمنه ... وربما تستحسنون اختيارنا اذ جعلنا رجاكم انفذ توأما ... ثم بعد الحقناها بقصيدة لائقة بالمقام » أ هـ . وهو يشكو من الزمان الذى الم به فانه قال : « هذا مع كثرة الاشغال وتشعب البال وعدم الامكان على الادمان وتعس الزمان » .

اذا الفتى ذم عيشــــا فى شـبيبته
فماذا يقول اذا عصر الشـباب مضى

وقـــد تعوضت عن كـل بمشبهـه
فما وجـدت لايام الصبى عوضــا

اى نعم : وجاد الحيا عهد الصبى حبذا الصبى
لقد كنت خلو البال لا اعرف الوجدا

ثم قال ايضا : « ثم نعرف الجناب ان القصيدة الحائية هى من بحر الرمل وهو يأتى غالبا مقبوض العروض سالم الضرب فنحن اتينا به فى بعض ابيـات سـالم العروض والضرب • وجـاء فى شعر المولدين • وهـذا شيء يدريـه العروضيون انما ذكرناه ليعلم اننا قلنا عمدا لا عفوا وقصدا لا سهوا » أ هـ •

وانى لآسف لانى لم اعثر على مجموعة الطرابلسى المحكى عنها ولا على صورة رسالته وقصيدته • ولعل هذه الرسالة والقصيدة فى ديوانه الذى وجدت نسخة مه عند احـد ادباء بيت ابيلا فى صيدا او فى مقاطيعه التى كانت عند الخورى توما ايوب فى حلب على ما ذكرهما كتاب المخطوطات العربية للكتبة النصرانية للاب شيخو (ص ١٣٨-١٣٩) وفى المشـرق (٣ « ١٩٠٠ » ٣٩٧) ترجمة الطرابلسى مع طائفة من قصائده وعندى احداها مختلفة الرواية قليلا عن التى فى المشرق • وترجمه الطباخ فى كتابه فى تاريخ حلب (٧ : ٢٦٩) نقلا عن المشرق وقال ان قسطاكى الحمصى ترجمه ايضا فى كتابه ادباء حلب وذكرت «نصرالله طرابلوسى » (كذا) المجلة السورية (١ : ٥٣٤) ثم نقل ذلك كتاب « أهم حوادث حلب » (ص ٥٧) ومجلة القربان (٢ : ٣٩٩) وهناك ان نصرالله كان ترجمانا لقنصل اسبانية فى حلب والارجح ان هذا هو صاحبنا •

وتجد تراجم الشيخ وبيته فى سبائك العسجد وفيه ترجمة الشيخ عبدالله بن عثمان بن جامع •

هذا ما عن لى تدوينه عن امراء وتجار قضى عليهم الزمان وامسوا فى خير كان •

الحواشى

(١) قالت التحفة النبهانية ص ١١٩ « الزبارة اسم موضع على السـاحل تجاه جزيرة البحرين من جهة الجنوب كما بيناه فى تاريخ « قطر »واول من نزل الزبارة وعمرها الشيخ احمد بن رزق ••• » وراجع ص ١٩ من كتاب

سبائك المسجد فى اخبار احمد نجل رزق الاسعد للشيخ عثمان بن سند المطبوع فى بومبى فى سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) (٢) نسبهم فى التحفة النبهانية ص ١١٧ و١١٨ (٣) وراجع عن الطباطبائيين هذه المجلة (٣ : ١٩١٣-١٩١٤ : ٦٦٧) وكنت قد ظننت فى السنة المذكورة ص ٦٤٢ ـ قبل ان اعرف ان للسيد عبدالجليل ديوانا مطبوعا ـ ان السيد على ابن السيد حسين (وكيل شيخ المنتفق حمود الثامر السعدون) هو ابن عم السيد المذكور وقد صح ظنى ان السيد حسينا هو ابن عمه لان القصيدة التى حكيت عنها جاءت فى ديوان عبدالجليل فى الص ٩ وفى صدرها ما يؤيد ان عبدالجليل وحسينا هما ابنا عم احدهما للآخر (٤) سيأتى الكلام عنه (٥) ما للحكومة من المال عن الاشجار والزروع وهى تخفيف الاميرى بمعنى المال الاميرى (٦) ثم توقفت عن الصدور لنشوب الحرب العامة وحينما عاد صدورها عد صاحبها هذين العددين خارجين عن السنة التى عادت فيها الى الصدور (٧) وطنه حلب • (٨) وزان سبب وهو السفائن وطبعا الشراعية لانها تبنى من الخشب ولا تزال هذه النسبة معروفة فى الخليج الفارسى ولعلها كذلك فى البحر الاحمر • (٩) ايضا وزن سبب (١٠) مكرم (١١) هى سكة نمساوية من الفضة كانت رائجة ايضا فى بغداد الى قبل نحو اربعين سنة دائرتها نحو دائرة المجيدى الفضى العثمانى ذى العشرين غرشا صاغا ثم استمر رواج تلك السكة فى جزيرة العرب الى حين طويل حتى قضت عليها الريبة وبقى التعامل بها فى بعض المواطن منها الى عهدنا هذا • وقد وضع فى هذا الريال مارسيل موريس فيشل *Mar.el- Maurice Fishel* كتابا مطولا فى ٢٠٦ ص وبحث فيه عن الاقطار التى كانت تتداوله وهو مطبوع فى باريس سنة ١٩٢١ ولسمه *Le Thaler de Marie Therese* (١٢) يقال فزع اذا ذهب الى القتال (١٣) ليست فى ديوانه (١٤) اى غير منقوب (١٥) بيعه بالمفردات او بعدد قليل • (١٦) المنقوب (١٧) كلمة فارسية معناها الحسن (١٨) آل زهير بيت له خطورة فى تاريخ البصرة فى القرن الماضى وكان منهم فى حلب • ومما جاء عن احدهم فى كتاب « أهم حوادث حلب » الذى نشره الخورى بولس قرالى فى مصر السنة الماضية ما قوله « فى ١٦ منه (من ربيع الاول سنة ١٢٣٥ هـ = ١٨١٩) نزل من القلعة ابن الطوبجى باشى وستة نساء

وبتاريخه طلب اربعة من التجار البغدادلية يقدموا مصروف اربعة متاريس وهم صالح ، زهير ، مصطفى بيرق دار ، محمد هاشم ، صالــح ونه » وبيت ونه لا يزال معروفا فى بغداد (١٩) كان فى البصرة وهو اخو نعمةالله عبود لابيه (وليس لابويه كما كنت قلتــه قبلا) (٢٠) مدورة حسنة التــدوير (٢١) من مصطلحاتهم (وعندى انها نسبة الى كتابة) • (٢٢) هو نصرالله غزالة •



الص ٧٩ الجزء ١ من السنة ٧ = كانون الثاني ١٩٢٩

عم سعدون مغامس المانع والكرملي

ما ابهى ما كان يوم الاحد الذي وقع في ٧ تشرين الاول ١٩٢٨ ذلك اليوم التاريخي عند اخوان الادب العربي ورافعي اعلام التشجيع له من كبراء وعظماء فان في عصره المشهود اقيمت تلك الحفلة الباهرة لتكريم الاستاذ الكبير الاب انستاس ماري الكرملي(١) في دار صاحب الفخامة عبدالمحسن بك(٢) آل سعدون لقضاء الاب الفاضل عمره حتى شيخوخته الحاضرة في خدمة لغة الضاد الشريفة ذلك العمر الذي اتى فيه بالكتابات العديدة والمباحث الكثيرة ما قدره علماؤنا وكتابنا وشعراؤنا من عراقيين وسوريين ومصريين وفلسطينيين وغيرهم وفي طليعتهم المجمع العلمي العربي في دمشق الشام وهنأوه ببلوغه هذا اليوم وقد بجله مع تهانيء حارة كبار من المستشرقين من مختلفي الشعوب الغربية • وقد اجتمعت في هذه الحفلة كلمة هؤلاء الافاضل جميعهم على تقدير خدماته الجلى لما وقفوا عليه فضلا عما لدى الاب من الآثار غير المنشورة •

فليهنأ الاب وليعش طويلا للمثابرة على اعماله المقدرة •

واني لاستأذن كلا من فخامة البك وفضيلة الاب في ان اذهب بهما وبالقراء الكرام الى حادث تاريخي :

لابد وان الفكر سائد انه لم يسبق قبل اليوم ان سعدونيا كرم كرمليا — ولو على غير هذا الوجه — لاتساع الفراغ الفاصل بين الفريقين • فيظن اذ ذاك ان ما أبرزه هذا الاحتفاء له مما اولده القرن العشرون لكن اذا تصفحنا التاريخ رأينا هناك تكريم شيخ من بيت فخامته — يوم كان يدعى بيته شبيبا قبل ان يكون سعدونيا — لاحد الكرمليين من الجدود المعنويين للمحتفى به • فكأن التاريخ اراد بهذا الاحتفاء ان يجدد على الستارة صورة صلة بات عهدها نسيا منسيا خالعا عليها ثوبا قشيبا جديدا تميس فيه تيها ودلالا • وقد تجلى في تلك الحفلة في فخامة ابن سعدون الشبيبي ما ورثه من آبائه الاماجد من مكارم

الاخلاق مزدانة بحبه لترقية العلوم ولا سيما تنشيطه للاب ـ وضمنا تشجيعه لحملة الاقلام كافة ـ على موالاة خدمة لغتنا الجليلة •

كان مبدأ اقامة الآباء الكرمليين فى بغداد فى سنة ١٧٢١ اما البصرة فقد دخلوها للاقامة فيها منذ سنة ١٦٢٣ وقد وجد السر هرمن كولنكز سجلا نبعثهم فى البصرة دون فيه احد رؤسائهم ما لقيه من اخبارهم منذ سنة دخولهم حتى زمانه الذى كان فى سنة ١٦٧٤ وشرع يضم الى تلك الانباء ما كان يحدث فى ايامه فى البصرة وتبع تلك الخطة الذين خلفوه • وهذه النسخة التى هى اليوم عند السر المذكور تنتهى باخبار سنة ١٧٣٣ وهى الام بنفسها المختلفة الخطوط ولغتها هى اللاتينية الا صحائف قليلة فى لغات افرنجية اخرى مع نصوص عربية وتركية • وقد بعث السر بالطبع هذا السجل(٣) من مدفنه مع ترجمته اياه الى الانكليزية ووشاه بصورة شمسية لما يطويه من النصوص العربية والتركيــــة •

ومما يرويه لنا هذا السجل الوحيد النسخة استيلاء شيخ المنتفق مغامس المانع على البصرة فى سنة ١٧٠٥ (١١١٧ هـ) وكانت يوم ذاك سفن هولاندية راسية فيها فى شط العرب • وانى لاقصر كلامى فى هذا المقام على نقل ما جرى للاب حنا (يوحنا) مع الشيخ مغامس معربا كلامه عن الانكليزية وموردا النص العربى بحروفه (٣٠٢/٣٠٣ من الاصل) •

تعريب فقرات الكتاب ونص البراءة

« ••• فى اليوم السابع من هذا الشهر (تشرين الثانى ١٧٠٥) حضرنا امامه (امام الامير مغامس) فرحب بنا وبعد ان هنأه الربان الهولندى(٤) التمس منه ان يعطيه عقد اتفاق بين الهولنديين والعرب • فتكرم عليه مجيبا طلبه بكل ما يرغب فيه وبعد ذلك اوضح له الهولندى مطلبهم بمذكرة للهولنديين تتعلق بشؤون الشركة(٥) فانتهزت هذه الفرصة لتقديمى اليه مذكرة فى أمر حماية كنيستنا ودارنا » •

وفى ٩ من الشهر الجارى قدمنا مذكرتينا بواسطة عبداللطيف(٦) الى الامير مغامس فدفعهما حالا الى قاضيه الشيخ سلمان ليصدقهما تصديقا شرعيا •

وفي ١٢ منه ارسل الامير مغامس بالبراءتين احداهما الى الهولندي في الاتفاق وثانيتهما الى في مادة الحماية الواردة فيما يلي :

« الحماية التالية هي بالتركية(٧) »

محل الختم(٨)　　　　توكلت على الله

تعلمون به الواقفون على كتابنا هذا من كافت خدامنا وعمالنا وطباطنا (ضباطنا) (٩) باناا اعطينا حامل الورقة البادري حنا على موجب ما بيده من فرمانات اولياء الدولة القاهرة(١٠) ومن اوامر الوزراء العظام والامراء الكرام . وله منا فوق (ذلك) زيادة الحشمة والرعاية وقد اسقطنا عن خدامه وترجمانه الجزية والخراج وكتبنا له هذا الكتاب سندا بيده يتمسك به لذي (لدى) الحاجة اليه . وعلى كتابنا هذا غاية الاعتماد والله تعالى شأنه ولي العباد وبه كفا . حرر في ثاني وعشرين من شهر رجب القرد سنة سبعت عشر ومايه والف . سنة ١١١٧ .

الفقير
مغامس المانع

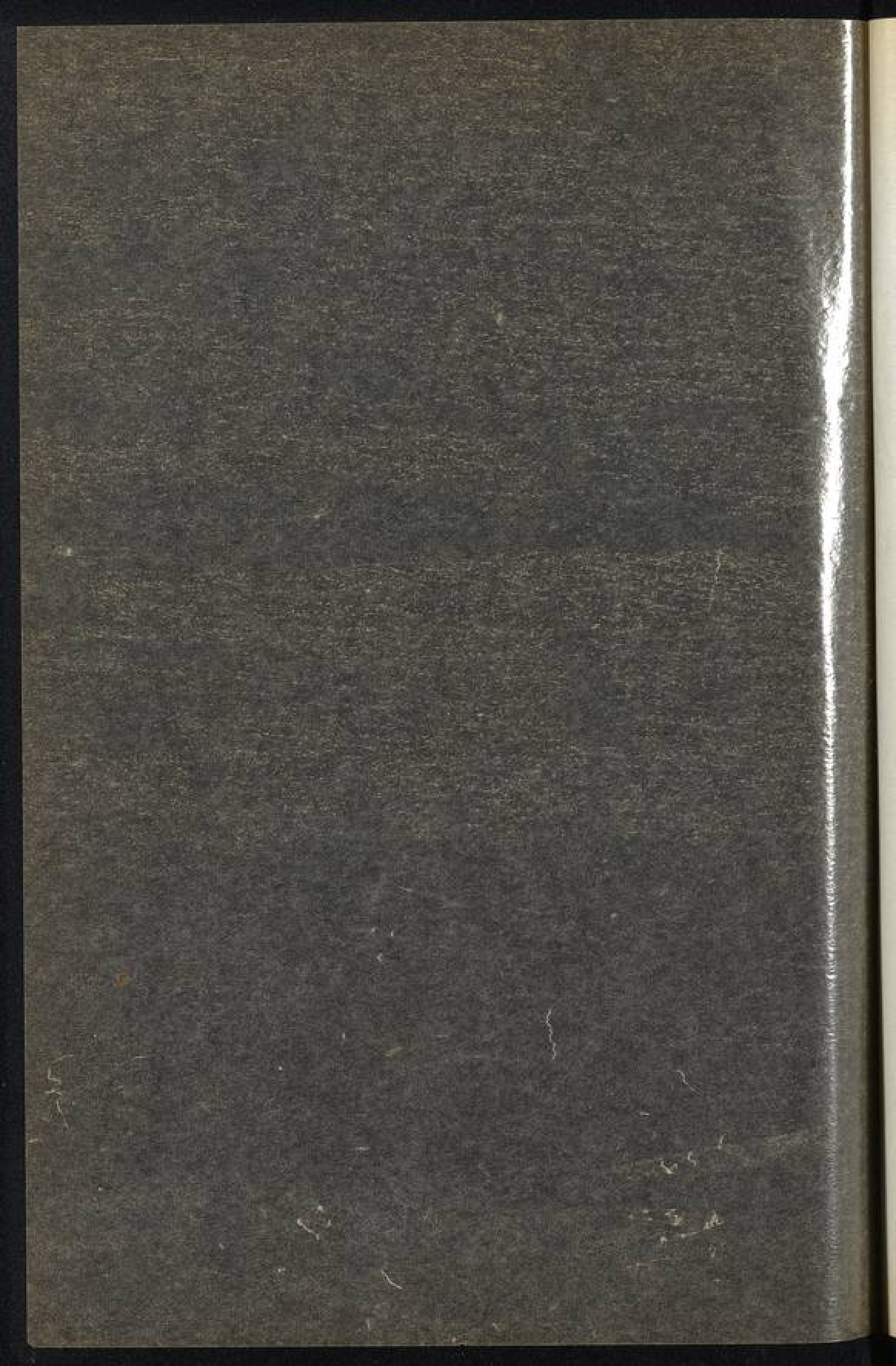
حصلت على براءة الحماية ونلتها بدون اي مصروف وستفيدنا دائما فوائد جمة وسينتفع بها بيتنا في احوال مماثلة ... » اهـ

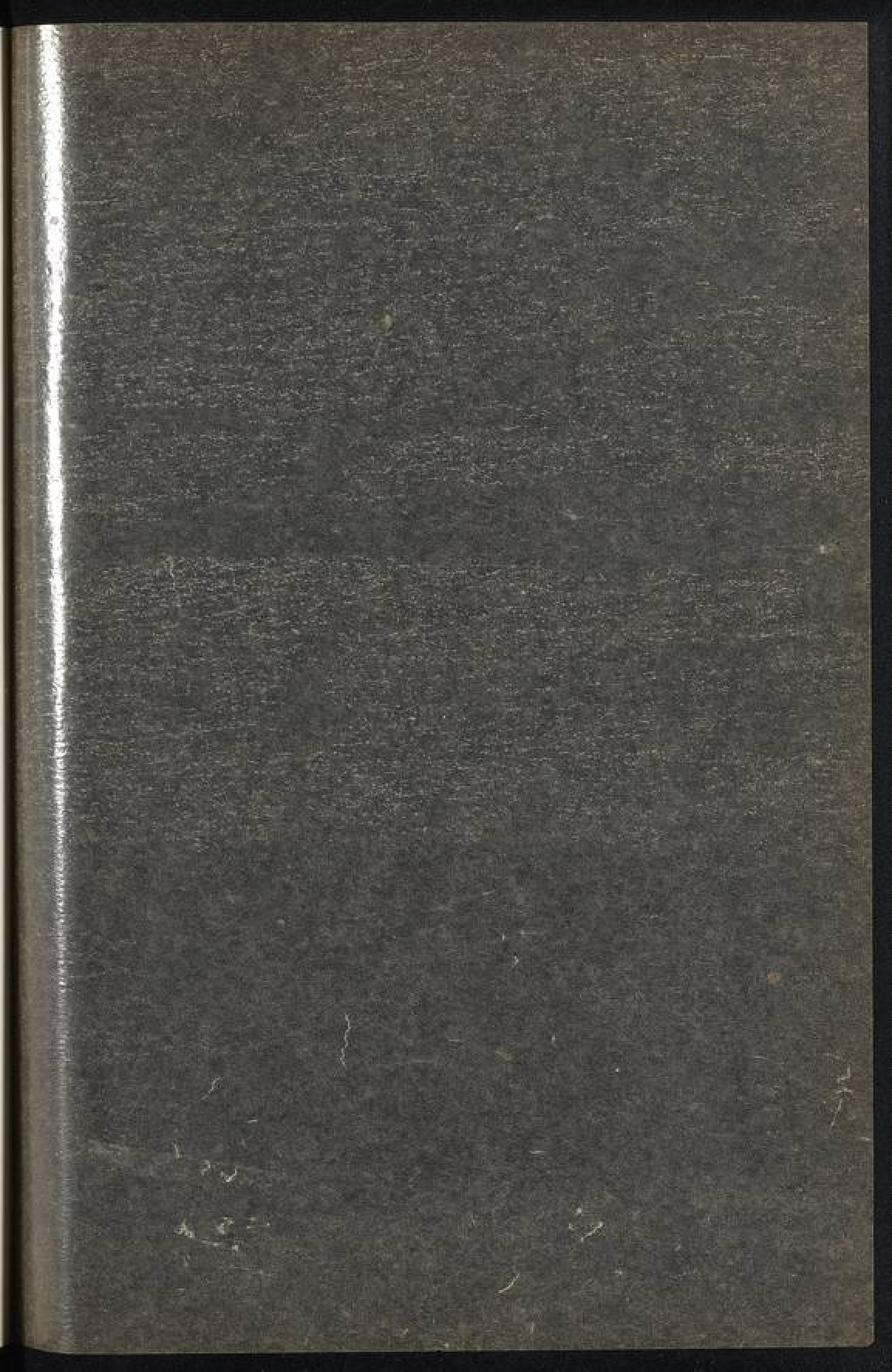
وهكذا تمر الايام والتاريخ يسجل .

الحواشي

(١) كان اسمه بطرس قبل ترهبه في الرهبانية الكرملية وهو ابن ميكائيل الذي اشتهر بميكائيل المارني بعد استيطانه بغداد وهو من بيت عواد اللبنانيين البحر صافيين (٢) ابن فهد باشا ابن علي بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع والد مغامس (٣) *Settlement of the Carmelites in Mesopotamia*..
Pub . by Sir Hermam Collancz, Oxford 1927

(٤) هو بيتر (بطرس) مكاره *Peter Makkar* (٥) اي الشركة التجارية (٦) وفي غير هذا الموضوع قال « الشيخ عبداللطيف » فهل هو من بيت الشيخ عبدالسلام الشهير المعروف اليوم ببيت باش‌اعيان . وقد ذكر السجل الامير طه (*Taa*)





locus sigilli

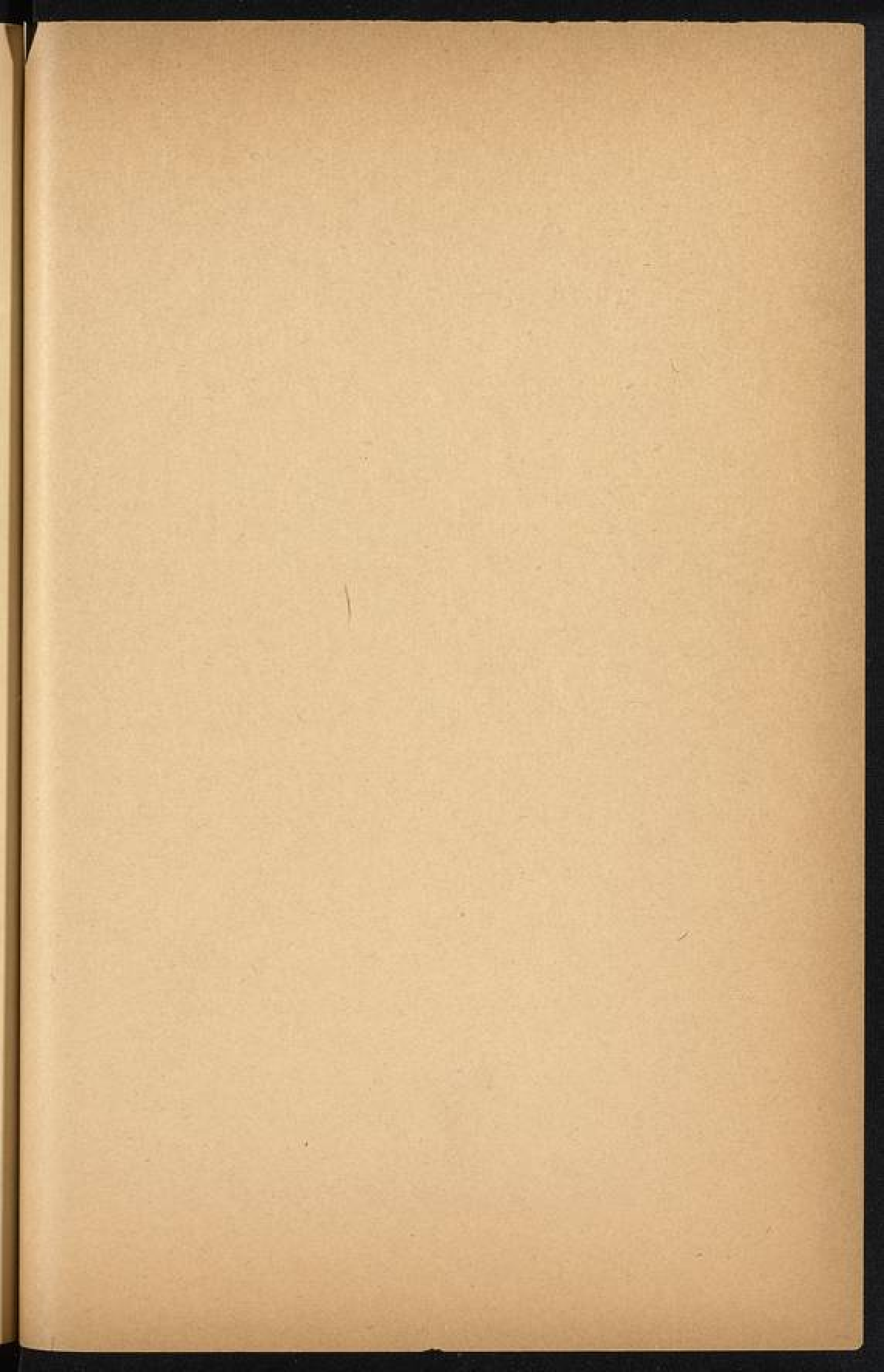
توكلت على الله

نعلمون به الواقفين على كتابنا هذا من كافة خدامنا
وعمالنا وطباطنا بانا اعطينا حامل الورقة البادري حنا على موجب
مابيده من فرمانات اولياء الدولة القاهرة ومن اوامر الوزرا
العظام والامرا الكرام ولكم منا فوق زيادة الحشمة والرعاية
وقد اسقطنا عن خدامه وترجمانه الجزية والخراج وكتبنا له هذا
الكتاب سندًا بيده يتمسك به لدى الحاجة اليه وعلى
كتابنا هذا غاية الاعتماد والله تعالى شانه ولي العباد
وبه نقا حرر في ثاني وعشرين من شهر رجب الفرد
سنة سبعة عشر ومايه والف
سنة ١١١٧

الفقير
مغامس
ال مانع

كتاب مغامس المانع الى الأب حنا الكرملي
نقلا عن سجل الآباء الكرمليين

ازاء الصفحة ٢٠٤



فهل هو الذى ذكرته بين افراد هذا البيت حاشية « زاد المسافر » (الص ٣١) .
وممن ورد ذكرهم فى السجل عيسى غنيمة وهو من جدود صاحب المعالى يوسف افندى غنيمة(٧) ما جاء بين العضادتين للمترجم وقوله بالتركية غلط والصواب بالعربية وهذا هو نصها (٨) هذا معنى كلام باللاتينية للمدون (٩) ما بين العضادتين فى ورقة الحماية هو من وضعى (١٠) اى الحكومة العثمانية .

الص ٢٢٧ الجزء ٣ من السنة ٧ = آذار ١٩٢٩

جامع قمرية والمدرسة العصمية

بحث كتاب مساجد بغداد وآثارها (المطبوع) عن هذا الجامع القديم وعن المدرسة العصمية الواقعين فى الجانب الغربى أى جانب الكرخ مع ذكر تاريخهما فعن لى أن أزيد على ذلك ما وقفت عليه من أمرهما ٠ وقمرية علم لاسم الانثى من القمرى والناس يسمون الجامع غلطا جامع القمرية (بفتح القاف والميم) كأنه أنشىء فى موضع كان فيه قمرية (بفتح الاولين أو كأن قمرية (كذلك بفتح الاولين) كانت فيه ٠ والقمرية من الالفاظ العامية الحديثة فى العراق ويراد بها الظلة أو العريش أى ما يقوم من العيدان التى تلتف عليها أغصان الكرم أو ما ضاهاه من الاشجار ٠ وكتاب المساجد صدر البحث بقوله : « جامع القمرية » وزاد على ذلك ان نبه فى الحاشية على ضبط الكلمة بأنها (بفتح القاف والميم) مع انه نقل عن تاج العروس انه جامع قمرية (بالضم ثم بالسكون) ٠ وممن ضبط هذا الاسم ايضا على هذه الصورة الاخيرة الشيخ عبدالله السويدى(١) فى رحلته كما سيجىء ٠

قال كتاب مساجد بغداد (الص ١١٤) ما يلى :

« وقال بعض المؤرخين : ان هذا المسجد من أبنية الناصر لدين‌الله الخليفة العباسى ٠ والوضع والبناء يشهدان له بذلك(٢) ٠ وقمرية هذه لعلها من أهل بيته أو احدى حظاياه من الجوارى والله أعلم ٠ » اهـ

فيستشف من هذا الكلام ارتياب الا أن ما يأتى يزيل كل شك عن زمن احداث المسجد فى سابق العهد ٠ وما أسند الى بعض المؤرخين صحيح لا ريب فيه فانه مؤيد بكلام المخطوط الذى عرفته بالحوادث الجامعة لابن الفوطى ٠ ولم يدخل ألـ التعريف على قمرية ٠ وهو ممن عاشوا فى القرن الذى بنى فيه المسجد ٠ فقد جاء فيه قوله فى أخبار سنة ٦٧٦ (١٢٧٧) :

« وفيها توفى الشيخ مجد الدين عبدالصمد المقرىء امام مسجد قمرية ٠ وكان زاهدا ورعا يقرىء الايتام بمسجد قمرية ويصلى اماما من حيث فتح(٣) ٠٠٠ وكان مولده سنة ٥٩٣ (١١٩٦) » اهـ

واذ كانت خلافة الناصر قد ابتدأت فى سنة ٥٧٥ (١١٧٩) وامتدت الى سنة ٦٢٢ (١٢٢٥) وكانت ولادة مجد الدين فى سنة ٥٩٣ وكان يصلى فى هذا الجامع اماما من حيث انه فتح على ما رأينا فلا بد من ان بناء الجامع كان فى أيام الناصر ولا بد من أن اتمامه لم يكن قبل سنة ٦١٣ (١٢١٦) ليتسنى أن يكون لمجد الدين عشرون عاما من العمر عند فتحه حتى يولى الامامة اذ من البعيد – على ما أظن – ان تولى الامامة رجلا قبل أن يبلغ هذه السن على أقل تقـــدير .

وكان الشيخ مجد الدين عبدالصمـــد ابنا لابى الجيش فقد جاء فى الحوادث الجامعة فى أخبار سنة ٦٥٢ (١٢٥٤) ان « الخليفة أمر بوقفية دار سوسيان وما يجرى معها من الحجر والبساتين وجعلت رباطا للصوفية ورتب الشيخ عبدالصمد بن أبى الجيش امام مسجد قمرية شيخا للصوفية بها . وجعل ولده موضعه فى مسجد قمرية » اهـ .

الطوارىء على الجامع

ويذكر الحوادث الجامعة غرق بغداد فى سنة ٦٥٣ (١٢٥٥) ومما قاله « وتهدمت الجوامع والمساجد كجامع المنصور ... وبعض مسجد قمرية ... » وتلا هذا الغرق غرق آخر فى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦) وقد أصاب مسناة الجامع دمار عرفنا به هذا الكتاب نفسه . قال : « وسقط نصف مسناة مسجد قمرية فعمل له سكر من خشب وطرفاء فما زال على ذلك الى أن عمره الصاحب علاء الملك الجوينى سنة سبع وستين وستمائة » اهـ . وقال فى حوادث سنة ٦٦٨ (١٢٦٩) : « ثم أمر (علاء الدين صاحب الديوان وهو الجوينى) بعمـارة مسجد قمرية بالجانب الغربى . وكان قد خربت فى زمن الخليفة المستعصم عند زيادة دجلة وغرق بغداد وعمل موضعها سكرا من الخشب وبقى الى الآن فتقدم بتجديده وعمله كما كان أولا . » اهـ .

وذكر كتاب المساجد انه « جرت على المسجد عمارات كثيرة من ذلك عمارة السيدة عائشة بنت احمد باشا والى بغداد سنة ١١٦٣ (١٧١٩) وكانت زوج محمد باشا(٤) الذى كان واليا على بغداد سنة ١١٧٧ (١٧٦٣) كما دل على ذلك مضمون الابيات المحررة على باب المصلى . ثم اختل البناء ... سنة

١٢٣٠ (١٨١٤) فتداركه سعيد باشا والى بغداد يومئذ فأعاد عمارته الى أحسن ما كانت عليه ... » اه

وقد وقفت فى كلشن خلفا على احدى تلك العمارات التى أشير اليها ولم يذكرها . قال كلشن فى بحثه عن دلى حسين باشا الذى كان واليا فى بغداد خلال بضعة أشهر من سنة ١٠٥٤ (١٦٤٤) ما تعريبه ملخصا :

« كان الجامع المعروف بجامع قمرية (بدون ألـ) المقابل للسراى (دار الحكومة وهى لا تزال كذلك الى الآن) والمزين لشط دجلة قد خرب فى أيام الفتن فشيد أركانه (دلى حسين باشا) وعمر قبابه . وحينما أتمه عين له خطيبا واماما وخداما على أن تعطى رواتبهم من الخزنة العامرة اذ ليس لهذا الجامع وقف خاص به . والآثار الخيرية لهذا الوالى لا تزال باقية الى هذا اليوم » اه . وكانت وفاة صاحب كلشن فى العقد الرابع من القرن الثانى عشر للهجرة .

فمما مر بنا يتضح ان الجامع اسمه « جامع قمرية » وان احداثه واتمامه كان فى عهد الناصر فى احدى السنين الواقعة بين سنة ٦١٣ وسنة ٦٢٢ وان أول من جدده فشيد أركانه بعد خرابه هو دلى حسين باشا الذى كان واليا على بغداد فى سنة ١٠٥٤ هذا الم يكن قد سبق هذا الخراب خراب غيره فعمارة فخراب .

وأما نسبته الى قمرية التى قال عنها كتاب المساجد لعلها من بيت الخليفة الناصر لدين الله أو احدى حظاياه ففى ذلك نظر . والشك الذى داخله يداخلنى اذ ان عيون الانباء لابن أبى اصيبعة (١ : ٣٢٧) تروى ترجمة أبى منصور الحسن بن نوح القمرى مؤلف كتاب الغنى والمنى فى الطب(٥) وفيها ان ابن سينا (وفاته سنة ٤٤٨ هـ ١٠٥٦ م) عاصر القمرى أفكان فى موضع هذا الجامع أو بقربه ما كان يسمى قمرية قبل احداثه ؟ وهل كان هذا الطبيب منسوبا الى هذا الموضع وان ظهر فى بلاد العجم ؟ ان الانساب للسمعانى ومقدمة الخطيب البغدادى ومناقب بغداد لابن الجوزى لم تذكر موضعا فى بغداد بهذا الاسم(*)

(*) ثم وقفت فى حاشية المصور الذى فى خزانة الاوقاف على ان هذا الجامع هو القمرية كما سنرى

ولو لم يكن كتاب الحوادث ناقصا فى أوله لوقفنا فيه على حقيقة تتطلبها ان صح ظنى • ومن الغريب ان مناقب بغداد لم يذكر هذا المسجد مع ان مؤلفه كان عائشا فى منتصف القرن السابع للهجرة أى بعد بناء المسجد ببضعة عقود من السنين •

الوالى احمد باشا

وهنا معرض للكلام على أن هذا الوالى ـ وهو ابن حسن باشا والى بغداد أيضا ـ كان قد توفى قبل سنة ١١٦٣ وقد ذكر كتاب المساجد انه كان فيها واليا على بغداد فانى وجدت دوحة الوزراء وسجل عثمانى ومختصر حديقة الزوراء(٦) متفقة على ان وفاته كانت سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) وقد رثاه الشيخ عبدالرحمن السويدى بقصيدة جاء منها فى المختصر هذان البيتان وفيهما التاريخ :

فما صار حقا الى حفرة
ولا حل فيها ولا اقبرا
ولكنه منذ تاريخه
الى رحمة الله قد صيرا(٧) (١١٦٠)

وفى المختصر ايضا ان الشيخ محمد سعيد السويدى أخا مؤلف الحديقة رثى كذلك احمد باشا بقصيدة جاء فى آخرها تاريخ الوفاة :

فعليه رحمة ربه تتلى الى
وقت النشور وبعد يوم الحشر
ولدى الجزاء من الكريم مؤرخا
مأواه عدن لاحقا بالخير (١١٦٠)

فلا بد ان الخبر الصحيح عن تاريخ وفاة احمد باشا هو ما وجدته فى المصادر التى أوردتها وفى غيرها كمخطوط صغير بالتركية فى تاريخ بغداد عن بضع سنين وهو عندى فلم يكن اذن احمد باشا حيا فى سنة ١١٦٣ •

المدرسة العمرية

وذكر كتاب المساجد (ص ١٣٤) هذه المدرسة وقال : « يقال ان عمر باشا احد ولاة بغداد ابتناها لرجل من الافاضل اسمه الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمود من أهل وراء النهر » اهـ •

فالصراحة فى شكه بينة فى هذا الكلام ولكن كلشن يوقفنا على جلى الامر فانه قال عن منشئها ما تعريبه :

« وأنشأ عمر باشا مدرسة منظرها كالجنة بقرب جامع الانوار « المسمى جامع » قمرية مع غرف لطيفة وعين لها مدرسا ومحدثا وطلابا وبين رواتبهم ووقف عليها بعض الاوقاف فارخ ذلك كاتب ديوانه المرحوم طيبى(٨) (وهنا بيت بالتركية » اه . وكانت ولاية عمر باشا على بغداد من سنة ١٠٨٨ الى سنة ١٠٩٢ (١٦٧٧ - ١٦٨١) .

أما النفحة المسكية فى الرحلة المكية للشيخ عبدالله السويدى ففيها (ص ٤ - ٥ من مخطوطى) فى ترجمة المؤلف لنفسه ان الذى بنيت له المدرسة هو الشيخ حسين نوح وهذا ما فى الرحلة :

« ... فبعد مجيئه (مجىء عمنا أخى أبينا لامه الشيخ احمد بن سويد وكان مجيئه من القسطنطنية فى سنة ١١٠٩ أو بعيدها بوقت وجيز) بثلاثة (سها الناسخ هنا أن يقول أيام أو أسابيع أو أشهر) الى الكتاب والشيخ فيه اذ ذاك شيخنا الصالح الورع التقى العالم العامل الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ محمود من أهل وراء النهر فختمنا عنده القرآن وأقرأنا رسالة فى التجويد وتعلمنا عنده الكتابة ... » حتى قال : « ثم انه (يعنى عمه المذكور) أرسلنا الى الشيخ حسين نوح المتقدم ذكره لتعلم العلم . وكان شيخنا هذا يدرس بالمدرسة العمرية نسبة الى والى بغداد اذ ذاك عمر باشا رحمه الله تعالى . وهو قد بناها لاجل شيخنا المذكور فهو أول من درس بها التدريس العام . وهذه المدرسة على كتف دجلة فى الجانب الغربى شرقى جامع القمرية بفتح القاف والميم . ملاصقة له . » ثم قال : « وأخذت النحو عن شيخنا الشيخ حسين نوح . وقرأت عليه الاجرومية وشرحها للشيخ خالد الازهرى و... و... » وقد سبق فقال : « حسين نوح المتقدم ذكره » وهذا ما كان قد قاله عنه « انه العالم النحرير ... و... الشيخ حسين نوح الحديثى الحنفى ... ونوح هذا عمه فنسب اليه لانه كفله ورباه فعرف به وكان نوح المذكور من العلماء العاملين والنساك الصالحين » اه .

ويسعنى الآن أن أقول بعد ان أوردت النقول المذكورة ان الذى بنى هذه المدرسة العمرية هو عمر باشا والى بغداد فى زمن ولايته التى كانت من سنة ١٠٨٨ الى سنة ١٠٩٢ وانه بناها للشيخ حسين نوح فكان هذا أول مدرس بها وان الباشا لم يبنها للشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ محمود من أهل وراء النهر •

ومن آل نوح يحيى أفندى بن نوح العراقى الذى سأل عبدالغنى النابلسى فى الدخان فأجابه فى سنة ١١١١ (١٦٩٩) مخطوطات الموصل ص ٣٤ فى مجموعة رسائل تحت رقم ١٣

هذا ما أردت الاتيان به خدمة للتاريخ •

الحواشى

(١) وفاته فى سنة ١١٧٤ (١٧٦٠) (هذه المجلة ٢ « ١٢-١٩١٣ » : ٢٢٣) (٢) سنرى كلامه انه جرى على المسجد عمارات كثيرة وسنرى أيضا ما أنقله ان الجامع كان قد خرب فعمر قبابه دلى حسين باشا فالظاهر ان الوضع والبناء لم يبقيا على حالهما • (٣) راجع عن الحوادث الجامعة السنة الخامسة من هذه المجلة (١٩٢٧ - ١٩٢٨) تر نقصان هذا الكتاب من أوله واذا نظرنا الى الخطة التى رسمها المؤلف لكتابه نظن انه قد بحث عن احداث هذا المسجد • ويؤسف على ضياع تاريخ تلك السنين وهى من قسم راجع الى سنة ٦٢٦ فما قبلها الى أول ذلك القرن • (٤) هو زوجها الثانى فقد جاء فى دوحة الوزراء وفى مختصر حديقة الزوراء ان أباها زوجها من أحمد أغا فى سنة ١١٦٠ • وفى رحلة نيبهر (٢ : ٢٦٢) ان عمر باشا هو زوجها الثانى بعد مقتل الاول وصاحب الرحلة يثنى على أخلاقها التى حببتها الى الاهلين خلافا لاخلاق أختها عادلة خانم (٥) ذكرت مخطوطات الموصل نسختين من كتاب « طب القمرى » وفى المتحفة البريطانية ثلاث نسخ أقدمها كتابة تلك التى نسخت فى سنة ٦٧٨ هـ وفهرست المتحفة يضبط القمرى بالحروف الافرنجية بضم القاف وسكون الميم • (٦) حديقة الزوراء هى للشيخ عبدالرحمن السويدى المتوفى فى سنة

١٢٠٠ (١٧٨٥) والمختصر لمعاصرنا الاديب سليمان الدخيل وقد اختصرها عن نسخة كان وجدها فى خزانة « حكمت‌الله » فى المدينــة • (٧) عدتاء رحمــة طويلة (٨) هو طيبى محمــد جلبى له ديوان وكانت وفاته فى ســنة ١٠٩٠ (١٦٧٩) (عن سجل عثمانى) •

اليزيدية

اذا طرق العلامة احمد تيمور باشا موضوعا تاريخيا لا يكتفى بما يسهل الحصول عليه من المصادر بل يرجع الى ما هو عزيز المنال مما فى خزانته العامرة الشيء الوافر . ثم يشبع البحث تدقيقا وتمحيصا ويوفيه حقه . ومما نشرته له أخيرا المطبعة السلفية بمصر رسالة فى « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » جمع فيها المؤلف شوارد عنهم لا يأتى بها الا من تجشم عرق القربة فأبان انهم كانوا فى مبدأ أمرهم مسلمين من الصوفية يسمون عدوية ثم ضلوا عن الاسلام .

واذا كان من الاخبار ما هو فى مواطن قد لا تظن فيها أو لا تصل اليها اليد أو غير ذلك فالعالم المتروى لا يرى انه قد استقصى كل نبأ فيديم النشدة والتطلب . ولا شك ان سعادة الباشا فى طليعة هذه الطبقة الفاضلة . وكفانا شاهدا رغبته فى الاستمرار على التنقيب اذ يقول فى رسالته (ص ٤٣) : « ولعل موالاة البحث تكشف عنها (عن تسمية العدوية باليزيدية) فيما بعد » ا هـ .

ومما ذكرته الرسالة (ص ٤٣) قوله : « أما تسميتها (تسمية العدويه) بعد ذلك باليزيدية فلم نقف على زمنها والظاهر انها حدثت فى القرون الاخيرة ... » ا هـ .

وذكرت الرسالة ايضا شرف‌الدين محمد (ص ٢٢) وقالت عنه : « ولم نعلم من خبره الا ما رواه ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول فقد ذكره عرضا باسم شرف‌الدين محمد ابن الشيخ عدى فى حوادث سنة ٦٥٥ » ا هـ . (١٢٥٧ م) ورجحت انه شرف‌الدين محمد الذى جاء اسمه فى نسب زين‌الدين يوسف دفين مصر .

وقبل الشروع فى الموضوع أستأذن سعادته فى الرد على قوله (الص ٤) بوجود طائفة من اليزيدية فى نواحى بغداد فانهم ليسوا فيها ويبتدىء وجودهم فى شمال الموصل ثم أتصدى لتحديد قوله : « القرون الاخيرة » التى أطلقت بدون تقييد فأبدى ان تسميتهم باليزيدية كانت معروفة فى الربع الاول من

القرن العاشر للهجرة بل على الظاهر فى النصف الاول من القرن التاسع على أقل تقدير • وأبين ان لشرف‌الدين محمد ذكرا غير ما ذكره فى تاريخ ابن العبرى وفى غير نسب زين‌الدين يوسف • ومع هذا لا يبعد من أن الذكر الذى أريد ايراده أن يكون مصدره ابن العبرى وعلى كل حال فايراده لا يخلو من الفائدة •

وبعد البحث عن اسم اليزيدية وعن شرف‌الدين محمد سأخرج عن الخطة المرسومة فى الرسالة قليلا متوخيا بعض الزيادة فى النفع على فرض الحصول عليه فى ما أكتبه •

ومما ساقنى الى هذا البحث مقالتان لاديبين فاضلين : مقالة السهروردى ومقالة الدملوجى اللتان نشرتا فى الاشهر القريبة فى جريدة « العراق » ومقالة الفاضل الاديب الحسنى تلك المقالة التى جاءت فى اثرهما وقد نشرها فى مجلة المرشد (البغدادية) ثم أبرزها فى كراسة وكتب منها نبذا فى مجلة الهلال مع تصاوير • وكثيرا ما استقى بعض هؤلاء الافاضل عن أصل اليزيدية من كراسة سعادة الباشا •

اسم اليزيدية فى النصف الاول من القرن التاسع للهجرة

ان بضاعتى بشأن تسمية هذه النحلة فى الربع الاول من القرن العاشر للهجرة بل فى النصف الاول من القرن التاسع هى استشهادى ثلاثة مصادر منابعها مختلفة أولها دور الجبب(١) وثانيها « شرفنامه(٢) » وثالثها صورة مخطوط بالارامية لراميشوع الراهب نشره المستشرق نو(٣) (بفتح النون) ونشرت بعضه وطبعته وضيعة دار السلام •

قال الاستاذ الطباخ فى تاريخه أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (٥ : ٥٢٥) نقلا عن درر الحبب للرضى الحنبلى (الطباخ ٥ : ٣٥٥ ح) وهو من رجال منتصف ذلك القرن العاشر •

عز الدين بن يوسف الكردى المتوفى سنة ٩٤٨

« عز الدين بن يوسف الكردى العدوى أمير لواء حلب فى آخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة العثمانية ـ كان من طائفة ينتسبون الى الشيخ عدى

ابن مسافر رضى الله عنه • ويعرفون ببيت الشيخ مند ـ الذى كان يأتيـه من لدغته الحية فيعطيه من خبز رقى عليه ونفث فيه فيأكله فيبرأ باذن الله تعالى • وكان الامير عز الدين شهيرا بهذه الخاصية بين الاكراد مع ادمانه على شرب الخمر وقتل النفوس سياسة وكان لهم غلو زائد فيه حتى كانوا يلقبونه بالشيخ عز الدين • وربما قيـل للواحـد منهم : أنت من أكراد ربنا أو من أكراد عز الدين ؟ فيقول : من أكراد عز الدين وكان شيخا معمرا يصبغ لحيته بالسواد وله شهامة ووصلة أكيدة بخير بك كافل حلب فى آخر الدولة الجركسية •

« وفى أيامه كان صلب الامير حبيب بن عربو تحت قلعة حلب وذلك انه كان بين الامير عز الدين وبين أولاد عربو ـ طائفة معتبرة من أمراء القصير ـ عداوة بينه من جهة الدنيا وكذا من جهة الدين لان بيت عربو كانوا من أهل السـنة والجمـاعة رضى الله عنهم وبيت الشيخ منـد كانوا يزيدية فكان (عز الدين)(٤) يغدر بهم (بيت عربو) حتى سعى فى قتل جماعة منهم كالامير حبيب وكأخيه الامير قاسم • وكان قتله (قتل قاسم) بالباب العالى السليمى عن عرض عرضه احمد باشا المشهور بقراجا (قرهجه = الاسيود) باشا أول من كان باشا بحلب فى الدولة العثمانية السليمية • وذكر فيه انه جمع بين تسع نسوة فى زمن واحد بمكر عز الدين به عنده وهذا الحوض الكبير داخل آغيول (آق يول = الطريق الابيض) من انشاء الامـير عز الدين • وكان يزعم انه عمره من حلال مال والده • توفى الامـير عز الدين سنة ثمـان واربعـين (بعد التسعمائة للهجرة ـ ١٥٤١ م) اهـ •

وقال الطباخ (٦ : ٨٧) ما بعضه :

« جان بلاط بن عربو المتوفى فى أواخر هذا القرن (العاشر) »

« جان بلاط بك ابن الامير قاسم الكردى القصيرى المشهور بابن عربو أمير أكراد حلب • كان منصبه هذا أولا بيد الامير عز الدين ابن الشيخ مند ثم بيد واحد من ذرية الملك خليل ثم كان بيده وذلك انه لما غدر الامير عز الدين بأبيه (بوالد جان بلاط الامير قاسم) عند قراجا باشا أول من كان باشا حلب فى الدولة العثمانية السليمية ـ على ما ذكر فى ترجمة عز الدين ـ رفعه الباشا الى

سجن قلعة حلب ... » حتى قال : « فسفك (جان بلاط) دماء جمع جم من الاكراد اليزيدية من قطاع الطريق اللصوص وجعل لهؤلاء سجنا هو بئر عميقة وأشبعهم بلاء حتى حسم مادة المفسدين منهم ... وتمكن (جان بلاط) من منصب الامير عز الدين عدو أبيه ومن شيعته اليزيدية ودوره التى بناها بكلز (بكلس) وحلب ومن زوجته ... » اهـ .

المصدر الثانى

وثانى المصدرين ـ كما قلت ـ كتاب شرفنامه فانه ذكر الشيخ عز الدين وقال عنه ـ كما قال الرضى الحنبلى ـ انه كان يزيديا . وهذا تعريب ما فى شرفنامة (ص ٢٢٠ ـ ٢٢٣) عن الشيخ عز الدين وبيت مند ببعض التصرف :

فى ذكر حكام كلس (اوكلز)

غير خفى على ذوى الفطنة الواقفين على السلالة الهاشمية ان سلسلة حكام كلس ـ على ما يزعمون ـ تنتهى بأحد أولاد العباس رضى الله عنه . ويروون رواية صحيحة انهم هم وحكام حكارى (هكارى) وحكام العمادية أبناء عم بعضهم لبعض . ويقولون فى هذا الصدد ان شمس‌الدين وبهاءالدين ومنتشا هم اخوة ثلاثة وان حكام حكارى ـ وهم من نسل شمس‌الدين ـ يسمون باصطلاح الاكراد « شمو » وحكام العمادية « بهدين » وهم من نسل بهاءالدين وحكام كلس « مندا » وهم من نسل منتشا .

وعلى كل تقدير فقد اجتمع فى بادىء أمر مند تحت لوائه جماعة من طائفة الاكراد فذهب الى جهة مصر والشام واختار هناك ملازمة السلاطين الايوبية فعين للواء مند هؤلاء السلاطين العادلون ناحية القصير القريبة من ولاية انطاكية فأضحت مشتى لاتباع مند وانضم الى لوائه جماعة اليزيدية من الاكراد المتوطنين هذه الديار .

وكانت تظهر فى مند يوما فيوما آثار المقدرة والسداد وتتزايد فيه علامة الشهامة والرشاد فقصده أكراد (حوم) و(كلس) جميعهم وشملته عناية السلاطين الايوبية وكفلت آماله وافتخرت به امارات أكراد الشام وحلب وامتدت يده فى القبض والبسط والرتق والفتق فظهرت حكومة هذه الجماعة قوية فرفعت « مند » الى مرتبة عالية ممتازة بين الاقران .

وفى أول الامر نازع مند على سرير حكومة الاكراد بعض شيوخ اليزيدية الساكنين ما بين حماة ومرعش • فكان يقع بعض الاحيان جدال بسبب الحرب والقتال • وفى آخر الامر أطاع هؤلاء « مند » وانقادوا اليه نقهره وتعنيفه اياهم ولطفه بهم واحسانه عليهم فأدخل جميع أكراد هذه الديار رقابهم فى رباق طاعة مند •

وحينما توفى مند تصدى لامر الحكم ابنه عرب بك ولما توفى هذا قام مقامه ابنه جمال بك ثم خلفه احمد بك وفى عهد حكومته طوت يد القضاء بساط حكومة آل أيوب وانتقلت دولتهم الى الغلمان الجراكسة الذين لم يعطلهم احمد بك حتى وفاته • وكان لاحمد بك عند وفاته ابنان هما : حبيب بك وقاسم بك فقام حبيب بك مقام أبيه فاستمالته السلاطين الجراكسة بالخدمة فدعوه الى حلب وقتلوه •

ثم ضبط وحكم قاسم بك الاكراد بحسب الارث وبمقدرته الا ان السلاطين الجراكسة فوضوا حكومة الاكراد الى المدعو عز الدين من أولاد شيوخ اليزيدية فتبعه بعض هؤلاء • ووجه شهريار بك رمضانلو(٥) قائدا ومعه متجندة حلب لدفع قاسم بك فتحصن هذا وعشائره وقبائله فى جبل صهيون • وارسل من جهة أخرى السلطان غورى ابن اخته مع جمع غفير من متجندة حلب لمقاتلة قاسم بك الذى قابلهم عدة دفعات وفى كل منها كانت الخيبة تصيب جنود الجراكسة •

وحينما عزم السلطان سليم خان على تسخير عربستان(٦) وولاية مصر والشام ودفع الجراكسة وعطف عنان سفره الى هذه الجهات • سار اذ ذاك قاسم بك وخيرى بك الجركسى الى تقديم طاعتهما الى السلطان وفازا بشرف المثول بين يديه وبعد ان فتح السلطان ديار مصر والشام وحلب توجه قاسم بك الى الاستانة مع ابنه جان فولاد البالغ من العمر اثنتى عشرة سنة مع الركاب الملكى المظفر •

أما الشيخ عز الدين اليزيدى فانه بادر للحضور لخدمة قراجه باشا مير ميران حلب وباغواء بعض المفسدين وبكلماته ذات الاغراض أبان للباشا خيانة قاسم بك وعصيانه فعرف الباشا بعض ملازمى سرير الخلافة بالخبر مبالغا فيه •

بقتل قاسم بك ونفذ الامر فورا وجعل ابنه جان فولاد فى السراى العامر مع من ذلك قوله : ان عودة قاسم بك الى حلب تبعث الفساد فأصدر السلطان أمره غلمان الخزينة وكفلت بتربيته وحفظه • وفوضت امارة الاكراد الى الشيخ عز الدين اعتمادا على طلب قراجه باشا من ديوان السلطان سليم خان(٧) ا هـ •

وللبزيدية ذكر ايضا فى هذا المجلد من شرفنامة فى الصحائف الآتية : ١٤ و١١٧ و٣٠٦ و٣١٠ و٢٧٤ و٢٦٦/٦٧

المصدر الثالث

هو مستند بالارامية نشرته بحروفه مجموعة نو وقد أخبرنا فيه انه منقول عن أصل قديم كان قد وضعه كاتبه فى سنة ١٤٥٢ م (٨٥٥ هـ) • وهذا تعريف الجزء من هذا المستند عن الترجمة الفرنسية حيث ذكر اليزيدية • وانى لاكتفى بهذا القسم دون غيره واليك المطلوب :

« وكان اسم الوالد الطبيعى لعادى(٨) مسافر بن احمد وهو من الاكراد التيراهيــة (*Tairahites*) الذى كانوا يقضون اعتياديا فصل الصيف فى زوزان وينزلون منه شتاء الى ضواحى الموصل • وكان فى ذلك العهد عشيرة اليزيدية جدوده (جدود عادى) سكنة زوزان ـ تتبع أقارب عادى فى ذهابهم الى جبال زوزان وايابهم منها وكان النظر اليهم كخدمة لهذه الاسرة الكبيرة •

وحينما كان يرجع اليزيدية من زوزان فى أول تشرين الثانى كانوا فى طريقهم يجتازون بعادى ابن أميرهم ومعهم هدايا وعطايا ثمينة فكان عادى يكافئهم عنها بالضيافة من مأكول ومشروب مع أفراح على ضروب كثيرة • وكان هؤلاء يحبون الشرب (أى الخمر) وكان عددهم ٦٥٠ بيتا (اسرة) • أما رجال عادى الذين كانوا مسلمين وهم أكراد تيراهية فكان عدد خيامهم (اسرهم) يتجاوز الالف » ا هـ •

وكانت قد جاءتنا وضيعة دار السلام (٣ « ١٩٢٠ » ٣٢١) التى كانت تصدر فى مدينتنا دار السلام بأن عند القس ماروثا مخطوطا نفيسا قديما باللغة الارامية مقطوعا من كتاب كبير ترجمه لها القس الى الفرنسية فعربته للقراء وهو القسم الاعظم لما نشره نو وفيه نقص فى الوسط • وقد وجدت باستعانة من يعرف الارامية ان ترجمة نو مقاربة كل المقاربة للاصل الارامى الا قوله

« الوالد الطبيعي » فان كلمة « طبيعي » ليست في الاصل أما الترجمة الفرنسية التي عربتها دار السلام فالظاهر فيها ان للمترجم الى الفرنسية غلطات واضحة من ذلك انه قال : « مسافر من اولاد اومية (وفي الاصل من بني اومية)(٩) » وقال « قبيلة زدنايا » • وبين انه كان في نصه كلمتا « اومئة » و « يزيد نايا » (والالف الاخيرة بالامالة) ـ وهما في نص نو ـ فقرأهما « اومية » و « زدنايا » واعتبر » اومئة » علما مع انها نكرة ومعناها « امة » وقد ترجمت في مجموعة نو بكلمة *Tribu* أي عشيرة • وحذف مترجم دار السلام الياء الاولى من « يزيد نايا » (أي اليزيديين بالنسبة والجمع) فقال « زدنايا » •

والذي أوجب هذا التنبيه على ما في دار السلام هو ملاحظتي انه قد يصعب على بعض الكتاب الوقوف على ما نشره نو فيرجع الى دار السلام ويبني كلامه على ترجمة القس ماروثا فيزيد الاشكال في معرفة الحقائق •

والفرصة سانحة لان أذكر ان كتاب مخطوطات الموصل للاديب البارع الدكتور داود الجلبي عرفنا (في الص ٢٦٤) « بفتوى بالتركية وترجمتها بالعربية في تحليل قتل اليزيدية أصدرها أبو السعود بأمر السلطان سليمان » • وكانت وفاة السلطان في سنة ٩٧٤ هـ (١٥٩٦ م) وفيه (الص ١٣٩) ذكر كتاب يبحث عن اليزيدية لاحمد افندي الخياط من رجال الثلث الاخير من القرن الثالث عشر للهجرة •(١٠) وفيه ايضا (ص ٢٧٤) ان في مجموعة من المجاميع رسالة في بيان مذهب الطائفة اليزيدية وحكم أموالهم للشيخ حسن الشفكي الموصلي •

شرف الدين محمد في مستند قديم

واذ انتهيت من الكلام عن تسمية اليزيدية وجب علي أن أبين ان لشرف الدين محمد ذكرا في غير تاريخ ابن العبري وفي غير نسب زين‌الدين يوسف دفين مصر فهو مذكور في المستند الذي نشره نو ودار السلام • ومما رواه هذا المستند ان شرف‌الدين محمدا هو ابن لعدي بن مسافر وذكره منتصرا لعز‌الدين صاحب ايقونية(١١) كما قال ابن العبري ولعل ذلك منقول عن ابن العبري نفسه مع الحاق المستند بنوة عدي بمسافر • ثم ذكر مستندنا قتلة شرف‌الدين محمد في موضع اسمه « قماح »(١٢) *Kammah* واذ كانت

كتابة المستند المنوه به فى سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥٢ م) كانت تلك الكتابة بعد وفاة عدى بن مسافر بثلاثة قرون فجاء واضعها يخبط خبط عشواء من تقديم وتأخير وغير ذلك ما شوه تاريخ وقائع لا جدال فيها • ومن تلك الحوادث انه رأى عدى بن مسافر وشرف الدين محمد معاصرين لعز الدين صاحب ايقونية فى حادثة وقعت يوم ذاك • وكانت هذه الحادثة فى سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) على ما أطلعنا عليه ابن العبرى • واذ كان قد مر عامئذ على وفاة عدى بن مسافر قرن كامل فمن البعيد أن يكون « شرف الدين محمد » ابنا صلبيا لعدى بن مسافر فضلا عن ان عديا هذا لم يكن له ابن فشرف الدين محمد المذكور فى ابن العبرى وفى المستند يوافق عصره عصر شرف الدين محمد بن شمس الدين حسن بن شرف الدين عدى ابن أبى البركات الخ الذى ذكرته الرسالة (ص ٢٣و٣٢) فى نسب زين الدين يوسف دفين مصر فى عام ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م)• ولقد أحسن سعادة الباشا بأن رجح ان شرف الدين محمد المنوه به فى ابن العبرى هو الذى ورد اسمه فى نسب زين الدين • وعندى على ذلك دليل آخر سيأتى •

ولى كلمة حول شرف الدين عدى أنقلها من تاريخ الموصل للقس الفاضل سليمان صائغ (١ : ٣٠٠) تلخيصا عن قلائد الجواهر للشيخ محمد الحنبلى قال القس :

« بعد وفاة الشيخ عدى بن مسافر الاموى خلفه ابن أخيه الشيخ أبو البركات بن صخر بن مسافر الاموى • وكان هذا الرجل أيضا من المشايخ الكمل العظام وصحب عمه واستفاد من يمن أنفاسه • وخلفه بعده ولده أبو المفاخر عدى بن أبى البركات بن صخر بن مسافر الاموى الشامى الاصل الهكارى المولد والدار • وكان له اعتبار وقدر زائد » ا هـ •

واذ قد رأينا هنا أبا المفاخر عديا فلا يبعد أن ابن العبرى عند كلامه عن شرف الدين محمد ابن الشيخ عدى أراد بابن الشيخ عدى ـ ولم يقل ابن الشيخ عدى بن مسافر ـ ابن أبى المفاخر عدى وهو شرف الدين عدى الوارد اسمه فى ترجمة ابنه الحسن (شمس الدين) فى ابن شاكر (الرسالة ص ١٨) وفى كلام السخاوى عن زين الدين (الرسالة ص ٢٤) • وهذا هو الدليل

الثانى الذى أشرت اليه فى ما تقدم • وقد لا يدحض دليلى بالقول ان شرف الدين محمدا كان ابنا لشمس الدين حسن فلم يكن ابنا صلبيا لابى المفاخر شرف الدين عدي بل حفيدا له فقد يجوز ان الحفيد اشتهر ببنوته لجده دون أبيه • ويجوز ايضا انه تغلبت على شرف الدين محمد البنوة لعدى بن مسافر لصلته به قرابة وطريقة فاطلق عليه ابن العبرى شرف الدين محمد ابن الشيخ عدى من باب التوسع وكل حفيد هو ابن •

النتيجـــة

يبين مما مررنا به عن هذه النحلة التى قيل عنها فى الرسالة (الص ٤٣) انها سميت على الظاهر يزيدية فى القرون الاخيرة انها كانت تسمى بهذا الاسم فى عهد السلطان سليم الاول وهو المتوفى فى سنة ٩٢٦ ﻫ (١٥١٩ م) فاننا رأينا فى الطباخ فى عصر هذا السلطان ان عز الدين بن يوسف الكردى العدوى كان يزيديا بل كان اسم اليزيدية شائعا على أقل تقدير فى سنة ٨٥٠ ﻫ (١٤٤٦ م) اذا صح ترجيحى ان حبيب بن عربو المذكور فى الطباخ هو حبيب بك ابن جمال بك بن عرب بك (وعلى لهجة الاكراد عربو) ابن مند وعندئذ يكون مند من رجال النصف الاول من القرن التاسع وقد رأينا ايضا فى شرفنامه ان اسم اليزيدية كان معروفا فى أيام مند • وفضلا عن ذلك ان المستند الارامى ـ على فرض صحـة كتابته فى سـنة ٨٥٥ يسـميهم « يزيدنايا » (بالامالة (اليزيديين بالنسبة والجمع) ـ حتى انه يرقى هذا الاسم الى زمن عدى بن مسافر وهو الامر الذى لا يمكن التسليم به لمجرد قوله لبعده عن زمن عـدى بن مسافر •

هذا ما كان من أمر تسمية اليزيدية أما ذكر شرف الدين محمد الذى لم تقف الرسالة (الص ٢٢) على ترجمة له فى كتب التراجم الا مـا رواه ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول فاننا رأيناه فى المستند الارامى ولعـل هذا المصدر أخذ شيئا عن ابن العبرى •

* * *

مقام الشيخ عادى هو دير يوحنان ويشو عسبران

بعد كلامى عن زمن تسمية اليزيدية وعن شرف الدين محمد يجدر بى أن أنتقل الى مقام « الشيخ عـادى(١٣) » (على ما يلفظ اليوم) الذى هو معبـد

اليزيدية(١٤) ومحجهم الاكبر • فقد جاء عنه في المستند انه كان دير مار يوحنان ومار يشو عسبران ويفهم من المستند انه كان احتلال هذه النحلة له قبل سنة ٦١٩ (١٢٢٢) بثلاث سنوات وان ذلك كان زمن احد الخليفتين العباسيين الظاهر (خلافته ٦٢٢/٢٣=١٢٢٥/٢٦ والمستنصر(١٥) (مبدأ خلافته سنة ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م) ويبين لي ان صاحب المستند لم يكن واقفا على خليفة ذلك الزمن فأدمج في كلامه اسم كل من هذين الخليفتين اللذين كانا قريبين من ذلك العهد (كانت السنون الواقعة بين ٦١٦/١٩ من سني الناصر) أو ان المستند أخطأ في عدد السنين فكانت النتيجة ان الاستيلاء كان في عهد الظاهر أو المستنصر •

ولقد استطرد تاريخ الموصل (١ : ٢٩٥) في بحثه الى هذا الموضوع وحدثنا عنه ومما استند اليه مخطوطة راميشوع ومنظومة لايشو عياب بن المقدم واسترشد هذا التاريخ رأي « نو » (مجموعته الص ٤) المنقول عن فرنك *Frank* القائل لابد من انه كان عديان فجاءنا القس بما لم يعرفه المستشرقان فأوضح ان عديا ـ هو غير عدي بن مسافر بل هو « أبو المفاخر شرف الدين » عدي بن أبي البركات وقال (١ : ٣٠٠) : « فلعل عدي الذي احتل دير يوحنان ويشوعسبران هو عدي أبو البركات (يريد أن يقول : : عدي ابن أبي البركات كما ذكره أيضا) لقربه من التاريخ الذي يعينه صاحب المخطوطة اذا سلمنا بصحة روايتها » اهـ •

وجاء في المستند (نو *Nau* الص ٦٤) ان المغول أخذوا عديا الكردي (شرف الدين عديا) الى مراغة وقضى عليه بالقتل لاستلائه على الدير • أما قلائد الجواهر(١٦) في مناقب الشيخ عبدالقادر (الص ١١٠) فانه يذكر جهله تاريخ وفاته ولعل السبب قتله في بلاد قاصية اذا صح قول المستند •

ولا بد ان يكون عدي هذا هو الذي استولى على الدير ـ على ما ظنه القس ـ وان مر بين الاستيلاء وأخذ عدي الى مراغة نحو اربعين سنة •

وعلى ذكر مراغة أقول : ان لليزيدية في كلامهم عن أخبار عدي ذكرا لهذه المدينة على ما سمعه منهم المسيو سيوفي(١٧) (مجموعة نو الص ٨٠) وان

قالوا عن قطرها غير ما نعرفه عنه . ولعل ذلك أثر طامس لما حكاه المستند عن ايفاد (شرف‌الدين) عادى اليها

* * *

رأينا ان الاستيلاء على الدير كان قبل سنة ٦١٩ بثلاث سنوات أو نحو تلك السنين ونرى هنا ذكر عادى (شرف‌الدين عدى) فى زمن المغول وقد كان بعد أخذ الدير بنحو أربعين سنة وسنرى ما قالته رسالة الباشا (ص ١٨ - ٢٠) نقلا عن ابن شاكر ان شمس‌الدين الحسن قتل فى سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ م) وله من العمر ثلاثة وخمسين عاما فكانت اذن ولادته فى سنة ٥٩١ هـ (١١٩٤ م) فمن المحتمل ان والده شرف‌الدين عديا كان شابا حين ولادة ابنه وانه استولى على الدير وهو كهل وكان شيخا معمرا حين قتل . ويتضح من ذلك كله ان المستولى على الدير هو شرف‌الدين أبو المفاخر عدى بن أبى البركات .

وهنا تعترضنا مسألة عن زمن الاستيلاء على هذا الدير وهذه المسألة هى ان الشيخ عدى بن مسافر كان على ما رواه المؤرخون يسكن « لالش » التى قيل فيها ايضا ليلش وانه دفن فى زاويتها على ما جاء فى قلائد الجواهر (ص ٩٠)

وان المضيق الذى فيه « معبد الشيخ عادى » لا يزال الاكراد واليزيدية يسمونه « مضيق لالش » (تاريخ الموصل ١ : ٣٠١) فيكون قبره فى هذا الموضع اذا كان الموضع زاويته .

وفى رسالة الحسنى (ص ٤٠) ما يأتى : « أما اليزيدية أنفسهم فلا يقولون ان هذا القبر هو قبر الشيخ عدى (ابن مسافر) نفسه لانهم يعتقدون بأنه تصور بعد موته بصورة مباركة عرج على أثرها على السماء ... وانه ظهر بعد ذلك ملك صالح قال لهم : هذا قبره فصاروا يحجون اليه » اهـ . فاذا صح ما نقل الى الحسنى يكون اليزيدية قد لفقوا حكاية العروج ليوجدوا لهم منفذا للتأويل لعدم وجود الرفات فى محله اذ قد ورد عن ذلك (رسالة الباشا ص١٩) نقلا عن جزء مخطوط قديم فى التاريخ (١٨) ان بدر الدين لؤلؤ نبش ضريح الشيخ عدى بن مسافر وحرق عظامه فى سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٢ م) .

وان فرض ان عدى بن مسافر كان مدفونا فى المعبد الذى فى لالش فانه يترتب هذا السؤال : هل تعاقب استيلاءان على الدير فكان أحدهما فى زمن

عدى بن مسافر ثم أعيد الى أصحابه وكان استيلاء آخر فى زمن شرف‌الدين عدى بن أبى البركات ؟ أو ان زاوية عدى بن مسافر كانت فى غير هذا الموضع ـ وقد تصرف فى رفاته على ما رأيناه ـ فجاء شرف‌الدين عدى أو غيره بعده فوضع لاصحابه حكاية الدفن فى هذا الموضع ليزدادوا تمسكا بوضع اليد عليه •

عدى بن مسافر وأبو المفاخر شرف‌الدين عدى بن أبى البركات

من يطالع مستند راميشوع ير ذكر عدى بن مسافر بن احمد من الاكراد المدعوين « تراهايا » وير عديا الكردى فيخيل اليه لاول وهلة انه يريد بهما رجلين الا ان متدبر كلامه يقول انه يقصد بهما رجلا واحدا(١٩) فالمستند مصيب من ناحية ومخطىء من ناحية اخرى • وغلطه هو فى تسميته لعدى ـ الذى أراد به عدى بن مسافر ـ فضلا عن قوله ان مسافرا هو ابن احمد • والحوادث والوقائع التى أوردها تثبت ان زمن عدى الذى تكلم عنه لم يكن زمن عدى بن مسافر • اذن لم يكن من زمن مسافر ولا زمن أبيه بل تدل على انها كانت فى عهد شرف‌الدين عدى بن أبى البركات وهذه بعض البراهين اقتطفها من كلامه ضاربا صفحا عن غيرها :

١ ـ قوله كما رأينا : « اليزيدية جدوده (جدود عادى بن مسافر بن احمد) سكنة زوزان » ولا يذكر التاريخ اسم اليزيدية فى زمن عدى بن مسافر وليس فيه أثر ان جدوده كانوا فى زوزان •

٢ ـ قوله كما سبق : « عادى ابن أميرهم » (أى أمير اليزيدية) وليس فى ترجمة عدى ان أباه مسافرا كان أميرا ولم يكن فى زمنه اسم « اليزيدية » معروفا بالمعنى الخاص بهذه النحلة(٢٠) •

٣ ـ قوله (ص ٥٨) : « ان لعادى ابنين : شرف‌الدين محمد وشمس الدين اللذان تزوجا مثل أبيهما نساء مغوليات تتريات » وحسبنا قول الرسالة (ص ٢٧) عن السخاوى وغيره ان عدى بن مسافر كان أعزب •

٤ ـ ذكره كما رأينا : « عز الدين صاحب ايقونية » وكان من رجال القرن السابع للهجرة على ما ذكره ابن العبرى فلم يكن ذلك الزمن زمن عدى بن مسافر •

٥ – ذكره فى تلك الحوادث (ص ٦٣) « باجونوين » وهو مذكور فى ابن العبرى فى حوادث سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وغيرها بصورة « بايجونوين » وفى الحوادث الجامعة بصورة « بانجو » فى سنة ٦٥٥/٥٦ هـ (١٢٥٧/٥٨ م) وفى مجموعة « نو » (ص ٦٣ ح) انه مذكور ايضا فى التاريخ السريانى لابن العبرى سنة ١٢٥٤ م • واذ كانت الايام التى يعيش فيها تلك التى رأيناها كانت وفاته بعد وفاة عدى بن مسافر بمائة سنة فعدى الذى عاصر بايجونوين هو غير عدى بن مسافر •

٦ – ذكره فى هذه الاخبار (ص ٦٤) « للملك الصالح بن بدر الدين » (بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل) وهو الذى خلف أباه بعد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) فكان ذلك بعد وفاة عدى بن مسافر بقرن الى غير ذلك من الادلة والبراهين التى تؤيد ان عديا الذى تكلم عنه مستندنا فى واقعة استيلاء الدير هو أبو المفاخر شرف‌الدين عدى بن أبى البركات وانه ليس بعدى بن مسافر •

والذى يظهر لى ان قوله « أميرهم » فى جملة « عادى ابن أميرهم » كما مر يجب عزوه الى أبى البركات الذى قال عنه قلائد الجواهر (ص ١٠٩) انه هاجر اليه (أى الى عمه عدى بن مسافر) من البقاع ••• الى أن مات مسنا ودفن عند عمه الشيخ عدى بن مسافر • وقبره بها ظاهر يزار • » اهـ ومن البديهى ان من يخلف الشيخ عديا يكون مسموع الكلمة مطاعا فليس المستند بمغال اذا نعته بأمير • ولم أقف على ذكر قبره فى بحوث الزيدية •

ولا بد ان اسم عدى (شرف‌الدين) بن أبى البركات كان شائعا فى زمن كتابة راميشوع لحكاية الدير وكذلك اسم عدى بن مسافر فالتبس على كاتب المستند الامر وضاع حتى قال ان عادى – وهو عدى بن مسافر على رأيه – كان مسلما بالاسم وانه على الصحيح كان يدين بدين « ترهايا » الذى أخذوه عن يزيد ما يرده التاريخ • ولا شك ان جهله للتاريخ جعله يحل كلمة « يزيد » محل « يزد » حاضرة دين المجوس اتباع زرداشت وما ذلك الا لان الكلمتين مؤلفتان من الاحرف نفسها ولان هذه النحلة ليست بخالية من رابطة تربطها بيزد اذ أن فى معتقدها ما يمت الى دين المجوس أو فرع منه ومن جهة اخرى

« بيزيد » . وقد بينت رسالة الباشا (ص ٤٤) « منشأ اعتقادهم » نحلته . وما قول المستند عن اعتقاد يزيد الا لصقا به وهو بريء منه .

واذا كانت صحة لكلام المستند عن زيغ هـذه النحلة فانه يجب نسبته الى زمن شرف‌الدين عدى فان ذلك يوافق ما قالته رسالة الباشا (ص ٤٢ ـ ٤٣) « انما بدأ الزيغ بعد موته (موت عدى بن مسافر) فى رئاسة الشيخ حسن (شمس‌الدين) أو قبله بقليل » اهـ واذا صعدنا الى ما قبل شمس‌الدين نجد غير زمن أبيه شرف‌الدين عدى . لكن قلائد الجواهر (ص ١١٠) ـ الذى ترجم عديا هذا ابن أبى البركات ـ لم يرو لنا زيغا فى معتقده بل يثنى عليه .

والظاهر ان قتل بدر الدين لؤلؤ للشيخ حسن شمس‌الدين فى سنة ٦٤٤ (الرسالة ص ١٩) لم يردع أصحابه عن الانقياد لتعاليمه بل زادهم غلوا فى الاعتقاد له وبالشيخ عدى بن مسافر مما جرأ بدرالدين لؤلؤ على نبش ضريح الشيخ عدى بن مسافر وحرق عظامه فى سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ م) على ما روته الرسالة (ص ١٧) اذ أن دفاع العدوية عن نفوسهم فى المقاتلة التى قام بها عليهم بدر الدين لؤلؤ لاطلاق لسانهم فيه على ما ذكره المخطوط ، لا تستلزم وحدها هذا العمل بالضريح . والظاهر ايضا ان بعد ذلك رجعت العدوية عن ضلالهم. فان ابن خلكان (وفاته سنة ٦٨١ هـ) يذكر انهم « على جميل الاعتقاد » .

ومما رواه المستند (ص ٦٧)(٢١) قال : « وقعت مذبحة فى دمشق فى زمن خلف يزيد ونفى منها من كان يوالى يزيد الى جبال زوزان وبلاد فارس وقتل الوف وكان ينظر الى من بقى من هؤلاء كما ينظر الى المكروهين حتى ظهر فى سنة ١١٩٠ لليونانيين (٨٧٩ م = ٢٦٦ هـ) احمد جد الشيخ عادى فرأسهم ثم كان بعده ابنه مسافر ثم ابن مسافر الشيخ عادى فهداهم عادى الى التوحيد . لكنه فرض عليهم أن يؤمنوا بأن يزيد كان الها وانه هو أيضا كذلك اله ثم أضاف شرف‌الدين وشمس‌الدين ابنا عادى اعتقادات شتى الى معتقداتهم كما يرويه تاريخهم » انتهى كلامه معربا عن الفرنسية بتلخيص . فارجاعه عاديا وأباه مسافرا وجده الى زمن يقرب من الخليفة يزيد الاموى غلط بين وتسميته جد عدى « احمد » هو ضرب من التلفيق اذ ليس بين جدود عدى من اسمه احمد ونسبه مذكور فى ابن خلكان . ولا أدرى الى أى من الوقائع يرمى فى

كلامه هذا • وأخال ان المستند أراد أن ينقل خبر هجرة أبى البركات والد شرف الدين عدى من البقاع الى « جبل الهكار » ـ كما رأينا فى قلائد الجواهر ـ فشطح الى زمن خلف يزيد •

أما لصق المستند بعادى الكردية وترهايا « التيراهية » فله وجه هو ان أبا البركات كان قد هاجر الى هذه الاصقاع الكردية فلا بد ان ابنه شرف الدين عديا نشأ بين ظهرانى الاكراد فكان يتكلم لسانهم فعده المستند من « ترهايا » • وقد رجع المستند بعض الرجوع فقال : « ومن النــاس من يقول ان اسرته (اسرة عادى) أموية النسب » اهـ •

رأينا قبيل هذا ان الشيخ عادى هدى اليزيدية الى التوحيد وانه فرض عليهم اعتقاده ويزيد ما فرضه • ولعل هذا التعليم كان لشرف الدين عــدى اذ لعله كان يقول بالحلول الا اننا ننفى كل ذلك عن عدى بن مسافر كما يرينــا ابن خلكان وغيره •

وبالنتيجة ان الذى يلوح لى هو ان جدود اليزيدية كانوا على دين مخالف للتوحيد ثم أسلموا فى زمن عدى بن مسافر وفيهم القوم المسمى ترهايا (أى التيراهية) وانهم من الاكراد كانوا مسلمين فى زمن شرف الدين أبى المفاخر عدى ويداخل اعتقادهم الحلول ثم كانوا على جميل الاعتقاد فى زمن ابن خلكان لشهادته ـ ولا يسعنى الا الاخذ بها ـ واخيرا ارتدت « ترهايا » الى دينهم القديم دين الثانوية ذى المبدأين أو الى بدعة منه ومزجت بذلك أقوالا شوهتها فأبعدتها عن اليهودية والنصرانية والاسلام مع تعظيم لعدى بن مسافر وغيره تعظيما لا يليق بمخلوق • ويضاف الى ذلك ما استبطنته قرائحهم من الاوهام والخيالات فتطورت دياناتهم طورا بعد طور •

وخلاصة القول ان الشيخ الاقدم لهذه النحلة قبل زيغ أربابها كان عدى بن مسافر فلم يكن عاديا او هاديا او ادى (بفتحتين مع تشديد الدال) وما شاكل ذلك من الاسماء التى لاحت لكثيرين من الذين كتبوا عن اليزيدية فراحوا الى حيث لا يعلمون وذهبوا الى أن جدود اليزيدية الحاليين لم يكونوا مسلمين وقتا من الاوقات • ويشبه بطريقة معكوسة هذا القول المردود الذى غدا الكتاب يرجعون عنه قول من كان يرجع الصابئية (ديانة الصبا أى المندائية) الى النصرانية

ويقول عن أصحابها انهم فرقة من النصارى تاهت فى غياهب الضلال فيجوز تسميتهم « نصارى القديس يوحنا (المعمدان) » • ولا ينكر اليوم أحد ان تلك التسمية كانت غلطا فضيحا •

* * *

قلت ان اليزيدية كانوا قديما على معتقد مخالف للتوحيد فهل كانوا على دين القوم المسمى ترهايا (التيراهية) أو على بدعة من هذا الدين ؟

قال تاريخ الموصل (١ : ٢٩٩ ح) نقلا عن كتاب التاريخ السريانى (يريد به تاريخ ابن العبرى بالسريانية) الص ٤٢٠ : « ان التيراهية هى الوثنية القديمة أى ديانة زرداشت » أما الذى نراه فى مجموعة « نو » (الص ٥٨ ح) ترجمة عن ابن العبرى والذى سمعته ممن عرب لى كلام ابن العبرى بالسريانيـة ان ترهايا « التيراهية » كانوا على وثنيتهم القديمة وانها المجوسية (وفى ترجمـة « نو » ديانة زرداشت • والكل واحد) ولخص تاريخ الموصل ايضا كلام ابن الاثير (١٢ : فى حوادث سنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م) عن التيراهية من ذلك نقله ما يلى : « وكانوا (وكان التيراهية) كفارا لا دين لهم يرجعون اليه ولا مذهب يعتمدون عليه » والظاهر من كلام ابن العبرى وابن الاثير والمستند ان ترهايا (التيراهية) لم يكن اسم ديانة بل اسم قوم فيصح أن يرتأى أنهم كانوا على دين المانوية القائل بمبدأ الخير ومبدأ الشر ـ وكان مركز أهل هذا الدين مدينة يزد ـ أو على بدعة من هذا الدين وان جدود اليزيدية كانوا قديما على هـذا الاعتقاد ثم كان من أمرهم ما رويته • ولا يزال اليزيدية يعتقدون بمبدأين هما مبدأ الخير ومبدأ الشر ويخافون مبدأ الشر خوفا لا فوقه خوف ولا مزيد عليه •

النتيجـــة

١ ـ كان مقام « الشيخ عادى » الدير المصطلح عليه بدير مار يوحنان ومار يشوعسبران وكان الاستيلاء عليه فى سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) أو نحوها والمستولى عليه هو أبو المفاخر شرف‌الدين عدى بن أبى البركات ولعل كان استيلاء آخر سبق هذا الاستيلاء فى زمن عدى بن مسافر •

٢ ـ كان مبدأ زيغ اليزيدية عن الاسلام فى زمن الشيخ حسن (شمس الدين) أو قبله بقليل كما قالت رسالة الباشـا والظاهر ان ذلك كان فى زمن

شرف الدين عدى بن أبى البركات والد الشيخ حسن شمس الدين وهذا شرف الدين عدى غير عدى بن مسافر •

٣ ـ كان جدود اليزيدية على دين مخالف للتوحيد • وهو الدين الذى كان يعتقده القوم المسمى « ترهايا » (التيراهية) ثم أسلموا على يد عدى بن مسافر ثم زاغوا • وبعده كانوا على جميل الاعتقاد فى زمن ابن خلكان ثم ارتدوا الى دين المانوية ذى المبدأين أو الى بدعة منه ومزجوا بذلك أقوالا شوهوها عن اليهودية والنصرانية والاسلام مع أوهام وضعوها فكان لهم دينا جديدا •

أجمال الدين الشافعى العدوى هو أخو عز الدين اليزيدى ؟

والآن أحب أن أقتدى بسعادة الباشا الذى ترجم بعض العدوية المسلمين فأشير الى أخ مسلم لاحد اليزيدية •

بين مخطوطاتى كتاب الدر النضيد فى أدب المفيد والمستفيد لرضى الدين بن (؟) الغزى العامرى جاء فى مقدمته انه جمع هذه الرسالة من مقدمة شرح ••• (هنا شىء لا يقرأ) للشيخ الامام محيى الدين النووى ومن غيرها • وفى آخر النسخة قال كاتبها انه على بن احمد بن على البغدادى وانه فرغ من نقلها من خط مؤلفها فى رجب سنة ٩٣٢ (١٥٢٥ م) ويتلو ذلك فى ظهر الصحيفة كلام للمؤلف فحواه ان النسخة كانت « للشيخ الفاضل العالم علاء الدين ابن الشيخ الامام العلامة المحقق الاوحد القاضى شهاب الدين احمد بن على البغدادى » قرأ نسخته عليه فى مجالس آخرها فى السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة ٩٣٥ (١٥٢٨ م) • ومن الاتفاق الغريب ـ وهو بيت القصيد ـ ان فى الورقة الاولى من النسخة كتابة نصها : « ملك الفقير الحقير جمال الد (ين)(*) بن يوسف البابلى(٢٢) الشاف(عى) القادرى العدوى عفا الله عنهما » اهـ فالعصر واسم الاب والنسبة العدوية تدل فى الظاهر ان مالك النسخة كان أخا لعز الدين المتوفى فى سنة ٩٤٨ هـ الذى سبق الكلام

(*) الكلمة مقطوعة بسكين المجلد

عنه فى ص ٣٠٩ مع ترجمته وفى ذلك انه كان يزيديا وان جمال الدين هذا لم تكن قد زلت قدمه بل بقى مسلما أو انه كان قد رجع عن اعتقاد اليزيدية .

اليزيدية فى كتب تركية وفارسية

وفى ما اطلعت عليه من البحوث حول اليزيدية لم أصادف نقل شيء عنهم عن كتاب تركى وفارسى وقد نقلت فى ما مر بعض ما جاء عنهم فى كتاب « شرفنامه » والآن أنقل الى لغتنا ما ورد فى ذلك الكتاب وغيره من معتقدهم. فقد جاء فى شرفنامه (١ : ١٤) انهم يؤمنون ان عديا بن مسافر هو أحد تابعى الخلفاء المروانية ... ومعتقدهم الفاسد هو ان الشيخ عديا قد كفل لهم بالصوم والصلاة وانه هو المخاطب (المسؤول) عن ذلك . ولهم بغض وعداوة لعلماء الظاهر » اهـ .

وممن ذكر اليزيدية كتاب تركى فى الجغرافية اسمه جهاننما لكاتب جلبى(٢٣) (ص ٤٣٨ و٥٤٣ و٦٠١) جاء فيه (ص ٤٤٩) عن معتقدهم : « انهم يحسبون انفسهم من مريدى الشيخ هادى (كذا) وهو من الخلفاء المروانية . وقد زاغ اليزيدية عن مسلك الصوفية وهووا فى طريق الضلال فهم زنادقة ملحدون وأكثرهم جهلة . ومن يكون شيخا عندهم يعمم بعمامة سوداء ولذلك يسمى « قره باش » (الاسود الرأس) وهم لا يدعون نساء نحلتهم يفلتن من أيديهم ويشترون مواضع من الجنة ويجتنبون لعنة الشيطان ويزيد ولعنة كل شيء . ويقولون ان الشيطان ملك مقرب وان الشيخ هادى (كذا) قد كفل بصومنا وصلاتنا ودخولنا الجنة يوم القيامة بدون حساب . ولهم عداوة شديدة لعلماء الظاهر . » اهـ وصيغة هذا الكلام تدلنا على انه منقول من « شرفنامه » مع بعض اضافات . وفى « جهاننما أيضا (ص ٤١٨) ما تعريبه :

« سكمان آباد . ناحية قريبة من خوى . والمتمكن فيها عشيرة دنبلى التى يقول شرف خان عن نسبها انه يتصل برجل اسمه عيسى(٢٤) من أمراء الشام وان عيسى هذا كان قد جاء من ديار الشام فالتحق بخدمة ملوك ايران فأعطوه بطريق الـ « أوجاقلق(٢٥) » ناحية سكمان آباد من أعمال خوى فجمع يوما بعد يوم العشائر والقبائل فاشتهرت باسم دنبلى وكانت هذه العشيرة فى

مبدأ أمرها يزيدية ثم صار من أبناء السنة بعض أمراء العشائر وكبرائها ونبذوا الكفر والبدعة فاهتدى أغلب القوم الا ان كثيرا منهم بقى على ضلاله » ا ه والظاهر ان هذه القطعة منقولة من شرفنامه أيضا (١ : ٣١٠) • وفيه ان عيسى كان من أعراب الشام •

ومن الذين ذكروا اليزيدية فى القرن الحادى عشر من كتبة الاتراك أوليا جلبى فى رحلته (٣ : ٢٢٦ و٤ : ٢٣٠) وذكر معتقدهم (٧٠٥ ـ ٧٠٨) واعتبر الشيخ هادى (كذا) من الصحابة مما يغلطه التاريخ بصورة باتة •

التنكيل باليزيدية

ومما قاله عن اليزيدية أوليا جلبى (٦ : ١٤٢) ـ فى ترجمة ملك احمد باشا والى بغداد وكان اذ ذاك واليا فى دياربكر ان فى عهد السلطان ابراهيم (سلطنته من سنة ١٠٤٩ الى سنة ١٠٥٨ ه‍ = ١٦٣٩ ـ ٤٨ م) جمع جيشا مؤلفا من ثمانين الفا فضرب بهم اليزيدية العصاة فى جبل سنجار فقتل منهم ثلاثة عشر الفا ورجع سالما الى ديابكر وقد أسر اثنى عشر الفا •

وجاء فى كتاب الآثار الجلية فى الحوادث الارضية لياسين العمرى ابن خيرالله العمرى (مخطوطى)(٢٦) (ص ٧٥) ما يلى بحرفه بدون تغيير :

« سنة ١٠٥٧ وسنة ١٠٥٨ (١٦٤٧/٤٨ م) سافر الى اسلامبول رجل من اليزيدية من بعض قرى الموصل واسمه ميرزا بك ودخل الى السراى وتوصل الى رجال الدولة وطلب له منصب الموصل أو غيره فلم يتيسر له ذلك وخرج الى (من) اسلامبول مغاضبا وحرضه الشيطان على العصيان جمع الاشرار وجعل يقطع الطريق وينهب القوافل • فجمع العساكر والى وان شمسى باشا وخرج من « وان » الى قتل اليزيدى (اليزيدية) وكانوا آمنين وقد أطلقوا خيولهم ترعى فكبسهم شمسى باشا بمن معه وقتل أكثرهم وقبض (على) ميرزا بك بعد ما أظهر شجاعته وكان راكبا فرس بغير سرج ولجام وأثخنوه بالجراح وقيدوه وحملوه الى اسلامبول لعند السلطان فأمر بقتله • وقيل كان قتله فى أيام السلطان محمد بن ابراهيم فى أول سلطنته » ا ه وفى كتاب غرائب الاثر فى حوادث ربع القرن الثالث عشر(٢٧) تجد أيضا

أخبارا بالتنكيل بهم وكذلك فى غيره من المصنفات التى يطول بنا ذكرها ولربما عدت الى جمعها •

حاشية على حاشية دار السلام

وسياق التتبع يدفعنى الى ذكر الحاشية التى علقتها دار السلام على أنباء المستند الذى دار بعض بحثى عليه • ومضمون ما قالته هو الاعتماد على ما جاء فيه لعلمها ان كتابته كانت سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) ولتصورها « ان الشيخ عديا قتل سنة ٨٥٥ فتكون كتابتها (كتابة هذه الانباء) بعد سنة من وفاته » • وقد رأينا فى ما سبق ما حواه المستند فليس له تلك المنزلة التى راقت دار السلام لكنه أوضح لنا شيئا هاما عن زمن الاستيلاء على الدير • ولم تكن كتابة المستند سنة وفاة الشيخ عدى (كما قالت الوضيعة وهى تريد الشيخ عدى عدى بن مسافر) فان وفاة هذا الشيخ كانت فى احدى سنى العقد السادس من القرن السادس للهجرة(٢٨) فتكون كتابة المستند بعد وفاة عدى بن مسافر بثلاثة قرون وبعد قتلة شرف‌الدين عدى بن أبى البركات بقرنين •

لا عبرة لرسم « اليزيدية » بصورة « اليازيدية »

كنت أود ان الحسنى لا يأبه كثيرا لرسم اسم هذه النحلة فى مصورى الشمسى « وقد ذكره ص ١٥ » المخطوط بصورة « يازيدية » ذلك الرسم الذى دفعه ـ على ما أظن ـ الى أن يبنى ما بناه « ص ٨ » بقولهم ان اسمهم منحوث من يزدان مع تحريف مع انه اطلع على رسالة الباشا الذى فند فيها سعادته قول من يرى ان اليزيدية هى نسبة الى غير يزيد وحصر النسبة الى الخليفة يزيد •

وما أكثر غلطات هذا المخطوط فى الكتابة فضلا عن غيرها فانه كتب فى سطور « ص ١ » الانبية بمعنى « الانبياء » والاولية « للاولياء » وتخاصمه (عند كلامه عن آدم وحواء) فى تخاصما « فمن كان على هذا الجهل له أن يكتب يازيدية عوضا عن يزيدية •

وقد نقل الحسنى قطعة فى رسالته (ص ٣٢) قال انها من مقدمة الكتاب الجلوة وقد وردت فى رسالة الباشا (ص ١٢) الذى قال انها جاءت قبل كتاب الجلوة كمقدمة فى النسخة الاميركية واذ وردت فى مصورى ايضا

فيستدل من ذلك ان الذى فى المصور ليس بشىء غير معروف بل هو الصحائف التى عرفها سعادة الباشا انها كمقدمة لكتاب الجلوة حتى ان التأليف ليس بقديم كما نعته الحسنى فقد جاء فى موطن منه « ص ٢٦ » بعد ان عد الفرائض الدينية التى يجب على اليزيدى أن يؤديها قوله : « لاجل هذه الاسباب وغيرها لا يمكن « يا زيدى » يكون عسكرى « جنديا » فلما قدموا « أى اليزيدية » عريضحال « عرضحال » بهذه الصورة وأعطوا مبلغ دراهم للحكومة رضى طاهر بك وان كان اركان حرب يصير يعطون بدل أى كل واحد يقع عليهم • وبقوا على هذه الحال ليومنا هذا فى سنة ١٣٠٥ » اه (١٨٨٩ م) » • وفى الصفحة الاخيرة من الصورة الشمسية شىء ممحو وتحته أسطر لا تقرأ كلماتها جميعها • والذى استخرجته من ذلك ان المخطوط مكتوب فى سنة تصنيفه • وهناك كلمات تمكنت من قراءتها هى « بطرس وملة السريان ودير الزعفران • وماردين اه • ومن المعلوم ان دير الزعفران هو مقر بطريرك السريان اليعاقبة بقرب ماردين ومن المصور نسخة فى خزانة الكرمليين فى بغداد واخرى عند الشيخ كاظم الدجيلى والاصل عند اسمعيل بك اليزيدى •

الشيخ منـد

كنت ذكرت فى ما سبق كلاما عن مند ولم أكن قد عثرت ان اليزيدية لا يزالون يعرفون « مند » ويعظمونه حتى وقع بيدى أخيرا كتاب بالانكليزية اسمه « عبادة الملك طاووس تصنيف أبسن *Empson* الذى طبعه فى سنة ١٩٢٨ وفيه ذكر مند وذكر عين ماء تنسب اليه وهى فى بحزانى ولعل مند هذا هو الذى تكلمت عنه •

* * *

ان ما أوردته ليس ببحث قائم بنفسه لكنه فكرة للبحث عن معتقد هذه النحلة وتاريخها وديارها والامل أن تنقيب المتتبعين يزيدنا علما بما بحثنا فيه ويستحب التنقيب عن أخبار هذه النحلة فى الكتب التركية والفارسية ولاسيما الارمنية لما كان للارمن ولها من وحدة الديار فى بعض تلك الاصقاع ومن جوار بعضها للبعض الآخر وبالختام أردد لنفسى انى عرفت شيئا وغابت عنى أشياء والتنقيب والتحقيق كفيلان بالكشف •

اضـــافة

ذكرت في ما سبق بعض أخبار التنكيل بهذه الطائفة اليزيدية • وأضيف الآن الى ذلك ما وجدته أخيرا في مجموعة خطية رأيتها عند أحد الاصدقاء وان جاء خبر هذا التنكيل في دوحة الوزراء في أخبار سنة ١١٦٦ هـ لكنه لم يذكر الاستيلاء على قلعة بولاد وغير ذلك من التفاصيل • وهذا نص الكتاب الذي في المجموعة :

« بيورلدي عربي • منتفق شيخي عبدالله المحمد المانعه »

كنا كتبنا لكم في السابق بحول الله وقوته فتحنا وسخرنا طرف القبلة من جبل سنجار ، وأورثنا ساكنيه من الطائفة اليزيدية دار البوار • وقتلنا رجالهم وسبينا نساءهم وأسرنا أطفالهم ونهبنا أموالهم وحرقنا زرعهم ومزقناهم كل ممزق • وذكرنا لكم بأن الذي بقي من الطائفة الطاغية ، والعصبة الخاسرة الباغية ، لما شاهدوا الحال ونظروا الحرب والقتال ، وحلول الويل والنكال التجأوا الى ذروة جبل عال بطرف الشمال ، وتحصنوا في قلعة « بولاد » محل الكفر والضلال • وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله • وسول لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وحسبوا ان القلاع المشيدة تقيهم من السيوف المهندة • وما علموا ان سيوفنا بوارق ، وسهامنا خوارق ، ورجالنا بواسل ، ورماحنا عوامل ، ونيراننا محرقة ، وصواعقنا مبرقة ، وحزب الله المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون • بل سولت لهم أنفسهم ان النجاة بالتحصن في القصور ولكنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • ولما حلوا بالقلعة المذكورة ، واجتمع فيها للقتل شمل الفئة الخاسرة المسفورة • استعنا بالله العظيم • وتوكلنا على العزيز الرحيم • وحولنا الاردوي الموعود بالنصر والظفر ، الى طرف الشمال الذي صار لليزيدية بئس المستقر • وأحطنا بهم من كل جانب ومكان ، وجعلنا نجوم الرصاص ودخان البارود رجوفا لحزب الشيطان • وضيقنا عليهم غاية التضييق ، وأذقناهم بقهر الله وبأسه عذاب الحريق • ولم نزل نمطر عليهم من الطوب والتفنك والقمبرة سحاب الرصاص ، طلبا بثأر الاسلام ورغبة في القصاص • وقطعنا عنهم المياه الجارية ، وتركنا أكبادهم من حر العطش كنار الحامية • ولما كان اليوم

العشرون من شهر شعبان فتحنا بحول الله وقوته القلعة المذكورة قهرا وعنوة وخسر حزب الشيطان • فقتلنا أيضا فيها من الرجال وسبينا العيال وأسرنا الاطفال • وقطعنا بالكلية عرق الشجرة الملعونة اليزيدية ، وقمعنا آثار الفرقة الطاغية الفاجرة « الصاجلية(١) » • فبلغ عدد رؤوس من قتل من الفجرة الانذال ، ثلاثة آلاف رجل عنيد غير النساء والاطفال ، الذين تلفوا تحت سنابك الخيل فى مقام الحرب والجدال • فأرسلنا من الرؤوس المقطوعة المنحوسة ثلثمائة رأس الى الدولة العلية ، وتركنا الباقى لوحوش القفار فى البرية • فالحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على سوابغ النعم ، اذ لم يقع فى الزمان القديم ، مثل هذا الفتح العظيم • ومثال هذا الفتح والظفر مما يكتب ويحرر • ويقتضى اعلانه واشاعته فى البلاد ، حيث أسرنا من نساء المشركين وأطفالهم أربعة آلاف وخمسمائة أسير على رؤوس الاشهاد • فلاجل ذلك حررنا هذا البيورلدى وأصدرناه الى طرفكم فبوصوله اليكم تجمعون ما يخصكم ويليكم من العشائر وتقرأوه على الوارد والصادر • وتظهرون الفرح والسرور وتعملون الشنلك بالليل والنهار • وتخبرون البعيد والقريب والحسيب والنسيب • واعملوا بموجب البيورلدى وفيه الكفاية •

فى ٢١ ش (شعبان) سنة ١١٦٦ انتهى

والمرسل هو سليمان باشا والى بغداد والشيخ عبدالله هو أخو الشيخ سعدون جد الحمولة المعروفة به

* * *

قلت : ولعل قلعة بولاد المار ذكرها بأعلاه هى التى نوه بها الكتاب المسمى بالغيائى فقد جاء فيه ما يلى :

« بير بوداق • لما أخذ جهانشاه أول مرة بغداد نهار الخميس ١٤ ربيع الاول ٨٥٠ ــ وقد مر ذكره ــ ولى بها محمدى ميرزا وأعطى الموصل الوند بن اسكندر ورحل عن بغداد • ثم أرسل بعد مدة يطلبه الى تبريز فلم يفعل يروح وعصى وخرج من الموصل ومر على قلعة فولاد كان بها بيرقلى قرا قوينلو فأخذها منه ومكث مدة طويلة يقطع الطرق ••• » اه وصاحب هذا الكتاب

(١) هكذا يسمى بعضهم اليزيدية وكلمة صاجلى تركية ومعناها ذو شعر •

الغيائى من رجال الربع الاخير من القرن التاسع والربع الاول من القرن العاشر للهجرة • وهو مخطوط لا يزال غير مطبوع

* * *

الشنلك • والصدق والتعليق فى العصر العباسى

هنا مناسبة للكلام على الشنلك • ان هذه اللفظة تركية ومعناها هنا اظهار الافراح بالزينة والالعاب الرياضية والسباق وغير ذلك نهارا وايقاد النار والقناديل والشموع وأمثال هذا ليلا •

وترى مثل ذلك فى العصر العباسى فى ما قاله ابن الجوزى فى منتظمه (٩ : ٥٧) فى أخبار سنة ٤٨٤ وهو هذا :

« وفى ذى الحجة عمل السلطان ملك شاه الصدق بدجلة وهو اشعال النيران والشموع العظيمة فى السميريات والزواريق الكبار وعلى كل زورق قبة عظيمة • وخرج أهل بغداد للفرجة فباتوا على الشواطىء وزينت دجلة باشعال النار • وأظهر أرباب المملكة كنظام الملك وغيره من زينتهم ما قدروا عليه وعملوا فى السفن بأنواع الملاهى وأخذوا السفن الكبار فالقوا فيها الحطب وأضرموا فيها النار وأحدروا من مسناة دار معز الدولة الى دار نظام الملك ونزل أهل محال الجانب الغربى كل واحد معه شمعة واثنتان • وكان على سطح دار المملكة الى دجلة حبال قد أحكم شدها وفيها سميرية يصعد بها رجل بالحبال ثم ينحدر بها وفيها نار • ووصف الشعراء ما جرى تلك الليلة فقال ابو القاسم المطرز ... » اه واقرأ القصيدة ان شئت

وقال ابن الجوزى ايضا ما يلى فى أخبار سنة ٥١٧ (٩ : ٢٤٥) « وعزم الخليفة على ختان أولاده وأولاد اخوته وكانوا اثنى عشر فأذن للناس أن يعلقوا بغداد فعلقت وعمل الناس القباب وعملت خاتون قبة بباب النوبى وعلقت عليها من الثياب الديباج والجواهر ما أدهش الناس • وعملت قبة فى درب الدواب على باب السيد العلوى وعليها غرائب منحوتة والحلل ونصب عليها ستران من الديباج الرومى مقدار كل واحد منهما عشرون ذراعا فى عشرين وعلى أحدهما

اسم المتقى لله وعلى الآخر المعتز بالله • وأظهر الناس مخبآتهم من الثياب والجواهر سبعة أيام بلياليهن » اه

في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٨

الحواشي

(١) راجع عن مؤلفه تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ : ٣٠٠) تر انه رياض الدين وانه توفي في سنة ٩٧١ هـ وراجع عنه الطباخ (١ : ٢٨) • (٢) هو تاريخ الاكراد لشرف خان بن شمس الدين البتليسي الذي كان عمره تسع سنوات في سنة ٩٥٨ هـ (١٥٥١ م) وقد أنجز كتابه في سنة ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م) وهو مطبوع في بطرسبرج في سنة ١٨٦٠ وله طبعة اخرى لم أطلع عليها • (٣) كان هذا المستشرق قد نشر في مجلة الشرق المسيحي « مجموعة وثائق عن اليزيدية » وعلق عليها حواشي ثم جمعها في كتاب طبعه في سنة ١٩١٨ بهذا العنوان

F. Nau Recueil de Textes et de Documents sur les Yezidis. Paris, 1918

(٤) كل ما بين العضادتين هو لي (٥) أي الرمضاني وقد الحق سجل عثماني بأعلام الرجال أسماء بيوتاتهم التي اشتهرت فقال (٤ : ٦٩٢) ما معناه : آل رمضان • كانت الامارة في انحاء مرعش والبستان في هذا البيت القديم وقد ذكرت الذين رقوا الامارة من هذا البيت كلا في موضعه • ووجد بعد ذلك هذا البيت في ولاية أذنة ايضا حتى عصر السلطان سليم الثاني ثم امتزج بالاهلين ومع هذا فقد نبغ عدد كبير من حفدتهم • ويقال آل رمضان لاولاد رمضان افندي وهو من رجال السلطان محمد الرابع فهؤلاء هم غير اولئك • » فليس شهريار بك من البيت الثاني لان السلطان محمد الرابع كان من رجال القرن الحادي عشر أي بعد هذه الاخبار بنحو مائة سنة (٦) كان الاتراك يطلقون لفظة عربستان على سورية وعلى الاخص القسم الشمالي منها ونرى من ذلك في التقويم الذي أصدرته الحكومة في الاستانة في سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩) ان اسم الفيلق المرابط في سورية « عربستان أوردوسى » • (٧) رأينا في ما نقله الطباخ ان بيت مند كانوا يزيدية وان عز الدين بن يوسف الكردي العدوي كان يزيديا من هذا البيت وان بيت عربو كانوا من أهل السنة والجماعة وذكر

منهم حبيب ابن عربو وأخاه قاسما وجان بلاط بن قاسم هذا • ورأينا هنا فى شرفنامة « مند » وابنه عرب بك ومن نسل عرب بك حبيب بك وقاسم بك وابنه جان فولاد • فهل مند الذى عرفناه من بيته عز الدين اليزيدى هو الجد لبيت عربو هذا ؟ وهل عربو – وما عربو الا عرب على لهجة الاكراد – هو عرب بك ؟ ان ذلك ليس ببعيد فان صح هذا الرأى يكون عز الدين اليزيدى ابن عم لبيت عربو ويكون هذا البيت قد انقسم فى الدين فمنهم من كان مسلما ومنهم من كان يزيديا ومنهم من بقى معروفا ببيت الشيخ مند ومنهم من عرف ببيت عربو ويظهر ان اليزيدية يوم ذاك لم تكن قد وصلت الى مثل ما وصلت اليه اليوم من فساد العقيدة (٨) هكذا مكتوب بالارامية أى بالالف على ما قيل لى (٩) القوسان وما بينهما فى دار السلام (١٠) لاحظت ان فى تاريخ اجازته وهو ١١٥١ هـ (مخطوطات الموصل ص ١٤٤) غلط طبع فسألت المؤلف فأيد صحة ملاحظتى وصحيح ذلك ١٢٥١ هـ • (١١) كان هوار *Huart* قنصلا لفرنسة فى قونية وله تاريخ فيها لم نطلع عليه فلعل فيه شيئا نجهله عن هذه الحادثة وغيرها مما يمس موضوعنا • (١٢) وفى دار السلام قامح • (١٣) اكتب عادى بالف كلما ذكرته نقلا عن مستند راميشوع وعمن تابع هذا الرسم (١٤) للقس الفاضل سليمان صائغ مقالة فى « الشيخ عادى » فى المشرق (٢٠ « ١٩٢٢ » ٨٣١) قبل طبعه تاريخ الموصل • ومما فى مقالته ان « بناء المعبد وهندامه على نسق كنائس النصارى فى الاعصر الخالية وزد عليه ما يرى على جدرانه فى الداخل من الخطوط الكلدانية بالقلم الاسطونجيلى وقد طليت عمدا أو جهلا فمع توالى السنين قد انقشع قسم من هذا الطلاء وبرزت من تحته بعض الحروف • وقد رأينا كتابات أخرى بالقلم العربى ورسوما على جدرانه من الخارج وبعض الجنادل ويظهر انها حديثة » ا هـ (١٥) من الغريب ما نراه فى مجموعة « نو » (الص ٦١ ح) ذلك ان خلافة الظاهر كانت من سنة ١٢٢٦ م الى سنة ١٢٤٣ م (٦٢٣/٤١ هـ) وان خلافة المستنصر – وقد وهم ايضا وقال انه آخر الخلفاء – كانت من سنة ١٢٤٣ م الى سنة ١٢٥٨ م (٦٤١/٥٧ هـ) ثم بنى صاحب الحاشية على هذا الغلط أسئلة طرحها على نفسه ولو تدبر زمن هذين الخليفتين فعرف سنى خلافتهما لما وقع فى ذلك المأزق والحيرة • وفى المجموعة ايضا (الص ٧٦)

خلاصة عن حوادث « دير الشيخ عادى » شك « نو » (الص ٦) فى صحة نسبتها الى راميشوع كاتب المستند وظن انها لغيره وقد زادها بعد حين • وفى هذه الخلاصة غلطات بارزة ما يؤيد صحة ما ذهب اليه « نو » • ومما جاء فى الخلاصة المذكورة انه فى سنة ١٥١٢ (لليونانيين) (١٢١٠ م = ٥٩٨ هـ) قبض على الشيخ عادى الغاصب (للدير) وأوفد الى هولاكو ونرى (٦١/٦٢) ان ايفاد « عادى الكردى » الى الخان الاكبر (وفى الحاشية انه هولاكو ولابد من أن يكون كذلك) على يد الامير تومان ابن أخى جنكيز خان (وأخو جنكيز خان هو أوتكين على ما جاء فى الحاشية نقلا عن ابن العبرى) ففى عدد السنين المذكور فى الخلاصة غلط اذ أن هولاكو كان من رجال القرن السابع للهجرة بل تطلعنا معلمة الاسلام بالافرنجية ان ولادته كانت فى نحو سنة ١٢١٧ م (٦١٤ هـ) ففى السنة التى ذكرتها الخلاصة لم يكن هولاكو قد ولد • فحق لـ « نو » أن يشك فى نسبتها الى كاتب المستند اذ أنها تخالف ما جاء فى نص المستند • والغلط هو فى عدد السنين كما قلت • (١٦) مؤلفه الشيخ محمد بن يحيى التادفى الحنبلى • وفى تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان (٣ : ٢٩٧) ان وفاته كانت فى سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) (١٧) هو سورى الاصل والمولد وكان نائب قنصل لفرنسة فى الموصل فى الربع الاخير من القرن الماضى (١٨) كانت مجلة المشرق (١٨ ، ١٩٢٠ ، ٦٠١) قد نقلت القطعة الواردة فى الرسالة عن هذا المخطوط القديم حين كان يملكه جرجس صفا قبل دخوله الخزانة التيمورية • ومنه اليوم نسخة شمسية فى خزانة الكتب العامة لوزارة الاوقاف أهداها اليها صاحب الاصل المفضال سعادة الباشا • وكنت قد رجحت فى هذه المجلة (٥ : ١٢٩ وغيرها) ان المخطوط هو الحوادث الجامعة لابن الفوطى الا أن سكوت سعادته عن تسميته بالعنوان الذى عرفته به وعن اسم مؤلفه يدلنا على انه لا يزال مرتابا فى ترجيحى • ولعل لديه ما ينفى ما ذهبت اليه وربما كان أحد الاسباب التى يستند اليها ان المصنف لم يرو لنا حدثا شاهده بنفسه بينما كان المؤلف من أبناء ذلك الزمن (١٩) الا انه جاء فى القسم غير المنشور فى دار السلام بحث لا يمكن نسبته الى غير عدى بن مسافر (٢٠) رأيت فى رحلة أوليا جلبى (١ : ٥٩٦) ان أبا سعيد النارى استشهد مع الامام الحسين وانه مدفون

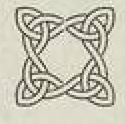
فى كربلاء بعد ان قتل عددا جما من اليزيدية فالظاهر ان من كان تحزب ليزيد الاموى كان يسمى يزيديا ايضا فى عهد أوليا جلبى وانه اسم غير الاسم الخاص بهذه النحلة أو أن قلم أوليا جلبى وضع عفوا هذا الاسم دون أن يكون شائعا (٢١) هى من الصحائف غير المنشورة فى دار السلام (٢٢) نسبة الى بابلى أو (كما صورها يافوت) بابلا قرية من قرى حلب وفى أعلام النبلاء للطباخ (٣ : ٣٥٨) انها « باب الله » (٢٣) ويسمى ايضا الحاج خليفة وهو مؤلف كشف الظنون . وكانت وفاته فى سنة ١٠٦٧ هـ (١٦٥٦ م) . والكتاب من أقدم الكتب التى طبعت فى الاستانة وتاريخ طبعه سنة ١١٤٥ هـ (١٧٣٢ م) وفى مقدمة الناشر انه لم يجد المبيضة وان الذى وجده هو المسودة وانه ضم اليـه تحت كلمتى « تذييل الطابع » ما رآه مناسبا من طبع صور للارض وأشكال للسماء وتوسيع للمقال ناقلا بعض ذلك من المآخذ التى راجعها المؤلف . وأفادنا الناشر ايضا انه أتم بعض المباحث من جغرافية أبى بكر بهرام الدمشقى وانه درج ما وجده فجعله هامشا على الاصل (وذلك فى المتن نفسه) . وسنرى قولا يتضح منه انه نقل من شرف خان مصنف شرفنامه . ولابى بكر بهرام ترجمة فى سلك الدرر للمرادى (١ : ٥٠) وفيهـا ان وفاته كانت فى سـنة ١١٠٢ هـ (١٦٨٧ م) (٢٤) راجع عنه كتاب آثار الشيعة الامامية تأليف عبدالعزيز جواهر الكلام المترجم الى الفارسية بقلم على جواهر الكلام المطبوع فى مطبعة المجلس (بايران) سنة ١٣٠٧ هجرية شمسية (١٩٢٨ م) (٤ : ٢٠٥) وقد نقل عن كتاب أنساب الاكراد لابى حنيفة الدينورى وعن غيره من التآليف (٢٥) اوجاق الموقـد واوجاقلق تعنى تقليد منصب مع « مالكانه » والمالكانه هو ما يعطى للموظف أو لغيره من الارض ليتصرف فيها كمالك أو ما يفوض اليه من رسوم يجبيها لنفسه (٢٦) استكتبته على نسخة لفتح‌الله سرسم بالموصل ومن الكتاب نسخة فى خزانة المتحفة البريطانية (٢٧) نسخة فى خزانة الآباء الكرمليين كتبت على النسخة المحفوظة بدار الكتب للبلدية فى الاسكندرية وهى مرقمة ٢٠٣٦ د والكتاب لمؤلف الحوادث الجلية . ونسخة الآباء الكرمليين من هدايا سعادة احمد تيمور باشا الى حضرة الاب صاحب هذه المجلة . (٢٨) راجع الرسالة

انص ١٧/١٤ فقد جمعت ملخص تراجم عدى بن مسافر وفيها ما قاله ابن خلكان

اضافة

طبع هذا كتاب غرائب الاثر فى حوادث ربع القرن الثالث عشر لياسين العمرى فى الموصل فى سنة ١٩٤٠

فى ١٥ كانون الاول سنة ١٩٤٧



قبر ابن الجوزى و قصور الخليفة

من المولعين بالتحقيق عن آثار بغداد والمشغوفين بتاريخها الفاضل عبدالحميد عبادة وقد نشر عنها المقالات المفيدة فى هذه المجلة الزاهرة • من ذلك مقالته الواردة فى الجزء ٣ ص ٢١٧ من هذه السنة وهي عن دار ابن الجوزى وقبره • وقد أبان فيها غلط من يقول ان المرقد الذى فى حديقة اكريبوز هو لابن الجوزى المتوفى فى سنة ٥٩٧ (١٢٠٠) وأحال الكاتب القراء الى الصفحة التى رجحت فيها ان هذا القبر هو لابن الجوزى الذى أشير اليه •

وانى لاشكر عبادة على نقده النزيه وعلى تخطئته اياى • وكان سبب غلطى انى اعتمدت على « سالنامة » بغداد وعلى ما رأيته فى اول مخطوط قديم ذكرته هناك • وكان الواجب على ان ارجع الى ابن خلكان • وليس بين المترجم والمترجم الا قرن واحد فضلا عن ان ابن خلكان من الثقات المعلومين •

اما ما قاله عبادة ان القبر لابد ان يكون لمحيي‌الدين بن الجوزى او لابنه جمال‌الدين عبدالرحمن او لاخيه شرف‌الدين عبدالله او لاخيه الآخر تاج‌الدين عبدالكريم وما رجحه ان القبر لمحيي‌الدين منهم لابوته ولتفوقه على اولاده فى العلم والرتبة ففى ذلك نظر • فان قتل هؤلاء الاربعة(١) - على ما قاله كتاب الحوادث وعلى ما نقله عبادة من مختصر تاريخ الحنابلة - كان فى دخول هولاكو بغداد • وكانت الدماء تجرى فيها والناس فى ويل وثبور (٢) أفلم يكن عندهم ما يمنعهم من الوقوف على مدفن فلان ومدفن فلان ؟ ويجوز انهم وقفوا على دفين هذا القبر • اما سبب الترجيح الذى اورده عبادة فلا يمكن ان يكون حجة فى ما ذهب اليه اذ كم من القبور للمشاهير من العلماء وغيرهم درست وبقيت قبور غيرهم من الذين هم اقل شهرة ومقاما • هذا ويجوز ان يكون المرقد لاحد الجوزيين غير الذين ذكرهم كأبى الحسن على والد المتوفى فى سنة ٥٩٧ • وفى ترجمة الابن فى ابن خلكان ان وفاة هذا الوالد كانت فى سنة ٥١٤ (١١٢٠) •

واذا انتقلنا الى قول عبادة القائل : « ولم تبق ريبة فى ان القصور التى تملكها الخضيريون(٣) وما يليها (٤) هى قصور الخليفة كما أشار ابن جبير لقربها من باب البصلية (الباب الشرقى) وخربة ابن الجوزى » وجدنا ان السند الذى تمسك به الكاتب لا يحمله على هذا القول الحاسم • وهذا ما نقله عن مستنده ابن جبير الذى قال :

« ثم شاهدنا ••• مجلس الشيخ ••• جمال الدين ابى الفضائل بن على الجوزى بازاء داره على الشط بالجانب الشرقى و (الدار) فى آخره (يعنى فى آخر الجانب الشرقى) على اتصال من قصور الخليفة و (هى اعنى الدار) بمقربة من باب البصلية آخر ابواب الجانب الشرقى(٥) » أ ه •

واذ رأينا ان دار ابن الجوزى هى فى آخر الجانب الشرقى وبمقربة من باب البصلية وان هذه الدار على اتصال من قصور الخليفة فلا وجه لقول عبادة ان قصور الخليفة كانت فى موضع قصور الخضيريين وما يليها اذ يحتمل ان تكون قصور الخليفة فوق دار ابن الجوزى او تحتها • ولعل الارجح ان تكون تلك القصور فوق الدار اذ ان المقربة من باب البصلية قد نسبت الى الدار وليس الى القصور •

ومن يراجع مقالتى المعنونة « حريم دار الخلافة » (هذه المجلة ٥ : ٤٤٩) يقل ان الجبهة المطلة على دجلة لحريم دار الخلافة كانت تمتد من شريعة المربعة او نحوها وشريعة المصبغة التى كانت تسمى باب الغربة ومما يؤيد ذلك قول ياقوت عن القرية (وهى اليوم محلة رأس القرية على الغالب كما سيبين) انها محلة فى حريم دار الخلافة بل قال فى مادة باقدارى انها بدار الخلافة وفضلا عن ذلك فقد قال ابن الساعى فى كتابه مختصر اخبار الخلفاء (٦) الص ٩١ و١١٢ ان السيد سلطان على هو دفين رأس القرية ببغداد • واذ كان جامع السيد السلطان على ـ ومرقده فيه ـ بمحلة طرفها بقرب من طرف ما نسميه بمحلة رأس القرية(٧) (وان تفصل المحلتين احداهما عن ثانيتهما محلة اخرى) وكانت محلة القرية فى حريم دار الخلافة بل بدار الخلافة نفسها على ما رأيناه

فى ياقوت جاء ذلك مؤيدا ان حريم دار الخلافة وضمنه دور الخلافة كانت جبهته ممتدة بين شريعة المصبغة وشريعة المربعة ونحوها ولا تتجاوز ذلك •

قصور الخضريين ليست بموضع قصور الخليفة

يؤخذ من كلام ياقوت وكلام ابى الفداء اللذين نقلتهما فى « حريم دار الخلافة » ان مبدأ هذا الحريم من جهة الغرب (الشمال الغربى) باب الغربة وهو الآن شريعة المصبغة ولا جدال فى ذلك • واذ كان الحريم بمقدار ثلث بغداد وفى وسطها ولا سيما دور العامة محيطة بالحريم فلا يتصل الحريم بسور المدينة فى آخرها • وان قيل عن الاحاطة ان ياقوت قالها من باب التوسع وليس بكل معنى الكلمة وحصره قلت ذلك جائز ولـكن لا يمكن ان يكون اتصال الحريم بسور المدينة عند آخرها لقوله ان الحريم فى وسط بغداد الخ • واذ كانت قصور « الخضيريين » فى منتهى المدينة على ما بسطته قبيل هذا فى الحاشية فقصور الخليفـة ـ ودور الخلافة كما سماهـا ياقوت ـ لـم تكن فى موضع قصور الخضيريين •

أبستان اكريبوز هو دار ابن الجوزى ؟

لا يبعد ان يكون ذلك وكنت قد قلته • اما عبادة فقد رأى أن يبت ويجزم بالامر بعـد ايراده نص ابن جبير عن ابواب بغـداد وعن دار ابن الجـوزى ومجلسه وبعد كلامه عن القبر الذى فى بستان اكريبوز • قال عبادة : « فلم يبق شك فى ان الحديقـة (حديقـة اكريبوز) هى دار عبدالرحمن المشـار اليـه (ابن الجوزى) » أ هـ • فالظن بما كنت قد قلتـه وقاله قوى لكنه لا يصل الى درجة الحكم القاطع مع وجود دليلين آخرين لم يذكرهما • وهما : اولا ـ كلام ياقوت وفيـه ان « حريم دار الخلافـة » يكون بمقدار ثلث بغـداد وهو فى وسطها الخ • وثانيا ـ وجود شريعة المربعة على بعد نحو مائة متر فقط فوق بستان اكريبوز • واذا لاحظنا موقع هذا البستان وجدناه فى مبدأ نحو الثلث الاخير(٨) من بغداد وهو يوافق وصف ياقوت فيكون موقع هذا البستان على اتصال من دور الخلافة الواقع فى وسط بغداد • وسبب تعرضنا لذكر شريعة المربعة فضلا عن وجود القبر الذى فى بستان اكريبوز هو لقول ياقوت ايضا ان الدار المربعة هى بدار الخلافة فيمكن ان تكون هذه الدار آخر دور الخلافة

وان دار ابن الجوزى كانت باتصال منها فالقول ان بستان اكريبوز كان دار ابن الجوزى حرى بأن يؤخذ بنظر الاعتبار ولكن ــ على ما أظن ــ يجب الا يتجاوز ذلك حتى يقوم برهان يؤيده •

ومما ذكره عبادة حديقة نسبها الى عبدالجبار غلام وكانت صفته فيها صفة مستأجر • والاحرى فى مثل هـذه المواضيع ان يذكر الملك باسم مالكه لان المالك ــ على الغالب ــ يكون قابضا على زمام الملك مدة أطول من مدة الايجار ولا سيما اذا كان الملك وقفا فان اسمه يعمر دهرا • وارجاع نسبة الملك الى مالكه يفيد الخلف على تعيين المواضع هذا وان اشتهرت هذه الحديقة فى عهدنا وقتا بعبدالجبار غلام اما الآن فلا احد يعرفها بهذا الاسم • والذى اعرفه عنها انها وقف للكيلانيين او للنقباء منهم • وهى اليوم عرصة خالية وجبهتها على الشارع العام وطولها على الشارع الممتد الى الشيخ عبدالقادر الكيلانى فآخر المدينة من جهة الشمال الشرقى • وقد شرع الآن فى عمارتها •

وقال عبادة : « وهى (اى دار ابن الجوزى التى قال انها حديقة اكريبوز) حتى اليوم واقعـة على دجلـة على الشـط يفصل بينهما قصر النقيب الآنف ذكره » أ هـ • ولا ادرى ضمير « بينهما » الى من يعود ولا اسمان فى الجملة • اما ما جعلـه فاصلا فلا يبين لى • والذى نعرفـه ان لا فاصـل بين قصر النقيب وحديقة اكريبوز وهما متصلان احدهما بالآخر •

والآن ألخص كلامى بما يأتى :

(١) ليس بايدينـا مستند يرجح ان القبر الذى فى بستان اكريبوز هو لمحيى الدين يوسف بن الجوزى •

(٢) من المحتمل كل الاحتمال ان يكون بستان اكريبوز دار ابن الجوزى دون البت فى ذلك •

(٣) ليست قصور « الخضيريين » فى موقع قصور الخليفة •

(٤) كانت قصور الخليفة كما سماها ابن جبير ــ وكما سماها ياقوت دور الخلافة ــ بين شريعة المربعة او نحوها ان فوقها وان تحتها وبين شريعة المصبغة •

هذا ما عن لى بيانه عن الماضى وتدوينه الى المستقبل •

(تصويبات) • صحح فى هذه المجلة (٥ : ٤٥٥) ما فى السطر المتقدم على الاخير قولى « فالشرقى هو المقر العام » بقولك « فالغربى ••• » ثم بعده قولى « والغربى هو دائرة البرق » بقولك « والشرقى ••• » وقولى فى الص ٤٥٧ فى س ١١ من جهة الجنوب خان « الاورتمة » بقولك « من جهة الشمال ••• » •

الحواشي

(١) كان دخوله بغداد فى المحرم ورأينا فى هذه المجلة (٥ : ٤٠٥ ح) نقلا عن جامع التواريخ لرشيد الدين ان شرف الدين شخص الى خوزستان فى صفر من تلك السنة فلم يكن قد قتل فى دخول هولاكو بغداد فاى الروايتين هى الصحيحة ؟ (٢) راجع مثلا مجلة المرشد (٤ : ٢٨) التى نشرت تعريف رسالة لنصير الدين الطوسى • (٣) كنت كتبتها بالضاد اما اهل هذا البيت فانهم يكتبون اسمهم بالظاء المشالة والحق ان نجاريهم •

(لغة العرب) هذا من شنيع الغلط وفاضحها لان الظاء لا تجاور الخاء وكذلك العكس • ولو تدبرت الفاظ لغتنا من اولها الى آخرها لما وجدت كلمة واحدة يرى فيها هذا الجوار • ولهذا يحسن بالخضيريين العرب الاقحاح ان يرجعوا الى الصواب ولا يبخسوا حق لغتنا وقواعدها(*) •

(٤) ما يليها من جهة الشمال اذ ان المدينة تنتهى بقصور الخضيريين وما المسافة التى تحتها الا نحو مائة متر فيها ماكنا نسميه « القوله » (بضم القاف غلطا فى القلة) وهو برج مدور متقدم فى دجلة من بروج دور المدينة وكان قائما فى عهدنا • وكان موضع قصور الخضيريين حتى قبل خمسة وعشرين عاما او أقل مدابغ للجلود ذات روائح كريهة يحدها السور من جهة دجلة فاشترى « الخضيريون » الارض وبنوا عليها قصورهم وشيدوا لها المسنيات خارج السور • وكان الطريق الذى عليه قصور الخضيريين « يسمى عقد الخناق » (بفتح الخاء وتشديد النون) وكان ضيقا متمعجا لا يطرق لانزوائه فى ناحية لا حاجة للناس اليها فكان الطريق وما فى انحائه مأوى لاهل الدعارة والتلصص وامثالهم وذلك قبل بناء « الخضيريين » قصورهم وقد دخل الطريق فى الشارع العام (٥) وضعت

(*) عدل اخيرا من كان يكتب الخضيرى بظاء الى كتابتها بضاد •

النقط للاختصار وما به بين العضادات للايضاح • (٦) كانت وفاة المؤلف فى سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٩ وفيـه : « وبقيت قاعدة بنى رفاعـة فى البصرة الى زمن ولد يحيى اعنى السيد عليا ابا الحسن الملقب بالمكى دفين رأس القرية محلة بغداد » ثم قال عند كلامه عن السيد احمد الرفاعى « قدم ابوه سـنة تسع عشـرة وخمسمائة (١٢٢٥) من واسـط الى بغداد ••• فصار ضيفا بيت الامير مالك ابن المسيب ••• وبعد اسبوع توفى ببغداد وعمل عليه ابن المسيب مشهدا برأس القرية بظاهر بغـداد من جانبها الشرقى ••• ويلقبه العامة بالسيد سلطان على ••• » • والذى أظنه ان فى النسخة التى طبع عليها الكتاب غلطا فى قوله من موضع رأس القرية : بظاهر بغداد « ولعل ذلك بوسط بغداد » • وفى كلشن خلفا (المطبوع ص ١٠٥) ان والى بغداد ابراهيم باشا عمر هذا الجامع فى سنة ١٠٩٣ (١٦٨٢) وعين خطيبه وخدامه • ويزيد مخطوطى (دون المطبوع) على ذلك قوله : وابتدىء بقراءة الخطبة فيه •

(لغة العرب) الذى عندنا ان قوله بظاهر بغداد من خطأ الطبع ولا شك فى ان المؤلف قال « بظهر بغداد » اى فى وسطها • (٧) وهى تبتدىء عند شريعة المصبغة أو عند جنوبيها فما تحت (٨) هو الثلث الجنوبى •

الص ٥١٧ الجزء ٧ من السنة ٧ = تموز ١٩٢٩

ايزيدى ؟

رأينا فى ما سبق (ص ٣١٠ - ٣٠٩) ان عز الدين بن يوسف الكردى العدوى كان امير لواء حلب وانه كان يزيديا وقد عثرت فى مجموعة « منشآت فريدون بك » (بالتركية) (١ : ٥٩٢) على تعداد المراحل التى اجتاز بها السلطان سليمان حين مجيئه الى بغداد فى سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) وفيهـا ان فى اليوم الخامس من شهر جمادى الآخرة اخذ لواء الموصل من « حسين بك اليزيدى » فاعطى ايضا « سيدى احمد بك » .

افكان هذا اليزيدى يزيدى النحلة كما كان عز الدين العدوى أم لا ؟

مخطوط فى تراجم اولياء بغداد

اتحفا لمستشرق الفاضل كرنكو هذه المجلة (٧ : ٢٩٨) نبذة عن مخطوط بالعربية بالعنوان الذى صدرت به هذا المقال ونشر شيئا من مقدمة الكتاب جاء فيه ان الاصل مؤلف بالتركية وانه لمرتضى افندى الشهير بنظمى زاده وان التعريب لاحمد ابن السيد حامد فخرى زاده الموصلى الذى أقدم على عمله باشارة من الحاج حسين باشا « الموصلى الجليلى(١) » . وهذا ما وقفت عليه فى ما يخص الكتاب ومؤلفه والمعرب الذى ذكره ومعرب آخر .

جاء فى فهرس المخطوطات التركية للمتحفة البريطانية (ص ٧٤) وصف نسخة من الاصل التركى مع بحث عن مضمونه ومأخذه وفيه ان اسمه « جامع الانوار فى مناقب الابرار » .

ومن هذا التأليف نسخة فى خزانة الاوقاف فى بغداد وهى من كتب الخزانة السليمانية رقمها ٢٤٤٢ جاء فى آخرها بقلم لغير الناسخ انها تمت فى اليوم الخامس عشر من شهر صفر سنة ١١٥٥ هـ وفى اول النسخة ان سليمان باشا وقفها على مدرسته السليمانية (فى بغداد) فى سنة ١١٩٨ هـ .

وجاء فى كتاب « مخطوطات الموصل » (ص ١٢٢) ان « ترجمة اولياء بغداد » ألفها مرتضى افندى الشهير بنظمى زاده لما كان واليا على بغداد سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م) ترجمها من التركية الى العربية السيد احمد بن السيد حامد فخرى زاده الموصلى باشارة سعدالله بك نجل الوزير الحاج حسين باشا « الموصلى الجليلى(٢) » بخط المترجم (اى المعرب) » أ هـ . واخال ان لا غنى عن التنويه بأن مرتضى افندى نظمى زاده لم يكن واليا بل كان كاتبا وشاعرا ومؤرخا وهو مؤلف « كلشن خلفا » الذى مر بنا اسمه مرارا فى هذه المجلة . واوسع ما عرفته عن هذا المصنف هو ما جاء به هوار *Huart* وفى ذلك ترجمة والده وستأتى بعيد ذلك .

والمعرب الثانى لتصنيف مرتضى افندى عن الاصل هو عيسى صفاء الدين

البندنيجي وها انقل عن مقدمة تعريبه ما دعاه الى ذلك نقلا من مخطوط مبحث الآباء الكرمليين لما فى ذلك من اللذة والفائدة • قال ص ٧ :

« اما بعد فيقول ـ (٣) صفاء الدين عيسى القادرى النقشبندى البندنيجى ـ ان علم التاريخ والاخبار مما ينشر بساطه فى مقاعد اولى السعادة الاخيار ـ ولا سيما تاريخ الانبياء الكرام وورثتهم من الائمة الاعلام وسائر العلماء العاملين والاولياء والصالحين ـ ومن يسرح طرف الطرف فى حدائق اسطاره ـ من زكت اعراقه ـ ذو الايادى الحاتمية ـ السيد ـ الشريف ـ الحسيب ـ الكريم ـ القادرى الحسب والنسب ـ رئيس عترة الكيلانى ـ نقيب الاشراف ـ السيد محمود افندى ـ وبينما انا فى غصص الزمان اتجرع مرائرها فيه آنا فان ـ اذ انا فى زمان اندرست فى (كذا لعلها فيه) المعالم ـ واذا بطارق يطرق الباب ـ فقلت من هذا ؟ فقال خادم سلالة الاطياب ـ النقيب ـ ارسلنى يدعوك ـ فأجبت ـ وسرت ـ فتشرفت بناديه ـ ثم بعد استقرارى ـ ناولنى كتابا ـ وقال ان هذا الكتاب فى بابه اعجب من العجاب حوى تراجم الوجوه والاعيان وحاز مآثر غرر نواحى الازمان • من الاصفياء والاولياء المقبورين فى بغداد وما يتبع قضائها (كذا) من البلدان » الا انه تركى البيان ـ فالمأمول ان تترجمه بلسان العرب ـ ولما انتهى كلامه ـ اطرقت مليا وقلت فى نفسى خفيا هو معنى مناط الثريا • وما للبندنيجى والبيان فانا عجمى الطبع واللسان ـ فرفعت رأسى واظهرت ما فى نفسى معتذرا ـ فكلما اعتذرت اليه ـ لم يفد الاعتذار الا تكرار الطلب والاصرار • فلم يسعنى الا المسارعة والبدار الى الامتثال والائتمار على انى مولع بخدمة هؤلاء الفحول ـ معتقدا فيهم علو الشأن والرتبة •••

وكان الاشارة الى فى ذلك ـ من الاخ الصفى (وقد نعته الصرفى النحوى العروضى اللغوى الاديب المناظر البيانى المحدث المفسر الكلامى الاصولى الفقهى المنطقى المدرس المحرر الواعظ) احب احبائى شهاب الدين السيد محمود افندى الآلوسى(٤) ووافقه فى تلك الاشارة الورع الزاهد ـ السيد ـ الشريف ـ امام العصبة الحنفية فى الحضرة القادرية وخطيب أهل السنة السنية ـ السيد عبدالوهاب ـ وحثنى عليه ـ من هو من جسدى بمنزلة الروح ـ نخبة اولى النباهة ـ كمالاته تتنافس فيها الاشراف ـ ضم الى حسن

الاخلاق ، ظرافة تضحك له مباسم الاوراق ـ يرتاح بطيب حديثه من جالسه وحادثه ـ عارف للناس وزمانه ـ ولي الامامة في سدة امامنا ابي حنيفة النعمان ـ زمن الوزير داود باشا مدة من الزمان ـ وولي توليتها سنة زمن وزير الوقت علي باشا(٥) . ثم عزل لامر ارادة الله وشاء ـ قسي الفصاحة . حاتمي السماحة ـ عبدالرحمن افندي ـ فلا جرم شمرت عن ساعد الاجتهاد ـ فلازمت ترتيب المؤلف في التقديم والتأخير والتزمت اضافة زيادات بعد التهذيب والتحرير ـ والمرجو من فضلاء الزمان ان يصلحوا بقلم فضلهم ما فيه من الفساد ... » أ هـ

وعقب ذلك تعريب مقدمة الاصل التركي ومما فيه :

« اما بعد فان سلطان السلاطين ـ ابا الفتوح السلطان محمد خان ـ لما ولي ـ ابراهيم باشا ايالة بغداد ـ سنة سبع وسبعين والف(٦) (١٦٦٦) دخلها وصار لسكانها الغيث والكهف . ولم يزل يتذاكر (كذا) في مناقب الاولياء ـ فسئل (كذا) هذا الحقير عن كتاب حافل لذكر مناقبهم المنيفة ـ فلم اظفر بكتاب مختص بالبحث عن المقبورين في الزوراء فنهضت متشبثا باذيال المصنفين الفضلاء ونظمت درر مآثر مختصة باولئك الاجلاء جامعا اياها من كتابي شواهد النبوة ونفحات الانس المنسوبين الى ـ مولانا عبدالرحمن الجامي ـ والبهجة وشرح الهمزية وروضة الصفا وتاريخ ابن خلكان وغيرها وسميتها : جامع الانوار في مناقب الاخيار (٧) الا انه لاستعجالي في تصنيفه ـ كان محتاجا الى التكميل ـ ولم يساعد التقدير ـ الى ان تولى بغداد ـ ابراهيم باشا الثاني(٨) ـ سنة الف واثنتين وتسعين (١٦٨١) فدخلها اثناء جمادى الاخرى (كذا) ولم يزل كسلفه مولعا بتدبر مناقب الاولياء وتتبع مآثر الصلحاء فاخبر بالكتاب المؤلف المذكور ـ فطلبه ـ فشرعت في تكميله والزيادة عليه ـ ثم اهديته وقدمته بين يديه ... » أ هـ .

ثم قال المعرب : « انتهت الديباجة ولنشرع في المقصود ـ من تعريب « تراجم الوجوه والاعيان المدفونين في بغداد وما يليها من البلدان ... » أ هـ .

تراجم المؤلف والمعربين

المؤلف نظمي زاده مرتضى افندي

لم يقصر مؤلفنا مرتضى افندي على تأليف الكتاب الذي عقدنا له هذا الكلام بل له غير ذلك من المصنفات وفيها كلشن خلفا وهو تاريخ لبغداد .

وقد توسع فيه المؤلف فى اخبارها فى العصر العثمانى بالنظر الى حجم الكتاب وهو من جل مآخذ هوار الذى رأى ان يأتينا بترجمة المؤلف مع ترجمة والده فى مدخل « تاريخ بغداد فى الاعصر الحديثة » • واليك الآن ما قاله هوار معربا :

« كان مرتضى تركيا وهو ابن الشاعر نظمى وقد هاجر الوالد مع أغلب الاتراك من بغداد حينما استولى عليها الشاه عباس وكان نظمى قد اختفى اياما ثم تنكر بزى درويش وأخذ معه والدته وهو مكشوف الرأس حافى القدمين لا زاد له ووجهته آسيا الصغرى (الاناضول) واجتاز بالحلة وكربلاء فأقام فيهما مدة للراحة ثم سار نحو حافظ احمد باشا وكان الباشا بطريقه الى العراق عائدا انيه ليحاول استرداد بغداد ممن اخذها الامر الذى لم يفلح فيه •

وكانت بين نظمى وبين القائد (حافظ احمد باشا) معرفة سابقة فتبع نظمى احمد باشا الى آسيا الصغرى وتسلى عن بعده من وطنه بتردده الى كبار الموظفين من هم برتبة وزير و « مير ميران » وباثرائه من رفقتهم • والمحتمل ان ثروته جمعت مما كانوا يهدونه اليه لقاء قصائده بمديحهم » •

وتجد من نظمه ما نقله ابنه مؤلفنا (مؤلف كلشن خلفا) عن ديوانه أو عن مجموعة من قصائده من ذلك بيتان من قصيدة انشدها حينما قدم السلطان مراد الى اورفة وهو يسير الى بغداد (١٠٤٨ = ١٦٣٨) وقد عاد هذا الشاعر الى وطنه (بغداد) بعد ان استرجعها الاتراك • وكانت عودته عقيب علمه بموت الشاه صفى ملك فارس فى ١٤ صفر ١٠٥٢ (١٤ أيار ١٦٤٢) وكان برفقة نظمى اولاده وحفدته وظل عائشا بعد ذلك فانه نظم فى سنة ١٠٦٩(٩) (١٦٥٨/٥٩) تاريخا لبناء جامع السلاحدار محمد باشا (١٠) ذلك الجامع الذى لم يتم الا بعد خمسة وعشرين عاما اى فى سنة ١٠٩٤ (١٦٨٣) •

هذا ما كان من أمر نظمى • اما مرتضى فانه تعرف برجال نقلوا حكاية استعداد المحاصرة لبغداد فى سنة ١٠٣٥ (١٦٢٥/٢٦) وكانت بغداد اذ ذاك بقبضة صفى قولى خان الذى ولاه الايرانيون عليها • وشهد مرتضى « ملك احمد شاه » (والى بغداد ـ المشتهر بهذا الاسم لفضائله ـ يصلى صلاة الميت على عامل مات تحت ردم جدار • وقد قال الباشا ان من يموت وهو يسعى فى

كسب رزقه يعد شهيدا . وعرف مرتضى سميه مرتضى باشا الذى كان حظيا فى اعماله يتفاءل به صيادو السمك فى دجلة . وروى ملحتين ونظم عدة تواريخ فى استرداد قبرص فى سنة ١٠٨١ وفى مولد السلطان احمد الثالث فى سنة ١٠٨٤ (١٦٧٣) وفى ترميم معروف الكرخى فى زمن عبدالرحمن باشا الذى كان (واليا فى بغداد) من سنة ١٠٨٥ الى سنة ١٠٨٧ (١٦٧٤/٧٦) وفى اتمام السلاحشور محمد بك لجامع السلاحدار فى سنة ١٠٩٤ (١٦٨٣) . فكان مرتضى شاهد عيان للوقائع التى يرويها فى القسم الاخير من كتابه وكانت وفاته فى سنة ١١٣٣ (١٧٢٠) على رواية احمد حنيف زاده نقلا عما هو ملحق بكشف الظنون المجلد ٦ : ٥٧٤ و٥٧٨ و٦٠٦ من طبعة فلوكل وفى سنة ١١٣٦ على رواية هامر » أ هـ . وحاشية هوار ترجعنا الى كتاب بالالمانية ذكر اسمه والى فهرس المخطوطات التركية للمتحفة البريطانية ويؤيد سجل عثمانى (٤ : ٥٦٠) رواية احمد حنيف زاده فى أمر سنة الوفاة فانه قال ما تعريبه : « نظمى مرتضى افندى » رجل بغدادى وهو ابن السيد على البغدادى . ولد فى بغداد ثم قدم الى الاستانة وتوفى فيها فى سنة ١١٣٦ (١٧٢٣) وهو شاعر ماهر . وله من التآليف كلشن خلفا وذيل سير نابى وتيمور نامه وترجمة تاريخ وصاف .

وفى قائمة المخطوطات العربية والفارسية والتركية التى اهداها دى كرد مانش(١١) الى الخزانة الاهلية فى باريس (ص ٨٩) ان نظمى زاده البغدادى مرتضى افندى هو ابن السيد على افندى نظمى البغدادى . وذكر له شرحا لشواهد مغنى الليب وعد تصانيفه بالتركية ونسب اليه الديوان الذى ذكره هوار لوالده كما رأينا . وقال ايضا ان كشف الظنون (٦ : ٥٤٤) ينسب اليه ترجمة تاريخ ابن عربشاه الى الفارسية ومعجم تاريخ وصاف الحضرة (٦ : ٥٥٦) . قلت والذى أراه فى فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية المحفوظة فى خزانة ويانة (فلوكل ١ : ١٠٩ و ٢ : ١٨٥) ان كتاب « لغت وصاف » هو لحسين افندى ابن السيد على نظمى زاده وان له شرح وصاف . ويؤيد ذلك ما جاء فى مخطوطات الموصل (ص ٣١ عدد ١٢٥) ان للسيد عبدالامين كتابا تركيا ينتقد به شرح نظمى زاده حسين افندى لديوان (كذا) وصاف .

حسين افندى نظمى زاده

ليس من عادتى فى مثل هذا المعرض الصمت عن التنويه بفاضل كهذا الذى كان شيخا للشيخ عبدالله السويدى الذى قال فى رحلته (مخطوطى ص ١٣ و١٤) :

« وأخذت علم التفسير عن شيخنا الشيخ حسين نظمى زاده . قرأت عليه تفسير جزء عم للقاضى البيضاوى وقرأت على ذلك (؟) درسا حاشية المولى عصام‌الدين مع ما كنت عليها (؟) ... وأخذت المعانى والبيان والبديع على شيخنا حسين نظمى زاده . قرأت عليه الشرح المختصر على التلخيص مع مراجعة الشرح المطول ... » أ هـ .

ولحسين افندى ترجمة بالتركية لرسالة فى الهيئة جاء فى مقدمة الترجمة ان مؤلفها هو ابراهيم القرمانى ثم الآمدى وقد كتبها للسلطان ابراهيم (وفاته فى سنة ١٠٥٨ هـ = ١٦٤٨ م) . ويقول المترجم انه قد رفع تأليفه الى والى بغداد حسن باشا (١٢) وعندى نسخة قديمة من الترجمة .

المعرب الاول السيد احمد ابن السيد حامد فخر (فخرى) زاده مفتى الحدباء (الموصل)

جاء ذكر ترجمته فى غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد دار السلام لياسين ابن خير الله العمرى الموصلى (مخطوطى الص ٣٩٩) قال :

« هو غرة جبهة الفضلاء . وعنوان صحيفة العلماء المقدم فى كل فن من العلوم سافر الى بغداد فى ايام عمه ذو (كذا) الرشاد وزار قبر جده الامام على البطل الضرغام ومدحه بقصيدة طنانة فريدة وسيرد عليك ما رق وراق . وعاد الى الموصل وولى الافتاء سنة الف ومائتين وثلاثة (كذا) (١٧٨٨) فأقام بهذه الرتبة السنية والخدمة المرضية . وأرضى جميع البرية الى ان أدركه الحمام فقضى نحبه ولقى ربه سنة الف ومائتين وتسعة عشر (كذا) (١٨٠٤ م) (وهنا أورد ابياتا من القصيدة التى نوه بها ومطلعها) :

اتينا نجوب البيد حثا على السير

نام (كذا) اعتراف الفضل من ذلك البحر

وفى ص ٢٤٩ من هذا المخطوط فى الكلام عن شهداء كربلاء قول مؤلفه :

« ورأيت فى نسخة ألفها الفاضل مرتضى افندى الشهير بنظمى زاده ألفها سنة الف واثنين (كذا) وتسعين باسم الوزير ابراهيم باشا والى بغداد . ألفها باللسان التركى فنقلها الى العربيـة مفتى الموصل السيد احمد فخر (كـذا) زاده ... » .

المعرب الثانى عيسى صفاء الدين البندنيجى

قالت جريدة « العرب » البغدادية فى عددها المرقم ١٣ المؤرخ بتاريخ ٣١ تموز ١٩١٧ انها وجدت عند احد الاصدقاء الاخصاء كتابا خطيا صغيرا سماه صاحبه : شعراء بغداد فى ايام وزارة المرحوم داود باشا والى بغداد من سنة ١٢٠٠ الى سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) تأليف الفاضل عبدالقادر الخطيبى(١٣) الشهربانى وان فيه ترجمته نقلا عن لسانه . وفيه تراجم من كان فى عهده من الشعراء والعلماء والفضلاء . وقـد وجـدت فيـه ترجمة عيسى صفاء الدين وترجمة ابيه اللتين سانقلهما الا ان الذى ظهر لى من مطالعة ترجمة « الخطيبى » ان كاتب ترجمته هو غيره فانها تذكره بصيغة الغائب ثم تذكر وفاته فلا يكون الخطيبى قد ترجم نفسه ويكون المخطوط تأليفا لغيره وهو يحوى اربعا وثلاثين ترجمة على ما فى جريدة « العرب » .

وهذه ترجمة السيد عبدالله البندنيجى وابنه عيسى صفاء الدين أو صفائى وقد وردت فى العدد المرقم ٥٧ المؤرخ بتاريخ ٦ تشرين الاول سنة ١٩١٧ .

السيد عبدالله البندنيجى

اصله من البندنيجين (مندلى الحالية) جاء ابوه بغداد واخذ الطريقة عن الشيخ خالد وتخلف فى الطريقة النقشبندية . واوفده شيخه الى البندنيجين بمنزلة خليفة فأقام هناك الى وزارة داود باشا فقربه هذا منه وادناه . وكان ذلك بالمكاتبة الى ان صارت واقعة العجم فجهزوا عساكر ليزحفوا على بغداد وكان داود باشا يستنشق اخبارهم من الشيخ الموما اليه فكان يطلعه على ما كان يقع فى عسكر الاعجام واتفق ان هؤلاء الاعجام قبضوا على مكاتبـات الشيخ وكان يتكلم فيها عليهم بلهجة شديدة فجاء الايرانيون وحاصروا البندنيجين فأخذوها قهرا وقبضوا على الشيخ المذكور واحرقوه فى النار فاستشهد رحمة الله عليـه .

نجله صفائي افندي او عيسى صفاء الدين

كان نجله (اى نجل السيد عبدالله) هذا ذكيا منذ صغر سنه وكان تظهر عليه امارات الفطنة والزكانة قرأ العلم على الاصول المتعارفة وجاهد كل المجاهدة فى ميدانه حتى برز فيه وعرف بتفوقه به على غيره وبعد أن تم دروسه على شيخه عبدالرحمن الكردى فى بغداد أخذ منه الاجازة بها وكان المرحوم داود باشا يلاحظه وكان يمدح علمه وذكاءه فلما عمر الوزير المذكور جامعا كبيرا وانشأ فيه مدرسة وخزانة كتب أقامه مدرسا فيها وهو اليوم يدرس العلوم صباح كل نهار ويرضع افاويقها للمترددين عليه • وهو ايضا صاحب طريقة يجلس فى تكية السيد على البندنيجى قدس سره • وقد تزوج كريمة حفيد السيد على البندنيجى • وهو الآن مقيم فى تكيته المذكورة ويذهب كل يوم صباحا الى المدرسة الداودية وبعد الظهر يرجع الى التكية اجزل الله سعيه •

وجاءت ترجمته فى اول كتابه فى التراجم وهو الذى نحن بصدده وذلك فى نسخة مبعث الآباء الكرمليين انقلها بنصها :

توفى ليلة الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من رجب الفرد من شهور السنة الثالثة والثمانين بعد المائتين الالف من الهجرة وفى ١٤ من تشرين الثانى(١٤) ودفن صباح الاحد فى تكية البندنيجى(١٥) فى حجرة قرب قبة السيد على • رحمهم الله تعالى •

كان عليه الرحمة متوسطا فى الطول والضخم قوى البنية متوسط الكف والقدم بهى المنظر حسن الصورة بين البياض والسمرة احمر واسع العينين عريض الجبين خفيف الدم احمر الشفتين صغير الفم لطيف الاسنان اسود الشعر ، لا بالسبط ولا بالقطط لا بالكثير ولا بالقليل عريض الزندين والساقين طويل العنق مهدل الاكتاف واسع الصدر معتدل القامة فصيح الكلام عذبه ذكيا جيد الفطنة والادراك والانتقاد والفهم حاضر الجواب خفيف الروح جسرا عاقلا مدبرا ذا اخلاق أرق من النسيم الوفا ودودا مصغيا منصتا مكرما متواضعا وقورا فروحا بوقار اديبا نجيبا محبوبا ذا حافظة قوية ونظم لطيف ونثر عال وانشاء فى الالسن الغريبة ومعرفة للالسن مثل العربى والفارسى والتركى والكردى والفرنساوى • وخط بديع فى جميع ذلك وغيره شفاف الطبع مرتب

الهيئة عالما بالنحو والصرف والمنطق والفقه والاصول والكلام والجدل والحديث والتفسير والتاريخ وغيرها من العلوم العقلية والنقلية حافظا للمتون والشعر كريما صالحا دينا تقيا ذا طريقة وعبادة وعشق وفراسة وخيال وجمال لا يكدر احدا ولا يسب ولا يعبس ، قليل الغضب حليما بشوشا صفوحا سليم القلب . يتصدق سرا لا يترك الجماعة والقرآن والاوراد والصلوات والاستغفار والتسبيح والتهجد ميسرا ذا خدم وحشم وزروع واملاك غالبا على نفسه قليل الضحك والمجون والهزل منعم نفسه للركوب والتنزه وغير ذلك . ذا دقة في الامور وحسن توقيع لها حسن الرمي والسباحة مهيء الاسباب لكل أمر عارفا بالطب والرمل ونحو ذلك تغمده الله برحمته وجميع المسلمين امين » أ هـ .

والترجمة غفل من اسم كاتبها .

وكان يسكن محلة القرية فقد قال عند كلامه عن الشيخ محمد الازهري (مخطوط الآباء الكرمليين الص ٥٩٢) قال المؤلف (نظمي زاده) هو احد الاولياء ... وكان والده من اصحاب الشيخ محيي الدين عبدالقادر الكيلاني فكان هو ايضا من جملة المنسوبين الى تلك الطريقة السنية ... توفي (الشيخ محمد) في بغداد ودفن بها في الجامع الشهير بجامع الخاصكي الواقع في محلة القرية من محلات بغداد » أ هـ قد انعم الله علي بجواري له محلة « ودارا » انتهى .

وقد رأينا تاريخ بناء هذا الجامع في ما تقدم بعد النصف من القرن الثاني عشر للهجرة وسبب احداثه بعد عدة قرون من وفاة الازهري هو وجود مرقده في هذا الموضع (راجع كلشن خلفا) .

وحبذا لو عني الادباء بجمع تاريخ بلادنا وتراجم رجالنا .

الحواشي

(١) هذا البيت الجليل اشهر من ان يعرف وكان منه عدة ولاة على الموصل وغيرها (٢) في غاية المرام (مخطوطي الص ٣٥٩) ان وفاة حسين باشا كانت في سنة ١١٧١ (١٧٥٧) وفي سجل عثماني (١ : ٢) انه توفي في شهر ربيع الاول سنة ١١٧٢ (١٧٥٨) واذ كانت وفاة السيد احمد ابن السيد حامد فخري زاده في سنة ١٢١٩ ـ على ما سنرى نقلا عن غاية المرام ـ فالظاهر ان

التحريف كان باشارة سعدالله بك على ما ذكرته مخطوطات الموصل الا اذا كان السيد احمد قد جاوز السبعين فكان قد عرب الكتاب فى السنين الاخيرة من حياة حسين باشا وهو شاب فى حدود العشرين (٣) الخطة وعلامتها هذه :ـ تشير الى حذف فى العبارة وهى عوض عن النقط الثلاث ... (٤) ترجمته فى اعلام العراق للاثرى القاهرة ١٣٤٥ (٥) هو لاز على رضا باشا الذى قبض على سلفه داود باشا (٦) هو الشهير بالطويل (ترجمته فى سجل عثمانى ١ : ١٠٨) (٧) ورأينا فى فهرس المخطوطات التركية للمتحفة البريطانية رواية اخرى لاسمه ذكرناها قبيل هذا (٨) هو الشهير بـ « جلبى » راجع سجل عثمانى ١ : ١١٠ (٩) جاء فى سجل عثمانى (٤ : ٥٠٠) « نظمى افندى بغدادى توفى فى سنة ١٠٦٦ وهو شاعر صاحب ديوان » والكلام يدلنا على انه والد مرتضى افندي وان لم يسمه مكتفيا بمخلصه (اى باسمه الذى اتخذه للشعر) ولكن تاريخ الوفاة لا يتفق وما قاله هوار الذى استخرج ذلك من كلشن ولعل فى السجل سهوا فى تاريخ الوفاة (١٠) هو الجامع الذى نعرفه اليوم بجامع الخاصكى الواقع بمحلة رأس القرية وخاصكى شهرة بانيه (راجع ترجمته فى سجل عثمانى ٤ : ١٧٢ وراجع كلشن خلفا) (١١) *Cat. des Mss. Arabes, offerts a la Bib. Nationale par M.J. Decourdemanche. Paris 1909*

(١٢) كانت وفاته فى سنة ١١٣٥ (١٧٢٢) (١٣) ومن هذا البيت المرحوم عطا الخطيب الذى توفى وهو نائب الكوت فى مجلس الامة فى هذه السنة (١٤) بالحساب الشرقى من سنة ١٨٦٦ م (١٥) فى كتاب تاريخ مساجد بغداد وآثارها (الص ١٤٤ من المطبوع) انها فى محلة الشيخ عبدالقادر الجيلى .

اضـــافة

وبعد ان نشر الاب انستاس ـ رحمه الله ـ عدة تراجم من كتاب شعراء بغداد ... المار الذكر فى لغة العرب طبعه فى سنة ١٩٣٦ . وكنت وجدت فيـه مغامز رأيت أن افصح عنها وابنتها فى رسالة الى الاب فجعلهـا فى أول الكتاب وسيأتى نقلها .

فى ١٥ كانون الاول سنة ١٩٤٧

الص ٦١٣ الجزء ٨ من السنة ٧ = آب ١٩٢٩

جامع قمرية

استدراك

كنت ظننت فى الص ٢٣٠ من هذه المجلة ان فى النقص الذى طرأ على كتاب الحوادث الجامعة بحثا يعرفنا بما نتطلبه من أمر جامع قمرية • وقلت ان بانى هذا الجامع هو الخليفة الناصر • وكان قولى هذا لسببين أولهما ان من صلى فى هذا الجامع اماما بالناس حين فتحه كان مجد الدين عبدالصمد واذ كانت ولادته فى سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) على ما كنا رأينا كان من مواليد زمن الناصر فلا يمكن أن يكون الجامع من بناء من تقدمه من الخلفاء أو غيرهم • وثانى السببين ان كتاب الحوادث المنوه به ـ والمحفوظة نسخته بحالها الحاضرة يبتدىء من قسم من سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) كما كنت قد أشرت اليه ـ لا يذكر بناء جامع قمرية فارتأيت ان تشييده كان قبل ذلك ولا سيما كتاب المساجد ذكر لنا نقلا عن بعض المؤرخين ـ ولم يسمهم ـ ان هذا الجامع من أبنية الناصر فقلت قول كتاب المساجد مؤيدا اياه •

وكل ما كنت نقلته فى كتابتى من الحوادث الجامعة ـ عن الجامع الذى نحن بصدده ـ منقول من نسختى المكتوبة على النسخة المخطوطة العائدة الى صاحب هذه المجلة وهى منقولة عن الام الوحيدة • وقد عرفتها فى ما سبق • ولم أكن أدرى ان النسخة المصورة لهذا المخطوط المحفوظة فى دار الكتب العائدة الى وزارة الاوقاف(١) تحل لنا المشكل اذ تطلعنا على تكامل بناء الجامع فى سنة ٦٢٦ هـ وهى من سنى خلافة المستنصر • والذى أوقفنى على ذلك كلمتان ـ بقلم لا يختلف عن قلم الكتاب ـ وردتا فى حاشية النسخة المصورة دون المخطوطة وقد أغفلهما الناسخ • قالت النسخة المخطوطة :

« وفى شعبان (٦٢٦ = ١٢٢٨) تكامل بناء المسجد المستجد بالجانب الغربى على شاطىء دجلة المقابل لرباط البسطامى(٢) ونقل اليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك وفتح فى شهر رمضان ورتب فيه مصليا الشيخ عبدالصمد ابن احمد ابن أبى الجيش وأثبت فيه ثلثون صبيا يتلقنون

القرآن عليه . ورتب فيه معيد يحفظهم التلاقين ورتب ايضا فيه الشيخ حسن بن الزبيدى محدثا يقرىء (كذا) عليه الحديث النبوى فى كل يوم اثنين وخميس ورتب ايضا قارىء للحديث . وجعل فى المسجد خزانة للكتب وحمل اليها كتب كثيرة . » اه

فلم يكن بوسعى أن أتكهن بأن هذا المسجد هو جامع قمرية ولكنى لما وقفت على النسخة المصورة رأيت فيها اشارة بعد كلمة « البسطامى » تهدى الى الحاشية وفى الحاشية ما يأتى :

« المعروف بقمرية » فلم يبق لى شك فى ان جامع قمرية تكامل بناؤه فى سنة ٦٢٦ هـ وكانت تلك السنة فى خلافة المستنصر التى بدأت فى سنة ٦٢٣ (١٢٢٦) .

وجاء فى الحاشية قوله : « حاشية . حكى انه قيل للشيخ عبدالصمد ان هذا الموضع رسم ان يكون امامه شافعيا ... (هنا كلمات لم استطع قراءتها) الانتقال عن مذهب الامام احمد فقال : ما وجدت فى مذهبه ما يوجب انتقالى عنه . فأنهى ذلك الى الخليفة فقال : نحن نغير ... (كذلك كلمات لم أستطع قراءتها) » اه

وقد جاء فى كلشن خلفا فى أخبار والى بغداد ابراهيم باشا بأنه جدد فى سنة ١٠٩٣ (١٦٨٢) عمارة الجامع المقابل لدار الامارة (هى ما نعرفه اليوم بالسراى) وان يحيى دده شيخ الدراويش المولوية أرخ البناء ببيت من الشعر بالتركية ذكره . قلت ولعل هذا الجامع هو جامع قمرية أيضا .

وبعد هذا كله أقول من هى قمرية ؟ أامرأة كما قال كتاب المساجد أم غير ذلك ؟ وهل الاسم جديد نسب اليه الجامع حين انشائه أم اسم قديم للموضع الذى بنى عليه . هذا ما تساءلت عنه قبلا وأكرر السؤال عنه اليوم .

الحواشى

(١) هى هدية أيضا من مالك النسخة الام سعادة احمد تيمور باشا

(٢) رباط البسطامى من الآثار المندرسة ولولا اطلاعنا على ما يجىء ذكره عن المسجد المستجد هو جامع قمرية لبقينا نجهل موضع الرباط . وقد جاء عنه فى

ابن الاثير فى حوادث سنة ٤٩٣ (١٠ : ١٤) ما يلى : « وفيها توفى أبو الحسن البسطامى الصوفى ورباطه مشهور على دجلة غربى بغداد . بناه أبو الغنائم بن المحلبان . . » اه

مطالعة

(١) ثم بعد نشر هذا المقال طبع الصديق الدكتور مصطفى جواد كتاب الحوادث وذهب (الص ٤ ح) الى أن موضع رباط البسطامى فى السراى (دار الحكومة فى الجانب الشرقى) اليوم لقول الحوادث ان قمرية بأزاء هذا الرباط والصحيح ما أوردته بأعلاه لابن الاثير .

(٢) كنت تساءلت بأعلاه عن قمرية وعن زمن التسمية وبعد حين اقتنيت كتاب تواريخ آل سلجوق فوجدت فيه (الص ٢٤٩ من طبعة الافرنج) ذكرها فى أخبار سنة ٥٥١ فانه قال : « وكانوا قد نصبوا من الجانب الذى من دجلة على مسناة دار العميد وبقرب القمرية منجنيقين عظيمين ... » وفى الحاشية ان الكلمة فى بعض النسخ مشكلة بضم القاف وسكون الميم . ثم طبعت أجزاء من المنتظم لابن الجوزى وقد جاء فيه (١٠ : ١٦٩) فى أخبار سنة ٥٥٢ ذكر قمرية فى قوله : « وكان القتال تحت قمرية وقصر عيسى » اه . فاسم قمرية أو القمرية لهذا الموضع أقدم من زمن بناء الجامع . وقد بقى علينا أن نعرف ما هو سبب التسمية وهو ما أجهله .

فى ١٥ كانون الاول ١٩٤٧

الص ١٦٧ الجزء ٣ من السنة ٨ = آذار ١٩٣٠

قدم اسم مندلى

أفادنا حضرة صديقنا المحقق المدقق يعقوب نعوم سركيس ان اسم « مندلى » بهذه الصورة ورد فى كتاب الأنساب الذى اسمه صحاح الاخبار وهو مطبوع فى مصر سنة ١٣٠٦ وكانت وفاة مؤلفه فى سنة ٨٨٥ هـ .

وذكر لنا ان مانعا الذى ورد اسمه فى ٨ : ٤٠ من هذه المجلة والذى قيل عنه انه أمير قشعم هو على ما يظهر شيخ المنتفق وليس أمير قشعم والذى روى انه أمير قشعم هو العمرى صاحب غاية المرام وعنه نقل الكتبة هذا الوهم فنشكره على هذه التحقيقات(*)

(*) ان مانعا المذكور هو بلا شك شيخ المنتفق ٠ى٠ س

الص ٣٧٤ الجزء ٥ من السنة ٨ = أيار ١٩٣٠

ملحق بالفتوة

استملحت مقالة الصديق الاستاذ مصطفى افندى جواد فى موضوع الفتوة التى صدرت فى الجزء الرابع من هذه المجلة (٨ : ٢٤١ وما يليها) وكنت أود أن أرى فيها ما جاء فى الص ١٥٠ من عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب المطبوع فى بمبى (سنة ١٣١٨ هـ) وهذا نص ما جاء بحق تاج الدين محمد بن معية من علماء الامامية :

« وكان يتولى الباس لباس الفتوة ويعتزى اليه أهله ويحكم بينهم بما يراه فيطيعون أمره ويمتثلون مرسومه(١) وهذا المنصب ميراث لآل معية من عهد الناصر لدين الله . وقد كان بعض آل معية يعارض النقيب تاج الدين فى ذلك وينقسم الناس بالعراق أحزابا كل ينتمى الى أحدهم . فلما مات النقيب فخر الدين بن معية والنقيب نصير الدين بن قريش بن معية لم يبق له معارض ولم يكن عوام أهل العراق ولا خواصهم يسلموا ذلك الامر الى أحد من غير آل معية ما دام منهم أحد فكيف بالنقيب تاج الدين وكان اليه الباس خرقة التصوف من غير منازع فى ذلك لا يلبسه أحد غيره أو من يعزى اليه . » انتهى كلام المؤلف .

الحواشى

(١) وردت فى النص المطبوع موسومة

الص ٥٠٢ الجزء ٧ من السنة ٨ = تموز ١٩٣٠

العمارة والكوت

١ – العمــارة

قال الفاضل الاديب عبدالرزاق الحسنى فى هذه المجلة (الص ١٦٨ من سنتنا الحاضرة) ما خلاصته عن سبب تسمية العمارة باسمها هذا انه كان على أثر تمرد عشائر تلك الانحاء فى سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩ م) فقهر الحكومة للعشائر وانشائها « عمارة » يرابط فيها جيشها . وكان قد قال الاستاذ المتفنن الشيخ على الشرقى (لغة العرب ٥ : ٥٣٦) ان العمارة من انشاء القرن الثالث عشر (للهجرة) وأتم كلامه بما يلى : « ثم اطمأن اليها الناس ... فانشأوا هناك عمارة ضخمة وأطلق عليها اسم العمارة » أ ه .

قلت : ان الذى يثبتـه التاريخ هو ان اسـم العمارة فى تلك الاصقـاع لا يعود الى الحادث والتاريخ اللذين اشير اليهما فلا يرجع الى العمارة التى ذكرها الكاتبان بل الاسم معروف فى تلك الجهـات قبل الزمن الذى انبئنا به ما يزيد على اجيال . وقد ذكرت فى مصنفين لاديبين قبل ما يقرب من اربعة قرون . وذكر اسـم « العمارة » و « نهر العمـارة » و « شـط العمـارة » و « كوت العمـارة » فى عـدة مؤلفات قديمة لا تقـل عن الخمسة عشر بين مخطوط ومطبوع فيهـا العربى والتركى والفـارسى والانكليزى والفرنسى والايطالى . نذكر منها ما يلى معربا عن اصولها ونورد بعض النصوص للتأكيد مبتدئين بالاقدم :

جاء فى « مرآت الممالك » بالتركية للرئيس سيدى على فى اخبار سنة ٩٦١ ه (١٥٥٣ م) فى الص ١٦ من الاصل المطبوع فى الاسـتانة فى سـنة ١٣١٣ ه بعد انحداره من بغداد ما نصـه : « سلمان فارس (سلمان فارسى) زيارت اولنوب عماره بوغازى كچلوب واسـط يوليله زكيـه يه واريلوب مقابله سنده عزير نبى عليه السلام زيارت اولنوب ... » وتعريبه :

فزرنا سلمان الفارسى ومررنا بفوهة « العمارة » ثم قدمنا الى زكية بطريق واسط وزرنا النبى العزير عليه السلام المقابل لها » أ ه .

وجاء فى رحلة كاسبا روبالبى(١) فى قسمها المترجم الى الانكليزية الملحق برحلة سوينسن كوبر (٢) (الص ٤٧٧) ما قوله : « وفى ١٣ آذار سنة ١٥٨٠ (٩٨٨ هـ) سافرنا من بغداد قاصدين البصرة وكان سفرنا بطريق دجلة ••• وفى *Elmaca* يقسم النهر (دجلة) الى قسمين احدهما يجرى نحو الفرات والآخر نحو البصرة » أ هـ ولابد انه يريد العمارة كما جاء فى « مرآت الممالك » وكما يأتى ولابد ان تكون الكلمة مغلوطا فيها اما لسوء السماع فالخطأ فى تصويرها واما لغيره فالغلط فى قراءتها او طبعها •

وقال بولاى لوكوز(٣) فى الص ٣١٥ من رحلته وهو يسير من البصرة الى بغداد صاعدا دجلة فى سنة ١٦٤٩ (١٠٥٩ هـ) : « وفى اليوم الثانى عشر قدمنا الى قلعة صغيرة تعود الى بكلربكى(٤) بغداد فدفع عشر ايكوات(٥) (*Escus*) عن دانكا(٦) ••• » أ هـ • وقد جعل بازاء كلامه فى الحاشية كلمة (*Amara*) فهو يبحث فيها •

ونجد فى احدى رحلات تافرنيه(٧) (١ : ٢٤٠) انه قد اجتاز ببغداد فى سنة ١٦٥٢ (١٠٦٣ م) ثم غادرها قاصدا البصرة فقال : « وينقسم النهر (دجلة) تحت بغداد الى قسمين احدهما يجرى على طول بلاد كلديه القديمة والآخر نحو النقطة التى ينتهى بها ما بين النهرين ••• اما نحن فقد سرنا فى القسم الذى يتجه نحو بلاد كلديه ••• وهذه اسماء القرى التى وجدناها على هذا الفرع من دجلة « *Amarat* حيث فيها قلعة مبنية من اللبن ••• » أ هـ

وممن ذكر العمارة الاب جوزيه الكرملى (ثم الاسقف سبستيانى) فى رحلته الاولى(٨) المطبوعة فى سنة ١٦٦٦ م (١٠٧٧ هـ) اذ قال (الص ٥٥) *Elamara* وذلك بانحداره الى البصرة من بغداد • وذكرها بصورة *Amara* فى رحلته الثانية بعودته من الهند الى بغداد (الص ٢١٩/٢٢٠) وهى المطبوعة فى سنة ١٦٧٢ م (١٠٨٣ هـ) •

واخبرنا الاب فيشنتسو الكرملى فى رحلته المطبوعة فى سنة (١٦٧٢) (٩) (١٠٨٣ هـ) (الص ٨٨) قدومه الى مدينة اسمها *Elamara* وهو يصف رحلته راكبا « دانكا » يجرى فى دجلة بين بغداد والبصرة •

وعندي مخطوط بالتركية (ذكرته في هـذه المجلة ٥ : ٢٣) دون فيه صاحبه المعاصر لذلك الزمن اخبارا يومية عن الولاة والحكومة الخص منه ما يمس الموضوع . وهو ان الباشا غادر البصرة ١٨ صفر سنة ١١٦٢ (١٧٤٨ م) فضرب خيامه في باب الرباط وسار نهرا بطريق الفرات فقدم الى الخان فالسعدية فالدير فنهر عنتر فنهر صالح فدار بني اسد فابو شوارب فالمنصورية ثم قال : « بغداد شطی عمارده (عماره‌ده) ایکی شق اولوب نصفی قورنه‌ده ونصفی دخی بومنزلده مراد شطنه (بقصد الفرات) متصل اولور » أ هـ وتعريبه : ان شط بغداد ينقسم في العمار (يريد العمارة بدليل ما يأتي بكتابته العمارة) الى قسمين فيتصل نصفه بالفرات في القرنة ونصفه الآخر في هذا المنزل أ هـ ثم قال في موضع آخر : « ورد الخبر ان الحرم المحترم (حرم الباشا) غادر البصرة يوم الاثنين الموافق اليوم الثالث من المحرم (١١٦٣ هـ = ١٧٤٩ م) فتوجه للقائهم الداماد (الصهر) احمد باشا يوم الخميس الواقع في اليوم الثالث عشر من الشهر وذلك على امر حضرة ولي النعم (الباشا) فوصل الى العمارة (عماريه) (عماره‌يه) واصل(١٠) ... في اليوم الثالث والعشرين منه الموافق يوم الخميس فوصل كذلك الحرم المحترم الى المحل المذكور بطريق شط العمارة (عماره شطی ایله) » أ هـ .

ومما جاء في تذكرة شوشتر للسيد عبدالله ابن السيد نور الدين ابن السيد نعمة‌الله الحسيني الششتري المتخلص بفقير المتوفى في سنة ١١٧٣(١١) هـ (١٧٥٩ م) انه قال في الص ٦٨ « ... واعراب راكه بسمت رود عماره رفته بودند ... » أ هـ .

وقال دانفيل(١٢) في كتابه « الفرات ودجلة » المطبوع في سنة ١٧٧٩ (١١٩٣ هـ) في الص ١٤٦ :

« موقع *Amara* يرضينا كل الرضى لان نلحق خريطة الصابئة(١٣) ونتمتع بفوائدها » .

ثم قال (الص ١٤٧) : « وتعرف فتحة (هذه البطائح) في خريطة الصابئة من موضع اسمه حي بني ليث(١٤) بازاء *Amara* ولاصق بالضفة اليمنى من الشط وبعدها حالا الاكراد او قلعة الاكراد » أ هـ .

وبتوجيه النظر الى الخريطة التى الحقها المؤلف بكتابه نرى انه يعين موقع جبل (بضم فتشديد) ثم يليهـا النعمانيـة فالجوازر ففم الصلح فواسط فالعمـارة *Amara* (على الضفة اليسرى) وبازائها (على الضفة اليمنى) فرع متشعب من دجلة . والاحظ استطرادا ان فى هذا التسلسل غلطا ليس اليوم من موضوعى نقده .

وجاء عن دجلة كلام شبيه بكلام دانفيل فى كتـاب جغرافيـة بوشنك المطبوع فى سنة ١٧٨٠(١٥) (١١٩٤/٩٥) فى الص ٣٨٦ بعـد ان تكلم عن واسط قال :

« *Elmara, Amara* قرية تسكنها الاعراب فيهـا قلعة وتحت ذلك تنقسم دجلة الى قسمين احدهما هو الايمن يتصل بالفرات والثانى وهو الايسر مع هذا النهر (القسم الايمن) تتألف منـه جزيرة قرب القرنة » أ هـ ودانفيل وبوشنك مؤلفا جغرافية وليسا بصاحبى رحلة . وقد رحل سستينى من بغداد الى البصرة سـنة ١٧٨١ وهو يقول فى رحلتـه(١٦) من الترجمة الفرنسية (الص ١٨٢) :

« قدمنـا الى *Amara* التى يقـال انهـا فى منتصف الطريق بين بغـداد والبصرة ... واشترينا فى *Amara* دجاجا ...

وبازاء *Amara* جدول حفرته يد الانسان ينشىء جزيرة كبيرة اسمها « جزائر » فانه يوصل مياه دجلة بمياه الفرات » أ هـ .

وفى كتاب صفة باشوية بغـداد لروسو المطبوع فى سـنة ١٨٠٩(١٧) (١٢٢٤) ما قوله :

وبارجـاع كلامنـا الى ضفاف دجلـة تقع انظارنا اولا على *Amara* وهى موضع يقع على اليمين (والصحيح على الضفة اليسرى) وهنـاك يتشعب من النهر (اى دجلة) جدول يصب بالفرات قليلا فوق *Kou* (يريد به كوت المعمر بفتح الميم الثانية المشددة) أ هـ . والظاهر انه يريد بالعمارة كوت العمارة اذ انه لم ينوه به فى كتابه بينما كان الكوت قائما كما سنرى .

وأبان كتـاب جهـاننما لكاتب جلبى المطبوع فى سـنة ١١٤٥ (الص ٤٥٥/٥٦) ان للمسافر من البصرة الى بغداد ثلاثة طرق وذكر منازلها وقال

عن الطريق الوسطى : «من البصرة الى القرنة الى هدير (؟) فعبرة امير المؤمنين فـ ل حسين (؟) فالفتحيـة فنهر السـبع فجـديدة عفراد (؟) فعبد ورقا (؟) فالمنصورية فالاسكندرى(١٨) فشط الحمار (بتشديد الميم) فالقلعة الجديدة فالدكة فقلعـة القصر فالجوازر فصدر عمـار (صدر العمـارة ؟) فاللقمانيـة فبغداد » أ هـ . قلت اخال ان فى عدد المنازل نقصا بعد صدر العمار اذ ليس من المعقول ان يكون بين صدر العمارة وبغـداد منزل واحـد وان اعتبرنا صـدر العمارة فى أقرب موضع من بغداد اى فى الموضع الحالى للكوت ولعله يريد النعمانية وليس اللقمانية . وجهاننما مشحون باغلاط الطبع تنغش فيه نغشانا ولا سـيما الاعـلام وعنـدى نسـخة من مخطوط فارسـى هو تاريخ جـاء فى مقدمتـه انه لنور الدين بن نعمةالله الموسوى وفى آخره ان مترجمه من الفارسية الى العربية أتم هذا النقل فى سنة ١٢٣٤ (١٨١٨ م) ومما فيه قوله (الص ٤٢) « سيد مبارك بكنار نهر عماره رفت » وفى الص ٩٧ « بعـد ازان زكيه بكنار عماره وابو سدره ... » وفى الص ١٧٦ : « سباه بغداد بعماره رسيده » أ هـ . وكان السيد مبارك من رجال صدر القرن الحادى عشر للهجرة . وبعـد هـذا لى ان اقول ان كل ما ذكرته هو قبل سنة ١٢٧٦ التى نوه بهـا الكاتبـان .

* * *

واذا لا ترضينا شهادات هؤلاء الغرباء ولا سيما لامكان القول ان الافرنج لا يفرقون بين عمارة وامارة قلنا : لنا شاهد صميم العروبة هو مختصر مطالع السعود فى كلامه عن سليمان باشا والى بغداد (والد واليهـا ايضا سعيد باشا) المتوفى فى سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) (الص ٢٩) فانه قال : « وعمر كوت العمارة وسوره » وكانت وفاة ابن سند مؤلف مطالع السعود على رواية فى سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م) وهى غلط . وعلى رواية اخرى فى سنة ١٢٤٢ (١٨٢٩ م) وعلى رواية غيرها فى سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) . ومهما يكن من أمر سنة وفاة ابن سند فانها متقدمة على سنة ١٢٧٦ فلم تكن تسمية العمارة باسمها هذا لسبب العمارة التى حكى احداثها بل هى اسم على مسمى اقدم من الزمن المعين فى المقالين . ويا ليت

المعاريين يكتبون لنا ما يقصه عليهم رواتهم ليأخذ الباحث عنه السمين ويرمى الغث بعد التحميص والتدقيق .

٢ ـ الكوت

اعترض على حضرة السيد الحسنى القائل (السنة الحاضرة من هذه المجلة فى الص ٤٢) .

« انشئت الكوت عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) بطلب من الحكومة العثمانية انشأها رجل اسمه سبع بن خميس(١٩) رئيس تلك الاطراف من مياح(٢٠) بطن من ربيعة وكانت قبل ذلك غابات . ولا تزال الكوت تسمى بكوت سبع نسبة الى مؤسسها » أ هـ .

وكذلك لى ملاحظة على مقال الاستاذ الكبير الشرقى وهو المقال الذى نشرته جريدة (البلاد) البغدادية فى عددها المرقم ١٢٥ المؤرخ فى ٧ نيسان ١٩٣٠ بعنوان الغراف وفيه : «وكان فى موضع الكوت نابه من النابهين فى قبيلة طى يقال له الشيخ سبع . وفى سنة ١٢٢٧ هـ كانت ولاية بغداد فى عهدة الادارى نامق باشا للدفعة الاولى التى ولى فيها العراق فحاول نقل مركز الحكومة من بادرايا وأسس قلعة على الضفة اليسرى من دجلة اطلق عليها اسم الكوت(٢١) » أ هـ .

ولى مثل هذه الملاحظة بشأن مقالة للاستاذ الشيخ كاظم الدجيلى المثبتة فى المقتطف الاغر (٥٠ ، ١٩١٧ ، ٤٨١) التى صدرها بعنوان « حول الكوت » وكان تنميقها تصحيحا لما كتبه الاديب الفاضل محمد الهاشمى فى تلك المجلة فى الجزء الثانى من المجلد ٤٨ فقد قال الاستاذ فى الحاشية : « الامارة جمع أمير وهم رؤساء عشائر ربيعة وانما نسب اليهم لانهم اول من سكنه وأسسه . وقد يتوهم بعضهم فيضيف الكوت الى العمارة البلدة الواقعة فيما بينه وبين البصرة وهو غلط فاضح فلينتبه اليه » أ هـ .

واذ كنت مخالفا لبعض ما جاء فى المقالات الثلاث ولا سيما أمر تاريخ احداث الكوت ونسبة تأسيسه الى الامارة وتسميته كوت الامارة وذلك لسبب ما اطلعت عليه رأيت ان ابدى ما وقفت عليه من أمر الكوت تبيانا للحقيقة وقد

اخطىء وقد يزل غيرى . وللكتاب عذر فى ما اخذوه عن الرواة بنقلهم التاريخ وقد قيل فيهم : وما آفة الاخبار الا رواتها .

واول ما اقوله هو انه ليس اليوم من يسميـه « كوت سبع » كما ادعاه الحسنى حتى ان الاستاذ الشرقى قال فى بحثه : « والذى أراه ان اصدق اسم يطلق عليه هو كوت سبع » أ هـ فهى رغبـة . واذا قلنا : كان يقول كوت سبع بعضهم ولا سيما بعض الاعراب – فى ما مضى فلا ينطق الآن بذلك احد بتاتا اذ يكتفى بكلمة كوت ولا كوت غيره فى هذه الانحاء(٢٢) فلا التباس ولا سيما ان اسمه قد شاع وذاع وتسنم ذروة الاكوات لارساء المراكب البخارية جميعها فيه الجارية بين بغداد والبصرة صعودا وانحدارا وذلك لنقل المسافرين منه واليه وتزويد من يريد البصرة او بغداد منهم ولنقل الاموال التجارية الصادرة منه والواردة اليه ولاخـذ المراكب من مذخره الفحم الحجرى لوقودهـا(٢٣) ولوقوعه بازاء صدر الغراف . وليس لى وثيقة تقول كوت سبع بل جيمس فيلكس جونس « البريطانى » نفسه – وقد رافقه « صديقه الشيخ سبع » فى حله وترحاله فى سنة ١٨٤٨ م (١٢٦٥ هـ) – بينما كان يطوف فى تلك الارجاء لكشف النهروان وما والاه من الارضين – يقول *Kut El Amareh* (ص ٥٦ و٥٧ و٥٩ من مجموعة تقاريره) (٢٤) كما ان جسنى الذى كان فى العراق فى سنة ١٨٣٥/٣٧ (٥١/٥٣) يقول كتـابه المسمى اخبـار بعثـة الفرات(٢٥) (الص ٣٠٧ وغيرهـــا) *Kut- el- Amarah* وكـذلك ذكـره فونتانيـه فى رحلته (٢٦) بصورة *Kut- Hamara* (١ : ٣١٤) وقد جاءه مع جسنى .

سبب تسميته كوت العمارة

وقفنا على صراحة لا غموض فيها فى كلامنا عن العمارة نقلا عن مختصر مطالع السعود ان اسم هذه القصبة هو كوت العمارة . والآن اذكر السبب وهو ان دجلة المنسلة من هذا الموضع فما تحت تسمى شط العمارة ويكتفى بأن يقال العمارة باهمال المضاف – وذلك عند وجود القرينة – كما يعرفه حتى الآن سكان تلك الاصقاع او بعضهم وهم يرمون الى العمارة القديمة ولكنهم – الا العدد القليل – يظنون ان القصد هو العمارة الحاليـة التى تبهجهم مناظرهـا

ومبانيها المرتفعة على قراهم وقصباتهم ان في الانتظام وان في البناء والاتساع فلا يفقه هؤلاء المراد والمرمى •

ولم تفت الفرنسي ريموند ان يدون هـذا القسم من دجلة شط العمارة في الملاحظات التي ابداها على رحلة المستر ريج الى بابل والاضافات التي زادها عليها فانه قال في كتابه المطبوع في سنة ١٨١٨(٢٧) (١٢٣٤) (الص ٢٠٣ ح) :
« يسمي الاعراب دجلة من الكوت الى القرنة نهر العمارة *Rivicre d' Amara* أ ه فلا شك انها هي التي رأينا ذكرها في كلامنا المتقدم في بحثنا عنها •

وبما ان موضع الكوت هو في صدر شط العمارة فاما ان تكون نسبة الكوت الى هذا الشط المنسوب الى العمارة (كقولك شط الحي وشط الشطرة) واما ان تكون نسبة هذا الكوت مباشرة الى العمارة وسبب شكي هو انه يظهر لي كأن دانفيل الذي اوردت عنه كلاما في بحث العمارة يريد تعيين محل العمارة في المحل الحالي للكوت لكنه يخبط • فاذا قبلنا منه تعيين محل العمارة في محل الكوت تضحى نسبة الشط الى هذه العمارة وكذلك الكوت اليها ومن ثم أمكننا ان نقول ان اسم العمارة كان قد بقي عليها حتى جاء سليمان باشا وبنى فيها ما بناه وسورها فقيل في بنائه كوت • واذ لابد من نسبته واضافته قيل له كوت العمارة لتمييزه من غيره من الاكوات ولا سيما ان اسمه كان حديثا غير شائع • ولا ابت في ان تلك العمارة كانت في المحل الحالي للكوت اذ ربما كانت في غير موضعه هذا • وقد رأينا تافرنيه يقول انقسام دجلة الى قسمين ويحكى لنا سيره في احدهما (وهو الشرقي) ثم ينوه بانه وجد على هذا الفرع *Amach* فلم تكن العمارة اذن على صدر شط العمارة في الموضع الحالي للكوت بل تحته اذا صدق في ما قال ويكون الكوت حديثا ونسبته الى الشط لوقوعه على صدره •

ويعارضنا سستيني اذ نفهم من كلامه انه يعين محل العمارة في الموضع الحالي للكوت اذ يقول انبثاق جدول بازائه • وما هذا الجدول على الظاهر الا الغراف وما تلك العمارة الا التي هي الآن الكوت • والامر في تعيين محل العمارة يحتاج الى اعادة النظر والدرس العميق ولا سيما ان بالبي يذهب هـذا المذهب •

وليس لى دليل على ان اسم كوت العمارة متقدم على زمن سليمان باشا اذ اننا لم نجد اسم كوت العمارة قبل ان يخبرنا به مختصر المطالع وقبل ان تذكره رحلة ايروين التى سيأتى النقل منها • وكانت رحلة ايروين بعد مبدأ ولاية سليمان باشا بثلاث سنوات فقط •

وزبدة الكلام انه لا مجال للقول عن اسم الكوت الا كوت العمارة اذا اردنا اتباع الوضع الاصلى • وللقائل كوت الامارة اليوم وجه ليس للعقل السليم ان يرده لولا ان التاريخ اتانا بغيره كما بان لنا ويبين • وهذا الوجه هو نزول امراء (تلفظ الناس امارة جمعا لامير) ربيعة(٢٨) فى الاراضى الواقعة فى جهة الكوت الشمالية على ضفتى دجلة حتى صدر الغراف المقابل للكوت فى الجانب الغربى وفى الجانب الشرقى الى ما فوق الكوت بضعة كيلومترات تلك الاراضى التى يزرعها الامارة ويفلحونها عميرتى قريش وبنى عمير (والعلمان بالتصغير) المربوطتين مباشرة بالامارة المار ذكرهم وغيرهما من العشائر •

ومن الامر البين ان ما يسهل قبول تسمية هذا الكوت بكوت الامارة قرب لفظة عمارة من امارة فشاع الاسم الاخير وتنوسى الاول وتغوفل عنه فكثيرا ما اختصر فقيل « كوت » كما جاء فى رحلة « هود » التى نقل منها الاب صاحب المجلة تعليقا على كلام الحسنى وفى غيرهما كما سيأتى •

ويزيدنى رسوخا فى القول انه كوت العمارة وليس كوت الامارة ان الامارة (الزعماء) لم يكونوا فى عهد سيدى على وبعده فى هذه الاراضى انما كان نزولهم اياه بعده باجيال عديدة • وليس لدى من الوثائق ما ينبئنا بسنى نزولهم انما استخرج من روايات الاعراب ان نزولهم هذه الديار لا يتجاوز اوائل القرن الماضى • وقد قال الاستاذ الشرقى فى جريدة البلاد ما يلى : « وقد كان مركز الحكومة فى تلك الجهات قبل انشاء الكوت فى بادرايا وكانت تلك الانحاء تخضع لراية طى « بنى لام » ولم تكن ربيعة ولا امارتها تنزل فى جهات الكوت يوم كانت الرايات العربية تتوزع الانحاء العراقية » أ هـ ثم قال : « وفى عهد الوالى على باشا السلاحدار نزلت الامارة حوالى الكوت فى الاقطاعية المعروفة بام هليل » أ هـ (بالتصغير المشدد الياء وهى فوق الكوت) • واما سالنامة

بغداد فلا تذكر واليا عليها اسمه على شهيرا بالسلاحدار • والظاهر ان الاستاذ يريد به ما سمته السالنامة حافظ على باشا الذى كان خلفا لسليمان باشا بوفاته فى سنة ١٢١٧ هـ فان زمانه يوافق العهد الذى يعينه الشيخ الاستاذ واخالنى مصيبا فى هذا الظن • فاذا كان ذلك اضحى واحدا كلام كل منا عن زمن نزول الامارة لهذه الاراضى • ويؤيدنى ما سنراه فى رحلة ايروين من ان الكوت كان يقيم فيه شيخ بنى لام فى سنة ١٧٨١ هـ(١١٩٦ م) وما سنراه ايضا فى رحلة كيل من امر اقامة الشيخ فيه فى سنة ١٨٢٤ م (١٢٤٠ هـ) • هذا اذا صح قولهما فلم تكن ربيعة اذ ذاك فى هذه الجهات على الظاهر وان كانت فيها فانها لم تكن متحشدة مستولية عليها كما هى عليه اليوم • ويؤيد نزول ربيعة غير هذه الانحاء ما يروى لنا عن ان سقى شط الكار(٢٩) كان من ديار ربيعة(٣٠) اذا جاء ذكر التاريخ ومصداقا للرواية أن ديار ربيعة انقل ما جاء فى مختصر مطالع السعود الص ٢١ فانه قال فى اخبار سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) :

« وفيها غزا على بيك الكتخدا آل سعيد من زبيد لعصيانهم وفى غزوه ذاك وصل الى الجوازر من ديار ربيعة فولى عليهم شيخا يأمر وينهى تبعا للوزير » أ هـ •

وذكرت ايضا دوحة الوزراء التركية غزوته هذه لزبيد فلا حاجة لنا الى اعادتها •

قدم الكوت

ادلى الاب صاحب المجلة بكلام هود تعليقا على مقالة الحسنى ليثبت قدم الكوت على الزمن الذى ذكره الحسنى • واذ كان اجتياز هود بعد الزمن الذى عينه الحسنى بخمس سنوات جاز له ان لا يقنع بهذا الدليل المحتاج الى تأييد • واخاله يرضى بمختصر مطالع السعود الذى حكى لنا ـ كما رأينا ـ ان سليمان باشا المتوفى فى عام ١٢١٧ بنى كوت العمارة وسوره • وهذا شاهد معاصر غير ابن سند مؤلف مطالع السعود يدلنا على قدمها قبل السنة ١٢٢٧ التى ذكرها الشيخ الشرقى والحسنى وهو نعمةالله بن يوسف ••• الخورى عبود(٣١) فانه قد ترك دفترا صغيرا ـ هو عندى ـ دون فيه مغادرته البصرة فى ٢٥ صفر

سنة ١٢٢٥ (١٨١٠ م) ليقدم الى بغداد • وكانت سفرته نهرا بطريق شط العرب فالفرات فالغراف فاجتاز بالحى وبعد ذلك « بالكوت » فجاء بغداد •

وهذا ميخائيل اخو نعمةالله يشهد لنا هذه الشهادة بتدوينه سفره الى البصرة فى تقويم له كنت ذكرته فى هذه المجلة (٣ : ٥٦٤ و٥٦٥ « ١٩١٤ » ٢٠/٢١) وهذا قوله بتاريخ ٩ كانون الثانى الغربى عام ١٨١١ الموافق ١٤ ذى الحجة سنة ١٢٢٥ فانه قال ما هذا نصه باغلاطه :

« مساء طلعت من بغداد متوجها الى البصرة برفقة جناب محمود اغا اخو عبدالله اغا متسلم البصرة سابقا فى سفينة زغيرة (صغيرة) تسمى طرادة » أ ﻫ وقال بتاريخ ١٦ من شهر كانون المذكور : « وصلنا الكوت مال العمارة » أ ﻫ •

وذكر الكوت كيل(٣٢) فى رحلته (١ : ١١٢) من البصرة الى بغداد فى سنة ١٨٢٤ (١٢٤٠ ﻫ) فقال : « الكوت قرية صغيرة حقيرة مبنية من الطين يحميها سور ارتفاعه لا يتجاوز ست اقدام (نحو مترين) وهى الموقع الوحيد الثابت(٣٣) الذى رأيناه بعد القرنة وفيه يقيم شيخ بنى لام القوى الذى يمتد نفوذه من القرنة الى بغداد » أ ﻫ •

وفضلا عن ذلك اننا نرى ذكر الكوت بل كوت العمارة قبل تاريخ سنة ١٢٢٧ باثنتين وثلاثين سنة فانه جاء فى رحلة ايليس ايروين(٣٤) الذى اجتاز بهذه القصبة منحدرا الى البصرة فى ٢٥ نيسان سنة ١٧٨١ (١١٩٦ ﻫ) (٢ : ٣٥٨) ما تعريبه :

« وفى الساعة الثامنة مررنا بمدينة *Coote il Hamara* حيث يقيم شيخ بنى لام » أ ﻫ واذ كان ابتداء ولاية سليمان باشا فى سنة ١١٩٣ (١٧٧٩ م) وكان ذكر ايروين للكوت فى سنة ١٧٨١ (١١٩٦ ﻫ) لم يكن قد مر اذ ذاك على ابتداء ولاية سليمان باشا الا ثلاث سنوات لا غير •

وبعد ان أتينا بكل هذه الشواهد حق لنا كل الحق بأن نقول ان تسمية « كوت » لا ترجع الى زمن نامق باشا لولايته الاولى على بغداد التى كانت فى سنة ١٢٢٧ ﻫ كما جاء سهوا فى مقالة جريدة البلاد وهى السنة التى ذكر الحسنى ايضا ان الكوت تأسس فيها •

وبما انه اتضح لنا جليا ان الكوت كانت ماثلة فى سنة ١١٩٦ فهى اقدم

من زمن ولاية نامق باشا الاولى بما يزيد على سبعين سنة اذ ان هـذه الولاية كانت فى سنة ١٢٦٧ على ما فى السالنامة وغيرها فلم تكن الكوت من انشاء سنة ١٢٢٧ كما ذهبت اليه المقالتان .

اسمه كوت العمارة

رأينا فى ما مر ان اسمه كوت العمارة وقد بقى معروفا بهذه النسبة والاضافة الى ما بعد ذلك ولم يعتره تغيير فان لدى مجموعة مكاتيب تجارية لنعمةالله بن فتحالله سمى جده نعمةالله يوسف ... الخورى عبود المار الذكر فيها صورة مكتوب مؤرخ فى ١٧ شوال ١٢٧٣ (١٨٥٦ م) فى صدره انه كتبه الى كوت العمارة .

ونرى فى سالنامة الاستانة لسنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) محافظا « للواء بدرة وجسان » (جصان) اللواء (امير اللواء) محمد باشا . وهى تذكر فى موضع آخر بدرة لواء وتعد اقضيته وبينها قضاء « كوت العمارة » وفى الزوراء الجريدة الرسمية لبغداد فى عددها المرقم ٤٧ المؤرخ فى ٥ مايس سنة ١٢٨٦ (١٦ صفر ١٢٨٧) اسم هذه القصبة كوت العمارة(٣٥) .

اما سالنامة بغداد لسنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧) فانها تذكر القصبة باسم « كوت » فحسب .

واول تغيير فى الاسم رأيناه هو فى سالنامة بغداد لسنة ١٢٩٩(٣٦) (١٨٨١) حيث تذكره باسم كوت الامارة وتذكر قائم مقامه على افندى . ولم تذكره السالنامات الواحدة بعد الاخرى الا بهذا الرسم الجديد . فليس فيها ما قالته مقالة « البلاد » ان القائممقام على افندى حرف الاسم ترضية لآل سبع فاطلق على المدينة اسم « كوت الامارة » أ هـ بعد ان قالت ما مؤداه ان القائممقام فتحالله بك اطلق على الكوت اسم كوت الامارة فى زمن الوالى عاكف باشا (ولايته فى سنة ١٢٩٣ هـ = ١٢٨٦ م) .

ولا صلة لاسم الكوت بربط مدحت باشا اياه قضاءملحقا بلواء العمارة كما ادعاه الحسنى (الص ٤٢) على فرض صحة ربطه المذكور الذى لا اثبته ولا انفيه لانى لا اعلمه .

الخلاصـــة

الكوت اقدم من سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢) فقد كان فى زمن ولاية سليمان باشا الممتدة من سنة ١١٩٣ هـ الى سنة ١٢١٧ هـ (١٧٧٩/١٨٠٢ م) كما جاء فى السالنامة ومختصر مطالع السعود بل كان ماثلا فى اوائل ولاية الباشا فانه كان فى سنة ١١٩٦ (١٧٨١ م) كما رواه ايروين .

اسمه كوت العمارة كما جاء فى مختصر المطالع وميخائيل عبود وسالنامة الاستانة والزوراء وحذف المضاف اليه منه قديم كما رأيناه فى هود ونعمةالله يوسف عبود وكيل واحدى سالنامات بغداد .

كان الشيخ سبع عائشا فى سنة ١٨٤٨ (١٢٦٥ هـ) على ما فى جونس فلعله فى السنة ١٧٨١ م (١١٩٦) التى مر فيها ايروين بالكوت لم يكن مولودا او كان طفلا اذ ان المدة بين التاريخين ثمان وستون سنة فهل كان مولودا فى نحو سنة ١٧٦٠ (١١٧٤ هـ) على اقل تقدير ليكون له عشرون سنة ولينشىء الكوت فيتسنى ان يكون الكوت ماثلا فى مرور ايروين به ؟ فان كان ذلك فيجب ان يكون قد عاش سبعا وثمانين سنة على اقل تقدير .

وفضلا عن هذا نرى « بزونا » عما لسبع على ما قال جونس ، ورئيسا فى اهل الكوت فى سنة ١٢٥٢ هـ (١١٣٦ م) على ما قاله الدجيلى ـ اذا صح ما روى له عن رئاسة بزون وعن السنة ـ فيكون نبوغ سبع واشتهاره بعد عمه اى بعد سنة ١٢٥٢ .

تقدم وجود ذكر العمارة فى تلك الانحاء على ما جاء فى سيدى على وما بعده قبل نزول « الامارة » فى هذه الانحاء باجيال عديدة فلم يكن سببا لنسبته اليهم وقد نزلوا فى انحائه بعد ذلك .

كان تغير اسمه من كوت العمارة الى كوت الامارة فى رسميات الحكومة فى سنة لا اعينها بصورة قطعية انما كان وقوعها بين سنة ١٢٨٧ وسنة ١٢٩٩ (١٨٧٠/٨١) ولعل الرسميات لم تجر جميعها فى تسميته على سياق واحد فى هذه السنين .

اهم سبب للقلب قرب لفظ الواحد من الآخر ونزول الامارة بقربه . فهذان السببان روجا القلب فصحيح رواية هذا الاسم هو كوت العمارة (بالعين لا كوت

الامارة بالهمز) اذا اردنا الرجوع الى اصل التسمية والعفو عند الكرام اذا اخطأت .

الحواشى

(١) *Gasparo Balbi* (٢) *Through Turkish Arabia.. By H. Swainson Cowper London 1804.* (٣) *Les Voyages... de la Boullaye le Gouz. Paris 1957*

(٤) عنوان تركى معناه بك البكات كان يطلق قديما على كبار الولاة بينهم والى بغداد (٥) نوع من النقود (٦) نوع من السفن الشراعية وصفه الاستاذ الدجيلى فى هذه المجلة (٣ : ٩٨) والذى اعرفه مشاهدة عن الدانك وبركبى اياه مرارا فى الغراف انه كان مقيرا وانه ليس خاصا بالعبور انما كان يستعمل كبقية السفن ولعل الدجيلى خصه بالعبور مستدلا باحد ابيات الغناء الذى يبتدىء بـ « واويلا » «واويلاه » اذ يقول « عمى يا راعى الدانك عبر شوكى (بكاف فارسية اى شوقى بمعنى حبيبى) وحصانة » والغناء اصله للاعراب اخذه البغاددة عنهم منذ عشرات كثيرة من السنين او اكثر ولا يزال معروفا لم يندثر . ولم اسمع بجمع دانك على دوانك بل على دوانيك ودوانيج (بياء بعد النون) وجاء ذكر الكلمة بصورة دونيج وجمعها دوانيج فى كتاب عجائب الهند لبرزك بن شهريار الناخذاه المتوفى فى المائة الرابعة للهجرة (٧) *Les Six Voyages de J. B. Tavernier. la Haye 1718.* (٨) *Prima Speditione all Indie Orientali del P.F. Giuseppe de Santa Maria, Carmelitano Scalzo... in Roma, 1666.* (٩) *Viaggio all Indie Orientali del P F. Veincenzo Maria di S. Caterina di Siena Roma, 1672.*

(١٠) ولو اراد « عمار » لقال « عمارة » وهو يغلط فى ضبطه للالفاظ كما نشاهد فى المخطوط (١١) من مطبوعات *The Baptist Mission Press, Calcutta, 1924.*

(١٢) *L'Euphrate et le Tigre, par M. d'Anville, Paris 1779*

(١٣) تجدها فى مجموعة رحلات *Melchisedeck Thevenot* المطبوعة فى باريس سنة ١٦٦٣ على ما جاء عنها فى *Memoires. sur la Collection de Voy. de Bry et de Thevenot par A.G. Camus Paris, XI (1802)* فى الص ٢٨٨ حيث قال انها خريطة البصرة وانحائها وفيها الاسماء بالعربية

وفى اسفل الخريطة ترجمتها باللاتينية وحكى عنها كاموس فى الص ٣٠٣ ايضا
(١٤) كتبها *Lyt* غلطا وهو يقصد بنى ليث (بالفتح) منهم اليوم — على ما اخبرت — فرقة من بيت منيهل من مياح فى قضاء الحى ومنهم — على ما يقال — فى لواء العمارة والديوانية وذكرهم كتاب « مجالس المؤمنين » بالفارسية (الص ٠٠٠) (١٥) *Geographie de Busching retouchee par Mr. Berenger*

T. VIIIe Lausanne. 1780 (١٦) *Voyage de Constantinople a Bassora en 1781 par Sestini Paris VI (1797).*

(١٧) ذكرت اسمه بالفرنسية هذه المجلة (٢ : ٤٥٩ ح) وقد اخفى اسم المؤلف ونسب التأليف الى ٠٠٠٠٠ *M* (١٨) ذكر كلشن خلفا (ورقة ٤٢) اسكندر باشا واليا على بغداد فى الربع الثالث من القرن العاشر للهجرة وقال ان القلعة المسماة الاسكندرية الواقعة فى جزائر البصرة هى من بنائه . وفى سجل عثمانى ترجمة هذا الباشا (١٩) ذكر جونس الذى يأتى الكلام عليه اسماء بيت سبع فى مجموعة تقاريره (الص ٦٠ ح) والعهدة عليه فى صحتها وعدمها . وذكر بينهم بزونا عما لسبع . وقال الاستاذ الدجيلى فى المقتطف (الص ٤٨٧) ان بزون آل شاوى كان رئيس اهل الكوت فى سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) وكان يتقاضى من الحكومة جرايات سنوية ذكرها (٢٠) نعم ان سبعا من مياح (وزان شداد) وهو ليس من طى الذين قالت عنهم مقالة البلاد انهم بنو لام . وهو من ألبو بدر احدى عشائر مياح وذكر الاستاذ الدجيلى فى المقتطف (الص ٤٨٧) ان بيت سبع يسمى بيت شاوى من فخذ ألبو برشى (وزان شرقى) من ألبو بدر والعهدة عليه باسم بيتهم والفخذ الذى ينتسب اليه البيت (٢١) تجد اصل كلمة كوت وما يراد بها فى هذه المجلة (٣ : ١٩١٣ ، ٦٢ ح) . وفى المقتطف للاستاذ الدجيلى (الص ٤٨١) قوله « والكوت فى العراق يبنى لجماعة من الفلاحين ليكون مأوى لهم ومسكنا وقد يبنى وحده او يبنى حوله بعض الاكواخ من القصب والبوارى او الجنوز ويقابل الكوت « الجماعة » (وزان حجارة) عند فلاحى اطراف بغداد » أهـ وقال فى الحاشية « والجنوز جمع جنز وزن فعل وهو البيت المبنى بالطين لا غير » أهـ ثم قال (الص ٤٨٣) واعلم ان بناء البيت الذى يطلق عليه اسم كوت يكون مربع الاركان وقوامه من الطين والخشب

والبوارى . وكذلك قل عن البيوت التى حوله وقد يختص بعضها بالقصب والبوارى فقط والبعض منها بالطين والحجارة والبوارى أ هـ . وقد اقر الهاشمى للدجيلى فى مقالة ثانية فى المقتطف (الص ٥٩١)بعض ما فى مقالته وانكر عليه بعضها مع اسناده اليه انه اخذصفة« كوت »عن المشرق (٧ : ١٠٩٤ — ٤٥٠) . قلت : ان هذا الاسناد الى الشيخ الدجيلى ليس بصحيح اذ ان ما نقله الهاشمى ناسبا اياه الى الدجيلى ليس فى صميم مقالة الدجيلى بل هو فى الحاشية الموقعة بحرفى ل. غ. فذلك للاب صاحب المجلة ونقله هو عن مقالته فى المشرق المعنونة « الكويت » ونقل كتاب تاريخ الكويت لعبدالعزيز الرشيد (١ : ١١) ما يقصد بكلمة « كوت » وذلك عن الهاشمى ولعل مأخذه مقالته التى فى المقتطف التى لم أرها .

ومما قاله الهاشمى ردا على مقابلة الدجيلى الكوت « بالجماعة » ما يلى : « ... مع ان اهل بغداد والبصرة والبلاد الاخرى مشتركون فى استعمال كلمة « الجماعة » بمعنى « العزبة » واما الكوت عند البصريين فهو البيت الكبير الذى يجمعون فيه التمر ابان الصرام ... وهذا البيت لا يكون الا لكثير الغنى واسع الأجربة . واما الجماعة عندهم فهى مساكن الزراع والعمال ومنازل عيالهم ونسائهم وهى كالعزبة فى القطر المصرى ... » أ هـ .

وقال الاستاذ الشرقى فى البلاد : « والكوت لفظة ليست عربية مأخذها اما من الكوه اى القرية الزراعية فهى فارسية واما انها لفظة انكليزية معناها القلعة . وقيل انها لفظة كلدانية بقيت فى العراق مثل لفظة كربلاء وسامراء وبغداد من الاسماء المختلفة التى ليست بعربية » أ هـ ولغيرى ان يحدد ويعرف ما يراد بكلمة كوت اذ الظاهر لى ان كل ما ورد ناقص لا يفى بالمرام (٢٢) قال الاستاذ الدجيلى فى المقتطف (الص ٤٨١) ردا على محمد الهاشمى : « والصحيح ان كلمة كوت لا تستعمل الا فى الامكنةالواقعة فيما بين كوت الامارة والناصرية (حاضرة المنتفق) والفاو لا غيرها » أ هـ . قلت : بدأت صلة والدى بالغراف من الكوت الى الناصرية — ولم تكن الناصرية قد تأسست بعد — فى سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) او سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) ثم توثقت رابطته به وبعد وفاته الزمتنى الرابطة ان اقدم الى الغراف فى حزيران سنة ١٨٩٤ (١٣١١ هـ) فاقمت فيه

مستمرا زهاء ثلاث سنوات وبعد ذلك غدوت أتردد اليه كل سنة اقضى منها فيه اشهرا الى خريف سنة ١٩١٤ ولم انقطع عنه الا سنتين فقط ثم عدت اختلف اليه منذ سنة ١٩١٧ فجئته فى عدة سنين ولم اسمع فى خلال ذلك الدهر الطويل ما يسمى كوت فى الغراف • ولا ذكر لاسم كوت فوق الناصرية على الفرات انما يذكر الاسم تحتها فى انحاء سوق الشيوخ وكذلك لا ذكر له فوق القرنة الاالكوت الذى وضعت له هذه المقالة (٢٣) وكان فيه قبل ذلك مذخر للحطب لوقود المراكب قبل فتح قناة السويس وبعده بسنين ولا يزال فيه ابار تأخذ منه المراكب وقودها من نفط وفحم حجرى (٢٤) تجد اسم المجموعة بالانكليزية فى هذه المجلة (٥ : ٤٥٧ ح) (٢٥) *Narrative of the Euphrates Expedition by General F. R. Chesney London 1868* (٢٦) *Voyage dans l'Inde et dans le Golfe Persique... Paris 1844*
(٢٧) ذكرت اسمه بالفرنسية فى هذه المجلة (٥ : ٤٥ ح) (٢٨) ان ما نعرفه عن تاريخ العشائر نزر قليل مبعثر لا يعبأ به فاصغر خبر عنهم يجب أن يعار له بال ويسعى فى حفظه لذلك انقل ما وجدته عن ربيعة وخفاجة فى عصر خفى علينا كثير من حوادثه ولا سيما اخبار العشائر ورجالها •

قال التاريخ الغياثى لمؤلفه عبدالله بن فتح‌الله البغدادى الملقب بالغياث (الص ١٨٦ من نسخة الاب صاحب المجلة) ما نصه : « وفى ذلك التاريخ وقع الحرب بين العرب ربيعة فاستنجدوا بنى خفاجة وتواقعوا واميرهم اذ ذاك امير عذرة فوصل الى الحلة فطمع فيها بما فيها من الاموال لخلوها من حاكم سلطانى وذى شوكة يمنع • فحاصرها واخذها يوم السبت سابع عشر محرم سنة اربع وعشرين وثمان ماية (١٤٢١ م) ونهبها وقتل منها جماعة وتساقط اهل البلد خوفا منه الى الفرت (الفرات) وخرجوا الى ذلك الجانب •

كل هذا والشاه محمد ببغداد لا يبدى ولا يعيد • ثم دخل الحلة شخص من الانبار يقال له ابو على • وكان هذا الرجل جرائحى الحرفة • وكان له بسطة ببغداد • وكان فارسا جلدا ومع (ومعه) اخ له اسمه ناصر الدين على من عند السلطان اويس برسالة الى عذرة مقررا له مالا على حفاظ بلد الحلة فوجدوه قد فعل ما فعل وأقام ابو على مع نائب الامير عذرة لاستيفاء المال المقرر

فشرعوا في بيع ما تخلف من الثمرة العتيقة فلما استوفى غلام عذرة المال توجه الى عذرة وحكم ابو علي في الحلة ... أ هـ .

وكان الاب صاحب المجلة قد استشهد الغياثي فيها (٥ : ٢٩٥) وذكره عائشا في سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨) وقد بان له ذلك من كتابه وقد رأيت فيه انه كان لا يزال حيا في صفر سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦) على ما جاء في كتابه الص ٣٠١(*) وهو مخطوط لا اعرف له نسخة ثانية وهو من مآخذ مجالس المؤمنين .

(٢٩) وموقع شط الكار من جهة الشرق منتهى بمزارع الغراف كأبو جويرى (بالتصغير) والجباسي (بالجيم الفارسية) والمسبح (كمركب) وأبو مهيفة (بالتصغير كدوية) وغيرها ومن جهة الغرب لواء الديوانية وكان شط الكار يأخذ من مياه الفرات وهو اليوم خال من المزارع لا يأوى اليه الا الغزال لانقطاع المياه عنه . وأرضه طيبة مخصبة عرفته قبل ثلاثين سنة عامرا كثير الغلة واول خلل اصابه كان من نتيجة سد الدغارة (نهر) في عهد مدحت باشا .

ومما يرويه بعض الاعراب وآل سعدون ان امير ربيعة وهب ابن اخته شيخ المنتفق عجيل المحمد من آل سعدون ارضا من سقى شط الكار من اراضي ضفته اليسرى اسمها منذ ذاك « هوير عجيل » (هوير بالتصغير وعجيل كجريح) وهي اليوم عائدة الى ذرية عجيل بالطابو وكان سبب اعطائه الامير الارض ان ابن اخته كان طفلا فأحب خاله الامير ان يهديه « ترجية » (قرطا) واذ لا قيمة لترجية الاعراب وان غلت اعطاه الارض عوضا عنها . ولما ترعرع عجيل وشب غدا ينتخي بسعدة كاخواله الامارة خلافا لحمولته آل سعدون .

(*) قلت المخطوط مخروم الآخر فلا تعرف الايام التي عاش فيها المؤلف فدون أخبار ما بعد سنة ٨٩١ انما وقفت بعد كتابة هذه النبذة على أن فهرست الكتاب الوارد في أوله يقول : « في ظهور سيد محمد بن فلاح المعروف بالمشعشع وعددهم أربع نفر ومدة حكمهم في الجزائر غاية احدى وسبعمائة » واذ كان ظهور المشعشع في القرن التاسع على ما هو مسطور في الكتاب نفسه وفي غيره من الكتب تكون كلمة سبعمائة مغلوط فيها ولابد من أن تكون تسعمائة فكان المؤلف عائشا اذن في العقد الاول من القرن العاشر

ومن الادلة ايضا على أن ربيعة كانت آنئا فى شط الكار اننا نعرف هناك هورا يسمى هور الزركان (جمع ازرك) والمعروف انهم عشيرة من ربيعـة . ولا يزال هذا الهور حافظا اسمه مع نزوح ربيعة عنه بتاتا .

ولا بأس ان اذكر نبذة عن عجيل وهو ابن محمد بن ثامر بن سعدون الذى ينتسب اليه آل سعدون وقد ذكره مختصر مطالع السعود الص ٢٤ و٥٩ و٦٠ و٦١ واذ كان المطالع ومختصره قد انتهيا الى سنة ١٢٤٢ ولم يتجاوزاها واذ لا مدون معاصر لبعد تلك الايام بصدد ما عرفناه عن عجيل انقل ما جاء فى صورة وثيقة كتبها معاصر بغـدادى فى شهر رمضان ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) وذلك فى اول عهد والى بغداد اللازعلى رضا باشا بعد ان قبض على داود باشا وأوفده الى الاستانة تلك السنة . قالت الوثيقة :

« ... ثم الكدخدا (كتخدا) الحلبى بكر اغا توجه الى طرف الحلة هو وصفوق (الجربا) وسليمان غنام زاده وسائر العساكر المجندة ذهبوا للقاء عجيل شيخ المنتفق ومعهم ماجد (هو ابن حمود وحمود عم عجيل) شيخ الوقف (فى المنتفق) فحاولوه (حاولوا عجيلا) وكروا عليه وكر عليهم بعد ان كانت الغلبة للشيخ المذكور . فالله سبحانه تعـالى غالب على امره فكبت به فرسـه فسقط على الارض فانكسرت رقبته فمات على البعد من العساكر لا بضرب احد ولا قتله (احد) . وكان قدر الله مفعولا . فسلم المنتفق لماجـد وصار شيخهم فراشد عمه ومنصور (هما من اولاد ثامر التسعة فهما اخوان لمحمد وحمود) وبقيت أكابر المنتفق معيته (معية ماجد) ذهبوا الى ديرتهم » أ هـ .

(٣٠) يذكر معجم البلدان الجوازر فى مادة شاذ شابور وهى على مياه دجلة وقبل ان اعد الادباء الذين نوهوا بالجوازر فى العصر العثمانى يجدر بى ان اقول ان بعض من ذكرها اراد التى على مياه دجلة كما قال ياقوت وبعضهم اراد المنطقة البطحائية الناشئة من مياه الفرات التى نسميها « الجزائر » وهى اليوم قضاء تسمى الجبايش ومركزه يسمى باسمه وبعضهم اراد سقى شط الكار كما مر الكلام على ذلك .

وهذه اسماء الكتب التى ذكرت الجوازر مع بيان الصفحات .

رحلة اوليا جلبى (٤ : ٤١٤ و٤١٥) . كلشن خلفـا المطبوع ورقة ٥٧

و٨٧ و١١٥ و١٢٧ و١٢٨ • جهانما الص ٤٤٥ و٤٦٥ و٤٦٨ • منشآت السلاطين لفريدون • رحلة ديلافاله الترجمة الفرنسية ٤ : ٦٧ • كتاب ريموند (المذكور فى هذه المقالة) الص ١٩٥ تاريخ رستم باشا الترجمة الالمانية الص ١٤١ • شرفنامة ٢ : ١٩٧ جغرافية بوشنك الص ١٨٧ • تاريخ بالفارسية الص ٩٧ من نسختى • ورأيت ذكرا للجزائر فى التاريخ الغيائى ويراد بها البطائح • (٣١) تراجم بعض افراد هذا البيت فى هذه المجلة فى سنتها الثالثة والرابعة (١٩١٤) والسادسة (٣٢) G. Keppel Personal Narrative of an Journey.. by Bussorah, Bagdad... London 1834

(٣٣) يريد ان يقول انها ليست مضربا من مضارب الاعراب التى تنتقل انتجاعا للمرعى وغيره (٣٤) Eyles Irwin. A Series of Adventures... and of an route by Aleppo, Bagdad, and Tigris, 3th edition. London 1787

(٣٥) وتذكر السالنامة بين اقضية «لواء بدرة وجسان» « قضاء بنى لام » وتذكر « لواء عشائر بنى لام » وقائم مقامه رشيد بك لكنها لم تعرفنا باسم مركز اللواء والذى يظهر لى ان قسما من بنى لام كان تابعا للواء بدرة وجسان وقسما آخر كان يتألف منه لواء ثان فيه عشائر ألبو محمد وغيرهم من عشائر العمارة وان هذا اللواء هو الذى غدا مركزه بعد ذلك العمارة الحالية • والسالنامة غير مرقمة لاذكر اعداد الصفحات فى ما رجعت اليه فيها (٣٦) رقم سالنامة ١٢٩٤ اثنان ورقم سالنامة ١٢٩٩ ثلاثة لان الولاية لم تصدر سالنامة خاصة بكل سنة فى تلك السنين •

الص ٥٦٣ الجزء ٨ من السنة ٨ = آب ١٩٣٠

دار المسناة

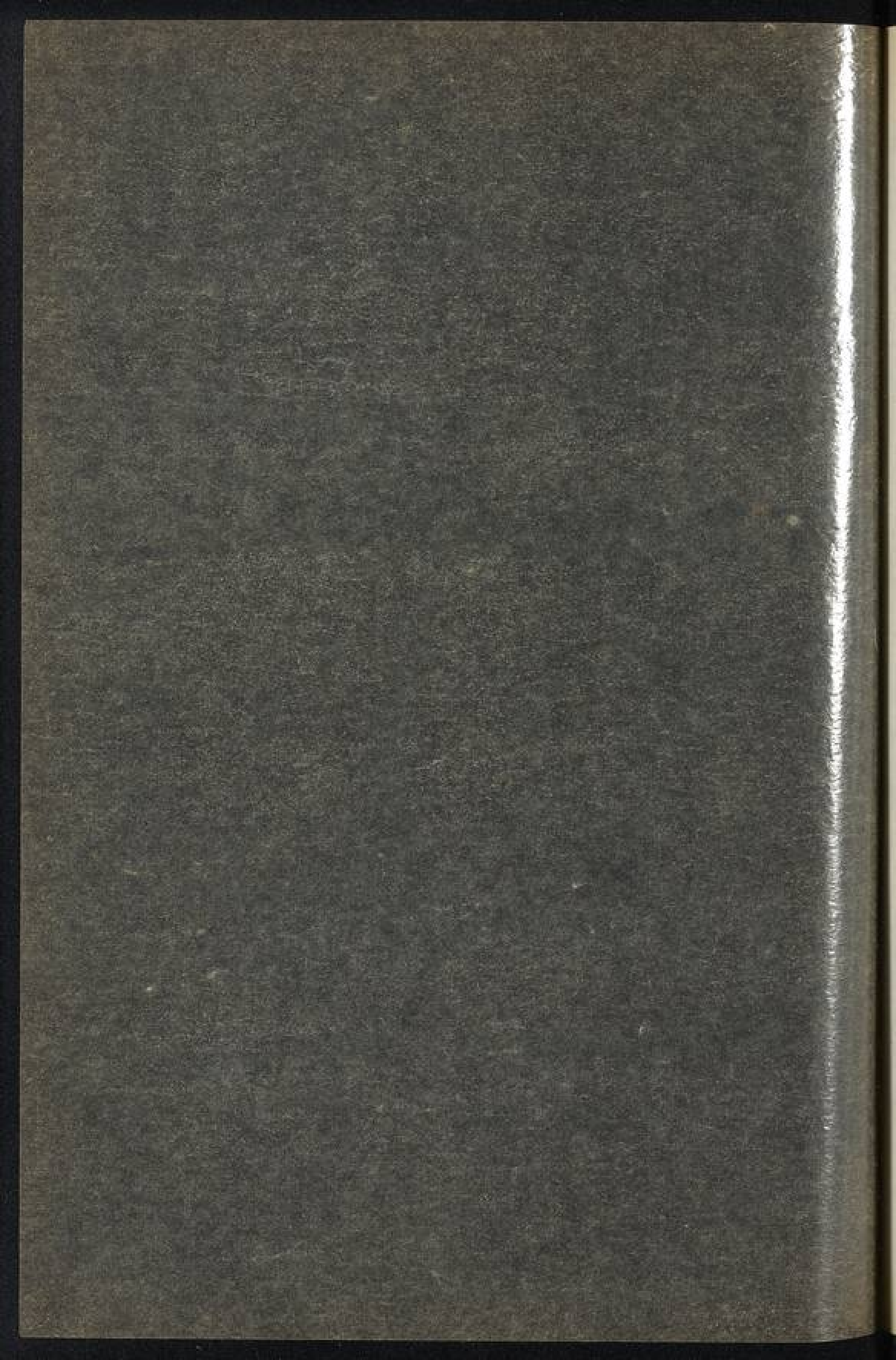
بقاياها الايوان الذي بالقلعة(*)

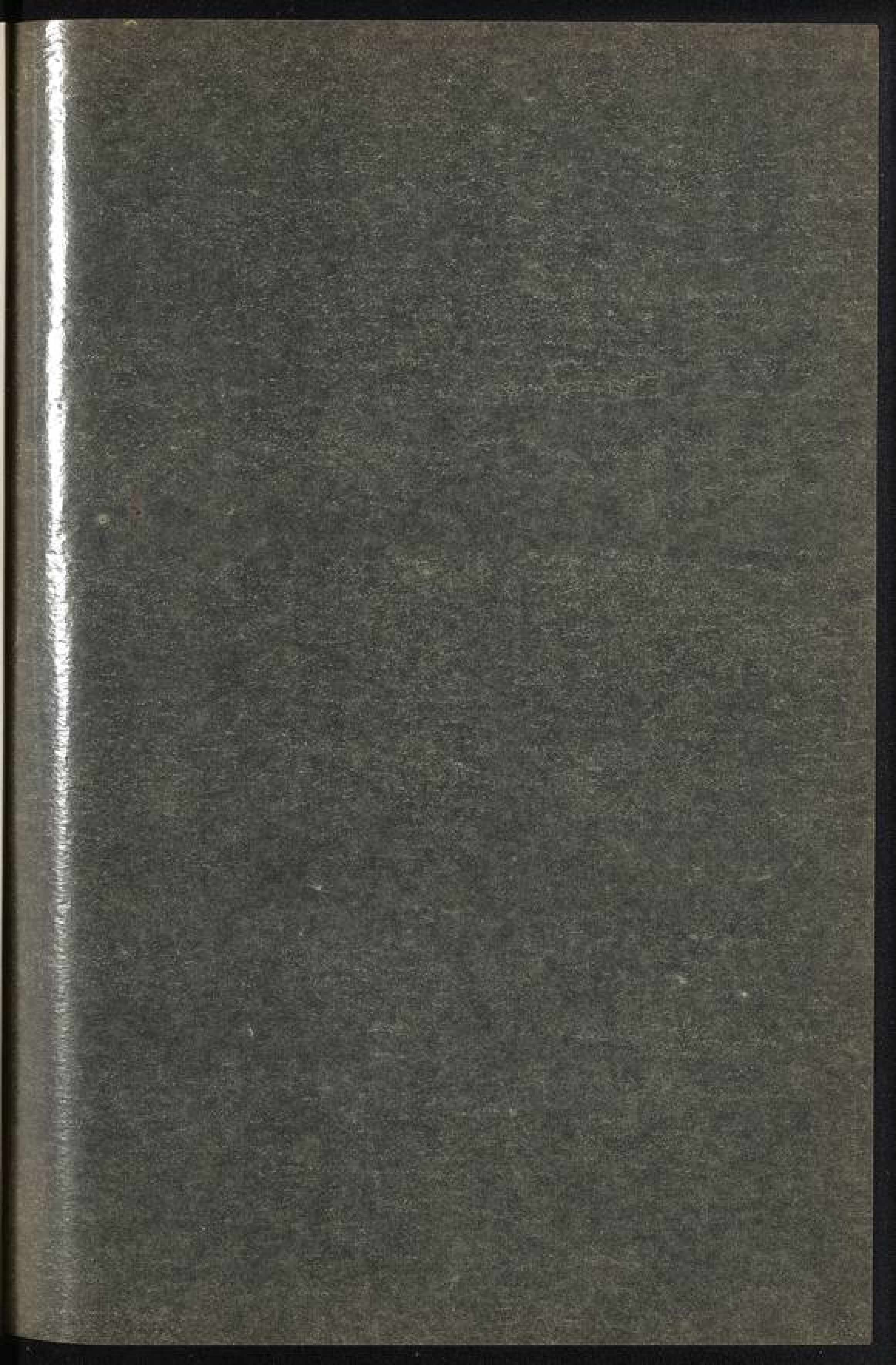
كان الكاتب المحقق مصطفى جواد قد قال في هذه المجلة (٧ : ١٩٢٩، ٤٨٨) ما يلي : « واذ كانت قصور الخليفة بين شريعة المربعة او نحوها وشريعة المصبغة اى على ما ادعى الصديق ... (يعنيني بكلامه) فكيف يتفق الامر وقول ابن جبير الص ٢٠٦ عن الناصر لدين الله : « وقد انحدر عنها صاعدا في الزورق الى قصره باعلى الجانب الشرقي على الشط » فهل كان اعلى الجانب الشرقي المصبغة ؟ » انتهى كلام صاحب المقالة الذي يستشف من استفهامه انه انكر على تعيين موضع قصور الخليفة . وكان قد سبق وقال عني في الص ٤٨٧ ما يأتي : « وهناك اضطراب ظاهر في قوله (يعنيني) « يحتمل ان تكون قصور الخليفة فوق دار ابن الجوزي او تحتها » ثم قوله (كذلك يعنيني) : « ولعل الارجح ان تكون تلك القصور فوق الدار » انتهى ما نقله ورأى ان « او » الشكية زائدة فنقدني عليها ولم اكن اذ ذاك في بغداد لتكون الاجزاء السابقة تحت يدي لاجيبه على كلامه .

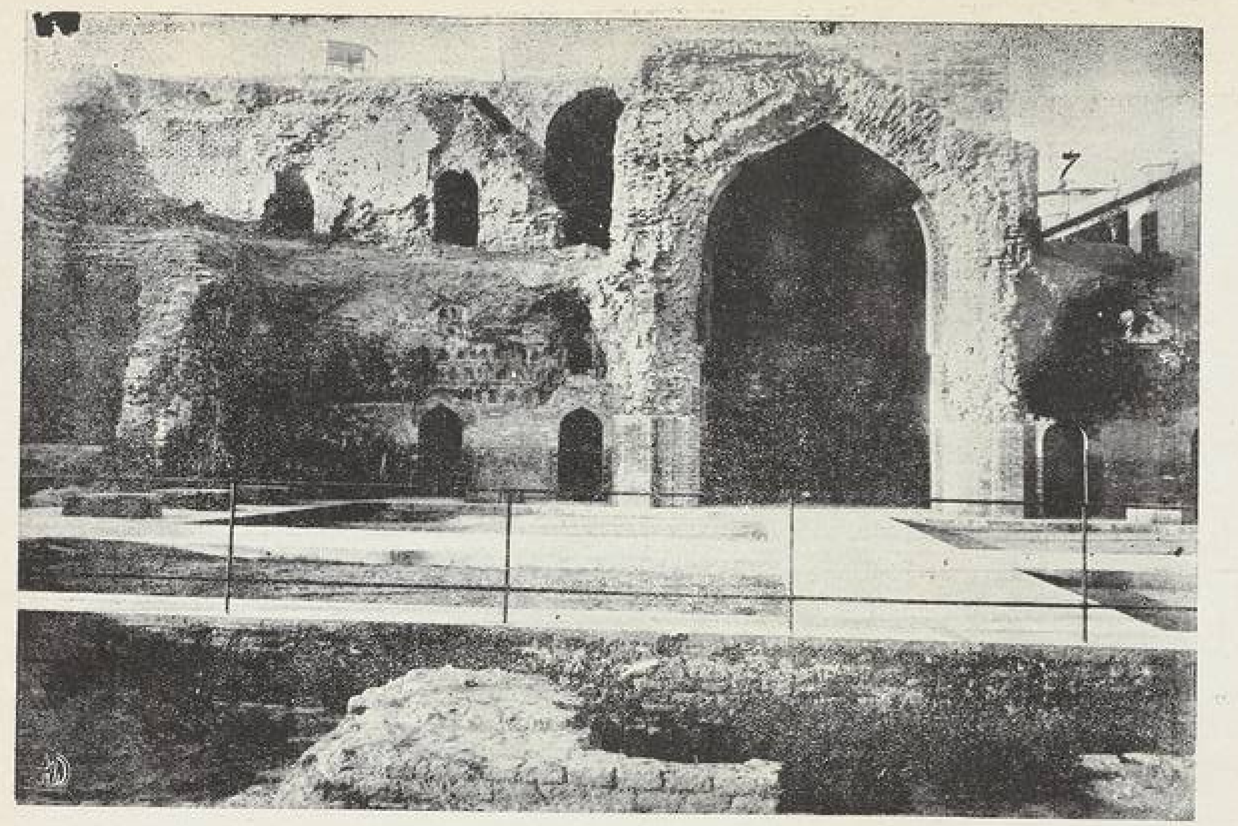
وبعد ذلك باشهر كتب ايضا في هذه المجلة في الص ٣٤٣ من هذه السنة مقالة بعنوان « القصر الذي بالقلعة » نفى فيها ان تكون الاطلال قصر المأمون واخيرا دبج قلمه مقالة اخرى عنوانها « قصر الناصر لدين الله العباسي بالقلعة » نشرها في جريدة العراق (البغدادية) في عددها المرقم ٣٠٩٤ والمؤرخ ١٠ حزيران ١٩٣٠ اورد فيها من الادلة والبراهين ما ينفي نسبة القصر الذي بقاياه بالقلعة الى المأمون . وهو محق في ذلك .

واذ كان لنقده اياي ولسؤاله الذي وجهه الى صلة بالقصر الذي كتب عنه المقالتين عن لي ان اكتب شيئا عن ذلك وافصح عن بقايا القصر المنوه به —

(*) للمهندس الفرنسي هـ . فيوله مقالة في مجلة الآثار التي تنشر في باريس وصف فيها بقايا هذه الدار وسماها « بقايا الايوان الذي بالقلعة » وكذلك فعل المسيو لويس ماسنيون في كتابه « بعثة في العراق ٢ : ٨٤ » والدكتور ارنست هرتسفلد في كتابه عن بغداد الص ١٧٠ .

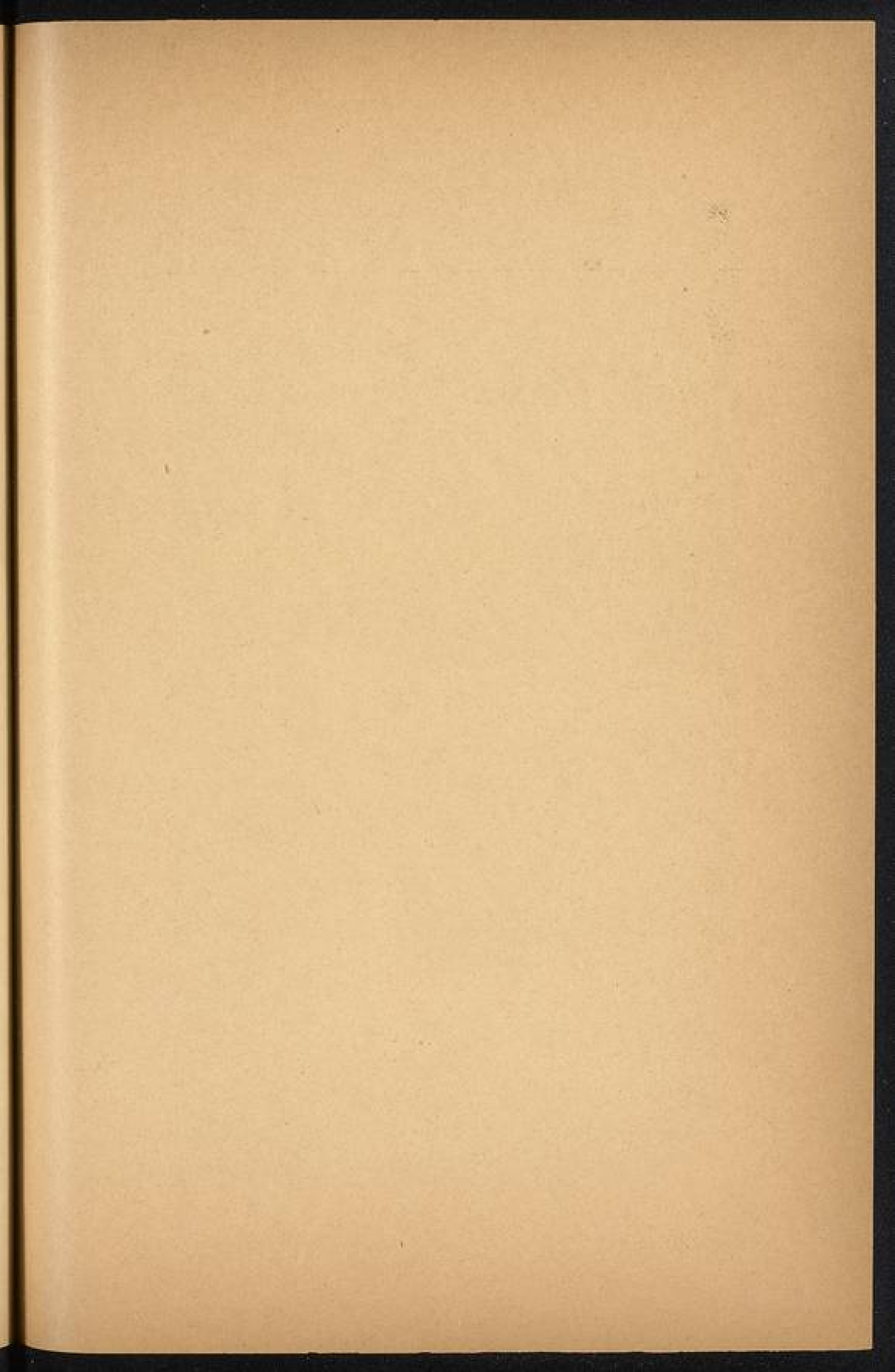






ايوان دار المسناة ، المسماة اليوم بالقصر العباسي ، قبل اصلاحه

ازاء الصفحة ٢٨٤



وهي الايوان الذي بالقلعة ومايتصل به من الابنية – حتى يجيء اليوم الذي نعرف فيه باني القصر وسنة تشييده واسمه(**) وهل كان له اسم غير الذي سنعرفه في السطور التالية •

وليسمح لى الكاتب الاديب المجامل ان اقول له انى لا ارى منافاة فى ما حققته عن موضع قصور الخليفة وعلى اصطلاح آخر دور الخليفة وعلى غيره من الاصطلاحات دار الخلافة ما استوجب الاستفهام • وهل من البعيد ان يكون للناصر قصر غير قصوره التى فى دار الخلافة ؟ ولا شك ان الجواب هو : كلا ان ذلك ليس من البعيد •

وبعد ان اقر الكاتب الفاضل فى استفهامه بانى قلت ان قصور الخليفة بين شريعة المربعة او نحوها وشريعة المصبغة فلا ارى ان له وجها فى مناقشتى فى « او » الشكية اذ ان من يراجع مقالتى « قبر ابن الجوزى » و «قصور الخليفة » (هذه المجلة ٧ : ٣٧٢) التى نقل منها للتقدير ان ما قلته فيها هو ما استخرجته من رحلة ابن جبير قبل ان استرسل فى البحث الذى عينت فى نتيجته موضع قصور الخليفة فى مقالتى المذكورة كما كنت قد عينت قبل ذلك موضع حريم دار الخلافة وفيه دار الخلافة فى هذه المجلة (٥ : ٤٤٩) وفضلا عن اقرار الفاضل الاديب فى استفهامه بانى كنت عينت موضع قصور الخليفة فانه قد قال اخيرا ما يأتى فى جريدة العراق فى عددها المذكور آنفا :

« نقل صديقنا ••• يعقوب نعوم سركيس فى المجلد الخامس من مجلة لغة العرب الص ٤٥٣ ان المدرسة المستنصرية « اى الكمرك اليوم » مما يلى شمالى دار الخلافة العباسية ومصدره ج ٣ الص ١٧٠ من تاريخ ابى الفداء ••• » ثم قال : « واذ علمت ان قصر المأمون فى دار الخلافة (وكانوا قد جددوه) وان دار الخلافة من قهوة المصبغة الى جامع السيد سلطان على وشريعة

(**) وقفت بعد هذا على ان بانى دار المسناة هو الخليفة الناصر لدين الله • وذكرت ذلك فى جريدة البلاد فى العدد المؤرخ فى ١١ أيلول ١٩٣٥ • وللاستاذ الكبير ناجى معروف نبذة فى مجلة « التفيض » (٢ « ١٩٤٦ » ١١ و٨١) عنوانها « القصر العباسى مدرسة وليس قصرا ولا دارا » وفى حاشية فى الص ٨٤ « ان ما ذكر فى هذا البحث عن المستنصرية مقتبس من اطروحتى للدكتوراه » ولم يقدمها بعد •

المربعة اليوم ادركت كل الادراك غلط من ينسب قصر القلعة ـ المتهدم اكثره اليوم ـ الى المأمون » آه .

فيظهر مما تقدم باقرار الكاتب بانى كنت على حق فى ما قلته عن موضع قصور الخليفة فلا تناقض بين كلامى وكلام ابن جبير لتستوجب الحال الاستفهام . وكان حكيى عن قصور الخليفة التى فى حريم دار الخلافة وحكى صاحب الرحلة عن قصر للخليفة غير قصوره التى فى الحريم .

الايـــوان

اما القصر الذى حكى عنه ابن جبير فبقاياه الايوان وغيره مما فى القلعة (١) وكلها بقايا قصر نسبه كاتب المقالتين الى الخليفة وانى لمعتقد اعتقاده انها بقايا القصر الذى عناه ابن جبير وهو الذى سئلت بمناسبته ان اوفق بين كلامى وكلام ابن جبير ولم يكن ما قلته مخالفا لابن جبير على ما بان لك فى ما تقدم . وما هذا القصر الا الذى جاء الكلام عليه فى كتاب الحوادث الجامعـة باسم « دار المسناة » اذ ان موقع الايوان الماثل اليوم يوافق موضع القصر الذى ذكره صاحب الرحلة . اما بانى القصر فقد يكون الناصر وقد يكون غيره قبله اذليس لدى ما ينبئنى بانه من بنائه . وهذا ما وجدته عن القصر فى كتاب الحوادث : « (سنة ٦٣٥ هـ ـ ١٢٣٧ م) ثم تقدم بعمارة سور بغداد وقسم بين ارباب الدولة فسيم الى نواب ديوان الابنية منه قطعة مما يلى دار المسناة

« وفيها (اى فى سنة ٦٤١ هـ = ١٢٤٣ م) زادت دجلة زيادة مفرطة غرقت مواضع كثيرة ونبع الماء فى المدرسة النظامية ودخل بيوتها وكذلك ما جوارها وخرب محلة كان استجدها الغرباء من الجند بظاهر سوق السلطان ووراء جامع المدينة وانتقل اهلها الى وراء السكر وصليت الجمعة على طرف الخندق ممايلى دار المسناة وانزعج الناس ... »

« (سنة ٦٤٦هـ ـ ١٢٤٨ م) ... ثم زادت (دجلة) فى ذى الحجة زيادة مفرطة اعظم من الاولى فانفتحت فى القورج فتحة وصاحب الديوان فخر الدين ابن الدامغانى هناك فنجا بنفسه مسرعا ودخل البلد وانفتحت اخرى الى جانب دار المسناة واحاط الماء ببغداد ... »

« في هذه السنة (اى سنة ٦٨٠ هـ - ١٢٨١ م) قبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان واصحابه ونوابه واتباعه ... ودوشخ (٢) والقى تحت دار المسناة التى باعلى بغداد على شاطىء دجلة ... » أ هـ

« (سنة ٦٩٦ هـ - ١٢٩٦ م) ثم امر (السلطان) بقتل مظفر الدين على ابن علاء الدين صاحب الديوان فنفذ الى بغداد من قبض عليه واعتقله اياما ثم قتل ودفن في دار المسناة التى باعلى بغداد وعملت الدار رباطا ثم نقل منها ودفن عند والدته فى الرباط المجاور للعصمتية » اهـ

وبعد تعريف الحوادث الجامعة بموضع دار المسناة وهو ما ينطبق على موضع القصر الذى رأى ابن جبير الخليفة الناصر لدين الله صاعدا اليه وكذلك ما ينطبق على موضع الايوان الذى بالقلعة لم يبق شك فى ان هذا الايوان هو اثر باق من دار المسناة لكنا لا نعرف بانيها وسنة تشييدها وهل كان لها اسم غير هذا . ولعل كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى (٣) - ولا سيما مجلده الاخير - يميط اللثام عما جهلناه فحقيق بالباحث ان يرجع اليه منقبا ومدققا .

الحواشى

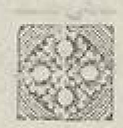
(١) هى القلعة التى كان يسميها الاتراك فى التاريخ « ايج قلعه » (اى القلعة الداخلية) . وذلك لوقوعها فى داخل سور المدينة . وكانت تسمى اخيرا بالـ « طوبخانة » (اى موضع المدفع او المدافع) وهى قديمة اذ انك تجد حدودها مرسومة فى صورة لبغداد فى المخطوط التركى المسمى « بيان منازل سفر سليمان قانونى بند كانندن نصوح السلاح المطراقى ٩٤٤ » (١٥٢٧ م) وهو مخطوط وجد فى خزانة يلديز للسلطان عبدالحميد وصفته مجلة *Syria* واقتبست بعض صوره ثم نشر على حدة فى السنة التى نشرته وهى سنة ١٩٢٨ وعنوانه بالفرنسية :

Les Etapes d'une Camqagne dans les deux Iraks...pub. par Albert Gabriel, Paris 1928.

(٢) بالمجهول وقد اشتقوا الفعل من كلمة « دوشاخة » الفارسية اى « شاختين » اى فرعين وهى آلة ونوع من التعذيب وصفهما تيفنو *Jean de Theveno* المتوفى فى سنة ١٦٦٧ فى رحلته المطبوعة طبعة ثالثة فى امستردام

فى سنة ١٧٢٧ (٣ : ٣٦٢) مع نشره صورة يمثل فيها التعذيب بالدوشاخة • وكان هذا التعذيب معروفا فى ايران اذ ذاك على ما نقله •

(٣) ذكر جرجى زيدان (٣ : ٨٣) ان وفاتـه كانت فى سنـة ٦٥٤ ﻫ (١٢٥٦ م)وهو الواقع الصحيح ـ وانه طبع من كتابه مرآة الزمان مجلد فى الهند على الحجر فى سنة ١٩٠٧ وقال ان فى المكتبة الخديوية (اذ ذاك) الجزء السابع عشر منه وانه يحتوى على حوادث ١٤ سنة من سنة ٦٧٢ الى ٦٨٢ • قلت : لم اطلع على خبر طبعة الجلد المذكور ويبين لى ان جرجى زيدان قد غلط اذ ان المجلد المطبوع فى تلك السنة مطبوع فى شيكاغو (اميركه) (راجع حاشيتى فى هذه المجلة ٥ : ٢١٨) وكانت طبعته بالتصوير الشمسى على ما فى احدى قوائم الكتبى لوزاك فى لندن فى سنـة ١٩٢٩ وكذلك ذكـره معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس ولم يذكر طبعة الهند مما يبين صحة رأيى • واخيرا اخبرنى كوتنر فى باريس احد كتبى المستشرقين ان عدد نسخ المجلد المطبوع مائة فقط •وان قيمة النسخـة كانت يوم نشره اربعين دولارا اميركيا (ثمانية باونات) وان طبعته نفدت وهو نادر جدا • اما المجلد الذى ذكر جرجى زيدان وجـوده فى المكتبة الخديوية فلا شك انه ليس لسبط ابن الجوزى وقد كان توفى فى سنة ٦٥٤ فهـذا المجلد تتمـة للكتاب المذكور او ذيل على ذيل له •



الص ٧٢٧ الجزء ١٠ من السنة ٨ = تشرين لاول ١٩٣٠

آلتون كوبرى

فى التاريخ

التون كوبرى ويجوز كتابتها بصورة « التون كبرى » قصبة فى لواء كركوك واقعة بين جسرين قائمين على فرعى الزاب الصغير الذى يقال له ايضا الزاب الاصغر وبتعبير آخر الزاب الاسفل ويقال للفرع الاعلى التون صو(١) وتعريبه الحرفى « الماءالذهب » ومعناه « نهر الذهب» ومعنى التون كوبرى جسر الذهب ولا بد ان القائل التون كوبرى اراد ان يقول التون صو كوبريسى اى جسر نهر الذهب فاستطال الجملة فاختصرها • وقد ذهبت الى القول بهــذا الاختصار معلمة الاسلام وكذلك حضرة الاب صاحب هذه المجلة (٥ : ١٩٢٧ - ٢٨ : ٣٦٢) • ورجحت معلمة الاسلام قولها على ما ينسب الاسم الى وفرة الدخل الذى يؤخذ عن العبور • وبعض العراقيين منا يعرب التون كوبرى مع اختصاره فيقول « القنطرة » كما قال الاب فى كلامــه الذى اشرت اليــه اما الحكومة فتكتبها فى ما تصدره من الرسميات بصورة التون كوبرى •

ويروى بعض الناس عن سبب تسمية التون كوبرى ان السلطان مراد الرابع حينما جاء بغداد فى سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) امر بتشييد جسر هناك فابان من امر بذلك حاجته الى مال كثير فتقدم اليه بالشروع وان تبلغ النفقات ثقل الجسر ذهبا ولا يمكننا ان نقبل هذا السبب للتسمية ــ على فرض صحة الامر بالبناء وتداول الكلام عن النفقات ــ لوجود نهر هناك اسمه التون صو قبل مجىء السلطان مراد الى بغداد فضلا عن ان اسم التون كوبرى كان معروفا قبل زمن السلطان المار الذكر بنحو ثلاثة قرون على اقل تقدير وقد سمع ايضا حضرة الاب صاحب المجلة ان بانى القنطرتين اللتين فى آلتون كوبرى هو السلطان كما ان سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) (ص ٢١٥) كانت قد قالت ما تعريبه :

« ان هذا الجسر العظيم اسس فى عصر مراد خان الرابع ولا يزال حافظا صلابته ومتانته » أ هـ • اما التاريخ فانه يخطىء صاحب السالنامه اذ انه

يبين لنا ان الجسر كان قد خرب وانه جدد بعد الالف والمائة من الهجرة كما سيجيء فلم يكن الجسر القائم فى زمن وضع السالنامة ذلك الجسر الذى ينسب بناؤه الى السلطان مراد ان صحيحا وان غلطا .

وهاءنذا اروى لك ما وجدته عن قدم اسم التون كوبرى مقتبسا الكلام من بضعة مصنفات فيها العربى والتركى والفارسى والبرتغالى مبتدئا بما هو اقرب عهدا فما قبل ذلك

ذكر التون كوبرى كتاب « فذلكه كاتب جلبى » (بالتركية) (٢ : ٦٦) المتوفى فى سنة ١٠٦٧ هـ (١٦٥٦ م) فى حوادث سنة ١٠٣٤ هـ (١٦٢٤ م) وذلك فى قوله الذى اعربه كما يلى : « كان بكلربكى قرمان وهو جركس حسن باشا قد شتى فى جهات الجزيرة وحسن كيف (حصن كيفا) فشاع تجمع الاعداء فى التون كوبرى وكركوك فسار اليه ... » اهـ .

وذكره كتاب « شرفنامه » بالفارسية (١ : ٤٤٠)ومؤلفه شرف خان وقد اتمه فى سنة ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م)

وكذلك ذكره بصورة *Altun Copri* مسترة افونسو البرتغالى (٢) فى رحلته (ص ٢٢٠) وقد ابتدأ بها فى سنة ١٥٦٥ م (٩٧٣ هـ)

وجاء بذكره ايضا رستم باشافى تاريخه المترجم الى الالمانية (٣) (ص ٨٦) وكانت وفاة الباشا المؤرخ فى سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) .

ومن الذين ذكروا آلتون كوبرى قديما ـ حتى قبل مجيء السلطان سليمان الى بغداد فى سنة ٩٤١ هـ(١٥٣٤ م) ـ عبدالله بن فتح‌الله البغدادى الملقب بالغياث فى كتابه المسمى التاريخ الغياثى اذ قال : « ثم اسبان ترك امير محمد بن شيءالله بجصان ورحل الى كركوك ودقوق فاخذها واخذ آلتون كوبرى » وقال : « فلما سمع الوند بموت اسبان وانهم سلطنوا بولاد وليس لهم فيه ارادة ... توجه الى كركوك ـ وكانت اولكته ـ وتوجه منها الى اربل وآلتون كوبرى والموصل فاخذها » . وكذلك قال : « وكان كور خليل ومقصود بيك ابن حسن بيك بالموصل فتوجهوا الى كركوك ودقوق والتون كوبرى » اهـ وكان المؤلف عائشا فى اواخر القرن التاسع للهجرة على ما كان بينه حضرة الاب صاحب المجلة فيها وبينته فيها انا ايضا فى مقالة العمارة والكوت .

واقدم عهدا من كل ذلك ما جاء في كتاب « ظفرنامه » بالفارسية لشرف الدين على اليزدي الذي كان من رجال النصف الاول من القرن التاسع للهجرة وقد انجز كتابه في سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٤ م) على ما في قاموس الاعلام . فانه قال ما معناه : « فتوجه العلم الذي شعاره النصر بضمان الله وحفظه وتأييده الى بغداد بطريق آلتون كوبرى » اهـ

والظاهر ان الجسر لم يكن صالحا للعبور عليه في سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ ـ٢٩ م) فقد جاء في كلشن خلفا ما ملخصه (ص ٧٥ من المطبوع) ان خسرو باشا هيأ في الموصل ظروفا لعبور التون صو فعبره وخيم العسكر المنصور في شهرزور . فيجوز ان الباشا اراد العبرة في موضع غير موضع الجسر فاحتاج الى ظروف (للاكلاك) واذ فرضنا ان عبرته كانت في موضع الجسر فيمكن ان يقال ان السلطان مراد حينما جاء الى بغداد ـ وذلك بعد عبرة الباشا بضع سنوات ـ رأى الجسر منهدما فامر ببنائه .

فهمنا سماع الأب ان قنطرتي « التون كوبرى » من ابنية السلطان مراد وكذلك قالت سالنامة الموصل وقد روت كلامها بصيغة لا تبقى مجالا للشك في ان الجسر من ابنية السلطان المار الذكر كأن ذلك حقيقة تاريخية راهنة مع ان كلشن خلفا ايضا (ص ١٢٩ من المطبوع) يخبرنا في حوادث سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٦ م) اى بعد مجيء السلطان مراد الى بغداد بنحو ثمانين سنة بما تعريبه ملخصا :

« فصل : ومما وفق له الوزير المشار اليه (حسن باشا والى بغداد) من عمل الخيرات الكثيرة انه عرض على الدولة ان الجسر القائم على النهر المعروف المشهور بـ « التون صو » الواقع بين الموصل و كركوك قدخرب فتعسر المرور والعبور هناك وطلب من الدولة تجديده فقبل السلطان بذلك وامر بان ينفق عليه من مال الدولة فشرع الوزير بتجديده فكان الجسر بسعيه محكما طولا وعرضا ومتينا في عمارته وعين عليه اميرا فاضحى مأوى لجمع الرعايا ومأمنا لابناء السبيل مع سهولة المرور » اهـ . وهذا الكلام لايبقى ريبا في ان الباشا جدده تجديدا ولو كان فعله فيه ترميما لما احتاج الى مراجعة الاستانة لصرف

نفقات لابد انها كانت طائلة • فكلام السالنامة ليس بصحيح يخطئه هذا المؤرخ المعاصر •

وجاء مثل ذلك التعبير واستعمال الالفاظ نفسها فى حديقة الوزراء للشيخ عبدالرحمن السويدى فى مختصرها لسليمان الدخيل فانه قال : « فصل : ولم يزل الوزير (حسن باشا) له توفيق لعمل الخيرات والمبرات وبناء المساجد والرباطات فقد عمر قنطرة الطون صويى بعد خرابها • وهذا الماءجار بحدة بين الموصل وكركوك • وجعل فيها بعد عمارتها مأوى لابناء السبيل وعين من الرعية الجمع الكثير لما يقوم ببعض حاجات العابرين هناك » أه ولابد ان الشيخ السويدى نقل عن كلشن خلفا اذ ان البناء كان فى سنة ١١٢٩ هـ على ما رأينا ولم يكن الشيخ السويدى قد ولد بعد فان ولادته كانت فى سنة ١١٣٤ هـ (١٧٢١ م) على ما فى هذه المجلة (٢ : ١٩١١-١٣ :) ٢٧٨ • وغيرها

ويدعى ايفس (٤) فى رحلته (ص ٣١٥) ـ وقد مر بالتون كوبرى فى حزيران سنة ١٧٥٨ م (١١٧٢ هـ) ـ انه روى له ان الجسر من ابنية النصارى القدماء الذين كانت المدينة تعود اليهم هذا وانى لااعتقد صحة مارواه • ولااقول فى عجالتى هذه انى قد استقصيت البحث اذ يجوز للمنقب ان يجد غير ما اوردته •

الحواشى

(١) عن عدة مؤلفات حديثة العهد بالعربية فى جغرافية العراق وعن هذه المجلة ومعلمة الاسلام • وقد بحث عن آلتون كوبرى الاستاذ الكبير الدكتور هدتسفلد فى كتابه فى جزء سنجار فى ص ٣٢٢ لكننا لم نستفد من مقاله شيئا لجهلنا الالمانية والظاهر انه لم يبحث فيه عنها فى عصورها الاخيرة •

(٢) *Mestre Affonso* وتجد رحلته فى مجلد فيه رحلتان اسمه *Itinerarios da India a Portugal por terra. Coimbra 1923*

(٣) *DieOsmanische chronik des Rustem Pascha von Dr. Ludwig Forrer Leipzig 1923*

(٤) *A Voyage form England to India... also a Journey from Persia to England... London 1773*

الص ٢ الجزء ١ من السنة ٩ = كانون الثاني ١٩٣١

تلو هو تل هوارة (*)

كانت العطلة لمدرسة الآباء الكرمليين في بغداد تبتدىء في نصف ايلول في زمن تلمذتي فيها وفي ذلك الشهر من سنة **١٨٩١** كنت في الشهر الاول من السنة السادسة عشرة من عمري فرغبت في زيارة والدي في الشطرة على الغراف من بلاد المنتفق فاذن لي بذلك فذهبت اليه بطريق الكوت • وبعد اقامتي عنده نحو ثلاثة اسابيع حان وقت الاياب فطلبت اليه ان يسمح لي في عودتي بان احيد بضعة كيلومترات عن الطريق التي سلكتها في المجيء لاتفقد « تلو » لما كنت اسمع عن الآثار التي بعثت من مدافنها فيه وكان لي من والدي ما اردته فمررت بهذه الخرائب التاريخية فعلوتها اسرح الطرف فيها • وقد استغرب سمعي منذئذ هذا الاسم الغريب : « تلو » ! « تلو » !

وبعد ذلك كثيرا ما سألت اعراب تلك الانحاء عن اسم التل لعلهم يعرفون اصلاله فاعترفوا بجهلهم وبان علمهم لا يزيد على سماعهم من سلفهم انه « تلو » وهكذا سلفهم ينقل عن الذي قبله الى امد لا يعرفون له حدا • فلم ينبثق من علمهم بصيص من النور اهتدي به • اما ما عرفته من معلمة لاروس المسماة « الجديدة المصورة » وغيرها من الكتب ان « تلو » مشتق من « تل لوح » المخفف من « تل اللوح » فلم اقنع بصحته لعلمي ان اهل الغراف ـ حضرهم واعرابهم ـ لم يلفظوا الكلمة ولا يلفظونها ابدا على هذا المنهج والمنحى • ولاسيما اني لم اسمعهم قالوا : « لوحا » للصفيحة المكتوبة من الآجر *Tablette* التي تكون في التلول بل يقولون لها : عنتيك « (بالعين) اي : *Antique* • فالظاهر ان الصفائح التي وجدت في « تلو » غرت ذهن الباحث ـ وهو يفتش عن معنى هذا الاسم واصله ـ فقال ان « تلو » منحوتة من « تل اللوح » لما وجده من التوافق بينهما •

(*) وقد أيدني احد علماء القدس وهو الاب أ . س . مرمرجي الدومنكي المتخصص في مثل هذه الدراسات في كشفي ان تلو هو تل هوارا وذلك في كتابه الى المؤرخ في ١١ آذار ١٩٣١ .

وفى هذه الايام الاخيرة وردت الى كراسة من معلمة الاسلام وفيهامادة « تلو » وقد ذكر فيها ان المستشرق شيفر *Sehefer* قال : *Telloh* (هكذا مكتوبة) مشتقة من « تل اللوح » واذ كانت وفاة هذا المستشرق فى سنة **١٨٩٨** (١) يجوز ان يقال انه ذهب الى هذا الرأى بعد عثور الاعراب على خزانة الصفائح • وكان وجودها بعد انتهاء موسم التنقيب فى ربيع سنة **١٨٩٤** فحدا ذلك بشيفر الى قوله الذى ذكرته كما يجوز انه كان قالها قبل ذلك التاريخ اذ لا اعلم سنة قوله • وكيفما كان الامر فان هذا الاشتقاق كما بينته آنفا لم يجذبنى اليه فاسلم بصحته • فالكلمة ــ على ما اعتقده ــ ما هى الا بنت من بنات افكار المستشرق العارف بالعربية فظن ان لها صلتين : صلة لفظية وصلة معنوية • وهذه الصلة الاخيرة لوجود الالواح (الصفائح) هناك

كان لرأى شيفر وقع هيج فى ما هو كامن فى صدرى من حب الوقوف على اصل الكلمة فتذكرت ان للاديب الفاضل رزوق عيسى فى هذه المجلة الغراء مقالة فى المدن القديمة فى العراق وان فيها بحثا فى « تلو » فرجعت اليها وهى المعنونة خزائن بسمى القديمة المدروجة فى سنة ١٩٣٠ (٨ : ٨١) لاقابل ما فيها بقول شيفر فوقفت على هذا البحث وللكاتب عليه تعليق ومأخذه كتاب « مابين النهرين العجيبة » لبارفت • وبحثه هو هذا :

« حفر اعراب البادية (٢) فى خرائب « تلو » (اى لجش) وهى شربولا القديمة فوجدوا صفائح آجر كثيرة جدا بحيث اخذ يبيع الحفارون ملء قارب (٣) من العاديات بخمسة قروش صحيحة (٤) وبهذه المناسبة اطلق على انقاض الخرائب « تل اللوح » اى تل الصفائح وقد قدر تلك العاديات الاستاذ بارفت بثلاثين الف آجرة » اه

والذى يظهر من هذا البحث ان اسم « تل اللوح » لم يرد الا بعد وجود خزانة الصفائح • وكان العثور عليها ــ كما قلت آنفا ــ فى ربيع سنة **١٨٩٤** وكنت فى العراق فى حزيران من تلك السنة • وبما ان اسم « تل اللوح » يروق الذين وقفوا على بعض ماكتب عن تلو وآثارها ــ دون بعض المتوغلين منهم ــ فوسع هؤلاء ان يظنوا ان اسمه هذا اكتشاف قائم على مستندات اركانها قويمة وليس اختراعا

للاعراب فيفوتهم انه وضع جديد صوره الخيال ان بعد وجود خزانة الصفائح على ما فى النبذة وان قبل ذلك . والغالب على الظن انه كان بعد وجود الخزانة . اما اهل العراق سكان حواضره واعرابه على حد سواء فانهم لم يقولوا ولا يقولون الى الآن الا « تلو » ولم تصلهم الكلمة المغلوط فيها .

يمكن لغيرى ايضا ان يرد قول من يقول ان « تلو » هو « تل اللوح » ساردا البراهين لكن انى له ان يعرفنا باصل الكلمة فان ذلك كان من نصيبى اذ ان المصادفة هى التى اوقفتنى عليه . وكم من صدفة حلت مشكلا معقدا !

رصافة واسط والآثار القديمة التى بجوارها

لم يمر على وقوفى على ما قالته معلمة الاسلام اكثر من خمسة ايام حتى وقع بيدى الجزء السابع والثامن من مجلة المجمع العلمى العربى الزاهرة من سنة ١٩٣٠ فكنت اطالع القسم الذى فيه من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخى المتوفى فى سنة ٣٨٤ هـ(٩٩٤ م) آملا الاستفادة منه عن زمن العصر العباسى . واذن امامى النبذة التالية فى الص ٤٨٠ وهذا نصها :

« ومن عجائب الدنيا وآياتها اشياء فى سواد واسط .

حدثنى جماعة منهم رجل يعرف بابن السراج (٥) وغيره ومنهم محمد بن عبدالله (٦) ... الواسطى ... فاثبت ذلك بخطه محمد بن عبدالله عقيب هذا الكلام شاهدت على نحو من فرسخ وكسر من رصافة الميمون قرية من قرى النبط والاكاسر (كذا) تعرف بالحراوقلة فيها آثار قديمة من بنايا جير وجص وفيها قبة ـ قائمة كالهيكل كانت قديما ـ وتمثال رجل من حجر اسود املس عظيم الخلق يعرف عند اهل ذلك الصقع بابى اسحق لانه يتعاطى قوم من اهل القوة شيله فيسحقهم ويكسر عظامهم وقد قتل وأزمن خلقا . فيذكر اهل الموضع انهم سمعوا اشياخهم يدعونه ذلك على قديم الايام . وهذه القرية خراب لايذكر فيها عمارة . قد كان احتمل هذا الحجر رجل يعرف بالجلندى كان على حماية المأمون (٧) فعمد اليه وشد فيه الحبال وجره بالبقر الى ان بلغ به موضعا من الصحراء ... ثم احتمله بعد ذلك رجل آخر من اهل الرصافة على خلق من الحمالين يتناوبون عليه حتى ادخله الرصافة فحضر اهل ذلك الصقع الذى كان

فيه ... فحملوه ثانية حتى ردوه الى موضعه ... وكان على صدر، وعلى ظهره وكتفيه كتابة محفورة قديمة لا يدرى باى قلم هى » اه

فذكر واسط والرصافة وحكاية التمثال مما يكون لنا عونا كما سنرى على معرفة الاسم الذى نحت فصار « تلو » وعلى تعيين موضعها. وتمهيدا للوصول الى الغاية لابد من تعيين مواقع بعض ما ذكر من المواضع مع بيان بعضها عن بعض فلذلك اقول :

واسط : فى جنوب بغداد واقدر المسافة بينها وبين بغداد بنحو مائتين وعشرة كيلومترات وخرائبها ظاهرة للعيان . ذكرتها عرضا فى هذه المجلة (٦ : ٤٢٤ ح) ويسميها الاعراب « المنارة » ولعل سبب هذه التسمية شخوص اثر فيها – لا يزال قائما – يقال انه بقايا باب وعلى رأى آخر بقايا منارة . ولم ار هذه الاطلال . وهى – كما كنت قد قلت – واقعة على دجلة المندرسة التى نسميها اليوم « الدجيلة » (بالتصغير) . وكانت دجلة هذه تجرى فى هذا العقيق فى سنة ٩٦١ هـ(١٥٥٣ م) بدليل ان الرئيس التركى « سيدى على » ذهب منحدرا راكبا النهر من بغداد الى البصرة فى السنة المذكورة بطريق واسط ثم « زكية » على ما جاء فى كتابه « مرآت الممالك » (الص ١٦) . ولولم تكن واسط التى مر بها واسطا (المنارة) لما كانت تفضى به الطريق الى « زكية » وهى على دجلة كما نعرفه من رحلات عديدة . وقد ذكرها ياقوت وذكر ايضا كلشن خلفا وغيره زكية ونهرها . ولو كان مرور سيدى على بواسط (القرية) التى على شط الاعمى لافضت به الطريق الى الفرات او مياهه . وموقع المنارة على بعد خمسة وعشرين كيلومترا من الحى (٨) فى شرقه . فهى الآن – بين الغراف ودجلة – بعيدة عن كل منهما .

رصافة الميمون : جاء فى معجم البلدان : « رصافة واسط هى قرية بالعراق من اعمال واسط بينهما عشرة فراسخ ... » اه . وقد هدتنا مجلة المجمع الى الميمون فى المشترك لياقوت ووجدت فيه : « الميمون نهر من اعمال واسط قصبته الرصافة . » وهى معروفة حتى اليوم بالرصافة بدون نسبة اذ لا رصافة غيرها فى انحائها . وموقعها بين الغراف ودجلة فى ما يسمى اليوم « بجزيرة السيد احمد الرفاعى » (٩) وهى فى جنوب « المنارة » (واسط) بخط مستقيم نحو

خمسة واربعين كيلومترا بميل نحو ستة كيلومترات الى جهة الشرق فى الجانب الغربى من النهر المندرس المسمى الاخضر (بفتح الخاء والضاد) على بعد نحو سبعة كيلومترات منه ولعل الاخضر هو دجلة نفسها وهى فى شرق قلعة سكر تبعد عنها نحو تسعة وعشرين كيلومترا على خط مستقيم بميل نحو سبعة كيلومترات الى الجنوب (١٠)

الحراوقلة : لا اعرف عنها شيئا ولعلها محرفة • وقد جاء فى مجلة المجمع فى الحاشية قوله : كذا بالاصل ولعله بالجيراوقلة » فلم تحل الحاشية غموضا وعسى ان يعود الناشر فينعم النظر فى المخطوط لعله يهتدى الى الرواية الصحيحة فيهدينا (١١)

ومن نفائس ما جاء فى تلك الحكاية هذا الكلام : « تمثال رجل من حجر اسود املس عظيم الخلق ••• كان على صدره وظهره وكتفيه كتابة محفورة قديمة لا يدرى باى قلم هى » اه فهذا الوصف ينطبق على التماثيل التى وجدت فى « تلو » لكوديا (*Goudea*) وبالاخص ما وجده فيه دى سارزيك *De Sarzec* فى اول سنى حفره فنقله الى متحفة لوفر فى باريس حيث يعرض على الانظار • فعلى الاثرى المنقب ان يرجع الى التلول الواقعة على قرب بضعة كيلومترات من الرصافة فانها قد لا تخلو مما يستأهل النفقات والتعب والنصب اذ لم يكن قد نقل هذا التمثال من تلو فانه مذخر التماثيل وغيرها من العاديات القيمة •

تل هوارة

كان حد علمنا فى ما تقدم تعيين موضع مدينة وقرية هما واسط والرصافة ووجود تمثال على بعد فرسخ وكسر من الرصافة ومع هذا فقد ادنانا ذلك من حل العقدة • والحكاية التالية التابعة للاولى فى نشوار المحاضرة هى التى تفضها (ص ٤٨١) وها أنا ذا انقلها للقارىء الكريم :

« وفى هذه البلاد (بلاد سواد واسط كما رأينا) قرية تعرف بقصبة نهر الفضل ـ وهى تلهوار ـ بنحوفرسخين « من » تل يعرف بتل ريحا من البلاد القديمة فيها آثار • وفيه حجر عظيم مربع له سمك كثير • وهو كالسرير طوله تسعة (كذا) اذرع فى اذرع (وفى حاشية مجلة المجمع : كذا فى الاصل) وقد

غاب في الارض اكثره وعليه تماثيل ونقش • وكان صاحب تلهوار احمد بن خاقان (١٢) اراد اقلاب هذا الحجر لينظر ما تحته فاحتفر حوله واجتهد ان يقدر على قلبه فلم يقدر على ذلك • انهم كانوا كلما احتفروا تحته ليتمكنوا من قلبه هوى الى الحفرة فاستغرق فيها فلما اعياه ذلك تركه على حاله » أ ه •

ولنعد الى تعيين المواضع كما افعلنا آنفا :

نهر الفضل : ذكره ياقوت انه من نواحي واسط كما قالته مجلة المجمع وذكره كتاب تجارب الامم لمسكويه (٦ : ٢٦٨ و٣٤٧) وانه في اسافل واسط •

تل هوارة : ذكرته مجلة المجمع عن ياقوت فراجعته وفيه : « بفتح الهاء من قرى العراق • قال ابو سعد (١٣) : ما سمعت بهذه المدينة الا في كتاب النسوى قال ابو بكر احمد بن محمد بن عبدوس النسوى (١٤) حدثنا ابو الحسين (١٥) على بن جامع الدياجي الخطيب بتل هوارة : حدثنا اسمعيل بن محمد الوراق (١٦) » أ ه وجاء في مراصد الاطلاع (طبعةالافرنج) ان تل هوازة (بالزاي المنقوطة) من قرى العراق غير معروف ثم أورد الناشر في مجلد التعليقات بعض الروايات انه تل هوارة فلا اعتبار للرواية التي بالزاي •

تل ريحا : لم اقف عليه ولا ادرى افيه تحريف عن تل ريما مثلا لتشابه الحاء والميم في رسميهما في الوسط ام لا ومع هذا فاني لم اطلع على موضع اسمه تل ريما (*)

سمعنا شهادة ابى سعد ـ بل ابى سعيد السمعانى كما قلناه في الحاشية ـ عن النسوى عن الدياجي الخطيب بتل هوارة وجود قرية اسمها تل هوارة وفيها ذلك الحجر الذى عليه تماثيل ونقش فهو اذن من العاديات واذا كانت الرصافة من بلاد سواد واسط كانت تل هوارة في هذا السواد • والرصافة لا تبعد عن « تلو » الا بنحو ثلاثين كيلومترا وهو في شمالها الغربي ولا بد ان تكون تل هوارة هي التي نعرفها اليوم باسم « تلو » بعد تخفيف الاسم لتلهوار

(*) ثم وقفت على ان حاضرة في العراق كان اسمها « بيت ريما » (بميم) وأثبت ان موضعها كان يقرب من تلو كما سيجيء في جزء آخر • ذلك نقلاعن نبذة لى كنت نشرتها في مجلة « النجم » (الموصلية) (١٠ « ١٩٣٨ » ١٣ وما يتبعها) وفى فلسطين حاضرة اسمها بيت ريما على ما قرأته في احدى المجلات او الصحف

ـ كما جاءفي نشوار المحاضرة ـ او تل هوارة ـ كما جاء في ياقوت والسمعاني ـ ثم « تلهو » مثلا ـ ولثقل اللفظ ـ قالوا « تلو » وهل يمكننا بعد هذه القرائن مع قرب اللفظ ان لا نقول غير هذا القول !

والظاهر ان هذا التخفيف قديم جدا بدليل ان السمعاني المتوفى فى سنة ٥٦٢ ﻫ (١١٦٦ م) الذى استشهده ياقوت قال انه لم يسمع بهذه المدينة الا فى كتب النسوى المتوفى فى سنة ٣١٤٦ ﻫ على ما ذكرته فى احدى الحواشى ومن ثم ان اسم تل هوارة كان قد اندثر فى زمن السمعانى وهذا يحملنا على القول انه لعل شيوع اسم « تلو » كان قد بدأ منذ ذلك الزمن البعيد فضاع الامر على السمعانى وعلى ياقوت •

ومع ان القرائن تفصح بان تل هوارة هو « تلو » يحق لمعترض ان يقول ان تلو مدينة عريقة فى القدم لم يسكنها المسلمون بدليل ان الآثار التى وجدت هناك لم يعثر فيها على اثر واحد اسلامى مع اننا رأينا الديباجى خطيبا فى تل هوارة • فهذه القصبة ليست « بتلو » • قلت ان التوفيق هين جدا فالبصرة كانت فى غير موضعها الحالى ثم نقلت وبقيت دوارسها وقيل للمنقولة ايضا البصرة حتى ان المدينة الحالية اخذت تنتقل بالتدريج الى ربضها المسمى العشار وربما يقال له يوما البصرة كما ان الذى يريد الان العشار وهو فى بغداد مثلا بغير نية الدخول الى مدينة البصرة نفسها يقول : اريد البصرة • ومما نعرفه ايضا عن القصبات المؤسسة فى اواخر القرن الماضى والمنقولة فى هذا القرن الصويرة (١٧) والعزيزية (١٨) الواقعتان على دجلة بين بغداد والكوت الى موضعين قريبين من محليهما السابقين ونقلت الشطرة من بلاد المنتفق الواقعة اذ ذاك على جدول يسمى « الخليلية » المتشعب من الغراف الى موقع على عمود الغراف نفسه على ما هى عليه اليوم ومع هذا النقل حافظت على اسمها • وان اريد فى ذلك العهد ان تسمى « الفالحية » (١٩) • وهذه واسط (التى قلنا ان خرائبها الان تسمى المنارة) وقد اندرست منذ اجيال كثيرة فقد قامت باسمها قصبة تنقلت الى بضعة مواضع كما سيجيء، وكانت الاخيرة قرية واقعة على شط الاعمى فى الغراف وقد اندرست باندراس هذا الفرع الذى كانت عليه قبل ثلاثين عاما او اقل • ويعرف موضعها الآن بواسط وخرائب واسط وكان اسم

واسط قد بقي عليها حتى تشتت اهلها • وبعد هذا الا يحق لنا ان نقول : لم لا يكون ان قصبة اسلامية كانت بجوار « تل هوارة » وكانت تسمى باسمها ؟

واذ لم تكن تل هوارة الاسلامية الا قصبة ذات شأن قليل لابنيتها التي لا تلفت اليها الابصار لم تبق اثرا بارزا ورسما بينا يحفظ اسمها احتفظ الناس باسم « تل هوارة » الخرائب المدينة القديمة غير الاسلامية • كما جرى في واسط اذ بقيت القديمة معروفة برسومها • والجديدة لم يبق منها الا رسم غير ذي بال لا يعرفه الا القليلون الذين بجوارها من الاعراب وغيرهم كبعض سكان قلعة سكر والكرادى لبناء جدرانها بالطين وبيوتها مثل ذلك او كانت صرائف من البوارى او اشباه هذه البيوت وستكون نسيا منسيا قد لا يذكرها التاريخ حتى ان المروى ان واسط هذه المندثرة في عهدنا كانت السابعة بعد خراب واسط (المنارة) على ما روى الراوى (٢٠) ومما قاله ان كلا منها كان على شط الاعمى في الغراف وعين مواقعها باسماء الارض او النهر الذي بجوارها وهو يعترف انه ليس من يقول واسطا اليوم لاحد هذه المواضع والعهدة عليه في كل ما رواه ولا سيما انى لم اسمع من غيره هذه التفصيلات والظاهر ان واسطا الاخيرة ليست بالتي قامت بعد تلك التي تسمى اليوم « المنارة » اذ لا اثر ينبيء عن قدمها فلا بد انها كانت غيرها قد قامت بين الاولى (اى المنارة) وبين هذه الاخيرة •

ومن المعلوم ان في العراق • ولا سيما في شماله ووسطه قصبات ومواضع حفظت الى اليوم اسماءها الارامية وقد ورد بعضها في معجم البلدان نذكر بعضها مما في وسط العراق فمن القصبات العامرة : بعقوبا ومن الآثار عبرتا على النهروان في الجنوب الشرقي من بغداد ـ رأيتها في ربيع سنة ١٩٢٧ ـ ومن القصبات ما حورت اسماؤها فجعلت عربية كابوصيدة (باصيدا) (٢١) وابو جسرة (باجسرا) وبدرة (بادرايا) (٢٢) ومنها من الآثار ابو زوفر (بفتح الاول والثالث) واصلها (بزوفر) (٢٣) في انحاء البغيلة التي غدونا نسميها النعمانية لقربها من النعمانية المندرسة • ومن المعلوم ايضا ان من الخرائب ما اهملت اسماؤها القديمة التي كانت في عهد الكلدانيين وغيرهم فوضعت لها

فى العربية اسماء تناسبها وصفا لها او لغير ذلك • ومن اشهر هذه الآثار الاحيمر (بالتصغير) (وهى قديما كيش بكسر الاول) والمقير (بضم الميم وفتح القاف والياء المشددة) (وهى اور) او ما اكثر التلول والخرائب ــ من كلدانية وغيرها ــ التى تسمى باسماء عربية لعدم الوقوف على اسمائها القديمة التى كانت تعرف بها زمن عمرانها ففى الغراف على ضفته اليمنى من الخرائب غير المشهورة لدى الاثريين ــ اذ لم ينقبوا فيها بعد ــ باسمائها العربية ام الطحيم (٢٤) والمدينة (٢٥) وام العقارب (٢٦) والناصرية (٢٧) الى غيرها وهى كثيرة فلا بد ان القوم الذى وضع الاسماء الارامية كالتى ذكرتها فويق هذا كان قد نهج منهجنا ــ نحن الذين اتينا بعده ــ فوضع لها اسماء بلغته لاندثار اسمائها القديمة او لتشاؤمه منها او لغير علة من العلل فترآى له ان يطلق اسم « تل هوارة » على الخرائب التى نسميها « تلو »

واذ كانت « هوارة » كلمة ليست بعربية واذ لا يزال بعض القصبات والآثار تسمى باسمائها الارامية ان على صحة وضعها وان محرفة او مقربة من العربية كما رأينا جاز لى الظن ان كلمة هوارة ارامية ولا سيما انتهاؤها بتاء مربوطة قلبا للالف كما يقلب كثير منا الف بعقوبا تاء مربوطة او هاء فراجعت حضرة الاب صاحب المجلة استيره فى الامر فاطلعنى على ان « هوارا » معناها فى الارامية الصائبية الابيض والجير والجص والحوارى فكأنهم سموا الخرائب المحكى عنها (تلو) كما سمينا « كيش » « الاحيمر » « وأور » المقير •

الخلاصة

ونتيجة كل هذا البحث ان كلمة « تلو » مخففة من « تل هوارة » اى « التل الابيض » او التل الحوارى كما قلنا : اما عن قدمها فأقول : بما ان السمعانى المتوفى فى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) لم يسمع بتل هوارة الا عن النسوى فالظاهر ان التخفيف كان قد جرى منذ ذلك العهد البعيداى قبل زمن السمعانى اما اذا كان هذا قد سمع بتلو فانه لم ينتبه للامر ولو انتبه له لعرفنا به ولم يسكت فى كلامه عن تل هوارة وان صح ما قلته تضحى كلمة « تلو » قديمة جدا لا يقل عمرها عن ثمانية قرون وفوق كل ذى علم عليم

الحواشي

(١) معلمة لاروس وكتاب كابريالى G. Gobrieli المستشرق الايطالى فى الوراقة الاسلامية رومة ١٩١٦ (٢) نعم هم اعراب لكنهم من الزراع وليس من اهل البادية (٣) لا شك ان من روى الرواية لبارفت او لغيره لم يقل « قارب » بل الظاهر انه قال قفة (بضم القاف وتشديد الفاء) لان الصفائح كانت تحمل فى القفف حفظا لها من التكسير فتباع بها • وقد ذهل الناقل عن سماعه : قفة الى قارب اذ ان كليهما يجرى فى دجلة والفرات وفروعهما ولا سيما فى الاول منهما ولم يدر ان القفة فى هذا المقام هى الوعاء الشبيه بالقفة النهرية الا قليلا مع اختلاف عظيم فى الحجم • والقفة النهرية موصوفة فى هذه المجلة (٢ ، ١٩١٢ ، ١٥٤) والاخرى وعاء يسع للرجل والمرأة حمله على الرأس مملوءا • واى منا نحن العراقيين لا يعرف ذلك ؟ وهل من المحتمل ان يباع ملء قارب ـ ولو كان اصغر القوارب حجما ـ ومملوءه ترابا بخمسة قروش وان صحيحة لا لثمن ما يحتويه بل لكلفة النقل ولو من مرساه نفسه • واذ كان القارب وان صغر لابد ان يستوعب الوفا من الصفائح واغلبها صغيرة كعلبة السيكارات التى توضع فى الجيب او اصغر • فهل يبع كل ما وجد بنحو خمسين او مئة غرش فقط ! (٤) اى عشر آنات من النقود الهندية التى تساوى نحو فرنك من فرنكات الذهب وفى بخس القيمة الى هذه الدرجة مغالاة فان القفة كانت تباع ببضعة اضعاف ذلك الثمن (٥) ذكر ابن السراج صاحب تجارب الامم فى المجلد ٦ الص ٣٠٩ و٣٥٤ و٣٥٨ و٣٥٩ وذكره الذيل فى الص ٢١ وغيرها (٦) اعوض بالنقط ما لا مساس له بالموضوع الذى اطرقه (٧) يريد الميمون كما باعلاه وكما سيجيء (٨) ذكرنا سابقا فى مقالة حى بنى ليث • ومما جاء عن حى آخر ما ورد فى صحاح الاخبار فى نسب السادة الفاطمية الاخيار للسيد الشريف عبدالله محمد سراج الدين ••• الرفاعى ثم المخزومى (الص ١١٨) المتوفى فى سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) ان السيد قطب الدين احمد بن شمس الدين محمد توفى فى رمضان سنة ٦٧٠ هـ (١٢٧١ م) ودفن فى مقابرهم (مقابر بيته) « بتل الحى » بقرب من عبيدة (٩) ويطلق عليها ام سترين

مثنى ستر بلسان ادب الاعراب ويعللون التسمية لوقوعها بين دجلة والغراف •
ويحدها من الجنوب الاهوار الناشئةمن مياه دجلة والفرات فهي حامية لنازلها
من غارة الاعداء البعيدين في زمن جريان الغراف • (١٠) المسافات ـ الآ التي
بين بغداد وواسط ـ مقيسة على خارطة رسمت في سنة ١٩١٨ و١٩١٩ (١١)
ومن آثار جزيرة السيد احمد الرفاعي الباقية باسمائها القديمة التي كانت
تعرف بها في العصر العباسي « فاروث » بغير آل التعريف اما ياقوت فذكره
معرفا وقال انه قرية كبيرة ذات اسواق على شاطىء دجلة بين واسط والمذار
وان اشتقاقه اما من الفرث وهو السرجين او من قولهم افرث الرجل اصحابه
افراثا اذا عرضهم للسلطان ولائمة الناس • والذي اظنه خلافا لياقوت ان
الكلمة آرامية وهذا الوزن عندهم كثيرا الاستعمال على ما بلغني • وفاروث في
الشمال الشرقي للرصافة يبعد عنها نحو تسعة عشر كيلومترا على الجانب
الشرقي من النهر المندرس المسمى الاخضر (بفتح الخاء والضاد) على بعد نحو
اثنى عشر كيلو مترا عنه (١٢) طبع المستشرق الاستاذ مرغليـوث القسمـين
الاخيرين من كتاب تجارب الامم مع الذيل وترجم ذلك الى الانكليزية ووضع
لما ترجمه فهرسا وهو يحيلنا عن ابي العباس احمد بن خاقان على الص ٢٦٦
و٢٦٨ و٣٧٢ و٤٠٧ من الجزء الخامس وعلى الص ١٤ و٨٥ و٨٧ من المجلد
السادس ثم يحيلنا في مادة اخرى على الص ٢٦٨ من الجزء السادس على احمد
بن خاقان فكأن الثاني غير الاول وكأنهما رجلان وفي الص ٢٦٨ المذكورة خبر
وفاة احمد المار الذكر في سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) وفيها انه كان متغلبا على اسافل
واسط وهي اعمال الصلة ونهر الفضل وكان جارا لمحمد بن عمران بن شاهين
واستولى على هذه النواحي فكان يقاطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن
الاستيفاء عليه وكانت له حال قوية وغير ذلك مما تجده في تجارب الامم •

والشيء بالشيء يذكر اقول اني اظن ان الموضعين العمرانية والشاهينية
اللذين ذكرهما الاستاذ الشيخ علي الشرقي في هذه المجلة (٥ : ١٤٥) منسوبان
الى هذين الرجلين واذ كانت غاية الشيخ مقصورة على تعداد مدن البطائح فانه لم
يعين موقعهما ولم يذكر الرجلين اللذين تنسبان اليهما • والموضعان واقعان على
يسار الذاهب من الناصرية الى الشطرة في نحو منتصف الطريق • وآل شاهين

هم اصحاب البطائح • وفى تجارب الامم نبذ من اخبارهم ليست بقليلة • وعلى بعد نحو تسعة وعشرين كيلومترا من قصبة الكرادى فى شرقه بميل الى الجنوب تل اسمه الشاهينية لا اعرف أينسب الى هؤلاء الناس ام لا ؟ (١٣) بل هو ابو سعيد وهوالسمعانى صاحب كتاب الانساب المطبوع طبعة مصورة فى سنة ١٩١٢ ودليلى انه السمعانى ان ما ورد فى كتاب الانساب فى مادة تلهوارى (الورقة ١٠٨) هو نفس ما جاء به ياقوت مع حذف قليل يأتى • اما قوله ابو سعد عوضا عن ابى سعيد كذلك اما هفوة قلم فى المخطوط واما غلطة مطبعية (*) • (١٤) وفى حاشية فهرس معجم البلدان (طبعة الافرنج الص ٣٠٤) انه توفى فى سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) (١٥) وفى الانساب ابو الحسن ولعلها الصحيحة • (١٦) مما رواه ياقوت بعد قوله : « عبدوس النسوى » قول الانساب « الحافظ الساكن بجنو جرد مرو » وبعد قوله محمد الوراق قول الانساب : « واحمد بن عمران بن عبدالعزيز بن حكيم بن سنين بن عامر » اهـ (١٧) كان يقال الجزيرة لتلك الانحاء قبل ان تؤلف هذه القصبة وحينما التف فى موضعها من التف من صغار البائعة والشارية وغيرهم فغدت سوقا حاضرة كان يقول لها بعضهم الجزيرة من باب تسمية الجزء بالكل ومنهم من كان يسميها الصيرة ومنهم الصويرة (بالتصغير) ولابد من ان اهلها يعرفون لمن كانت اول صيرة فيها • وبعد ذلك اتخذت الحكومة العثمانية القصبة مركزا لقضاء باسم الجزيرة فى سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢ م) فان اول ذكر جاء عنها فى سالنامة بغداد هو فى سنة ١٣٠٠ هـ • ولم تذكرها سالنامة ١٢٩٩ والتى قبلها وكانت الحكومة العثمانية تذكر قضاءها فى سالناماتها باسم الجزيرة حتى فى سنتها الاخيرة • وكان نقل القصبة لسبب انهيار شطها فصارت فى موقعها الحالى • وهى التى يذكرها كتاب موجز تاريخ البلدان العراقية للسيد عبدالرزاق الحسنى انما امر تسمية الصيرة ليس كما ذكره من ان السيد عليوى كان قد بنى منزلا صغيرا لمأمور الحكومة سماه « صيرة » وقد رأينا ان اسم الصيرة كان قبل سنة ١٣١٤ هـ تلك السنة التى قال ان انشأ فيها السيد عليوى الصويرة فالسنة التى ذكرها الحسنى هى سنة النقل والتحويل او كان ذلك قبلها بسنة او سنتين • واسم الصيرة ـ ليس كما جاءهنا

(*) (واقول اخيرا بل هو ابو سعد وليس ابا سعيد على ما حققته) فى ياقوت وغيره •

(٤ : ٦١٢) من انه كان « جزيرة » فصار « زيرة » ثم « صيرة » ثم « صويرة » ولا من الصيرة المشتقة من الصير بمعنى « الماء يحضره الناس » بل كما جاءفي الرأى الثانى ان الصيرة معناها حظيرة الغنم والبقر . والصـيرة فى كثير من مدن العراق هى الساحة المحاطة بنبت شائك او غيره تدخلها الغنم وامثالها للمبيت فيها وتطلق ايضا على ما يحاط ببيت الشعر وامثاله من نبت درءا للبرد والسموم فهذا السياج هو المسمى صيرة . والصيرة تجيء مجازا عند الاعراب بمعنى بيت مطلقا فيقولون مثلا : « تريد تخرب صيرتى ! » وقد رأت حكومتنا ان تقبل التصغير فى الكلمة دفعا للالتباس الذى قد يحدث بين رسمى « الصيرة » و « البصرة » (١٨) منسوبة الى السلطان عبدالعزيز من آل عثمان وقد ذكرتها سالنامةبغداد فى سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م)(١٩) راجع عنها هذهالمجلة (٢ : ٢٣) (٢٠)هو عيسى الدحية (بالتصغير) كان وجيه قريتهواسط . قال لى فى قلعةسكر فى حزيران سنة ١٩٢٠ انه عيسى بن محيسن بن على بن دحيـة بن حيـدر بن عبدالعقار (بتشديد القاف) وان اباءه من سكان واسط من القديم . ومما قاله لى ان التل المسمى : « ابو صخير » الواقع بقرب الحى هو احدى القصبات التى سميتواسطا وانه كان فيه من بقية ابنيته آجر نقله البيكباشى الشهير بـ «حجى افندى » لانشاء املاك له فى الحى فى حدود سنة ١٣٠٠ هـ . قلت هو الحاج محمد افندى وقد ورث اولاده هذه الاملاك وغيرها التى فى الحلة وهى لا تزال لبعضهم (٢١) و(٢٢) راجع عنهما ياقوت (٢٣) ضبطه ياقوت ثم قال : « من اعمال قوسان قرب واسط وبغداد على النهر الموفقى فى غربى دجلة » ومما قاله فى مادة الموفقى : « وهو نهر كبير حفره الموفق . قصبة اعلاه بزوفر وقصبة اسفله خسرو سابور قرب واسط وخسرو وفيروز »

وتذكرنا هذه الاسماء المبتدئة بباء المقطوعة من « بيث » الارامية ـ على ما يقال ـ بخرائب بزيخ (باسكان الباء وفتح الزاى واسكان الباء وفى الآخر خاء معجمة) وهى تقع على ضفة الغراف اليمنى وتبعد عن قلعة سكر ـ على ما يذكره لى الواصف ـ نحو خمسة وعشرين كيلومترا وهى راكبة جدولا مندرسا اسمه العنك بكاف فارسية (اى العنق) او على قرب من هذا الجدول ومما وجد فى هذه الخرائب فى ربيع سنة ١٨٩٥ تمثالمن الشبه (البرنز)طـوله نحـو

عشرين سنتيمترا ووجهه من ذهب رقيق كالورق وهـو واقف على قاعـدة مكتوبة بالخط المسمارى • (٢٤) الطحيم (بفتح الطاء المهملة والحاء وفى الآخر ميم) او الطحمة (باسكان الطاء وفتح الحاء) وفصيحها الطحماء وهو الحمض وسميت بذلك لكثرة ما ينبت منه حولها اذا تركت الارض بغير زرع واصابها مطر الربيع والحمض نبت معروف ترعاه الابل وهذه الخرائب تبعد عن قلعة سكر نحو ثمانية كيلومترات فى جنوبها الغربى • وكان قد وجد فيها فى ربيع ١٨٩٥ اقداح من الطين المشوى مكتوبة بالمداد الاسود بحروف عبرانية (٢٥) تقع فى غرب الشطرة بينها وبين شط الكار فى نحو منتصف الطريق روى له انه وجد فيها اثار قديمة (٢٦) تقع على بعد بضعة كيلومترات من جوخى (أما) الشهيرة فى شرقها (٢٧) تبعد نحو ثمانية كيلومترات عن الغراف على يسار الذاهب من الشطرة الى قلعة سكر بعد ان يقطع نحو ثلث الطريق او اقل وهى فى الاراضى المسماة الجباسى (الكباسى) •

الص ١١٦ الجزء ٢٠ من السنة ٩ = شباط ١٩٣١

قمرية ام القمرية ؟

عود على بدء

كنت سألت فى هذه المجلة عن قمرية التى ينسب اليها الجامع المعروف فى بغداد وعدت الى السؤال فيها (٧ : ٦١٤) والآن أجيب نفسى : ان قمرية هذه ليست من اهل بيت الناصر لدين الله الخليفة العباسى المعاصرين له وليست من جوارى الناصر وقد قال عنها كتاب المساجد : لعلها من بيت الناصر او احدى حظاياه من الجوارى وسبب نفيى كونها امرأة من نساء زمن الناصر هو : انى وقفت الآن على ان الاسم اقدم من زمن خلافته (٥٧٥-٦٢٢ هـ اى ١١٧٩-١٢٢٥ م) : وفضلا عن ذلك ان وقوفى الجديد يدلنى على ان الاسم هو « القمرية » بالتعريف خلافا لما جاء فى كتاب الحوادث الجامعة الذى صور الكلمة بدون تعريف كلما اوردها وكنت نقلت عنه واعتمدت عليه والذى وقفت عليه الآن هو ما فى كتاب تواريخ آل سلجوق لعماد الدين الاصفهانى المتوفى فى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) (اختصار البندارى) فقد جاء فيه اسم « القمرية » لموضع فى الجانب الغربى فى اخبار سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) فكان ذكرها قبل بناء الجامع المنسوب اليها (لان الجامع تم بناؤه فى سنة ٦٢٦ م) اى قبل ولادة الناصر اذ كانت هذه الولادة فى سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م) وهذا ما فى الكتاب : (ص ٢٤٩ من طبعة الافرنج = ص ٢٢٨ من طبعة مصر) :

« وكانوا قد نصبوا من الجانب الذى من دجلة على مسناة دار العميد وبقرب القمرية منجنيقين عظيمين وهموا بنصب منجنيق آخر على الخان الذى بناه سرخك مقابل التاج » أ هـ .

وفى حاشية طبعة الافرنج ان قاف « القمرية » مفتوحة فى احدى النسخ وفى نسخة غيرها مضمومة مع اسكان الميم فى كل من النسختين فبأى من المؤرخين يؤخذ من جهة التعريف وعدمه ؟ وبأى من الروايتين من جهة الضبط يعمل ؟

ومع ان هذا الكتاب اوقعنا في اضطراب فقد مكننا ان نستنتج : ان الاسم ليس لاحدى النساء المعاصرات للخليفة الناصر لدين الله • ولعل الاسم هو الذي نسب اليه ابو منصور الحسن بن نوح القمرى المعاصر لابن سينا الذي ذكرته في هـذه المجلـة (٧ : ٢٣٠) فيكون الاسـم قديما يرتقي الى منتصف القرن الخامس للهجرة على أقل تقدير •

السعاة

بركة ومعتوق وعلي بن الاربلي

اطلعني الاب صاحب المجلة على كتاب اللمعات البرقية في النكت التاريخية لشمس الدين محمد بن طولون المطبوع حديثا بدمشق فوقع نظري على خبرين (ص ٢٥) عن بركة الساعي نقلا عن تاريخ الاسدي الذي روى احد الخبرين عن الذهبي وثانيهما عن ابن البزوري وفي اللمعات ايضا خبر آخر مسند الى الذهبي بشأن الساعي معتوق الموصلي المعروف بالكوز(١) (كذا) فخطر لي فورا اني كنت قرأت عن الساعيين شيئا في المخطوط الذي عرفته بالحوادث الجامعة فرجعت اليه وفيه ما يأتي :

« وفيها (اي في سنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م) توفي بركة بن محمود الساعي المشهور بالسعي والعدو . كان من اهل الحربية(٢) سعى من واسط الى بغداد(٣) في يوم وليلة ومن تكريت الى بغداد(٤) في يوم واحد وحصل له بسبب ذلك مال كثير وجاه عريض واتصل بخدمة الخليفة الناصر لدين الله وجعله اخيرا مقدما لرجال باب الغربة(٥) فكان على ذلك الى ان توفي » أ هـ .

« وفيها (اي في سنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٩ م) سعى علي بن الاربلي من دقوق الى بغداد فوصل بعد العصر وفضل على معتوق الموصلي المعروف بالكوثر نصف ساعة ودار حول الكشك(٦) شوطا وخرج الى التفرج عليه الخليفة المستعصم بالله واولاده وجلسوا في الكشك الى حين وصوله وكان هذا المذكور مختصا بخدمة الامير مبارك ولد الخليفة فأمر له بفرس من مراكبه وخلعة وذهب . ودار من الغد في البلد بالطبول والبوقات فحصل له شيء كثير » أ هـ .

« وفيها (اي في سنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م) تملا(٧) (؟) معتوق الموصلي المعروف بكوثر الكلام من دقوق(٨) (دقوقا) ساعيا على قدميه فوصل كشك الملكية ودخله وكان الخليفة هناك ومعه الشرابي وهو استاذه ثم خرج من الكشك وعاد الى الوقف (؟) (٩) ثم رجع الى الكشك وقد تخلف من النهار

ساعة ونصف فقبل الارض بين يدى الخليفة فتقدم له بخمسمائة دينار • واعطاه الشرابى ثلثمائة دينار وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير » أ هـ •

دقوقاء واليوم طاووق

واذ كان مضمون اللمعات نكتا تاريخية رأيت اتماما لذلك ان اسوق كلاما الى نكتة عن دقوقاء لمناسبتين اولهما : ان الحكاية نكتة وثانيتهما انها عن هذه المدينة • وكان يقال فى اسمها «دقوق» تخفيفا كما جاء هنا • وذكرها ياقوت بصورة دقوقاء • كما ان سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) ذكرتها بصورة « دقوق » خلافا للعامة التى تقول « طاووق » والحكومة العراقية ايضا قبلت اسمها المحرف هذا فى رسمياتها وذكرتها بصورة طاووق فى سجل الحكومة العراقية سنة ١٩٢٧ ص ١١٦ والنكتة التى اريد روايتها هنا وردت فى كتاب الحوادث المار الذكر وهى :

« وفيها (اى فى سنة ٦٤٤ هـ = ١٢٤٦ م) توفى الامير محمد بن سنقر الطويل صاحب دقوقاء وكان ابوه سنقر من خواص الخليفة الناصر لدين الله صب يوما على يده ماء فسقطت الصابونة منه فناوله غيرها وقال : دقوق وهى بلغة الترك « دجاجة » فاقطعه دقوقا ظنا منه انه طلبها • فلم تزل فى يده الى ان توفى فتسلمها ابنه محمد فلما توفى الآن عادت الى نواب الخليفة » أ هـ •

قلت : لا ارى مناسبة ان تكون الكلمة « طاووق » التى تعنى دجاجة • ولعله قال بلهجة مفخمة من لهجات ذلك الزمن « طوتقون » ومعناها مقبوض او « طوتك » (بقراءة الكاف نونا) بمعنى اقبض او « طوتدق » بمعنى قبضنا او غير كلمة تقرب لفظا من كلمة دقوق وتؤدى ما يوافق الحال • ويبين لى ان صاحب الحوادث كان يجهل التركية ولولا جهله اياها لما اورد الحكاية بدون تعليق خالطا الحابل بالنابل •

وكنت اود ان لا يعتد ذلك الفاضل بالقول انها سميت «طاووق» لكثرة الدجاج فيها قال ذلك فى ما سبق فى الص ٤١٧ وقد رده حضرة الاب صاحب المجلة •

الحواشي

(١) صحيحها الكوثر وهي مقطوعة من كوثر الكلام كما سيأتي (٢) محلة بغداد ذكرها معجم ياقوت وغيره (٣) راجع عن واسط لغة العرب ٩ : ٥ و ٦ (٤) المسافة بينهما بطريق السكة الحديدية مائة وسبعة اميال اى نيف ومائة وثمانية وثمانون كيلومترا (٥) هو ببغداد بجانبهما الشرقي ولى كلام عليه في هذه المجلة في ما سبق (٦) ذكرت الحوادث الجامعة الكشك في حوادث سنة ٦٣٥ هـ (١٢٥٥ م) ثم ذكرته باسم « كشك الملكية » « والكشك » كما سيجيء وذكرته في اخبار سنة ٦٩٥ هـ بصورة « الكشك » وقالت انه بظاهر باب الحلبة . ولعله الكشك الذى اخبرنا ببنائه الذهبي في حوادث سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٢ م) (نسخة خزانة الاوقاف العامة ببغداد) اذ قال : « وفيها بنى كشك للخليفة وآخر للوزير وانفق عليهما مال عظيم » أهـ . وكشك كلمة تركية معناها القصر والجوسق وما ضاهاهما . وذكر الكامل لابن الاثير : الكشك (١٢ : ١٣٧ من طبعة مصر) في حوادث ٦١٤ في نحو آخرها . وذكر ايضا الملكية التي سيأتي ذكرها في ما يلي وقال انها قرية وذلك في كلامه على غرق بغداد في الجانب الشرقي وعليه يكون معنى قوله كشك الملكية : الكشك المنسوب الى قرية الملكية . (٧) نظن ان اللفظة محرفة عن تجلى اى ظهر والمعنى بعد هذا واضح (لغة العرب) (٨) في سالنامة الموصل المذكورة لسنة ١٣٢٥ هـ انها قصبة في جنوب كركوك تبعد عنها تسع ساعات ويقول احد الادباء في هذه المجلة (ص ٤١٧) انها في جنوب كركوك على بعد ثمانية وعشرين ميلا والاميال تساوي نحو خمسين كيلومترا فهما متفقان في تعيين البعد (٩) الذى عندنا ان الوقف اسم موضع (ل . ع) قلنا : ورد اسم « دار الوقف بين السورين » في خزانة الادب للبغدادي « مصطفى جواد » .

الص ١٨٦ الجزء ٣ من السنة ٩ = آذار ١٩٣١

العمارة والكوت

عود على بدء

كتب الاديب الفاضل رزوق عيسى فى (هذه المجلة ٨ : ٧٨٥) سطورا عن الكوت مستندا فيها الى فريزر فى كتابه المطبوع فى سنة ١٨٤٢ (١٢٥٨ هـ) اراد بذلك ان يؤيدني فى ان اسم الكوت هو « كوت العمارة » وقد صور الاسم بالحروف اللاتينية مع علامة ملقاة على حرف *A* ليقرأ عينا وألم يشرع الافرنج ــ على ما اظن ــ ولا سيما غير المستشرقين باستعمال هذه العلامة وامثالها اذ ذاك ولم يكن بيد الكاتب الا الطبعة الثانية التى كانت فى سنة ١٩٤٢ على ما يبين من كلامه فالذى يتبادر البال اليه ان الكلمة فى الطبعة الاولى غفل من هذه العلامة الفارقة واذا جاءت فى الطبعة الثانية فللمعترض ان يقول انها وضع ادخلها الناشر الاخير ولا سيما ان فريزر نفسه قد ذكر الكوت بغير علامة بصورة *Koote ul Amara* فى كتابه المسمى رحلة فى كردستان وما بين النهرين المطبوع فى سنة ١٨٤٠ (٢ : ١٢٢) (١) لذلك كان النص الذى اورده الكاتب لا ينتفع به من الوجهة التى قصدها الا اذا بانت فى الطبعة الاولى تلك العلامة على حرف *A* ومع هذا فان النص لا يخلو من فائدة لم يتوخها الكاتب فقد جاء مؤيدا ان دجلة من الكوت فنازلا اسمها العمارة وانى لاشكره على كل حال .

وقد ذكرنى ذلك بما كتبه ريج(٢) المقيم البريطانى فى كتاب حاو لرحلاته (٢ : ١٦٥) فى تاريخ ١٤ أيار سنة ١٨٢١ (١٢٣٧ هـ) وهاءنذا أضيف ما قاله معربا الى ما اوردته سابقا وهذا قوله :

« فقدمنا الى *Koot al Amara* فى الساعة الثامنة وقد شيدت هناك قلعة صغيرة من الطين وقرية جديدة بقربها تحت القديمة بقليل وهى بازاء فوهة الحى (شط الحى = الغراف) .

« وهنا خمسة بلوكات من عقيل(٣) العرب مرابطة تستوفى ضريبة على كل سفينة » أ هـ .

وفى آخر كتاب ريج ملحقات له جاء فى احدها (٢ : ٣٨٥) وصف سفره من بغداد الى البصرة فى آذار سنة ١٨١١ (١٢٢٦ هـ) وفى ذلك قوله :

« وصلنا عند الغروب (٢٤ آذار) الى *Coot al Amara* وقد علمنا ان السير فى الحى (شط الحى) غير ممكن لقلة عمق الماء فيه ولثقل السفن التى تؤلف كارنا فقررنا الانحدار مع دجلة وهى حالة لا تجعلنى آسفا فانى كنت قد سافرت بطريق الحى ثلاث مرار لكنى لم أر دجلة تحت الكوت » أ هـ .

ومما جاء فى هذا الصدد ما قاله ميكنن(٤) فان فيه (ص ٢٤) ما تعريبه عن تسمية دجلة « العمارة » تحت الكوت وهو هذا :

« فى ٢٩ تشرين الاول (١٨٢٧ = ١٢٤٣) قدمت الى الكوت وهو قرية حقيرة مؤلفة من مجموعة اكواخ مبنية من الطين يحيط بها سور كذلك من الطين ... » ثم قال (ص ٢٧) : « وبازاء القرية (الكوت) جدول اسمه الحى (شط الحى) الذى يصب فى شمال سوق الشيوخ . وضفاف الجدول مشهورة بانها مأوى لاسود وغيرها من السباع والآن مجراه (مجرى شط الحى) خال كل الخلو (من الماء) لكنه يصلح لسير السفن خلال ثمانية اشهر من السنة ومن هنا الى فوهة نهر *al Hud* (الحد) يسمى هذا النهر *Amarah* » أ هـ .

واقوى حجة واسطع برهان على صحة كلمة « العمارة » وليس « الامارة » ما جاء لعربى تقدم على ابن سند مؤلف مطالع السعود بمائة من السنين وهو مصطفى الصديقى البكرى(٥) الذى زار العراق فأم البصرة فى سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٦ م) وأورد ما يلى فى رحلته المسماة كشط الصدا وغسل الران فى زيارة العراق وما والاها من البلدان :

« ثم سرنا نحو العمارة وبتنا فيها ليلة الجمعة ثم عدلنا عن شط العمارة سالكين شط السابلة لان العرب فى ذلك الشط (شط العمارة) قطعت السابلة ... » أ هـ وكان سفره فى سفينة من بغداد الى البصرة .

فهناك منذ تلك الايام حاضرة اسمها العمارة والشط الذى عليه تلك الحاضرة فما تحت يسمى شط العمارة .

الحواشى

(١) *Travels in Koordistan, Mesopotamia etc... by J. B. Fraser, Londod 1840*

(٢) *Narrative of a Residence in Koordistan.... with Journal of a voyage down Tigris to Baghdad 1846*

(٣) بضم العين وفتح القاف وكان منهم لولاة بغداد جيش • وفى عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر طبعة مكة فى الص « د » : « عقيل نجد او عقيلاتها من يسافر منهم الى خارج نجد للارتزاق » أ هـ •

(٤) *Travels in Chaldea including a Journey from Bussorah to Baghdad... by Cap. R. Mignan. London 1829*

(٥) لا تزال هـذه الرحلة غير مطبوعـة وترجمـة المؤلف فى سلك الدور للمرادى (٤ : ١٩٠) • كنت حكيت للاستاذ الشيخ كاظم الدجيلى قبيل سفره الى لندن فى اليوم الاول من سنة ١٩٢٤ ان نسخة من هذه الرحلة ترى فى خزانة كمبريدج تحت رقم ٩٣٠ على ما فى فهرستهـا الص ١٧٨ وبعـد ان نشرت مقالتى العمارة والكوت اوقفنى الاستاذ على الصحائف التى اقتطفها من المخطوط وتكرم على بجواز نقلها فاشكره على صنيعه • وللمؤلف عدة رحلات ولدى مجموعة له فيها بعض رحلاته وغير ذلك له ايضا وفى المجموعـة ذكر رحلته كشط الصدا كما جاء فى ترجمته اما قول الفهرست كشط الرداء فغلط وكانت وفاته فى شهر ربيع الثانى سنة ١١٦٢ هـ (١٧٤٨ م) •



البغيلة

بحث احد الادباء عن البغيلة فى هذه المجلة (٨ : ٤٣) ثم فى كتابه موجز تاريخ البلدان العراقية (ص ١١٨) • والبغيلة هى التى بدلت الحكومة اسمها بالنعمانية بعد مقاله فى المجلة • ومما ذكره الكاتب ان انشاءها كان فى سنة ١٣٠٣ ﻫ (١٨٨٥/٨٦) وان السلطان عبدالحميد حينما ابتاع اراضيها أمر ببناء محل للحكومة فكانت البغيلة فى تلك السنة مركزا للحكومة •

هذا ما اطلعنا عليه الكاتب اما جريدة الزوراء فى عددها المرقم ١٠٦٨ والمؤرخ فى ١٢ صفر ١٣٠٠ و ١١ كانون الاول ١٢٩٨ (١٨٨٢ م) – اى قبل التاريخ الذى عينه الكاتب بثلاث سنين – فانها تقول فى كلامها عن الجولة التى قام بها الوالى لتفقد شؤون الالوية ما هذا بحروفه :

« وان موقعى نهرى البغيلة وشاذى الواقعين فى قضائى العزيزية والجزيرة والمتخذين مركزى ناحية قابلان للمعمورية فحصل التفضل بالتزام وضع كل منهما فى حال قصبة فمن هذين : البغيلة أمر (الوالى) بان يخطط فيها عدة دور ودكاكين بمعرفة المهندس ايضا وجرى الامتنان باستحصال الاسباب لتكون قصبة مكملة عن قريب ••• » أ ﻫ •

وفضلا عن ذلك تجد فى سالنامة بغداد لسنة ١٣٠٠ ﻫ (١٨٨٢ م) (ص ١٣٣) ان البغيلة ناحية مربوطة بقضاء الجزيرة ومديرها « بصيرت » افندى كما انه جاء مثل ذلك فى سالنامة ١٣٠١ ﻫ (١٨٨٣ م) (ص ١٣٥) مع ذكر الاسماء لاعضاء مجلس الادارة وكذلك ذكر مأمور للاراضى السنية اما اسمها فى سالنامة هذه السنة فانه جاء « بقيان » فالظاهر انه غلط طبع فان لم يكن كذلك وكان اسما جديدا وضعته الحكومة استبدالا فانها لم تحسن الاختيار مما اوجب الرجوع الى اسمها البغيلة ولم يرد « بقيان » الا فى سالنامة تلك السنة •

فالبغيلة اذن كانت مركز ناحية فى سنة ١٣٠٠ وبقيت كذلك بعد تفوض(١) السلطان بالطابو لاراضيها فكان فيها موظف للحكومة وموظف

للاراضى السنية فى وقت واحد كما رأينا وبعد ذلك رفع المدير وهو موظف الحكومة وبقى موظف الاراضى السنية بدليل ان سالنامة سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) (ص ١١٠) لا تذكر موظفا فى هذه الناحية الا موظف الاراضى السنية .

والظاهر ان نواة تأليف هذه القصبة اقدم عهدا من القرن الرابع عشر للهجرة بل ابعد مدى من اواخر القرن الذى سبقه فقد ذكرت البغيلة فى الكتاب الحاوى رحلات المستر ريج المقيم البريطانى (٢ : ١٦٤) بتاريخ ١٤ أيار سنة ١٨٢١ (١٢٣٧ هـ) واليك ما فيه معربا :

« وفى الساعة التاسعة ونصف مررنا بالبغيلة (*Buzheila* هكذا صورها) وهى قلعة من الطين على الضفة اليمنى (لدجلة) تعود الى شفلح (بفتح الشين والفاء وتشديد اللام مع فتحها ايضا) شيخ زبيد وبقربها مضرب خيامه الخاصة بشخصه » أ هـ .

وقال كبل(٢) (ص ١١٤) بتاريخ ١٧ آذار سنة ١٨٢٤ (١٢٤٠ هـ) :

« وفى الساعة الثانية بعد الظهر اجتزنا بشفلح (قلعة شفلح) الواقعة على منعطف فجائى للنهر وهى قلعة مبنية بالآجر يقيم فيها شيخ زبيد الزعيم العربى القوى الذى تمتد ديرته من الضفة اليمنى لشط الحى (الغراف) الى بغداد ... » أ هـ .

واخبرنى ثقة من كبار الرجال ومن الزعماء من زبيد انه كان فى صغره قد رأى بقايا قلعة شفلح مبنية بالآجر فى موضع القصبة الحالية .

وليس بين البغيلة والكوت اربعون ميلا كما قاله الفاضل اذ ان فى ذلك سهوا بينا(٣) ولعل الاميال تقل عن الثلاثين .

هذا ما اردت تبيانه خدمة للتاريخ والحقيقة .

الحواشى

(١) التفويض كلمة تركية عربية الاصل ومعناها عندهم : تفويض رجل بالتصرف بالطابو فى الارض لقاء بدل قبضته منه الحكومة (٢) *Personal Narrative of a Journey from India... by Bussorah. By G. Keppel London, 1822*

(٣) ولم يصب الكاتب المرمى فى تعيين المسافة التى بين الحى ومحيريجة (كذا)

اذ قال (فى ٨ : ٤٤ وكتابه ص ١٢٠) ان المسافة بينهما خمسة وعشرون ميلا والصحيح زهاء عشرة اميال وقال ان الحى فى الجنوب الغربى من الكوت ومحيريجة فى الشمال الشرقى من الحى والصحيح ان الحى فى الجنوب الشرقى من الكوت ومحيرجة فى الشمال الغربى من الحى ولا يقال «محيريجة» كما جرى عليه قلم كثيرين من الكتاب انما اسمها «محيرجة» كأنه تصغير «محرقة» مع قلب القاف جيما كعادة بعض الاعراب احيانا وفى كتابه (ص ١١٩) كلام عن الحى اضافة الى مقاله الوارد فى هذه المجلة وكلامه هو : «فهى (الحى) مدينة واسط القديمة التى بناها الحجاج ...» أ هـ وهذا غلط اذ ان الحى غير واسط وبينهما خمسة وعشرون كيلومترا والحى هذه من القصبات التى تألفت بعد آلاف للهجرة ولعل تأليفها كان فى القرن الثانى عشر للهجرة (وراجع عن واسط هذه المجلة الص ٦ من سنتنا الحاضرة) وقال فى المقالة ان المسافة بين الكوت والحى خمسون ميلا ثم قال فى الكتاب ثلاثون ميلا وهو الصواب أو قريب منه .

الص ٢٧٣ الجزء ٤ من السنة ٩ = نيسان ١٩٣١

نظمي وذووه

طلب في هذه المجلة (٨ : ٣٥٠) صاحبها حضرة الاب ان اكتب ما يزيد في تراجم البيت الذي نمق عنه بعنوان « بيت عراقي قديم » الاستاذ عباس العزاوي بحثا طويلا توالى نشره في عدة اجزاء من المجلة في السنة الماضية فما لي الا ان انزل على رغبة حضرته لبيان النزر القليل الذي عثرت عليه بعد ابداء بعض الملاحظات اذ اني لا ارى بأسا في مجاذبة الاستاذ اطراف الحديث بهذا الشأن مع شكري اياه على سعيه المحمود في زيادة وقوفنا على احوال هؤلاء الافاضل .

الملاحظات

قال الاستاذ (الص ١١٩) : « اول ما عرفت (هذه الاسرة) ـ نظرا الى ما وصل الينا ـ من سفر ألفه احد افرادها وهو عهدي البغدادي ابن شمسي البغدادي و(صاحب) هذا الكتاب عرفنا اباه واقاربه ومكانة اسلافه وازال الغشاوة عن ظنون كانت تحوم حول تحقيق امر . وهو امر اكبر مؤرخ عراقي(١) اي مرتضى افندي آل نظمي المعروف عند الترك بنظمي زاده فان هذا الكتاب ازال الابهام عن مرتضى افندي بتعريف نظمي افندي واتصاله بهذا المؤلف فصحح كليمان هوار الفرنسي واقوال الصديق يعقوب نعوم سركيس وغيرهما » أ هـ

ثم قال (الص ٢٧٥) : « ان المؤرخين ـ نظرا لما عرف واشتهر من احوال مرتضى المؤرخ العراقي ـ حاولوا ايضاح ما خفي من اصل اسرته فتضاربت آراؤهم في البحث عنه وكلها لم تتعد الحدس والتخمين فهي ظنون واوهام » اهـ وقد اورد ترجمة نظمي عن نسخة « كلشن شعراء » التي بيده واشار الى ان نظمي متأخر عن عهدي فلا يمكن لكلشن هذا ـ وهو لعهدي ـ ان يترجم نظمي فرأى (الص ١٢٣) ان في الكتاب مغمزا ـ وقد صدق . وسيجيء البحث عنه ـ لكنه ارتأى ان ما في كلشن شعرا صحيح وعلل ذلك .

قلت : والتصحيح الذي قصده العزاوي هو ان اسم والد مرتضى ليس بالسيد علي (الص ٢٧٩) وانه يظن ان مرتضى لم يذهب الى الاستانة (الص ٤٣٢)

لسبب اورده . اما ما كنت قد جئت به فاني ارجعته الى مصدره (راجع ٧ : ٥٢٣) وهو « ما وصل الينا » ولي كلام على والد مرتضى والسيد على يأتي .

ومما الاحظه قول الاستاذ (الص ١١٩) : « وان كانت (هذه الاسرة) تسمى فى الاول بآل شمسى البغدادى ثم بآل نظمى البغدادى ... » لا يتفق مع الواقع اذ ان نظمى سبط لعهدى كما قال العزاوى (الص ٢٧٥) فهما اسرتان فلابد ان كلا منهما كانت تدعى باسمها . وليس هذا ادعائي زعما مجردا فقد اورد الاستاذ خلال كلامه نصا يناقض ما سبق له فانه قال (الص ٣٤٧) نقلا عن تذكرة سالم الذى كان من رجال ذلك العصر : « انهما ـ اى حسين افندى ومرتضى افندى ـ من ادباء بغداد ... اشتهرا بنظمى زاده ... اتخذا اسمهما لقبا لهما » أ ه

فاذا كان حسين ومرتضى فى زمن حياتهما مشتهرين بنظمى زاده فلا نرى وجها لتلك التسمية اى ان بيتهما كان يدعى يوما بآل شمسى فى حين ان يدنا خالية مما نستند اليه فى تأييد قول الاستاذ . وهذا كان ليجعلنا فى حل من الشك فى صحة رده (الص ٤٣٩) على عنوان المجد للحيدرى من انه وقع فى غلط لتمييزه بين « بيت نظمى زاده » و « بيت عبدالله افندى المفتى بن مرتضى افندى » اذ عدهما بيتين لا بيتا واحدا . والظاهر ان دليل الاستاذ العزاوى ان عبدالله افندى هو ابن مرتضى افندى ابن نظمى هو القول الذى رآه منقولا من نزهة المشتاق من ان « عبدالله افندى هو ابن مرتضى افندى » فحسب . أولا يمكن ان يكون مرتضى هذا غير ذاك ؟ وليس هناك ترجمة لمرتضى نظمى زاده تعرفنا باولاده ولا نص يفصح عن ان عبدالله هو ابن مرتضى بن نظمى ليرتفع كل ريب وتزول كل شبهة .

ومما قاله الاستاذ (ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩) ان نظمى « لم يذهب الى بلاد الاناضول » فآخذ هوار على ذلك . قلت : اما كلشن خلفا (الورقة ٧٢) (٢) فانه يقول فى كلامه عن هذه الايام : « ... اكثر اصحـاب غيرت وارباب ديانت اختيار هجرت روم » ثم يقول : « بدر مرحوم دخى اول ايامده برقاج كون اختفا . بعده ترك مال ومنال ومفارقت يار وديار ايدوب ... حافـظ احمد باشا ... استخلاص بغداد ايچون عراقه تكرار عزيمت واماله عنان ايتدكده

(بدرم) اورد ولرينة رهياب وملاذات شريفه لرى ايله مستطاب اولوب بوقصيدة غرا ايـلـه ... حسب حاللرينى بيـان ايتمشلردر . » أ هـ ثم يقـول ايضـا (الورقة ٧٣) : « بعده باشاى مشار اليه (ايله) (٣) روم جنت رسومه‌هجرت واكرجه كرفتار آلام غربت اولمشلردر (٤) لكن نيجه وزرا ومير ميرانه مقارنت ايله تحصيل سروسامان وتسليه بخش دل بريشان اولمشلردر . » أ هـ .

وملخص كلامه هو : « فاختار ارباب الغيرة والاتقياء الهجرة الى الروم . (هنا بمعنى الاناضول) (٥) واختفى والدى فى ذلك الزمن بعض الايام ثم‌ترك ماله ومناله وفارق الاصدقاء وغادر الديار فسار الى جيش حافظ احمد باشا وقد عاد الى العراق لانقاذ بغداد فطابت نفس والدى بملاقاته فانشد قصيدة غراء . وبعده هاجر الى الروم مع الباشا . وما اكثر الوزراء والمير ميرانيةالذين رافقهم ... » أ هـ فكان‌اذن‌على هوار ان يقول‌ان نظمى سافر الى آسية الصغرى وقد فعل فاصاب . ان اقامة نظمى فى الرها لا تنفى سفره الى الروم اذ يمكن انه بعد ان ذهب الى هناك عاد الى الرها فاستقر فيها هذا وان كان يجوز ــ من باب الاحتمال ــ ان يقال لعل صاحب كلشن خلفا اراد بالروم توسعا الرها مع انها من بلاد الجزيرة لكن لا تثريب على هوار على كل حال من الاحوال . فقد قال كلشن خلفا « الروم » وقال هوار « آسيـة الصغرى » وهى الاناضـول والكل واحد وهو اشهر من‌ان يذكر والكتب العربيةلاتعرف اصطلاحا آخر .

* * *

ومما قاله الاديب (ص ٢٧٧) ما يلى : « فحمد (نظمى) الله على الرجوع مع امه ولم يكن معهما احد . وكان هاجر عنه (هاجر من وطنه بغداد) بزى درويش ناسك ومن ثم صار له من الاهل والعيال والاولاد ... » أ هـ . ثم نقد كلام هوار بما قوله (ص ٢٧٨) « وحين عودته (عودة نظمى) الى بغداد لم يكن معه اولاد او احفاد نظرا للصراحة بذلك من انه رجع مع والدته فحسب وبهذا انتفى ما فى تاريخ كليمان هوار . » ا هـ

قلت ان الذى عندى ان هوار كان مصيبا . وقد قال كلشن خلفا (الورقة ٨٠ وما يليها) فى اخبار حسن باشا لولايته الثانية على بغداد (من سنة ١٠٥٢ الى سنة ١٠٥٤ اى من ١٦٤٢ الى ١٦٤٤) ما نصه :

« بدر مرحوم دخی تك وتنها ترك يار وديار محروسه رهـاده قرار ايتمش ايكن بو ايام خير انجامده (٦) ـ الحمـد لله الملك الجـواد ـ اولاد واحفاد (٧) وفى الجملة برك وبار ونظام معتاد كيرو عودت بغداد ايدوب شاكر اولمشدر . » أهـ وهذا مضمون كلامه : « اذ كان والدى ايضا قد ترك الاصدقاء وغادر الديار وحيدامنفردا فاقام فى الرها فانه فى هذه الايام المنتهية بخير عادراجعا الى بغداد ومعه اولاد وحفدة ... » أهـ . فلم ينتف اذن كلام هوار بشأن رجوع نظمى مع اولاد وحفدة . واذ قد انبأنا العزاوى بان نسخة كلشن شعرا التى عنده فيها مغمز (٨) فليس علينا ان نعتمد عليها كل الاعتماد ولا سيما اورد المؤدى ولم ينقل النص ولا التعريب الحرفى زيادة « فى اطمئنان القلب » .. ومهما يكن من هذا الامر علينا ان نرجح على مصدره حكاية كلشن خلفا . كيف لا ومؤلفه بلا ريب ابن نظمى نفسه وهو اعلم باسرته من غيره من كل الوجوه مع دراية واسعة .

وقال الاستاذ العزاوى (الص ٢٧٥) عن نظمى انه محمد نظمى وقال (ص ٢١٩) : « ولم يكن اسمه (اسم والد مرتضى) السيد على بخلاف ما جاء فى سجل عثمانى عن مرتضى انه ابن السيد على . فهذا غير صواب منه . »اهـ وازيد على ذلك انه سيأتى ذكر لاحدهم اسمه نظمى ـ كان لحفدته وجاهة فى بغداد ـ لم تنبأ بانه سيد وزمنه يتفق مع زمن والد مرتضى فهل هـو بذاته ونفسه فان صح ذلك كان برهانا جديدا على صحة قول العزاوى ان هذا البيت ليس بعلوى انما لا يسعنى ان لا التفت الى سماع ما مر بنا من كلامى (٧ : ٥٢٣) نقلا عن فهرست مخطوطات وعن «سجل عثمانى » الذى يقول كان نظمى شاعرا بغداديا ثم يقول : « نظمى مرتضى افندى (هكذا بدون « زاده » بين الاسمين) فهل سقطت الكلمة فى الطبع ؟ . فان لم يكن فهل والد نظمى اسمه السيد على فضاع الامر فقيل ان السيد على هو والد مرتضى ؟ وينتج من هذا التردد فالتساؤل وجوب المثابرة على تحرى حكما يفرض بين الجانبين بصحة رأى احدهما . والذى اعتقده ان البت فى لامر لا تقوم به نسخة لكلشن شعرا فيها غميزة . وكذلك لا يجزم به ذكر نظمى جدا لحفدة قلنا لهم وجاهة فى بغداد ولست وحدى فى هذه الشكوك فللاستاذ العزاوى ايضا مثلها فانه رأى

(ص ٥١٤) ان عبدالله افندى المفتى ــ الذى قال عنه انه من هذا البيت ــ ينعت بسيد فى « الحديقة » وفى مجموعة الآلوسى عن النزهة فارجأ البت فى امره الى « ان ينجلى المبهم » مع ابدائه رأيا .

جامع الخاصكى ونظمى وابنه مرتضى

ومما قاله الاديب ايضا (ص ٢٧٨) ما يلى : « وقد ذكر له (لنظمى) ابنه مرتضى تاريخا منظوما فى جامع السلحدار محمد بك » . اه وهو يريد بذلك جامع السلاحدار محمد باشا الذى شيده مع مئذنة له لكنه لم يتمه . وهذا الجامع هو الذى لا يزال معروفا بجامع الخاصكى الواقع برأس القرية وقد ذكر كلشن خلفا (الورقة ٨٧) الباشا بهذه الشهرة فى مطلع ايام ولايته (٩)

واذ قد ورد فى مباحث هذه السنين ذكر السلاحدار (١٠) محمد باشا والسلاحشور (١١) محمد بك فلابد من الوقوف على تعيين من اراده العزاوى من هذين الرجلين ولا سيما ان لنظمى تاريخا فى الجامع المذكور وتأريخا لابنه مرتضى وهذا نص ما قاله كلشن خلفا (الورقة ٩٠) فى اخبار هذا الوالى . « تكليف آصفى ايله تاريخنه بو مصراع بلاغت نشان بدر مرحومك رقمزده كلك بيانلرى اولمشدر : التاريخ : جامع نور سلحدار محمدباشا سنة ١٠٦٩ » اه (١٦٥٨) . ومعنى ذلك ان والدى قال هذا المصراع فى تاريخ الجامع على تكليف الوالى . وقال ما مؤداه ان كلمة نور تشير الى « ابى النور » كنية الباشا التى كان يكنى بها حينما كان واليا فى مصر واما ابيات صاحب كلشن خلفا فى اتمام الجامع حينما انجزه السلاحشور المار الذكر فمنها ما هو هذا وفيه التاريخ :

واصـــل رحمت رحمـان محمد باشا
والىء دار الســلام ايـكن اوذات اعـلا
سعى واخـلاص ايله بوجامعى قلدى بنـا
لكن اتمامنه جون ايتمـدى عمرى ايفـا
او سلحشـور شهنشـاه محمد بك انك
يعنى برورده سى خيراتنى قلدى احيا ...

ومنها : بــرادا ايـله ديـدى بـيرفردتـاريخن
جامع النور ابو النور محمد باشا (١٠٩٤ = ١٦٨٢) .

وملخص كلامه ان محمد باشا حينما كان واليا فى دار السلام سعى فبنى هذا الجامع لكن عمره لم يمتد ليتمه (١٢) فجاء محمد بك سلاحشور السلطان الذى هو صنيع الباشا فاحيا خيراته ... وتاريخه « جامع النور ابو النور محمد باشا » ١٠ هـ ويظهر صريحا من نتيجة ذلك ان الرجل الذى قيل فيه ذاك البيت الذى ذكره العزاوى هو السلاحدار محمد باشا ولم يكن اذ ذاك قد تدخل فى امر الجامع السلاحشور محمد بك الذى لم يشتهر الجامع به يوما من الايام . اذن ليس بين هذين الرجلين من هو السلاحدار محمد بك انما هو السلاحدار محمد باشا وهناك صنيعه السلاحشور محمد بك . وقد خلد مرتضى صاحب كلشن خلفا فى ابياته المذكورة اسمى المشيد ومحيي خيراته .

ديوان نظمى

وظن العزاوى (ص ٢٧٩) مما نقله عن هوار انه قال ابقاء الايام لديوان نظمى وتمنى لو انه اطلعنا على محل وجود نسخة منه . اما هوار فلم يقل بوقوفه على الديوان انما قال كما ذكرته (٧ : ٥٢٢) : « وتجد من نظمه (نظم نظمى) ما نقله ابنه مؤلفنا (مؤلف كلشن خلفا) عن ديوانه او عن مجموعة قصائده ... » أ هـ . فذلك استخراج لهوار كما ان فى كلشن خلفا (الورقة ٧٣) قصيدة لنظمى جاء فى ما يليها من الكلام بانها مثبتة فى ديوان قائلها وهناك غيرها .

والذى وقفت عليه فى الفهرست لدى كردمانش فى مخطوطات شفر ان فى الطبعة الافرنجية لكشف الظنون (٦ : ٥٧٤) ذكرا لديوان نظمى زادة مرتضى ويبين لمن يراجع الكشف ان ذكر الديوان ليس فى صميمه بل فى الملحق المسمى « اثارنو » لحنيف زاده احمد طاهر المتوفى فى سنة ١٢١٧(١٣) (١٨٠٢) والصراحة لا تجوز لنا الشك فى ان الديوان لغير مرتضى هذا ولاسيما انه ذكر سنة وفاته قريبة من التى ذكرها هامر *Hammer* ولكن هل فى ذلك غلط صحيحه انه لنظمى كما غلط فى امر كتاب جامع الانوار الذى سيجىء الكلام عليه ؟ (١٤) ومما جعلنا فى الشك ان حنيف زاده لم ير نسخة من الديوان فانه لم يورد اوله كما جرى عليه اقتفاء بصاحب كشف الظنون فى الكتب التى نظر فيها . وكما قلنا هل فى نسبته للديوان الى مرتضى غلط ايضا وانه لنظمى ؟

وبعد هذا كله اشير الى نظمي فلي ما جاء في مجموعة تاريخية بالتركية عندي في ذهاب موسى باشا الى كريد بالاسطول السلطاني وفي الوقائع التي جرت وفي المجموعة ايضا خمس وعشرون صفحة من النثر تروى ما حدث في بغداد في قسم من سنة ١٠٥٧ و١٠٥٨ للهجرة (١٦٤٧ و١٦٤٨) من امر عصيان واليها ابراهيم باشا وقتله ودخول موسى باشا واليا فيها ما لا تجده في كلشن خلفا من الافاضة والاسترسال وتفصيل الوقائع وتسمية المواضع كميدان قنبر على وآق شرعه (آق شريعه اى الشريعة البيضاء) وقوشلر قلعه سى (قلعة الطير) (١٥) وهناك طائفة من الرجال كان لهم في الحوادث شأن ويد بينهم : شاهبندر بغداد « خوجه حسب الله (١٦) » وقد دون صاحب المجموعة ايضا المنازل التي اجتاز بها من الاستانة حتى قدم الى الامام موسى الكاظم (الكاظمية) في ١٦ من محرم سنة ١٠٥٨ وقال في آخر ذلك ما تعريبه : « واذ قد ولي بغداد ملك احمد باشا الحافظ لديار بكر فقدم متسلمه اليها في ٢٠ ذي الحجة ١٠٥٨ فتسلم الايالة عبرنا (الى الجانب الغربي) ومعنا تعلقاتنا « (الاقرباء او المنسوبون الينا أو كلاهما معا) والاوتاق (١٧) » وخيامنا فنزلنا الموضع المسمى « المنطقة » اهـ •

والظاهر ان المدون كان من ذوي موسى باشا او من الذين ينتمون اليه وان خروجه كان مع الباشا فان التاريخ الذي ذكره يوافق ما قاله كلشن خلفا من ان ولاية موسى باشا انتهت في ٢١ ذي الحجة سنة ١٠٥٨ • ثم يقول المدون في صدر جدول ذكر فيه المنازل ووجهته الموصل فشمالها : « ان التوقف في « المنطقة » عن المسير دام حتى قدوم « ملك احمد باشا » فمرت ايام بلغت اربعة وعشرين »

وفي المجموعة ما عدا النثر قصيدة أبياتها خمسون فيها وصف ما جرى في بغداد من الحوادث المذكورة وهذا مطلعها :

ويلا لازم كلور ذكر ايلمك احوالى (كذا) بغداد

انكجونكه ظهور ايتدى انواعى (كذا) ربى آدى

والبيتان التاليان وردا قبل البيت الاخير من القصيدة وفي احدهما التاريخ :

بوذوفيـــله نوله‌كرتازه لنســـــه ذكر تاريخـــى

جويكى فتح الى دار الامان اولدى آنك يادى (١٠٥٨)

سخن بولدى كمالن من بعد نظمى ! سراغازايت

دعا يى حضرت صاحب قران ملك ارشادى ...

وتعريب هذا البيت هو لقد بلغ الكلام تمامه فمن بعد ذا يا نظمى ! أشرع بالدعاء لحضرة صاحب القران (كناية عن السلطان) ملك الارشاد .

وفى صورة لوثيقة تاريخها (تاريخ الوثيقة) فى ١٦ ذى الحجة سنة١١٧٠ (١٧٥٦) فيها من الشهود من كبار رجال ذلك العهد مثل مفتى بغداد الشيخ محمد افندى ونقيب اشرافها السيد محمود افندى وخطيب الامام الاعظم الحاج السيد احمد افندى وامثالهم الذين من هذه الطبقة وبينهم « زكريا جلبى ابن عبدالرحيم افنـدى نظمى » و « صارى محمد افندى ابن على جلبى نظمى » و « الحاج زكريا ابن محمود افندى نظمى » وهم الذين اشرت اليهم فى صدر المقال واذ كان هؤلاء الرجال من اهل ذلك العصر كان جدهم نظمى من اهل القرن الحادى عشر فيوافق ان يكون نظميهم نظمينا الذى عليه وعلى بيته مدار البحث . فهل لاهل التحقيق والتدقيق ان يكشفوا عن الغامض ويأتونا بعلم جـديد ؟

***

وقد وقف على ان « لنظمى‌زاده‌بغدادى » شرحا بالتركية لقصيدةالفرزدق الشهيرة بيتها : « هذا الذى تعرف البطحاء وطأته . » ولكنى لا اعرف لاى فاضل من هذه الاسرة هو هذا الشرح

ومن الغريب ان اوليا جلبى لم يذكر نظمى فى رحلته مع انه خص فيها (٤ : ٤٢١) قطعة بشيوخ بغداد وشعرائها يوم كان فيها فى سنة ١٠٦٦ ﻫ (١٦٥٥ م) فقال : « ويعد من العلماء العاملين شيخ الاسلام مصطفى افندى الكردى ومفتى الانام زين العابدين افندى وغراب افندى وابنه محمودافندى (١٨) وفيها اربعون شاعرا فصيحا بليغا مشاهيرهم : شيخ زاده جلبى ، بالى ضيائى جلبى ، ملا زاده محمود افندى الغرابى » اﻫ فهل كان هؤلاء اعلى ذروة من نظمى وارقى كعبا وان لم تصلنا قصائدهم .

هذا والحقيقة بنت البحث

حاشية

تذكرة الاولياء او جامع الانوار

قلت فی ما سبق ان صاحب كتاب « آثارنو » قد غلط فی امر كتاب جامع الانوار وهو تذكرة الاولياء والآن اوضح ذلك : جاء فی كشف الظنون من الطبعة الافرنجية (٦ : ٥٥٩) تحت عدد ١٤٦٢٧ : « تذكرة اولياء تركی لمؤلفه نظمی زاده مرتضی افندی البغدادی تأليف حدود سنة عشرين ومائة والف (١٧٠٨ م) اوله : حمد وثنای بی غايه وشكر وسپاس بی نهايه الخ » . وتحت عدد ١٤٦٢٨ كذلك « تذكرة اولياء تركی سماه جامع الانوار لمؤلفه احد علماء الشيعة من بغداد تأليف سنة اثنتی وتسعين بعد الالف فی شهر جمادی الآخرة اوله : « ای دوست علم واجب الوجوب ... الخ » . اما نسخة خزانة الاوقاف ــ وقد كنت ذكرتها (٧ : ٥١٨) ثم ذكرها العزاوی ونقل اولها (الص ٤٣٣) ــ ففی اعلى الصفحة من مقدمتها ما يلی : « هذا كتاب تذكرة الاولياء ومراقد اصفيا (كذا) فی اطراف بغداد دار السلام » أ هـ واول المقدمة كالذی ذكره آثارنو تحت عدد ١٤٦٢٨ . وقد حكى المؤلف فی هذه المقدمة ــ ولم يشهر اسمه ــ سنة شروعه فی تأليف الكتاب فی سنة ١٠٧٧ (١٦٦٦) وتسميته اياه جامع الانوار فی مناقب الابرار ثم اجالته القلم فيه فی سنة ١٠٩٢ (١٦٨١) ــ وكما قال ــ « فاتمه واكمله ونقحه وذيله » . وجاء فی وصف النسخة المحفوظة فی المتحفة البريطانية (فهرستها الص ٧٤/٧٥) عن مضمون مقدمتها مثل ما جاء فی نسخة خزانة الاوقاف ومثل ما ورد فی تعريب البندنيجی للمقدمة (٧ : ٥٢٠)

قلت ان ماذكره آثارنو عن كتاب تذكرة الاولياء الموسوم بعدد ١٤٦٢٧ من انه لنظمی زاده مرتضی وما رأيناه فی نسخة خزانة الاوقاف ونسخة المتحفة وتعريب البندنيجی يلزمنا ان نقول ان هذا الكتاب هو جامع الانوار بعينه وان ذكر صاحب آثارنو تأليف ذلك الكتاب فی حدود سنة ١١٢٠ (١٧٠٨) وهی السنة التی عرفنا ان جامع الانوار صنف فيها . واذ لا تقول ذلك النسخ القديمة التی ذكرتها ولا تعريب البندنيجی بل توضح ان آخر عهد المؤلف بكتابه كان فی سنة ١٠٩٢ اضحى صاحب آثارنو من الواهمين .

واما جوابنا على مخالفة مقدمة تذكرة الاولياء الموسومة بعدد **١٤٦٢٧** لمقدمة تذكرة الاولياء الموسومة بعدد **١٤٦٢٨** والمسماة اسما آخر اى جامع الانوار هو ـ على ما يلوح لى ـ ان مقدمة **١٤٦٢٧** هى مقدمة الكتاب عند اول تصنيفه قبل ان ينظر المؤلف فيه ثانية • واذا اردنا البحث عن الكتاب الموسوم بعدد **١٤٦٢٨** فاوله وسنة تأليفه يوافقان ما فى نسخة الاوقاف ونسخة المتحفة فلا يكون هذا الكتاب الا الذى نظر فيه صاحبه نظمى زاده مرتضى وتصرف فيه • فجامع الانوار هو تذكرة الاولياء وكلاهما واحد • ولعل التصنيف الاول كان اسمه بادىء بدء تذكرة الاولياء فغلب عليه هذا الاسم وان قالُ مؤلفه انه سماه جامع الانوار فى مناقب الابرار قبل التصرف فيه كما رأينا • ويجوز ان احدا رأى اسمه الكامل طويلا واذا اقتضب واكتفى باسم جامع الانوار لا يفيد مضمونه سماه تذكرة الاولياء فشاع ذلك وذاع وعم وبقى الاول كمنسى •

هذا ولا عبرة فى نسبة آثارنو لجامع الانوار الى احد علماء الشيعة اذ ان من يطالعه يرى انه من تأليف ابناء السنةفضلا عما جاءلفخرى زاده والبندنيجى معربى الكتاب انه لنظمى زاده مرتضى كما مر بنا (٧ : ٥١٨) ومن عادة علماء الشيعة ان يكتبوا تآليفهم بالعربية او الفارسية لا بالتركية •

الحواشى

(١) الواجب ان يقيد فيقال : فى وقائع العراق الحادثة فى عصر آل عثمان كما هو الواقع لئلا يذهب الى انه اكبر مؤرخ عراقى على الاطلاق وهو ليس كذلك (٢) اعول على المطبوع (٣) هـذه الاداة ليست فى المطبوع انمـا فى مخطوطى وبدونها لا يستقيم المعنى اما فى العبارة التالية من الكلام الذى لا يمكن اطلاقه الا على نظمى ولا يمكن لصقه بالباشا فان فيه ما كان ملازمالنظمى من امر الهجرة وآلام الاغتراب (٤) ويذكر مخطوطى بعد هذا الكلام ما لا نجده فى المطبوع من ان عـودة نظمى الى بغداد كانت فى سنـة ١٠٥٤ هـ (١٦٤٤ م) ويذكر ذلك مرة أخرى كما سيأتى فى احدى الحواشى • (٥) وراجع قاموس الاعلام لشمس الدين سامى ومعجمه التركى وكذلك معجم ديران كلكيان التركى الفرنسى (٦/٧) اما رواية مخطوطى لكلشن خلفا ـوهى

نسخة قديمة كما اشار اليها العزاوى ـ فتختلف بعض الاختلاف عن المطبوع ولا سيما انها تذكر الاولاد دون الحفدة فانها تقول : « ... رهاده قرارايتمش ايكن بيك اللى درت تاريخنده (١٠٥٤ اى ١٦٦٤) ـ الحمد لله الملك الجواد ـ اولاد » وفى الجملة نظام حال ايله كيرو بغداده عودت ايدوب ... » اه . ولعل كلمة « احفاد » سقطت من المخطوط او اضيفت الى نسخة المطبوع لتحلية السجع . والمخطوط صحيح العبارة والكتابة أو أقرب الى ذلك من المطبوع . (٨) فى خزانة ويانة (فهرستها ٢ : ٣٧٩) نسخة من كلشن شعرا . وفى فهرست المخطوطات التركية للمتحفة البريطانية (ص ٧٦) ان فيها نسخة من الكتاب تحوى اربع روضات وزيادات اضيفت الى الاصل الذى كان قد انجز فى سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣ م) وان فيها ما يشير الى سنة ١٠٠١ (١٥٩٢) . وقال صاحب الفهرست فهى تختلف عن نسخة ويانة لما فيها من الاهمال والاضافات الكثيرة . قلت والظاهر انها كالنسخة التى يملكها العزاوى . وكانت نسخة المتحفة من مجموعة مخطوطات المستر ريج الذى كان مقيما بريطانيا فى بغداد وقد اشترى فيها نفائس من المخطوطات .

وهنا يجدر بى ان انبه ان ما وقفت عليه هذه المجلة (٨ : ١٢٠ ح) عن سنة قدوم عهدى الى الاستانة نقلا عن كشف الظنون لطبعته الافرنجية قد انتبه اليه واضع فهرست المتحفة البريطانية فغلط ما رآه فى كشف الظنون القائل قدوم عهدى الى الاستانة فى سنة ٩٢٠ (١٥١٤) واستصوب ما جاء فى كلشن شعرا من ان قدومه اليها كان فى سنة ١٩٦٠ (١٥٥٢) كما نراه فى طبعة الاستانة وكما رآه العزاوى فى نسخته لكلشن شعرا فرواه لنا هنا (ص ١٨٧) مغلطا طبعة كشف الظنون الافرنجية فكان هناك توارد الخواطر بينه وبين واضع فهرست المتحفة . (٩) ومما قاله كلشن خلفا ان السلاحدار محمد باشا بنى جامعا ومنارة بقرب مرقد الشيخ محمد الازهرى وبينما كان على اهبة تعيين اوقافه وتبين خدامه وما يحتاج اليه عزل فبقى الجامع مهجورا لنقص جزئى فجاء فى سنة ١٠٧٧ (١٦٦٦) الوزير اوزون (الطويل) ابراهيم باشا فعمر فيه بعض التعمير ورممه فبدىء بالجمعة فيه . ثم عين فى سنة ١٠٧٩ (١٦٦٨) الوزير قره (الاسود) مصطفى باشا لخدام الجامع وظيفة (راتبا او ما ضاهاه) .

من المال الاميرى • وفى سنة ١٠٩٤ (١٦٨٢) قدم الى بغداد السلاحشور السلطانى محمد بك لشؤون للحكومة وكان قد ربى بنعمة السلاحدار محمد باشا فعمر فى الجامع تعميرا بديعا فكان كامل البناء ونقش فيه نقوشا ذهبية وكتب فيه كتابة ياقوتية (وفى الاصل : « نقوش ذهبى وكتيبه ياقوتى » ولا بد انه اراد الالوان اذ لا ذهب فيه ولا ياقوت ولم نسمع بوجودهما فيه وزادوقفه وخدامه (١٠) او سلحدار المركبة من العربية والفارسية اى صاحب السلاح او القابض عليه • قال كانتمير *Cantimir* (كتابه الفرنسى فى تاريخ الدولة العثمانية المطبوع فى باريس سنة ١٧٤٣ فى المجلد الاول فى باب شرح الكلمات الغريبة) : « سلحدار اغا : نائل سيف السلطان ورئيس حرسه والسلاحدار احد الحرس » اه وذكرت معلمة الاسلام وظائف « سلاحدار اغا » ومما قالته ان السلاحدارية كانوا فرقة من الفرسان يقال لرئيسها سلاحدار اغا (١١) او السلحشور كذلك تركيب عربى فارسى ومعناه الحرفى المتمرن على السلاح وفى قاموس شمس الدين سامى التركى ان السلاحشورية هم الرجال المسلحون بالبنادق فى خدمة السلطان من نبلاء الخارج (اى خارج الاستانة) (١٢) ولم تكن وفاته فى اثناء البناء بل عزل وكان ذلك فى سنة ١٠٦٩ (١٦٥٨) (كلشن خلفا الورقة ٩٠) فعين واليا فى حلب ثم استدعى الى الاستانة وقتل فيها فى سنة ١٠٧١ (١٦٦٠) (عن سجل عثمانى وتاريخ راشد ١ : ١٣) فكأن الناظم كان يأمل ان الباشا سيتم البناء ولو كان بعيدا عن بغداد (١٣) كان محمد طاهر بن رفعت البرسوى قد نشر فى سلانيك فى سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) رسالة فى ترجمة المؤرخ عالى وترجمة كاتب جلبى (الحاج خليفة) ثم نشر فى الاستانة فى سنة ١٣٣١ (١٩١٢) رسالة اخرى عنوانها « كاتب جلبى » فزاد فى ترجمته وجاء فيها (الص ١٦) ذكر وفاة حنيف زاده وقال كانت وقعت بيده مسودة ويشنه زاده محمد عزتى فى الوراقة ذيلا على كشف الظنون فزاد عليها فكان كتاب « آثارنو » (اى الآثار الجديدة) وقال البرسوى (الص ١٧) « واحد ذيول كشف الظنون الذيل الذى لشيخ الاسلام عارف حكمت بك المتوفى فى سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨) وتجد مسوداته ـ وهى بقلمه ـ فى خزانة اسماعيل باشا البغدادى وخزانة خالص افندى • ومن ثمرة سعى الباشا مدة ثلاثين عاما ـ وهو من افاضل عصرنا الحاضر ـ انه جمع اسماء مؤلفات بلغت نيفا وثمانية عشر

الفا ففاض عدد اسماء الكتب الواردة فى الذيل على ما فى الاصل وقد سمى الباشا كتابه ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون • وقال البرسوى وللباشا كتاب اسماء المؤلفين وآثار المصنفين من صدر الاسلام الى زماننا وفيه كناهم واسماء مؤلفاتهم وهو يأسف ان الباشا لم يوفق لطبع كتابيه ونحن نشاركه فى الاسف ونتمنى ان لا يبقيا فى الزوايا ولا سيما نخاف ضياعهما (١٤) وبالنظر الى هذه الاغلاط يجوز ان نرجح ما ذكره هامر من ان سنة وفاة نظمى زاده مرتضى هى سنة ١١٣٦ (١٧٢٣) على ما ذكره حنيف زاده وسجل عثمانى من ان وفاته كانت فى سنة ١١٣٣ (١٧٢٠) (١٥) وذكرها باسمها العربى بهذه الصورة سيدى على فى كتابه مرآة الممالك • (١٦) ذكر اوليا جلبى فى رحلته (٤ : ٤٢١) « حسب الله جلبى » بين الكبار والاعيان • وذكر حيدر جلبى ولا شك انه واقف الحمام المعروف بحمام حيدر الى يومنا هذا وقد استأجرت معاهد اورزدى باك التجارية *Orosdi Back* قسما من « الكلخان » « محل الرماد » فبنت فيه معهدا واسعا وموقع الحمام فى رأس القرية وتعد اليوم مرتزقة الحمام بنحو ثلثمائة نسمة من رجال ونساء اصابهم ذلك من جهة الآباء والامهات • وكان صاحب الرحلة فى بغداد فى سنة ١٠٦٦ (١٦٥٥) (١٧) الفسطاط الكبير المزين الخاص بالحكام وكبار الرجال (١٨) قال كلشن خلفا فى اخبار سنة ١١٠٠ (ورقة ١٠١) ما تلخيصه : « استولى الغلاء على بغداد لقلة الامطار وعدم فيضان دجلة والفرات فاضطرمت نار القال والقيل فى الثالث عشر من صفر فاتخذ بعض الجهال ذلك وسيلة لهم لابداء الشرور واتهموا بالاحتكار غراب زاده محمود افندى وهو من زمرة العلماء فكان هدفا لسهم القضاء بما قام به العوام فمات مظلوما فى الفتنة • » اهـ ومما نراه فى آثارنو (كشف الظنون ٦ : ٥٦١) ما يلى :

« تفسير القرآن فى التركى مجلد سماه زبدة آثار مواهب الانوار مؤلفه واعظ احمد ابن عبدالله البغدادى الشهير بغراب تأليف السنة احدى ومائة والف » اهـ (١٦٨٩) واتصل بى ان فى مدينتنا افرادا من الغرابيين وقيل لى ان بيت قره على الشهير باوقافه القديمة على الذرية هو من الغرابيين او ان بين البيتين صلة قرابة •

صاحب رحلة

اول شرقي (عراقي) الى اميركة

كان الاب انطون رباط نشر في اجزاء السنة الثامنة من المشرق (سنة ١٩٠٥) رحلة بعنوان « رحلة اول شرقي الى اميركة » ابتدأ بها من بغداد في سنة ١٦٦٨ صاحبها الخوري الياس ابن القسيس حنا الكلداني الموصلي من بيت عمون ثم نشر له ايضا في السنة التاسعة من المشرق نبذة في تاريخ البيرو ونبذة غيرها . وبعد ذلك ضم الاب كل ما في تلك المجلة في سفر طبعه في سنة ١٩٠٦ . وهذه الرحلة هي التي ابحث الآن عن اخبار صاحبها . وبعيد هذا عثر الناشر على نبذة عن المؤلف وردت في آخر كتاب يحوي مجموع صلوات كان قد وصفه المستشرق شنورر (*SChnvrrer*) في فهرسته للمطبوعات العربية في سنة ١٨١١ فسر الاب بذلك سرورا جما ابداه في المشرق(٩ « ١٩٠٦ » ٤٧١) مع نشره ما وجده وهو هذا بحروفه مع بعض الطي الذي اعوض عنه بالنقط فانه لا يمس الموضوع .

« قد طبع هذا الكتاب المبارك في مدينة رومية العظما في ايام رياسة بابا مارايننوسيوس الثاني عشر قد طبعه من ماله ورزقه القسيس ايلياس باسم خوري البغدادي ابن قسيس حنا الموصلي من نسل البطاركة المشرقين من طائفة الكلدانيين(١) من عيلة بيت عمون الذي قبل مواهب من الكرسي الروسولي (كذا) الاوله : » اركد ياقون على كنيسة بغداد . والثانية : روتوناطربو ابوسطوليكو (*Protonotarius Apostolicus*) والثالثة : حامل صليب مار بطرس (*Staurophorus D.Petri*) والرابعة : كونته ده بالاتينو (*Comes Palitini*) والخامسة : كاهن كنيسة ملك اسبانية ... (٢) .

وقد وقف على طبع هذا الكتاب المبارك احقر عبيد الله اندراوس من مدينة حلب باسم كوالير (*Cavaliere*) ابن مقدسي عبدالله الكلداني الموصلي ... (٣)

انطبع فى مجمع انتشار الايمان المقدس فى مدينة رومية سنة ١٦٩٢ ، ٠٠٠ ، ١٠ م

وقبل ان يبلغ خبر طبعة هذه الرحلة الى سلامة موسى رأى ان يصف فى المقتطف (٣٥ ، ١٩٠٩ ، ٨٦٠) نسخة فى خزانة ديوان الهند فى لندن فطلب المقتطف من مشتركيه فى بغداد ان يعلموه بما يعرفونه عن صاحب الرحلة وفى الوقت نفسه طلب من الواصف ان يخبره بحجم الكتاب ـ ولا بد ان ذلك كان استعدادا لطبعه ـ فاجاب سلامة موسى ملتمسه (المقتطف ٣٥ ، ١٩٠٩ ، ١١١٢) ثم قال ان صاحب فهرست الخزانة يقول ان نسختها منقولة فى الشرق لكنه لم يذكر الموضع وحينذاك اوقف المقتطف على خبر الطبعة . وفى تلك الغضون اشار المشرق (١٢ ، ١٩٠٩ ، ٧٩٨) الى المقتطف انه سبق فنشر الرحلة قبل وصف سلامة موسى .

وذكر الرحلة فى المشرق صاحبه فى كتابه المسمى المخطوطات العربية للكتبة النصرانية الذى كان قد بدأ بنشره (٢٠ ، ١٩٢٢ ، ٥٨) ثم عاد فاخبرنا (٢٢ ، ١٩٢٤ ، ٣٥٥) ان القس الفاضل بولس سباط السريانى وصف فى *Revue l' Orient Chretien*(مجلة الشرق المسيحى) نسخة من هذه الرحلة وانه قد اتضح له من وصف القس انها النسخة التى نقل عنها الاب رباط نسخة طبعته . وذكر القس سباط المار الذكر نسخته فى كتابه بالفرنسية المسمى خزانة مخطوطات بولس سباط السريانى الحلبى المطبوع بمصر فى سنة ١٩٢٨ (ص ٦٢) بعد ان كان نشره فى تلك المجلة الفرنسية . ولكتاب المخطوطات العربية للكتبة النصرانية طبعة على حدة بعد ان تم نشره فى المشرق .

* * *

واذ قد سر الاب رباط بما وقف عليه من خبر صاحب الرحلة وابدى المقتطف رغبة فى الحصول على معلومات من مشتركيه البغداديين عن صاحب الرحلة كما رأينا احببت ـ وان مر زمن طويل على ذلك ـ ان اجمع ماوقفت عليه فى اثناء مطالعتى فى القاء نظرات على كتاب بالايطالية (٤) من تنف عن الرحالة واسرته وغير ذلك معتقدا ان بعض القراء الكرام يلتذون بهذه الاخبار ويحدو ببعضهم الامر الى التتبع والبحث عن صاحب الرحلة وما يتعلق به .

نسخة ديوان الهند

لفت نظر سلامة موسى قول صاحب فهرست الخزانة ــ خزانة ديوان الهند فى لندن (فهرستها (٥) ص ٢٠٧ عدد ٧١٩) ــ ان نسختها مكتوبة فى الشرق لكنه لا يعرف موضع النسخ • والظاهر ان صاحب الفهرست لم يجد صراحة فى ذلك وان « سلامة » رغب فى الوقوف على الامر • ولو رأى عراقى النسخة وانعم النظر فيها متدبرا لعله يستخرج محل نسخها من امارة يجدها فيها • ومع ان النسخة بعيدة عنى فلا يسعنى الا ان اقول عنها كلمة استنبطها من الوصف •

قال سلامة « فى المقتطف (٣٥ : ١١١٢) • » ان فى النسخة قوله : « دفع شماس كوركيس لشماس حنا عشرين بغدادية ثمن نسخ هذا الكتاب » أ هـ • ومن يراجع «الفهرست » ير فيه خاتمة للكتاب عد سلامة نفسه فى غنى عن نقلها برمتها ولذا اقتضب الفقرة التى اورد نقلها • وها أنا ذا انقل ذلك لاقابل الخاتمة بخاتمة نسخة الدكتور الجلبى التى سيأتى الكلام عليها وسيظهر قدم هذه على نسخة خزانة الديوان ويستنتج محل كتابتها مما فيها •

وهذه هى الخاتمة بحروفها : « قد تكمل هذا الكتاب بعون الله الوهاب فى بورط صانتا ماريا التى هى مقابل لمينة كادس (٦) على يد الحقير الكوالير اندراوس ابن مقدسى عبدالله الكلدانى (٧) فى اول شهر آذار المبارك سنة الف وستمائة وتسعة وتسعين مسيحية فى اول نساخته •

ونساخته الثانية فى شهر كانون الاول عشرين يوم فى سنة ١٧٥١ مسيحية والمجد لله دائما » ا هـ •

ثم قال الفهرست ما تعريبه وقد ابقى بالعربية الالفاظ التى اضعها بين قويسات : « والصفحات الثلاث الاخيرة تحوى مضامين الكتاب وفى الآخر تعليق « لشماس كوركيس » فيه انه دفع الى « مقدسى شماس حنا » لنسخ الكتاب تسعة وعشرين « بغدادية » اى ثلاث بغداديات ونصف بغدادية عن كل كراسة وفى صدر الكتاب تعليق عن مشتراه فى تاريخ سنة ١٧٨٦ • وهناك كتابة بالخط الاسطرنجيلى وهى « بسم الله تيمنا وتبارك بذكره القديم • » ا هـ

ولكي نعرف محل كتابة هذه النسخة على وجه التقريب انقل ما قاله القس خدر الكلداني (٨) في رحلته (المشرق ١٣ «١٩١٠» ٦٥٩) في تاريخ سنة ١٧٢٨ وهذا كلامه : « ... قرش اسكوت روماني . وكل اسكوت عشر جوليات . والجولية هي البغدادية السالكة في الموصل (٩) . » اهـ ويتضح من جنس هذه النقود المدفوعة اجرة ان كتابة النسخة كانت في مدينة تدرج فيها البغدادية ولا بد انها بغداد او الموصل . ويرجح الورتبيد الفاضل نرسيس صائغيان انها بغداد لانه يظن ان المستنسخ هو الشماس كوركيس ابن الشماس عيسى غنيمة من اهل بغداد وسكانها لعادته اقتناء الكتب ولمعاصرته رجلا اسمه المقدسي حنا من سكنة بغداد ايضا .

نسختان غير المحكي عنهما

١ ـ نسخة الدكتور الجلبي

رأينا انه لم يتيسر لناشر الرحلة ان يقف حين طبعها الا على نسخة واحدة ولم يصل اليه اذ ذاك خبر نسخة ديوان الهند وقد جاءنا في السنوات الاخيرة كتاب مخطوطات الموصل للاستاذ الدكتور داود بك الجلبي (ص ٢٦٩) يوصف نسخة عند صاحبه ينقص منها ورقتان في الاول وفي آخرها مثل ما في نسخة خزانة الديوان الا قوله : « في اول نساخته » فانها مطوية كما انه عوض في هذه النسخة عن قول نسخة الديوان « ونساخته الثانية ... » بما يلي : « وقد صار الفراغ منه يوم الخميس في ستة وعشرين من شهور (كذا) تموز سنة ١٧٤٨ مسيحية . » اهـ فيتضح من هذا ان نسخة الدكتور اقدم بثلاث سنوات من النسخة التي في الديوان ويبين من اتفاق ما فيهما في الآخر ان نسخة الديوان منقولة من نسخة الدكتور أو أن كلا منهما منقولة من أم واحدة حتى ان كلمة « أدار » وردت في كلتيهما بدال مهملة .

٢ ـ نسختي

هذا ما كان من نسخة الدكتور وكان للمنقب في اخبار السلف من المسيحيين الورتبيد نرسيس صائغيان نسخة اقتناها قبل نحو عقدين من السنين فاهداها الى قبل بضع سنين وهذا وصفها وانا آسف لنقصانها .

طولها ٢٢ سنتيمترا وعرضها ١٦ وفي كل صفحة ١٧ سطرا صفحاتها ١٩٦ خطها فصيح لكنه ليس بالمتقن ومداده اسود باهت وورقها ثخين وجنسه

يحملنا على القول بان عمرها يتجاوز قرنا ونصف قرن على الارجح . وكانت مسلوخة من جلدها فصحفتها وليس على اوراقها ارقام انما معلم على اول صفحة من كل كراس رقمه وكذلك على آخر كل صفحة منه وهو يحوى ١٦ صفحة ونقصها فى الاول كبير فانه ثلاثة كراريس ونصف وفى وسطها نقص آخر من الكراس التاسع والعاشر قدره ١٦ صفحة . وفى الفصل العاشر دائرة ضمنها صورة مظهر من مظاهر السماء الذى بحث عنه الكتاب مما لم ير الناشر حاجة الى طبعه وقد اكتفى بنشر نبذتين تاريخيتين . والصورة من صنع يد لا تحسن الرسم كيد صبى من الصبيان كما انك تجد فى الفصل الحادى عشر صورة أحرف جاء عنها فى المطبوع (ص ٧٧ ح) ان الاصل غفل منها .

وآخر فصل فى مخطوطى هو الفصل السادس عشر وينتهى الموجود منه برواية الاعجوبة الرابعة للعذراء مريم عليها اشرف السلام . وجملته الاخيرة هى : « فهكذا يا اخوة عملت مريم البتول عجائب كثيرة فى كل المسكونة وهى ظاهرة للناس . » فالنقص ما بقى من هذا الفصل السابع عشر الذى به يتم الكتاب .

وفى ضمن الدائرة الحاوية صورة مظهر السماء ادخلت يد حديثة قوله : « هذا الكتاب مال يوسف ابن يحو . (١٠) » اهـ .

* * *

(مطالعة) : ومما نستفيده من هذه النسخة انها افصحت عن كلمة لم يحسن قراءتها ناشر الرحلة . كنت قرأت فى الص ٣٥ من المطبوعة كلمة « برنج » ثم جمعها « برانج » وفى حاشية للناشر ان الكلمة فارسية ومعناها النحاس وهو يظن انها بمعنى خابية أو برنية فرأيت ان القراءة غير صحيحة ولابد ان تكون « بربخ » وهى كلمة معروفة فى بغداد والموصل يراد بها انبوب من خزف قطره واسع حسب حاجة صاحبه اليه ويكون طوله نحو نصف متر . واذا اراد احدهم ان يتخذ مدخنة او مسيلا ينحدر من علو صف منها عدة واحدا راكبا فى رأس واحد . وسياق الكلام فى الرحلة يقضى ان تكون الكلمة « بربخ » وجمعها « برابخ » كما ان النسخة التى عندى تصورهما على هذا الوجه . ويقال فى المفرد « بربق » بابدال الخاء قافا . وقد بان لى ان على الكلمة مسحة ارامية

فسألت عن ذلك حضرة الاب صاحب المجلة فقال : « البربخ » وجمعها برابخ مأخوذة من الارمية (لا من المصرية كما فى اللسان والتاج) وهى من « بربوعا » ويقال فيها ايضا « بربوقا » بمعناها وبمعنى الكراز او القرقار او الكوز والدبة او الزجاجة (عن دليل الراغبين فى لغة الارامين) •

نسخة اسرة المؤلف

كان القس بطرس نصرى قد الف كتابا اسمه ذخيرة الاذهان فى تواريخ المشارقة والمغاربة من السريان طبع جزءه الاول فى مطبعة الآباء الدمنكين بالموصل فى سنة ١٩٠٥ وشرع فى طبع جزءه الثانى هنالك ايضا فى سنة ١٩١٣ ثم حدث ما وقفه عن الطبع بعد ان انجز منه ٤٤٨ صفحة (١١) فذكر فيه رحالتنا مع اقتباس من المشرق • ومما فيه (٢ : ٣٥٩) قوله عن الرحلة : « رؤى هذا الكتاب عند نعمان الحلبى » • وسيأتى الكلام على نعمان انه من بيت كاتب الرحلة •

تذكرت هذه الرواية حينما زرت الموصل فى خريف سنة ١٩٢١ ترويحا للنفس فجمعتنى الصداقة القديمة بالوجيه الكريم يوسف افندى نعمان آل الحلبى فاخذنا يوما نتجاذب اطراف الكلام عن اسرته الطيبة الارومة فسألته عن هذه النسخة التى كانت لوالده فقال انه كان وجدها فى تركة ابيه وكانت فى داره عند مغادرته الحدباء وقت نزوحه منها قبل ثمان وثلاثين سنة قاصدا الناصرية قاعدة لواء المنتفق بوظيفة مدير البرق والبريد وانه لم يرها عند رجوعه وقد فقد معها ما كان يملكه ارثا من والده من نفائس الاوراق (١٢) فقد حرمتنا الايام الوقوف على هذه النسخة التى ربما فيها من التعاليق عن أسرته ما ليس فى غيرها • ويوسف افندى هو وحيد بيته الحلبى اليوم •

اسفار صاحب الرحلة

اخبرنا القس نصرى (٢ : ٣٥٨) خلال كلامه على مساعدة بيت الحلبى للمرسلين الدمنكين والذب عنهم ما جاء فى آخر كتاب مطبوع عن صاحب الرحلة واصله وهو كآخر الكتاب الموصوف فى المشرق نقلا عن شنورر والمطبوع فى سنة ١٦٩٢ مع زيادة تعريف انه من نسل « البطاركة والعشيرة الابوية وانه قصد رومية سنة ١٦٥٩ » الا ان القس نصرى قال ان ما ذكره جاء فى آخر

كتاب الصلوات المسمى « الحيوة » الذى طبعه الخورى ايليا فى سنة ١٦٩٣ فى رومة • ثم قال (٢ : ٣٥٩) : « يظهر ان الخورى الموما اليه قد سافر الى رومية مرتين لانه فى هذه السياحة (اى المطبوعة) ذكر ايضا انه رحل من بغداد سنة ١٦٦٨ وانه كان له ابن اخ اسمه يونان انجز دروسه فى عاصمة الكثلكة سنة ١٦٧٠ فينتج ان ما خلا سفرته التى فيها طبع كتاب « بستان الحياة » قصدرومية مرة اخرى لزيارة ابن اخيه يونان الآخر » ا هـ ويظهر لى ان الكتاب الذى سماه القس نصرى « الحيوة » المطبوع فى رومة سنة ١٦٩٣ والكتاب الذى سماه « بستان الحياة » هو واحد • والذى يظهر لى ايضا كأن هذا الكتاب هو غير المطبوع فى سنة ١٦٩٢ الذى قال عنه المشرق لا اسم له بالعربية • والذى يسوقنى الى هذا الظن اى انهما اثنان اختلاف الاسم وسنة الطبع والاسماء العربية للمراتب التى حازها الخورى ـ ان لم يكن التعريب للقس نصرى كما قلت فى حاشية سبقت ـ ولا سيما العثور على سفر صاحب الرحلة فى رومة فى سنة ١٦٥٦ وهو سفر لم يروه المشرق مما يدل على ان لصاحب الرحلة طبع كتابين جاء فى الذى تكلم عليه القس نصرى خبر سفر صاحب الرحلة الى رومة فى سنة ١٦٥٩ والا فمن اين اتى القس بهذا التاريخ وهو لا يذكر مصدرا غير ذلك الكتاب ؟ فان صح ان لصاحب الرحلة طبع كتابين يكون القس وقف على كتاب لم يطلع عليه الاب رباط • والذى يفهم من عبارة القس نصرى ان لصاحب الرحلة سفرة طبع فيها الكتاب ـ او الكتابين ـ وسفرة غيرها لاثالثة لهما • واذا صح انه كان فى رومة فى سنة ١٦٩٢ او ١٦٩٣ حين طبع الكتاب يكون قدم الى رومة ثلاث مرات : الاولى فى سنة ١٦٥٩ والثانية فى سنة ١٦٧٠ والثالثة فى سنة ١٦٩٢ او ١٦٩٣ او قبلها • هذا اذا كان فى رومة فى زمن الطبع • اذ ان امر الطبع لا يستلزم وجوده فى المكان فضلا عما رأينا ان الواقف على الطبع هو اندراوس فاذا كان هنالك فلعله لم يعد الى العراق بعد رجوعه من اميركة • ولقد صدق القس نصرى فى ان لصاحب الرحلة سفرة الى رومة فى سنة ١٦٥٩ • وسأورد ما عرفته عن هذه السفرة وفى ذلك اخبار عنه وعن اخوين له مع ذكر اسميهما •

بيت الحلبى من بيت صاحب الرحلة

يقفنا القس نصرى فى كتابه (٢ : ٣٥٩) على اصل بيت الحلبى وسبب تسميته فى قوله :

« وكان للخورى ايليا (صاحب الرحلة) ابن اخ يدعى اسحق فقصد هذا عمه الى رومية فاجلسه فى احدى مدارس اوروبة الشهيرة فنجح اسحق وصار ترجمانا لسفارة دولة اسبانيا فى رومية ونال رتبا جليلة • ثم عاد الى الموصل بعد ان حج الى القدس الشريف • ولما رأى ان عائلته قد قرضت تزوج بمريم من بيت طربوش التى كانت اختها زوجة عيسى الرسام ثم قصد حلب بآله • ومن ثم يعرف وصفه بآل بيت الحلبى • » اه

بيت الحلبى فى الموصل

وقال القس نصرى (٢ : ٣٦٠) : « وولد لاسحق ابن سماه الياس باسم عمه الخورى ايليا وابن آخر سماه يوسف • وهذان عادا الى الموصل فى اثناء عود الحاج حسين باشا من آل عبدالجليل من ماموريته فى حلب الى الموصل (١٣) اذ اختار الياس الحلبى المذكور صرافا واشتريا البيت المعروف الى يومنا هذا بيت الحلبى وتناسبا مع بيت الرسام فسعيا فى نشر الكثلكة » اه وروى القس انعامات الكرسى الرسولى على هذا البيت ووفاة جدهم اسحق وهومسافر بحرا الى اوروبة على ما نقل •

وذكر القس نصرى مرارا بيت الحلبى منتصرا للعقيدة الكاثوليكيةومواليا للآباء الدمنكيين من ذلك ذكره لالياس (٢ : ٣٧٢) رئيسا لاحد حزبى الطائفة وكانت قد انقسمت بعضها على بعض لامور شخصية وامثالها •

وذكرت الياس رحلة سيستينى (١٤) فى سنة ١٧٨١ (الص ١٤٢) صيرفيا عند والى الموصل سليمان باشا الذى هو من اسرة موصلية (الص ١٤٦) (قلت : وهى اسرة عبدالجليل) وقالت الرحلة (الص ١٤٥) : « ودعانا الصيرفى الياس الى غداء الظهر لكن رجحنا العشاء عنده » • ثم قالت (الص ١٤٦) : « وكان عشاؤنا عند الصيرفى الياس ومسكنه دار أنيقة مرتبة وفقا لذوق أهل ديار بكر • فكانت لنا فرصة نرى فيها النساء داخل بيوتهن » اه • ثم وصف لبسهن ووضعهن • ثم قال (الص ١٤٧) : « ان اسرة السنيور الياس حلبية

كاثوليكية وهو يتكلم الايطالية . وله صلة متينة بالمرسلين (الدمنكيين . وكان قد ذكرهم) وكان العشاء على غاية ما يرام من خدمة ومأكل » اه

وقال « هويل » (١٥) فى رحلته (الص ٥٣) ما تعريبه :

« وغادرنا قره قوش فى ٢ نيسان (١٧٨٨) صباحا فى الساعة السادسة ووصلنا الى الموصل نحو الساعة التاسعة ...

فبلغ الخواجة الياس ـ وهو تاجر قديم ارمنى (وهم فى ذلك فانه كلدانى) ـ خبر قدوم ثلاثة رجال افاضل من الانكليز فدعانا أن نذهب اليه وأوفد الينا خيلا لهذا الغرض فوجدناه فى دار بنيت حديثا وهى نظيفة انيقة والم تكن موافقة للذوق الاوربى ...

وفى ٥ نيسان بدأت اخاف ان الدار التى ابتناها حديثا الخواجا الياس والتى نسكنها تزيد مرض الميجر ماكلود (*Macleod*) وكان لا يزال متوعكا .

وفى ٦ نيسان استأذنا مضيفنا المحبوب الخواجا الياس فغادرنا الموصل ... » اه

وللبطريرك يوحنا هرمز المتوفى فى سنة ١٨٤٠ ترجمة لنفسه (١٦) وقد نقلت الى الانكليزية فى كتاب المرسل البروتستانى بادجر (١٧) المسمى « النساطرة وكتب طقوسهم ... » (١ : ١٥٥) وفيها ذكر الياس الحلبى .

وفى كتاب الآثار الجلية فى الحوادث الارضية لياسين بن خيرالله العمرى (١٨) الذى كانت ولادته فى سنة ١١٥٨ هـ (١٩) (١٧٤٥ م) تهكم لصاحبه « بيوسف الحلبى التاجر » وغيره مع استهزاء وتنديد وقذف اليم فى اخبار سنة ١١٩٢ هـ (١٧٧٩ م) . وسبب ذلك اختلاف الكلدان بينهم لامور طقسية وغيرها خاصة بهم وسعى يوسف فى تأييد الحزب المسمى حزب المسيحيين . وفى ذخيرة الاذهان للقس نصرى فى جزئه الثانى بحث عن هذا الاختلاف .

وفى خزانة ديوان الهند (فهرستها الص ٢١١ العدد ٧٣٠) نسخة من كتاب يتضمن « علم المعرفة الحقيقية ... » تعريبا من السريانية للراهب السريانى عبدالنور الآمدى وفى آخر النسخة قوله : « وقد اهتم بكتابة هذه

النسخة الاخ المكرم ... والمسيحى القاثوليقى ... الخواجا المبجل القاروى (كذا) المثل الخواجا جرجس ابن المومن المرحوم الخواجا يوسف الحلبى ... وقد صار تحريره بيد الضعيف شماس ايليا بن قسيس عبدالاحد الموصلى سنة ١٨٢١ فى اوائل شهر آذار (الموافقة) هاجرية (كذا) ١٢٣٦ » أ هـ .

بيت صاحب الرحلة بغدادى الاصل

رأينا فى ما ذكره القس نصرى ان صاحب الرحلة من نسل البطاركة النساطرة والعشيرة الابوية . وسيبين من نصوص اوردها بشأن نصوص صاحب الرحلة صحة ذلك . اما قول القس عنه انه من نسل البطاركة فهو يريد من نسل بيتهم اذ ان البطاركة لا يتزوجون .

وقال القس (٢ : ٢٥٨ ح) : « ان العائلة الابوية كانت قاطنة بغداد قبل انتقالها الى تلخش والقوش » وقال (٢ : ٨٢) « وكان بطاركة المشارقة بعد الغوائل والحروب التى ثارت فى المشرق قد هجروا بغداد واقام ماريابالاها كرسيه فى دير ماريو حنا الذى عمره فى مراغة . وبعد فراغ الدير اخذوا ينتقلون من مكان الى ان وصلوا الى بلاد ما بين النهرين . واقام بعضهم فى دير الرهبان هرمزد وبعضهم فى الموصل وغيرهم فى دير مار اوجين ... » أ هـ

واذ قال يابالاها الذى عمر دير مار يوحنا فى مراغة فهو اذن يابالاها الثالث المتوفى فى سنة ١٣١٧ م وترجمته فى كتاب اخبار فطاركة كرسى المشرق من كتاب المجدل المطبوع فى رومة فى سنة ١٨٩٦ (٢ : ١٢٢) (٢٠)

وقال القس نصرى (٢ : ٧٥) : « خلف يابالاها فى الرئاسة العليا على النساطرة طيماثاوس ... ولما توفى يابالاها طيماثاوس بعد ان فرغ الكرسى ثلاثة اشهر ونودى به جاثليقا سنة ١٣١٨ م وهو الثانى بهذا الاسم » اهـ .

وقال القس ايضا (٢ : ٨٣) : « المراد بعشيرة الاب « العائلة » او السلالة التى كان يخرج منها الجاثليق او البطريرك ابو الاباء للطائفة النسطورية ... واول من سيم جاثليقا من هذه العائلة هو طيماثاوس خليفة يابالاها اليغورى (٢١) وكان خلفاؤه ايضا من قرابته العمومية الى زمان شمعون المعروف بالباصيدى الذى جلس سنة ١٤٨٠ . وسن شمعون الباصيدى هذه العادةبنوع

قطعي ... فعين شمعون المذكور اول مرة خلفا له من عشيرته واسامه رئيس اساقفة لكي يتخلفه بعد موته . وقد حذا حذوه كل الجثالقة الذين خلفوه . » اهـ

وقال ايضا (٢ : ٨٤) « واقر الجثالقة المشارقة كرسيهم بعد ان رحلوا من بغداد في مراكز شتى ولو كانوا يعودون احيانا اليها ... واخيرا اتوا القوش نحو سنة ١٤٣٦ وبعد مبادىء الجيل (القرن) السادس عشر كانوا يقيمون غالبا في دير مارهرمزد القريب من القوش ... » اهـ

وراح القس نصري يروي (٢ : ٨٨ و١٤٨ و١٥٠ و١٥٣ و١٧٦ و١٨٦ و١٩٤) تبوؤ ابناء هذا البيت للكرسي البطريركي وانبأنا باخبارهم حتى أتى الى زمن صاحب الرحلة ووفاة ايليا الثامن نسطوريا في ٨ حزيران سنة ١٦٦٠ وهو عم صاحب الرحلة . ثم ذكر (٢ : ٢٢٣) البطريرك الذي قام مقامه من هذا البيت ايضا (٢٢)

ويا ليت القس نصري صرح بمصدره في بغدادية هذا البيت .

* * *

ذكر القسيس في رحلة الاب جوزبه (يوسف)

وبعد ان بحثت عن صاحب الرحلة في كتب مطبوعة في عصرنا الحاضر وفي ما استخرج من كتاب أو كتابين طبعه صاحب الرحلة المار الذكر أرى ان نستطلع كاتبا معاصرا له شافهه فدون بحثا عنه في كتابين كان طبعهما في زمن كان كل منهما في قيد الحياة .

رحل من رومة الاب جوزبه دي سانتا ماريا من الآباء الكرمليين (الذي سقف بعدئذ فعاد اليه اسم بيته سبستياني) قاصدا بلاد ملبار في الهند في سنة ١٦٥٦ وعاد منها فاجتاز بغداد فقدم الى رومة في سنة ١٦٥٩ فكتب رحلته الاولى(٢٣) وقد جاءت فيها (الص ٢٤١) السطور التالية وهذا تعريبها عن الاصل الايطالي :

« وهذا ما حملني على ترك طريق ما بين النهرين وعلى السير مع دليل البر برفقة الجند ومملوكين اثنين وقسيس اسمه الياس كان نسطوريا ثم تكثلك وهو ابن اخي البطريرك لهذه الطائفة النسطورية . وكان القسيس يقصد السفر الى رومة تبركا » أهـ .

وفى الطريق قبل وصولهم الى حلب ذكره الاب جوزبه فى سياق الكلام (الص ٢٤٤ و٢٤٨) وليس فى ذلك كبير أمر . وعاد الى ذكره (الص ٢٧٥) فقـال :

« وكان القسيس الياس من جملة الفقراء على مائدة قداسته(٢٤) يوم خميس الفصح وقد تأثر جدا من هذا المثال الصالح لنائب المسيح . وقال انه يريد ان يذيع خبر هذا العمل بين هراطقة بلاده جميعهم وينقلـه ايضا الى البطريرك عمه . ونال القسيس لاخيه عبدالمسيح اركدياقونية كنيسة بغداد(٢٥) وحظى ايضا بمعاونة نقدية خطيرة الى بيته من المجمع المقدس »أ ه .

وقفل الاب ـ وقد صار اسقفا ـ راجعا الى الهند فى سنة ١٦٦٠ عن طريق الموصل وعند قدومه اليها روى لنا ملاقاته اخا للقسيس وهذا ما دونه فى رحلته الثانية(٢٦) (الص ٢٢/٢٣) :

« ... وقدم الينا الاخ الصغير للقسيس الياس بعض المبردات . وكان القسيس قد رحل معى قبلا من بغـداد الى حلب وكنت اعنته فى رومة اعانة جزيلة وأراد اخو القسيس ان يذهب بنا الى مكان قريب واقع فى جبال الكرد يسمى القوش (وهو وطن النبى ناحوم المسمى الكشكو « Elcesco ») بقصد زيارة عمه بطريرك النساطرة وهو خلف لسلفه عمه المتوفى فى ضلاله قبل مدة قصيرة . وكانت وفاته بعد ان كان قد بلغ من العمر عتيا (٢٧) ولم يكن قد انثنى عن زيغه وان كان القسيس الياس بعد رجوعه من رومة قد اقنعه بغلطه وحرضه على الخضوع للحبر الاعظم وكان تحريضه بلا جدوى(٢٨) لخوفـه الذى لا معنى له من قول القائلين انه افرنجى . وكان عمر البطريرك الجديد ـ وهو ابن عم القسيس ـ اربع عشرة سنة وقد سقف قبل سنة وقبل ذلك بسنة(٢٩) كهن بعد ان كان راهبا فى رهبانية القديس باسيليوس سنتين . فهكذا يكون مجرى الامور حينما تقلـد المراتب الكنسية بالوراثة لاسرة واحـدة حيث لا يحفظ الايمان خالصا من الشوائب . وكان يؤمل عبدالله اخو القسيس ان زيارتى للبطريرك ابن عمه تحركه على الطاعة الواجبة للحبر الاعظم . وبما انى كنت فى كل دقيقة اترقب السفر أبيت الذهاب الى القوش . وفضلا عن

هذه الحال فان الاب جيوتاديو (*Gic Taddeo*) كان مريضا مرضا عضالا فلم يسعني ان اتركه وحيدا » أ هـ .

غادر الاسقف الكرملي الموصل منحدرا راكبا كلكا (٣٠) على دجلة الى بغداد فقص علينا ما يلي (ص ٢٥) :

« عند قدومي الى بغداد رأيت على ضفة دجلة القسيس الياس وكان ينتظرني هناك كل يوم اذ قد بلغه الخبر بسفري الى هنا وبمعاونته ومعاونة الآباء المذكورين قبل هذا (اى الكبوشيين) ركبت دانقا (٣١) ووجهتي البصرة ... » أ هـ .

ومن هناك ابحر الى الهند زائرها الكرملي . ثم قدم منها عائدا الى البصرة في سنة ١٦٦٤ وصعد دجلة ثم قال (ص ٢٢٧) : « وصلت الى بغداد فرأيت فيها قافلة كبيرة على وشك السفر . ومن المسافرين معها اخوان اثنان للقسيس الياس وقد سبق ذكرى اياه غير مرة فراقتني الفرصة في ما يخص بالرحلة ولا سيما السرعة في الرحيل لاني كنت الاحظ جدا حلول زمن البرد والامطار فصممت على أن اواصل المسير حالا ... » أ هـ .

وقال صاحب الرحلة (ص ٢٢٨) ـ وهو يسير بين بغداد والموصل ـ « انه كان يظن ان عبدالله اخا القسيس الياس يعرف شيئا من الايطالية وقد بان له ان ما يحسنه منها لا يزيد على كلمتين » أ هـ .

دعنا نرى اخيرا زائر الهند في حلب متخليا من وعثاء السفر في هذه البلاد الشاسعة . وهذا ما قاله حين سفره من الموصل الى حلب الشهباء (ص ٢٣٠) .

« بقي في نينوى(٣٢) عبدالمسيح الاخ الكبير للقسيس الياس ورافقنا الاخ الصغير واسمه عبدالله فأشار علينا ان نأخذ معنا زقا خمرا فحملناه معنا في كيس ... ولقد افادنا لاننا كنا نقاسي البرد اناء الليل » أ هـ .

وآخر عهدنا بالخوري صاحب الرحلة في سنة ١٦٩٢ على ما جاء في الكتاب الموصوف في المشرق وفي سنة ١٦٩٣ على ما جاء في الكتاب الذي ذكره القس نصري اذا صح قوله . وأملي ان يرى المتتبع شيئا عن هذا الرحالة

الباسل وبيته فى مدونات ذلك الزمن الغابر فيكشف لنا غطاء آخر عن امره المنسى اجيالا •

مطالعة

رأينا فى الرحلة ان لصاحبها ابن اخ اسمه يونان وفى ذخيرة الاذهان للقس نصرى ان له ابن اخ اسمه اسحق نشأ منه البيت الذى سمى بيت الحلبى ولم يذكر الكتابان اسم والد يونان واسحق انما رأينا فى رحلة الكرملى ان لصاحب الرحلة اخوين كبيرهما اسمه عبدالمسيح والآخر اسمه عبدالله لكن لا نزال نجهل ايهما والد اسحق • هذا ألم يكن اسحق ابنا لاخ ثالث غيرهما • وأما ما سمعه القس نصرى فرواه (٢ : ٣٥٨ ح) بقوله : « روى انه كان يوما ثلاثة اخوة من العائلة الابوية ••• وان الاخ الاصغر هو جد بيت آل الحلبى • ولعله كان يدعى اسحق الذى باسمه دعى اسحق جدهم الآخر ••• » فانه غير صحيح وسبب ذلك انه كان قد قال ــ كما رأينا ــ (٢ : ٣٥٩) ان اسحق الذى نشأ منه بيت الحلبى هو ابن اخى صاحب الرحلة • واذ قد أرانا صاحبها فيها ان اسم والده هو حنا فجد اسحق الذى قال عنه القس نصرى انه جد بيت الحلبى يجب ان يكون حنا وليس اسحق واذا كان فيهم من هو بهذا الاسم فهو أبعد من هذا الجد » •

الحواشى

(١) قال القس بطرس نصرى فى كتابه ذخيرة الاذهان الذى يأتى الكلام عليه (٢ : ٩٧) : « وكان الكلدان الحاضرون ايضا منذ بدء النصرانية يسمون ايضا سريانا • ثم سموا النساطرة ايضا بعد اعتناقهم البدعة النسطورية الى ان رفع عنهم البابا اوجينيوس الرابع تسمية النساطرة وأمر ان يسموا كلدانا فى اواسط القرن الخامس عشر نسبة الى اجدادهم • وتسمية السريان المشارقة ــ تمييزا لهم عن السريان المغاربة ــ هى مالكة (سائدة) الى الآن بين الكلدان » • وقال (٢ : ٧٨) : « فأصدر اوجينيوس المذكور فى ٧ آب من سنة ١٤٤٥ براءته الشهيرة فى شأن هؤلاء المهتدين وفيها يأمر ان لا يسموا نساطرة فيما بعد بل كلدانا » وقال (٢ : ٩٢) : « وسترى ان نساطرة اورشليم قد اهتدوا فى مبادىء القرن الثامن عشر الى الايمان الكاثوليكى ومع ذلك لبثوا يسمون نساطرة » أ ه •

وجاء مثل ذلك فى رحلة ديلافاله (*Delle Valle*) فى ما هو ملحق بالمجلد الاول فى الص ٧٨ من الترجمة الفرنسية طبعة ١٦٧٠ فى رسالته المؤرخة بتاريخ ١٠ كانون الاول سنة ١٦١٦ فى كلامه عن زوجته « معانى » الماردينية الاصل والمولد البغدادية المنشأ فانه قال ما تعريبه : « اما من جهة الدين فان والدها من السريان المختلفى الاجناس (اجناس العقائد) وهو من الذين تبع جدودهم غلطات نسطور وقد سموا دائما نساطرة مع ذلك فان هذا الاسم اليوم يعنى شعبا اكثر مما يعنى اهل مذهب فان الزمن الطويل جعل اصل الاسم كمنسى . وكذلك قال عن عقيدة هذا المبتدع وقد امسى لا يعرفها الا قليل من الناس بل لا يعرفها الا بعض اكليريكيين لا العالميون والعوام الذين لا تهمهم امثال هذه الامور » . وقال فى موضع آخر (٢ : ٦٠١) وذلك فى كتابه المؤرخ ٢٢ نيسان ١٦١٩ : « ... ان اصحابنا والمتفقين معنا وان يسموا الى الآن « نساطرة » انما يراد بهذا الاسم اسم شعب اكثر مما يراد به اسم اهل معتقد ... » أ هـ . وقال القس نصرى (٢ : ٣٧٤) : « واعلم ان اسم كلدان لم يشع فورا بعد ان وضعه اوجينيوس الرابع فى بدء (بل فى نصف كما رأينا) القرن الخامس عشر للنساطرة المهتدين فى قبرس وانما بدأ استعماله فى آمد ونواحيها لما تمكنت الكثلكة على عهد البطاركة اليوسفيين . وكان قبلا يدعون انفسهم السريان الكلدان ايضا . ثم سرى اسم الكلدان وحده رويدا رويدا الى الموصل فى بدء القرن الثامن عشر وتغلب على تسمية المسيحيين » أ هـ . وقد قال (ص ٣٧٤ ايضا) عن سبب تسمية المسيحيين « واقترح هؤلاء المرسلون المقلدون وظيفة التبشير بالايمان الصحيح تسهيلا لنشره تسمية المسيحيين بمعنى الكاثوليكيين » أ هـ . وبعد ان فصلت أمر التسمية نقول اننا نرى هنا موصليا بل قل بغداديا ــ كما سمى باعلاه فى طبعة الكتاب وكما سيأتى عن اصله البغدادى ــ نعت بكلدانى قبل بدء القرن الثامن عشر . ولعل الامر كان شاذا لتقربه من رومة بنوع خاص فاقتدى بتسمية بنى عنصره من القبرسيين الذين قال عنهم القس نصرى (٢ : ٧٩) ما يلى :

« وكان اصل نساطرة قبرس من الاسرى الذين كان ملوك الروم يستاقونهم من بلاد فارس » أ هـ (٢) جاءت اسماء هذه المراتب فى كتاب القس

نصرى (٢ : ٣٥٨) معربة كما يلى : « الاولى : ارخدياقون كنيسة بغداد والثانية : رئيس المحررين المرسلين والثالثة : حامل صليب مار بطرس والرابعة : كونت القصر الملوكى والخامسة : كاهن كنيسة سلطان اسبانيا » أ هـ . فان لم يكن التعريب له فمأخذ كتابه غير الكتاب الذى عرفه الاب رباط وسأتكلم على ذلك (٣) سنرى نسخة للرحلة فى ما يأتى (٤) ثم استعنا على تعريب ما فيه باحد العارفين للايطالية وهو ما سيجىء (٥) *Otto Loth...A Cat. Of Arabic Mss. in the Library Of India Office London 1877 P. 207*

(٦) اى قادس *Cadix* (٧) رأينا انه كان الواقف على طبعة كتاب الصلوات (٨) جاء فى المشرق (١٣» ١٩١٠ » ٥٨٢) وفى ذخيرة الاذهان للقس نصرى (٢ : ٣١٦) ان وفاته كانت فى سنة ١٧٥٥ الا ان فهرست المخطوطات السريانية والصابئية لخزانة باريس الاهلية (الص ٢١٥ عدد ٢٧٩) يقول انه توفى فى ٣٠ كانون الاول سنة ١٧٥١ على ما وجده صاحب الفهرست فى المخطوط الذى وصفه . وعندى مخطوط هو مواعظ القديس يوحنا فم الذهب كتبه الشماس (ثم القس) خدر ابن المقدسى هرمز البناء فى الموصل فى سنة ٢٠١٦ للاسكندر (١٧٠٤ م) وفى احدى اوراقه الاخيرة فقرة فيها ان الكتاب « مال (عائد الى) الياس بن عيسى غنيمة » وهذا البيت شهير فى بغداد والموصل منه معاصرنا صاحب المعالى يوسف بك غنيمة وسيادة المطران يوسف غنيمة . وكان والدى قد اشترى هذا الكتاب من القس اندريا ابن القس يوسف الموصلى فى اول محرم سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) على ما وجدته على ظهر الورقة الاخيرة . ويخبرنا الورتبيد صائغيان ان شهرة القس اندريا هى هندى . وان خزانة بيت غنيمة فى بغداد كانت عامرة بمخطوطاتها العربية والكلدانية وقد قضى عليها الزمن بالتلف قبل عصرنا هذا (٩) ليس بيدى شىء من فهارس النقود العثمانية لهذه الحقبة لاحول عليه ولعل ما يأتى يغنى عن الفهرست . جاء عن هذه النقود فى رحلة تيفنو (*Thuenot*) (٣ : ٢١٣ من طبعة امستردام ١٧٢٧) فى تاريخ سنة ١٦٦٤ ان البغدادية والشاهية شىء واحد ووزن كل منهما درهم وقال المؤرخ نعيما (١ : ٤٢٧ من الطبعة الاولى ٢ : ٣٦٨ من الطبعة الثانية) فى تاريخ سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ م) « وكان ضيق فى النقد فنصبت دار للضرب فى قلعة الامام الاعظم (ابى حنيفة) وشرع بضرب شاهية

بغداد » أ هـ • وفي المتحفة العراقية امثال من هذا النقد (١٠) كان موصليا واقام في بغداد سنين عديدة وكانت وفاته في الناصرية حاضرة لواء المنتفق في اواخر خريف سنة ١٩٠٧ أو بعد ذلك بأيام (١١) ويظهر ان الكتاب قليل الانتشار بحيث ان معجم المطبوعات ليوسف اليان سركيس لم يتعرض لمجلده الاول نفسه (١٢) كانت غيبوبة يوسف افندي عن وطنه مسقط رأسه الموصل خمسة وعشرين عاما لم يعد خلالها اليها وقد قضى منها في الناصرية نيفا وخمسة عشر عاما بوظيفته المذكورة كاسبا حب الموظفين والاهلين كافة وفي خانقين نحو عشر سنين في مثل هذه الوظيفة حتى احيل الى التقاعد بسبب طول خدماته وسنه • وكانت مغادرته للناصرية في قيظ سنة ١٨٩٩ (١٣) قال تاريخ حلب للطباخ (٣ : ٣٣٦) عن سلك الدرر للمرادي (٢ : ٥١) ان ولايته في حلب كانت في سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م) وعن سالنامة حلب انها كانت في سنة ١١٧١ ورجح الطباخ المرادي • وفي الآثار الجلية للعمري (مخطوط) في اخبار سنة ١١٧١ قوله : « وفيها ولي الموصل الحاج حسين باشا فجعل المتسلم في الموصل اخاه فتاح بك وقدم الى الموصل » • وفي سجل عثماني انه وليها في شعبان سنة ١١٧١ وفي سالنامة الموصل لسنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) انه وليها في سنة ١١٧١ • وقد وليها ثماني مرات • (١٤) اسم كتابه بالافرنجية في جزء سابق

(١٥) *Th. Howell. Voy, en retour de L'Inde,.. trad, de I'Anglais, Paris 1782*

(١٦)وذكر للبطريرك ترجمته لنفسه القس تفنكجي في رسالته بالفرنسية المسماة الكنيسة الكلدانية قديما وحاضرا (الص ١٤) بدون ان يوردها

(١٧) *Rev. G. P. Badger. The Nestoriens and their Rituals. London,1852*

(١٨) كنت رأيت منه نسخة في الموصل في خريف ١٩٢١ عند فتح الله سرسم وتجد منه نسخة في المتحفة البريطانية (فهرستها المطبوع في سنة ١٩١٢ الص ٣١ العدد ٦٣٠٠) وفي مدرسة الخياط في الموصل (مخطوطات الموصل للدكتور الجلبي الص ١٤٠) (١٩) غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام للمؤلف نفسه (مخطوطي الص ٣٨٠) في ترجمة علي افندي العمري

(٢٠) *J. B. Chabot - His. de Mar Jabalaha. Trad. Paris 1895*

(٢١) يابالاها هذا هو الثالث كما يفهم مما يلي في المتن (٢٢) ويجدر بنا في هذا

المقام ان نطلع على أصل اسرة مار شمعون البطريرك الحالى على النساطرة •
قال القس نصرى (٢ : ١٥١) « وخلفه (المخلوف ياباﻻها وهو الثالث من هذا
الاسم فى سلسلة البطاركة المشارقة) فى الرئاسة على المشارقة الكاثوليك
شمعون دنحا مطران جلو وسعرت وسلمس » ثم قال (الص ١٨٧) : « ان
البطاركة خلفاء شمعون يوحنا سولاقا الكاثوليكيين ـ بعد شمعون دنحا مطران
سلمس وسعرت ـ هم الشمعونيون الذين اخذوا اسم شمعون دنحا الى يومنا
هذا » وقال (الص ١٨٨) : « وبعد شمعون دنحا الذى سميناه بالاول وقد عرفوا
(وقد عرف البطاركة الشمعونيون) بالنسبة اليه بالشمعونيين خلفه شمعون
الثانى ••• » وقال (٢ : ١٩٠) : « ولم يلبث هؤلاء الشمعونيون فى المعتقد
الكاثوليكى الذى اتى به سولاقا زعيم بطريركيتهم بل نزعوا الى النسطرة من جديد
بعد شمعون الخامس ١٦٥٣/١٦٩٢ ••• » وقال : « وروى ان البطاركة
الشمعونيون هم من السلالة الابوية كما هو الشائع اخذا عن اقوالهم • وكانوا
يعرفون بمثابة جثالقة وخاضعين لبطاركة العائلة الابوية القاطنين فى القوش
ونواحيها كما يظهر من سياق هذا التاريخ بناء على الرسائل المنفذة من هؤلاء
البطاركة الى اولئك الشمعونيين فيها يدعوهم جثالقة ويتكلمون معهم كمن له
سلطة عليهم ولعل شمعون دنحا (وفاته فى نصرى ٢ : ١٥٤ كانت فى سنة
١٦٠٠) الذى اخذوا عنه هذا الاسم كان الاول بينهم من السلالة الابوية •
ولذلك فهؤلاء الشمعونيون قد تعلموا من بطاركة الموصل البابليين تلك العادة
الممقوتة بأن ينصب البطريرك بحق الخلافة من العشيرة الشمعونية » أ هـ • اما
ما قاله المطران بطرس عزيز فى مجلة النجم (الموصلية ١ « ١٩٢٩ » ٣٠٨)
فهو : « وهذا (اى ايليا حبيب هرمز اسمر) اقنع شمعون دنحا النسطورى
مطران جيلو وسلماس وسعرد باعتناق الكثلكة مع حاشيته • فلما توفى
البطريرك عبد يشوع الرابع خلفه اعطىالله أو (اى) ياباﻻها • وبعد سنتين
توفى هذا ايضا فاجتمع الاساقفة الكاثوليك فى كنيسة مار يوحنان بقرب خسراوا
فى سلماس وانتخبوا شمعون دنحا الآنف الذكر بطريركا ••• اما شمعون
دنحا الذى نحن بصدده فهو رأس البطاركة الشمعونيين الذين جعلوا مقرهم
فى العجم وكردستان وقام بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة » أ هـ فلم يذكر ان اصل

الشمعونيين من العشيرة الابوية (٢٣) اسمها بالايطالية فى ما سبق (٨ : ٥٠٨) (٢٤) هو البابا اسكندر السابع وقد رقى الكرسى الرسولى فى سنة ١٦٥٥ وتوفى فى سنة ١٦٦٧ (٢٥) قال القس يعقوب الكلدانى الموصلى ما يلى فى حاشية علقها على فاتحته لكتاب التراجم السنية للاعياد المارانية ... « تأليف الفطرك ابن الحديثى المعروف بأبى حليم » الذى طبعه فى الموصل فى سنة ١٨٧٣ (الص ج) وذلك فى كلامه على احدى النسخ التى اعتمد عليها : « كتبت فى البصرة فى سنة ١٠٥٩ هجرية (١٦٤٩ م) وقفا لكنيسة مار يوحنان العربى ومار قرياقوس فى بغداد للكلدان » أ هـ وهى السنة التى قدم فيها الى بغداد بولاى لوكوز فتكلم على الكنيسة كما سيجىء .

واذا اردت ان ابحث عن هذه الكنيسة اقول لابد انها الكنيسة التى بيد الارمن الارثوذكس اليوم وهى الواقعة فى احدى محال الميدان المعروفة « بمحلة كوك نظر » ويقال لها ايضا « محلة رأس الكنيسة » ويسمى الكاثوليك هذه الكنيسة ـ وقلما يذكرونها ـ كنيسة مسكنتة . وبقى الى الآن من يقصدها منهم فى احيان نادرة جدا طالبين شفاء لمرضاهم ولا سيما لمن به مس جنون . وذكر بولص لوقاس *Voy. du Sieur Lucas au Levant. Paris 170* (٢ : ٢٥٤) فى اخبار سنة ١٠٧١ ـ وكان اذ ذاك فى بغداد ـ ان النساطرة كانوا يمارسون دياناتهم علنا ـ وهو يريد ان يقول ان لهم كنيسة كما يفهم من تعبيره ـ خلافا للارمن فانه لا كنيسة لهم على ما سننقله عنه . وقد ذكر القس نصرى هذه الكنيسة باسم بيعة مسكنتة (١٩٨٢ و٤٠٢) واخبرنا باستياء الارمن الارثوذكس من النساطرة المتكثلكين واستيلائهم عليها فى سنة ١٧٤٤ . وروى ايضا بعض التفصيلات ولعل تغير اسمها من كنيسة « مار يوحنان العربى ومار قرياقوس » الى هذا الاسم وشيوعها به لوجود ذخائر فيها للقديسة مسكنتة قبل ان تصير للارمن .

وذكر الاب ليآندرو الكرملى فى رحلته الثانية المطبوعة فى سنة ١٧٥٧
Persia Ovver Secondo Viaggio de F. Leandro di Santa Cecilia.. Roma 1757
ما جرى على هذه الكنيسة التى هى اليوم بيد الارمن يوم كان فى بغداد وقد غادرها فى ربيع سنة ١٧٤٦ كما انه ذكر ارمنيا اسمه « نظر » كانت له اليد

القوية فى أمر نزع الكنيسة من يد اصحابها . ولعل المحلة منسوبة الى « نظر » هذا . والارمن يرقون اطلاق اسم « كوك نظر » على هذه المحلة الى زمن فتح السلطان مراد بغداد فى سنة ١٦٣٨ وهم يروون ان « كوك نظر » كان من رجاله القادمين معه فاذن له ببناء هذه الكنيسة فاشتهرت المحلة به . وأدلتهم تستند الى رواية بعضهم عن بعض لا غير . واننا لا ننكر عليهم ان أغلب النصارى القليلى العدد اذ ذاك كانوا يسكنون محال من محال الميدان وجهاته وقد بقى أثر لسكناهم هناك الى عهدنا هذا ولا يزال انما ليس بيدنا نقل كتابى عن « كوك نظر » ولعله نظر الذى ذكره الاب ليآندرو . والذى كان زمانه بعد السلطان مراد بنحو مئة سنة فاصعد الارمن وقته الى زمن ذلك السلطان فكانوا واهمين .

ولابد ان هذه الكنيسة شيدت بعد الزمن الذى كان فيه ديلافاله فى بغداد فى سنة ١٦١٧ فانه قال فى رحلته (٢ : ٦٠٣) فى كتابه المؤرخ فى ٢٢ نيسان ١٦١٩ المرسل به من اصفهان : « وبدأ قبل قليل من السنوات يقيم فى بغداد بعض النصارى القادمين اليها من ولايات مختلفة كانوا يسكنونها وقد اضطروا الى النزوح من ولاياتهم بسبب الحروب وامثالها من المصائب . لكن ليس لهم فى بغداد حتى الآن كنيسة بل ان حريتهم فى ممارسة دينهم فيها ليست بمطلقة على الوجه التام . واذا ارادوا ان يقدسوا عليهم ان يلجأوا الى دار خاصة بهذه الممارسة » أ ه وكانت بغداد اذ ذاك بيد العثمانيين ثم صارت بعد قليل من السنين بيد الايرانيين فقدم اليها الاب باسيفيك *Pacifique* الكبوشى فى سنة ١٦٢٩ عائدا من ايران . ومما فى رحلته (الص ٣٨٢) قوله : « وكان للاب جست *Juste* مقام كبير عند قسيسهم (قسيسى النساطرة) حتى انه كان يذهب الى كنيستهم فيجعلهم يصلون على الطريقة الرومانية . وقد عمد يوما مع القسيس سبعة اولاد بموجب الطقس الكاثوليكى . وكان عمر الاولاد يتراوح بين الثمانى سنين والعشر » أ ه وبعد ذلك عادت بغداد الى العثمانيين بفتح السلطان مراد اياها فى سنة ١٦٣٨ م فجاء اليها فى سنة ١٦٤٩ بولاى لوكوز فقال فى رحلته (انظر الى الاسم بالفرنسية فيما سبق

٨ : ٥٠٤) (الص ٣٣٢) : « ان للنساطرة فى بغـداد كنيسة وقد وقعت عدة اختلافات بين قسيسيهم وبين الآباء الكبوشيين ... » أ هـ .

وعقب بولاى المار الذكر الرحالة تافرنيه *Tavernier* وكان فى بغداد فى سنة ١٦٥٢ فقال (١ : ٢٣٦ من طبعة لاهى فى سنة ١٧١٨) : « بقى على ان ابحث عن نصارى بغداد فمنهم من هم نساطرة ولهم كنيستهم ومنهم من هم أرمن ويعاقبة وهؤلاء لا كنيسة لهم وهم يجيئون الى الآباء الكبوشيين فيوزعون عليهم الاسرار » أ هـ .

وبعد شهادة هؤلاء النصارى ـ وهم اعلم من غيرهم بكنائسهم وعددها ـ نرى اوليا جلبى الذى كان فى بغـداد فى سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٥ م) يقول فى رحلته (٤ : ٤٢٢) « ان للنصارى فى بغـداد ثمانى كنائس وان حالة كنائس الارمن الواقعة بقرب الميدان وبالجورجه (الشورجة) جيدة للغاية » أ هـ وليس ثم دليل وان ضعيفا على صحة ما رواه عن زمنه . وهذا « فيبور » الذى اتى بعده الى بغداد فكان فيها فى عهد واليهـا قبلان باشا (سـنة ١٠٨٧/١٠٨٨ هـ الموافقـة سنة ١٦٧٦/١٦٧٧ م) على ما فى كتـابه المسمى مسرح تركيـة

Theatre de la Turquie... Traduit For l' auteur Michel Febure..., Paris 1682

فانه يقول (الص ١٨٠) : « وكان هؤلاء النـاس (الارمن) كأنهم من رعيـة الآباء الكبوشيين لانه لا كنيسة لهم فى بابل (بغداد) الا كنيسة الآباء المار ذكرهم وفيها يقيمون صلواتهم حسب طقسهم ويحضرون القداس ويتقبلون الاسـرار » أ هـ .

وقد دام الارمن بغير كنيسة الى ما بعد ذلك فقد جاء فى رحلة اندرى سوراس سيوردوفال (راجع عنها ما سبق الص ٤٥٤ ح) (مخطوطى الص ٨٥) ما يلى : « ان الارمن من النصارى يقدسون فى كنيسة الكبوشيين وكنت يوم الفصح (١٦٩٥) حاضرا القداس وسمعته بموجب الطقس الرومانى والطقس الارمنى » أ هـ ثم جاء فى رحلة بولص لوقاس الذى كان فى بغداد فى ايلول سنة (١٧٠١) = (٢ : ٢٥١) ما ملخصه : «ان الآباء الكبوشيين اضطروا مرة ان يتصعبوا فى قبول الارمن عندهم وكانوا يجيئون اليهم لاستماع القداس فعرض الارمن على وكيل الوالى وعلى القاضى ان لا موضع لهم يقيمون فيه شعائرهم

الدينيــة الا عنــد الكبوشــيين فاســتدعى الباشــا المــار الذكر ـ واســمه *Hali Astrelument* (كذا)باشا البصرة ـ والقاضى الكبوشيين فى ديوان عامر وأمرهم بأن يقبلوا الارمن عندهم وقد كانوا يداومون على المجيء الى الكبوشيين . ثم كان شهر آب من سنة ١٧٠١ الماضية أو نحوها فورد أمر من الاستانة بمنع احداث كنائس فى المملكة العثمانية وبالتحقيق عما اذا كان احدث شيء منها فى بغداد اذ قد بلغ الاستانة ذلك ... » أ هـ والظاهر ان تلك الكنيسة التى ذكر الاب ليآندرو والقس نصرى اخذ الارمن اياها من النساطرة مع تعيين التاريخ قد عادت بعد ذلك الى اصحابها الاولين فان نيبهر (*Niebuhr*) الذى كان فى بغـداد فى سنة ١٧٦٦ يقول فى رحلتـه (٢ : ٢٥١) ان الآباء الكرمليين قد جذبوا اليهم اكثر النصارى الشرقيين الذين فى بغداد حتى ان النساطرة ـ وهم نصارى هذه البلاد القدماء ـ اضطروا الى ترك كنيستهم الى النصارى المتحدين (يريد الكاثوليك) أ هـ . ولم يذكر ان للارمن كنيسة فيبين من ثم ان أخذ الارمن النهائى لهذه الكنيسة الواقعة فى محلة « كوك نظر » كان بعد هذا التاريخ ولم تعد بعد الى الكلدان اولاد النساطرة .

وكانت كنيسة الآباء الكبوشيين فى محلة رأس القرية بعد ان أذن لهم الشاه عباس بالاقامة فى بغداد وبتخصيص دار لهم فى كتاب كتبه الى صفى قولى خان بتاريخ ٢٨ تشرين الاول سنة ١٦٢٨ . وكانت بغداد اذ ذاك بيد الايرانيين فكانت للكبوشيين كنيسة يذكرها التاريخ والرحلات معينا موضعها . والبحث عنها يزيدنا بعدا عن الموضوع .

وعسى ان يعقد الورتبيد صائغيان مقالا خاصا بالكنيسة التى بيد الارمن اليوم وهى الواقعة فى محلة « كوك نظر » فان لديه كل المعلومات المطلوبة . وكنيستهم هــذه هى غير كنيستهم الثانيــة الواقعــة فى محلــة رأس القرية

(٢٦) *Seccnda Speditiona alla Indie Orientali di Monsignore Sebestiani Fr. Giuseppe...di S. Maria. Roma 1972.*

(٢٧) هو ايليا السابع الذى صار بطريركا فى سنة ١٦٢٧ المتوفى فى سنة ١٦٦٠ (المشرق ٣ « ١٩٠٠ » ٨٢٧) . وفى رسالة القس تفنكجى (بالفرنسية) المسماة الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية قديما وحاضرا (الص ١٣) نقلا عن المشرق انه

كان قد ارتقى الكرسي البطريركي في سنة ١٦١٧ . فقد غلط القس تفنكجي في النقل وراجع ما سبق في هذه المقالة ما هو معنون « بيت صاحب الرحلة بغدادي الاصل » وفيها انه ايليا الثامن وهو الاصح (٢٨) قال بادجر (١ : ٦ ـ ١٤٥/١٤٦) نقلا عن موشيم (*Mosheim*) ان هذا البطريرك ـ وقد دعاه ايليا الثالث ـ وان رفع في سنة ١٦٥٧ كتابا الى رومة انما لم يتم الاتفاق بينهما . وتقول نبذة المشرق (٣ « ١٩٠٠ » ٨٢٧) انه كان كاثوليكيا وكذلك قول القس تفنكجي (الص ١٣) آخذا اياه عن تلك المجلة والظاهر ان الصحيح ما اوردته عن القس نصري في ما سبق (الص ١٩٤) من كتابه انه توفي نسطوريا وكما قاله الكرملي فانه كان معاصرا لهذا البطريرك وحاضرا البقعة التي كان يعيش فيها البطاركة واستقى ما قاله من ذوي البطريرك انفسهم . وقد دعا القس نصري (٢ : ١٩٤ و٣٥٨) هذا البطريرك ايليا الثامن بينما يدعوه المشرق وتفنكجي ايليا السابع وبادجر الثالث فقد اختلف هؤلاء الكتبة في عدد السلسلة لكنهم اجمعوا على زمن بطريركيته الممتدة الى سنة ١٦٦٠ فجاء قولهم عن سنة وفاته موافقا لقول رحلة الكرملي التي تبين فيها سنة وفاته استنتاجا (٢٩) قال تفنكجي (الص ١٣) عن ايليا الثامن هو يوحنا بن مار اوكين (*Moroghin*) وقد رقي الكرسي البطريركي في سنة ١٦٦٠ وله من العمر خمس عشرة سنة وقال القس نصري (٢ : ٢٢٣) انه ايليا التاسع وكان يعرف بمروكي ايضا . وقد جلس على سدة البطريركية في سنة ١٦٦٠ وبعد لن تكلم فيبور في كتابه مسرح تركية على جواز تبوؤ الكرسي البطريركي عند النساطرة للصبي حتى لو كان عمره تسع بل ثماني سنوات قال (الص ٤٦٣/٦٤) : « كما جرى ذلك للبطريرك « مار الياس » المقيم بقرب نينوى قبل وقت قريب جدا » أ ه وكان فيبور مرسلا كبوشيا فرنسي الجنسية واسمه في الرهبانية الاب جستن من تور (*Le Pere Justin de Tours*) وقد زار الشرق بما فيه بلاد ما بين النهرين وكلدية القديمة من سنة ١٦٥٥ الى سنة ١٦٧٣ . وكانت وفاته في نحو سنة ١٧٠٠ (عن لاروس الجديد المصور) (٣٠) لغير العراقي ان يراجع وصفه في هذه المجلة (١ « ١٩١١ » ٤٧٢ خ) (٣١) راجع ما قيل عنه في ما سبق (٨ : ٥٠٤ ح) واضيف الى

ذلك وصف « اوتر » لـه ولغيره من السفن فقـد قـال في رحلتـه
M. Otter - Voyage en Turquie et en Perse. Paris 1748
في سنة ١٧٣٧ (١ : ٥٧/١٥٦) « الثكنة » : سفينة مغطاة تبنى في البصرة لنقل الاموال بطريق دجلة الى بغداد وكذلك تسير في الفرات لتأمين الطرق ولضبط اعراب هذه الجهات و « الغراب » نوع آخر من السفن لا سطح له لنقل التمر والحنطة وامثالهما وتغطى الاموال بحصر » و « الدانق » يشبه كثيرا الغراب من حيث شكله لكنه اصغر منه أ هـ **(٣٢)** كانت عادة بعض الافرنج ان يطلقوا اسم نينوى على الموصل واسم بابل على بغـداد وقد اشـار الى ذلك ديلافاله (الص ٣١ من الملحق بالمجلد الاول) في امر تسميتهم لبغداد بابل .

الفهارس

فهرس

الاشخاص والاقوام والقبائل والجماعات

صفحة

صفحة

(غ)

(ف ، ف)

فهرس الامكنة والبقاع

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس الكتب والرسائل (المطبوعة والمخطوطة) والمجلات والجرائد والمقالات

(باللغات الشرقية) *

(*) م = مجلة
ق = مقالة
ج = جريدة

BIBLIOGRAPHIE*

Afonso (Mestre) Itinerario...(en 1565) (voir Collection intitulée "Itinerarios da India a Portugal por Terra..." Coimbra 1923

Alexander (Constance M.) Baghdad in Bygone Days London 1928

D'Anville (M) L'Euphrate et le Tigre. Paris 1729

Badger (Rev. G.P.) The Nestorians and their rituals. London 1825

Balbi (Gasparo) Journey from Baghdad to Busrah (in 1580) (Voir "Through Turkish Arabia", by H. Swainson Cowper. London 1884

Banks (E.J.) Bismya or The Lost City of Adab... New-York and London 1912

Berenger Géographie de Bushing retouchée... Lausanne 1780

Boullaye le Gouz (Sieur) Les Voyages et Observations. Paris 1657

Catalogue des Mss. Arabes...offerts à la Bib. Nationale par M.J. Decourdemanche. Paris 1909

Catalogue of the Arabie Mss. on the Library of India Office. By Otto Loth London 1877

Catalogue des Mss. Arabes des Nouvelles Acquisitions (1884—1924) par Blochet. Paris 1924

Camus (Voir Thévenot)

Chabot (J.B.) Histoire de Mar Jabalaha III Patriarche des Néstoriens (1281—1317) et....Paris 1895

Carmiélites (Voir Gollancz)

Chesney (F.R.) Narrative of the Euphrates Expedition...during the years 1835/37. London 1868

Cowper (voir Balbi)

(*) يرجع الى فهرس الرجال بالعربية للاطلاع على الصفحات التي ذكر فيها هؤلاء المؤلفون ومصنفاتهم

De Beylié (Le Général) Prome et Samara. Voyages Archéologiques...Paris 1907

Della Valle (Pietro) Les Fameux Voyages... 1664/70. 4 vols.

Dozy (R.P.A.) Dictionnaire Détaillé des noms des Vêtements chez les Arabes...Amsterdam 1845

Du Val (André Soarez Sieur) Journal de mon Voyage des Indes Orientales par terre commencé au mois d'Octobre 1694 et fini au mois de Décembre 1695 (Ms. de ma Bibliothèque très probablement inédit car il n'en est fait aucune mention dans les Bibliographies de livres imprimés)

Empson (R.H.W.) The Cult of the Peacock Angel... London 1928

Encyclopédie de l'Islam

Fébure (Michel) Théâtre de la Turquie. Traduit de l'Italien par son Auteur Paris 1682

Fischel (Marcel-Maurice) Le Thaler de Marie-Thérèse. Paris 1912

Fontanier (V.) Voyage dans l'Inde et dans le Golf Persique. Paris 1844/46 3 vols.

Fraser (J. Baillie) Travels in Koordistan, Mesopotamia etc. London 1840 2 vols.

Gabriel (Albert). Les Etapes d'une Campagne dans les deux Iraks d'après un Manuscrit Turc du XVIe Siècle publié par....dans la Revue Syria 1928 et Extrait à part. Paris 1928

Gabrieli (Prof. Giuseppe) Manuale di Bibliografia Musulmana. Parte Prima Bibliographia Generale. Roma 1916

Giuseppe (F....di Santa Maria), Carmelitano Scalzo...Prima Speditione all Indie Orientali...Roma 1664

—Seconda Speditione all Indie Onientali...Roma 1672

Gollancz (Sir Herman) Chronicle of the Events between the years 1623 and 1723, relating to the statement of the Orders Carmelites in Mesopotamia (Bassora)

with translation and notes...London 1927

Heude (William) Voyage de la côte de Malabar à Constantinople par le Golfe Persique, l'Arabie, la Mésopotamie, le Kourdistan...fait en 1817...traduit de l'Anglais....Paris 1820

Howell (Th.) Voy. en retour de l'Inde...Trad. de l'Anglais. Paris 1782

Huart (C.) Bagdad dans les Temps Modernes. Paris 1901

Irwin (E.) A Series of Adventures...and of a route by Aleppo, Bagdad and Tygris. 3th Edition. London 1767

Ives (E.) A Voyage from England to India in the year 1754...also a journey from Persia to England... London 1773

Jones (James Felix...I. N.) Selections from the Record of Bombay Government No. XLIII.—New Series. Bombay 1857

Keppel (G.) Personal Narrative of a Journey...by Bussorah, Baghdad....New Edition 1824. 2 vols.

L. A. ... Histoire des Wahabis Paris 1810

Leandro di Santa Cecilia (F. ....Carmelitano Scalzo) Persia Ovvero Secondo Viaggio. Roma 1757

Le Strange (G.) Baghdad during the Abbasid Caliphate...Second Edition London 1924

Longrigg (S.H.) Four Centuries of Modern Iraq. Oxford 1925

Ludwig (Dr.) (Voir Rustem Pascha)

Lucas (Paul) Voyage...au Levant. Paris 1704. 2 vols.

M. ... (Probablement Rousseau Corresp. de l'Institut.) Description du Pachalik de Bagdad...Paris 1809

Malcolm (Sir John) History of Persia...(New Edition) London 1829. 2 vols.

Mignan (Cap. E.) Travels in Chaldea including a Journey from Bussorah to Baghdad...London 1829

Nau (F.) Recueil de Textes et de Documents sur les Yézidis. Paris 1918

Nasuh es Silahi el-Metraki (voir Gabriel)

Niebuhr (C.) Voyage en Arabie et en d'autres Pays Circonvoisins. Traduit de l'Allemend. Amesterdam 1776/80. 2 vols.

Oréalius (A.) Relation de Voyage en Moscovie, Tartarie et Perse.. Traduit de l'Allemand par A. de Wicquefort. Tome Premier Paris 1666

Otter (M.) Voyage en Turquie et en Perse Paris 1748. 2 vols.

Pacifique (Père.... de Provins) Relation du Voyage... Paris 1621.

Quatremère (M.) Histoire des Mongols de la Perse par Rashid ed-Din, publié avec traduction et notes Paris 1836

Raimond (J) Voyage aux Ruines de Babylone, par M. J. Riche, Résident à Bagdad... Traduit et enrichi d'Observations. Paris 1818

Rachid ed-Din (voir Quatremère)

Revue de l'Orient Chrétien

Rich (J.C.) Narrative of a Residence in Koordistan...with Journal of a Voyage down Tigris to Baghdad 1836. 2 vol.

Riche (J.C.) (Voir Raimond)

Rousseau (J.B.L.) Voyage de Bagdad à Alep (en 1808) Publié par Louis Poinsot...Paris 1899

Rustam Pascha (voir Ludwig)

Salmon (G.) L'Introduction Topographique à l'Histoire de Bagdad d'Abou Bakr al-Khatib al Bagdâdi. Paris 1904

Sebestiani (voir Giuseppe de S. Maria)

Sestini (J.) Voyage de Constantinople à Bassora en 1781, par le Tigre et l'Euphrate et Retour à Constantinople, en 1782 par le Désert et Alexandrie. Traduit de l'Italien. Paris 1797

Schnurrer (Christiano Frederico) Bibliotheca Arabicae. P. III, 1802

Tavernier (Jean Baptiste) Les Six Voyages... en Turquie, en Perse et aux Indes...La Haye, 1718. 3 vols.

Teixeira (Pedro) The Travels of...Translated and Annoted by William F. Sinclair...London 1902

Vincenzo (Maria si S. Caterina da Siena (P.F.) Procuratore Generale de Carmelitani Scalzi. Roma 1672

Thévenot (Jean de) Voyages en Europe, Asie et Afrique...1ère Edition. Amesterdam 1727

Thévenot (Melchisadech (voir Camus)

Appendice

De Meynard (C. Barbier) Dictionnaire Géographique, Historique et Littéraire de la Perse...Paris 1861

Parfit (Joseph E.) Marvellous Mésopotamia. London 1920.

Tfinkdji (L'Abbé Joseph) L'Eglise Chaldéenne Catholique. Paris 1913.

فهرس الالفاظ الدخيلة والمصطلحات وما الى ذلك

استدراك

الصفحة	السطر	الخطــــــا	الصواب
١	٢٠	الصغائر	الصغار
٢٠	١١	المايه	المايه نصف
٤٧	٤	١٠٩٤ م	١٩٠٤ م
٣٣	١١	صدينا	صديقنا
٣٤	٩	المبذق	المبذرق
٤٠	١٢	اهى	هى
٧٤	٢٢	السرداد	السردار
٩٠	١	بلوركار	بلوكات
٩٥	٢٤	دوحة الزوراء	دوحة الوزراء
٩٦	١٤	666	1666
٩٧	٤	ذكرى	ذكر
٩٨	٢	التبصر	التبسط
٩٩	٨	ابن ابنا أبى الفرج	ابن ابنة ابى الفرج
١٠٠	٥		احذف هذه الجملة « احدى عشرة» صحيفة (١٨ . ١٩٢٠، ٥٩٦)
١٠١	١٧	تاتكين	باتكين
١٠١	١٨	تاتكين	باتكين
١٠١	٢٠	تاتكين	باتكين
١٠١	الكلمة الاخيرة	دائر	دائر
١٠٣	٦	المسمى الصافى	المسمى المنهل الصافى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٩	٩	التجاوا	ابتدأوا
١١٦	٢٢	جاء	لا
١١٧	٨	1824	1884
١١٧	١٣	ترجمة	فى ترجمته
١١٧	١٩	ابن العمرى	ابن العبرى
١٢٧	٢٣	كلوادى	كلواذى
١٢٧	٢٥	سترنج	لسترنج
١٢٨	١٠	دودفال	دوفال
١٢٨	٥	وفى كتب	وفى كتاب
١٣٥	٨	النقص	النغض
١٤١	١٤	وانبتوا	وانبثوا
١٤٢	١٧	البادارى	البادراى
١٤٨	٢٥	*Arrie*	*Arabie*
١٤٨	٢٥	*Nirbuhr*	*Niebuhr*
١٥٠	٢٤	*Samar*	*Samara*
١٥٠	٢٤	نفظها	تلفظها
١٦١	٥	لم ترد الى	لم ترد فى
١٦٥		واضاف على	واضاف الى
١٦٧	١٦	١٢٠٨ م	١٦٠٨ م
١٧٣	١٣	باب خزن	باب مخزن
١٧٤	٦	سقنرجا	سنقرجا
١٨٣	٢٣	*For*	*Four*
١٨٤	١٤	ترجمة	ترجمه
١٩٢	١٩	النحرين	البحرين
٢٠٠	١٩	*Maurcc*	*Maurice*
٢٠٠	٢١	ولسمه	واسمه
٢١٤	١٨	دور الحبب	درر الحبب
٢١٧	٨	يعطهم	يطعمهم
٢١٨	٢١	(سرهم)	(أسرهم)
٢٢٢	٢٠	لاستلائه	لاستيلائه
٢٢٢	١١	عدى	(تحذف الكلمة)
٢٣٣	١٩	ابسن	امبسن
٢٣٨	١٩	الاسطونجيل	الاسطرنجيلي
٢٥٠	١٦	مضى	منى
٢٥٨	١	التعريف	التعريب
٢٧٣	٦	١٧٨١ هـ ١١٩٦ م	١٧٨١ م ١١٩٦ هـ
٢٧٣	١١	ان	انها
٢٧٧	١٢	حصافة	حصانه

الصفحة	السطر	الخطــــا	الصواب
٢٧٧	١٥	لبرزك	لبزرك
٢٨٢	١٣	الوقف	الوقت
٢٨٤	١٧	المقمون	المأمون
٢٨٥	٦	الخلاقة	الخلافة
٢٨٦	١٣	لماسناة	المسناة
٢٨٦	١٧	المسانة	المسناة
٢٨٦	١٩	جوارها	جاورها
٢٨٦	(السطر الاخير)	المسانة	المسناة
٢٨٧	٦	الدارباطا	الدار رباطا
٢٩٢		حديقة الوزراء	حديقة الزوراء
٢٩٢	٢٠	هدتسفلد	هرتسفلد
٢٩٢	٢٦	*Form*	*From*
٢٩٦	٥	بيـان	بيان بعـد
٢٩٨	٥	افعلنا	فعلنا
٢٩٩	٣	ان لا نقول	ان نقول
٢٩٩	٦	٣١٤٦	٣٤٦
٣٠١	١٧	الصائبية	الصابئية
٣٠٤	٤	سعيد	سعد
٣٠٥	٢١	وخسرو وفيروز	وخسرو فيروز
٣٠٥	٢٥	بزبخ	بزيخ
٣٠٦	٨	له	لى
٣١٢	٩	١٩٤٢	١٨٤٢
٣١٤	٣	*Loudod*	*London*
٣١٤	١١	سلك الدور	سلك الدرر
٣١٦	١٢	كيبل	كيبل
٣١٧	١٠	بعد آلاف	بعد الالف
٣٢٤	٢	فلى	فى
٣٢٤	٢٧	ربى	بى
٣٢٥	١٧	وقف	وقفت
٣٢٨	١٩	١٩٦٠	٩٦٠
٣٢٨	٢٤	تبين	تبيين
٣٣١	١١	*Schnvrrer*	*Schnurrer*
٣٤٦	٢٤	*Thuenot*	*Thevenot*
٣٤٨	٤	جلو	جيلو
٣٤٩	١٥	*170*	*1704*
٣٤٩	١٦	سنة ١٠٧١	سنة ١٧٠١
٣٥١	١٥	*For*	*Par*
٣٥٢	٢٤	*1972*	*1672*

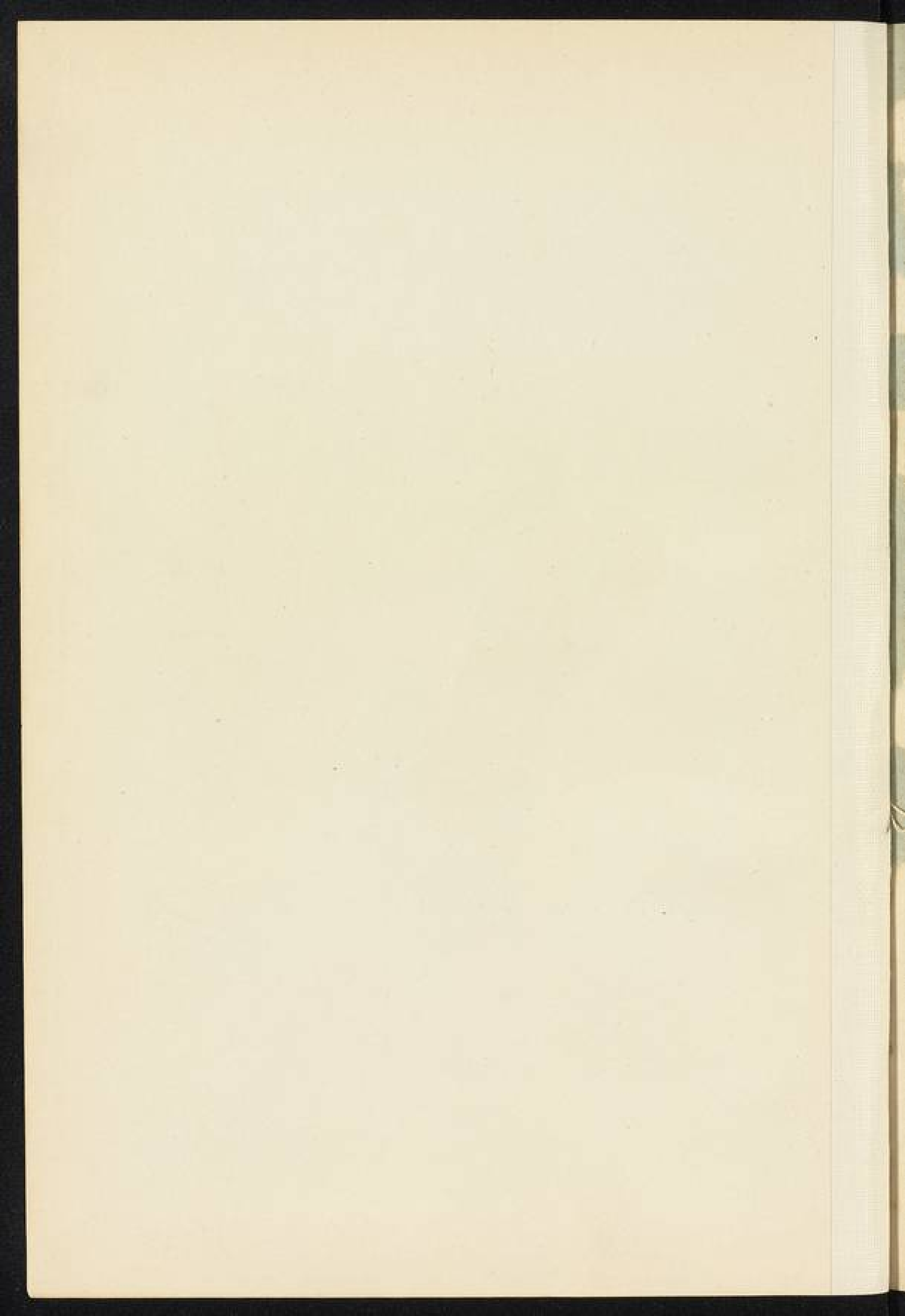
فهرس المواضيع

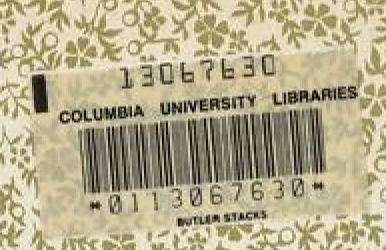
الصفحة

الصفحة

فهرس الرسوم

24






COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU17724171